بدعة

دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ

بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة

(مكانة السنة النبوية وحجيّتها)

الأستاذ الدكتور
خليل بن إبراهيم ملا خاطر العزامي
أستاذ الحديث وعلومه، بجامعة طيبة
بالمدينة المنورة



المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله الطَّيِّبين الطاهرين ، وصحابتِه المقرَّبين ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد أكرم الله سبحانه وتعالى نبيَّه ورسولَه ، وصفيَّه من خلقه ، وخليلَه سيدنا محمداً ﷺ ، بمنزلةٍ عاليةٍ ، ودرجةٍ رفيعةٍ ، ومكانةٍ ساميةٍ ، وخصه بخصائص جليلةٍ عظيمةٍ ، وحباه دون خلقه ،... وميَّزه دون رسله عليهم السلام ، وأفرده دون أنبيائه ، واصطفاه دون عباده ، وأضفى عليه من الصفات الكريمةِ ، والأخلاقِ الحميدةِ ، والمكارم العالية الجليلة ، والكمالات الرفيعة ، والمزايا التي لم يتصف بها ـ مجتمعةً ـ سواه ، ولا يتحلى ببعضها إلا الأفذاذ من الرجال ،... صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته ومن اتبعه بإحسان ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

فقد جعله الله سبحانه وتعالى : القدوةَ المثلى ، والأسوةَ الحسنة ، والمنار الأعلى ، المبشَّرَ به من قِبل رسله ، والمأخوذَ له العهد على جميع أنبيائه عليهم السلام ، والمشهودَ له من قِبله تعالى وملائكته .

كان ﷺ نبياً وآدمُ عليه السلام منجدلٌ في طينته ، وهو أول المسلمين ، وخاتم النَّبيين ، وهو أَوْلى بهم من أممهم ، وبالمؤمنين من أنفسهم ، وهو نبي الإسلام ، والرحمةُ المهداة ، مَن جعله ربُّه تعالى خِيرةَ خلقه ، وسيدَ الأنام ، ومنّةً يمتن بها على العباد ، وأَمَنَةً لأمته ، وعمَّمَ رسالتَه ، وتكفَّل بحفظه وعصمته ، وبدينه ، وأَقْسم بحياته ، وببلده ، وله ، ولم يناده باسمه ، ولم يخاطبه بشخصه ، بل بنبوَّتِه

ورسالتِه ، ونهى أن يُرفع صوتٌ فوق صوته ،... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

جعله الله تعالى نوراً ، وفرض بعضَ شرعه في السماء ، وأكرمه بالإسراء والمعراج ، وشقَّ له القمرَ ، وغَفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وتولى الإجابةَ عنه ، وأعطاه جوامعَ الكَلِم ، ومفاتيحَ خزائن الأرض ، ونصره بالرعب ، وجعله إماماً لرسله ، وبعثه في خير القرون ، وعَرض عليه أنبياءَه عليهم السلام ، وأطلعه على المغَيَّبات ، وختم به النبوةَ ، وبدينه الرسالةَ ،... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

جعله الله عز وجل شاهداً ، وشهيداً ، وأعطاه من الشفاعات ما لم يُعطِ أحداً غيرَه ، وهو أولُ من يُبعث يوم القيامة ، فيكون ﷺ إمامَ الأنبياء عليهم السلام ، وخطيبَهم ، وكلُّهم يُحشر تحت لوائه ،... وهو أولُ من يُجيز على الصراط ، وأولُ من يقرع بابَ الجنة ، وهو أولُ شافع ومشفَّع ، وهو سيدُ الأولين والآخِرين ، وهو مبشِّر الناس إذا أيسوا ، وهو صاحبُ المقام المحمود ، والحوض المورود ، والكوثر ، ولواءِ الحمد ، والوسيلةِ ، والدرجة الرفيعة ، وهو أكثر الأنبياء تَبعاً يوم القيامة ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

كما أكرمه الله سبحانه وتعالى في أمته بخصائص ـ دنيا وأخرى ـ ولولاه لما منحها ، وإنما أعطاها إكراماً له ﷺ . فجعلها تعالى خير الأمم ، وخصها بالإسلام ، ورفع عنها الإصرَ والأَغلالَ ، وأحلَّ لها الغنائمَ ، وجعل صفوفَها كصفوف الملائكة ، وخصَّها بالجمعة ، والتيممِ ، والصلاةِ على الأرض ، وساعةِ الإجابة يوم الجمعة ، وليلةِ القدر ، ولن يُهلكها بجوع ، ولا يُسلط عليها عدوّاً من غيرها ، ولن تزال على الحق ، وأكمل لها الدينَ ، وأتمَّ عليها النعمةَ ، ويصلِّي

المسيحُ ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ خلف إمامٍ منها ، وجعلها شهداءَ الله في أرضه ،...

كما جعلها جل شأنه شاهدةً للأنبياء عليهم السلام على أتباعهم يوم القيامة ، وهي أولُ من يجتاز الصراطَ ، وأولُ من يدخل الجنة ، وهي محرَّمةٌ على الناس حتى تدخلها ، وخصها تعالى بدخول الباب الأيمن من الجنة ، وسيفديها بغيرها من الأمم ، وجعلها أكثر أهل الجنة ، وسيُرضي نبيَّه وصفيه الكريم ﷺ فيها ، وأجزل تعالى لها الثوابَ مع قلة عملها ، وخصها بدخول الجنة كلها ، وبكثرة الشفاعات فيها ، ودخول الأعداد الكثيرة فيها بغير حساب ، وفيها سادات أهل الجنة ،... وجعلها السابقةَ يوم القيامة ، مع أنها آخرُ الأمم في الدنيا ، وجعل لها علامةً تعرف بها ربَّها جلت قدرته ، حيث يتمنى الكفار لو كانوا مسلمين منها ،...[1].

كما جعل الله سبحانه وتعالى نبيَّه وحبيبَه سيدنا محمداً ﷺ المبيِّنَ لما أراد ، والمفسِّر لمجمل ما أنزل ، والموضِّحَ معنى ما أراد من كلامه ، والمشرِّع وفق ما يريد . صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

وهو في كل ذلك موحى إليه من ربه تعالى ، كما قال جل شأنه : ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾[2] .

لذا ألزم الله عز وجل الناسَ ـ جميع الناس ـ الإيمانَ به ﷺ ، وطاعتَه ، وجعل الله تعالى طاعةَ رسوله الكريم ﷺ طاعتَه تعالى ، وأن من عصاه فقد باء بغضب

---

(١) انظر : الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن جميع الأنبياء عليهم السلام ، وعظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، ومكانة النبيّ الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم .
(٢) سورة النجم (٣ ـ ٤).

من الله تعالى ، وخسر خسراناً مبيناً ، ومن لم يمتثل أمره ﷺ فقد نفى عنه صفة الإيمان .

كما على الأمة أن تأخذ بفعله ﷺ وقوله وتقريره ، لأنه لا ينطق عن الهوى ، وهو المبلِّغ عن الله تعالى ، وهو ﷺ القدوةُ الحسنة لأهل الإيمان ، ولا يصح العنودُ عنه ، أو التغافل ، ومن فعل فقد ضل ضلالاً مبيناً .

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾(١).

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٢).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٣). في آيات كثيرات .

وطاعته ﷺ ، ومخالفته ، ومعصيته ، هي في حال حياته وبعد وفاته ﷺ سواء ، لا فرق في ذلك البتة ، لأن ذلك كله مستمد من أمر الله تعالى بطاعته ﷺ ، ونهي الله تعالى وتحريمه معصيتَه ، ومخالفةَ أمره ﷺ ، كما في صريح الآية الكريمة : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ حيث قال الله عز وجل : ﴿عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ وأمرُه ﷺ لا يختلف حُكْمُه ، سواء كان ﷺ على قيد الحياة ، أو بعد وفاته ﷺ .

ولأن طاعته ﷺ بعد وفاته هي فرع الإيمان به ، على أنه رسول الله ، المبلِّغُ عن الله تعالى . والإيمانُ به ﷺ ـ أنه رسول الله ـ هو ركن الإيمان ، فمن لم يؤمن

(١) سورة الحشر (٧).

(٢) سورة الأحزاب (٢١).

(٣) سورة النور (٦٣).

به على أنه رسول الله ؛ فليس بمؤمن . حيث حصر الله سبحانه وتعالى الإيمانَ بالإيمان به تعالى وبرسوله ﷺ ، حيث قال جل شأنه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ،...﴾ الآية[1].

والرسالة ثابتة له ﷺ في حال حياته ، وباقية له بعد وفاته ، ولا فرق في ذلك أيضاً في حال حياته أو بعد وفاته . وهذا منطوق الشهادتين (أشهد أن لاإله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله) فمن شهد (أن لا إله الله) ولم يشهد (أن محمداً رسول الله) فليس بمؤمن ، ومن آمن به رسولاً ، لزمه طاعته ؛ حياً كان أو ميتاً صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

كما أن طاعتَه ﷺ المأمورَ بها في كتاب الله عز وجل ، ومعصيتَه ومخالفةَ أمره ، المحرمَ ذلك في كتاب الله تعالى ، وبنهي الله عز وجل ، إنما ذلك في اتباع سنته ﷺ ـ من قول أو فعلٍ أو تقريرٍ ـ أمراً ونهياً ، في اتباع الأمر ، واجتناب النهي .

ففي حال حياته ﷺ يُرجع لما يقوله ويفعله ويقرره ، وبعد وفاته ﷺ يُرجع لما كان قد قاله أو فعله أو قرَّره ﷺ .

كما هو الحال في طاعة الله عز وجل إنما هي في الرجوع إلى كتابه الكريم (القرآن الكريم) أمراً ونهياً ، إذ لا فرق في الرجوع .

كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2].

فقد أمر الله سبحانه وتعالى بطاعتِه وطاعةِ رسولِه ﷺ ، وعطَف على ﴿ٱلرَّسُولَ﴾

(١) سورة النور (٦٢).

(٢) سورة النساء (٥٩).

قوله : ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ لأن طاعةَ ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ إنما هي من طاعته ﷺ ، لأنه هو الذي أمَّرهم وولاَّهم ، ولأن طاعتَهم مرهونةٌ بطاعتهم لله تعالى ولرسوله ﷺ .

فإن حصل خلافٌ ؛ فالرجوع إلى الله تعالى فيما حكم في كتابه الكريم ، وإلى النبيِّ الكريم ﷺ فيما قرر في سنته ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وانظر ضمير العطف هنا . ولم يأمر بالرجوع إلى غير الله تعالى ورسوله ﷺ ، وانظر إلى قوله عز شأنه : ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ ...﴾ فالمؤمن مطيع لله تعالى ولرسوله ﷺ ، ولا يُتصوَّر منه إلا الطاعة والإتباع ، كما سيأتي أيضاً إن شاء الله تعالى .

ومع هذه المرتبةِ العاليةِ ، والدرجةِ الرفيعةِ ، والحظوةِ العظيمة الكريمةِ ، والمقامِ السامي الرفيعِ ، والعلوِّ الشامخِ ، والكمالِ التامِّ ـ في الخَلق والخُلق ـ والثناءِ العاطرِ من قِبل الله تعالى ، والصفاتِ الجليلةِ الجميلةِ الرفيعةِ الكاملةِ ، والذاتِ المنفردةِ الكاملةِ المتكاملةِ ، والقدرِ العالي الرفيعِ ، والمكانةِ العليا عند الله تعالى ، والتقدمِ في العالمين ، والتكامل في التشريع ،...

مع هذا كله فقد ابتُليت السُّنَّةُ النَّبويَّةُ المطهرةُ ، ولحكمة يريدها الله عز وجل ، من يوم صدورها عن النبي ﷺ بمشكِّكين ، حاولوا تقويضَها وإلغاءَها ، فقالوا : (رسول الله بشر ؛ يقول في السخط والرضى ،...).

لكن هذا التشكيكَ سرعان ما زال ـ والحمد لله تعالى ـ بسماع الناس خطابَ النبي الكريم ﷺ : «فو الذي نفسي بيده ، ما خرج منه ـ وأشار إلى فيه ـ إلا الحق»[1].

(١) هذا الحديث رواه أحمد في مسنده (٢ : ١٦٢ ، ١٩٢) وأبو داود في سننه : كتاب العلم : باب كتابة العلم ، رقم (٣٦٤٦) والدارمي في مقدمة سننه : باب ما جاء في كتابة العلم ، والحاكم في المستدرك (١ : ١٠٥ ـ ١٠٦) وقال الذهبي في التلخيص : على شرط مسلم . ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١ : ٧١) وكلهم من حديث عبد الله بن عَمرو رضي الله تعالى عنهما ، ورجاله ثقات .

ثم ظهر العداءُ السافر من بعض الفرق الباطنية والمعتزلة والخوارج ، في نهاية القرن الثاني وبدء القرن الثالث ، ونادى هؤلاء بإِلغاء السنة كلها ، والأخذ بالقرآن الكريم فقط ، ولو كان هؤلاء صادقين في أخذهم بالقرآن الكريم لأخذوا بالسنة الشريفة ، لأن القرآن الكريم يأمر المسلمين بالأخذ بالسنة ، لأن السنةَ إنما هي طاعةُ النبي ﷺ ، وامتثال أمره ونهيه .

كما ظهر في فترات متباعدة ، حتى كان عصرنا الحاضر هذا الذي مُلئ بالمتناقضات ، فاشتدت الحملة الشرسة ضد السنة النبوية ، إلى حدٍّ لم يقع في التاريخ ، ولم يحصل في الأزمنة الغابرة ، إذ صرنا نسمع ونرى ونقرأ ، من يطالب بإلغاء السنة النبوية كلها ، ولا يرى صحة حديث واحد ، وأنه لا تصح نسبة حديث واحد إلى النبي ﷺ ، بل جميع هذه الأحاديث النبوية كلها موضوعة ـ حسب رأيه ـ لا تصح نسبتها إلى النبي ﷺ ،... بل طبعت مؤلفات بعناوين في غاية الخطورة (دو قرآن) وَ (دو إسلام) إسلام القرآن وإسلام السنة .

وبناء على هذه الدعاوى : ألغوا كثيراً من أحكام الإسلام ؛ كالزكاة والحج والصيام ،... وغيَّروا كيفيةَ الصلاة ،... لأن ذلك ليس في القرآن .

كما ظهر في غير العالم الإسلامي : كفارٌ يُهاجمون السنةَ النبويةَ الشريفة ، ورسولَها ﷺ ، لأن بالطعن بها وبرسولها ﷺ قضاءً على الإسلام ، وإِضعافاً له في نفوس أتباعه ، وتشككاً فيه ، وضعفَ الارتباط به ، لأن السنة النبوية هي الإسلام العملي ، فإذا شُوِّهت وضَعُفت ، ضعُف الالتزام بالإسلام .

كما ظهر إلى جوارهم أناسٌ ينتسبون إلى الإسلام يحاربون السنة النبوية ، ويطالبون بإلغائها ، فما مقصدهم ؟ وفي غير بلاد المسلمين يتكلمون ، ولغير المسلمين يخاطِبون ، وباسم الإسلام ينادُون ، فهل هؤلاء مسلمون ؟

ومن العجب أن هؤلاء إنما ينادون بإلغاء السنة النبوية بدافع الغيرة على

الإسلام ، والدفاع عنه . وهذا منتهى العجب المضحك ، يلغون الإسلام باسم الدفاع عنه .

وسوف أذكر عَرْضاً تاريخياً للعداء للسنة النبوية الشريفة بعد قليل ، إن شاء الله تعالى ، ولا بأس بذكر بعض الأسماء في ذلك .

ولكن :

إن الله جلت قدرتُه ، قد تكفل بحفظ الإسلام ، ولم يترك حفظَه لأحد من خلقه ، مهما ارتفعت مكانته ، وسمت منزلته ، ولو كان ملَكاً مقرّباً ، أو نبيّاً مرسَلاً ، فقال جل شأنه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[1].

وهذا بخلاف الكتب السماوية السابقة ، حيث ترك حفظها لعلمائها ، ومن هنا جاء التحريف فيها والتبديل والتغيير ، و ،...

ومِنْ حفظ الله تعالى لدينه الإسلام أن جعل السنةَ النبويةَ ـ وهي وحي أيضاً ـ مبيِّنةً لمجمل القرآن الكريم ، ومفصِّلةً له ، وموضِّحةً لأحكامه ، ومقِّيدةً لمطلقه ، ومفسِّرةً لعامِّه ، وخاصه ،... فالإسلام كتابٌ وسنةٌ ، وكلٌ منهما وحي من الله تعالى ، **أحدهما** : متلوٌّ معجزٌ ، متعَبَّدٌ بتلاوته ، **وثانيهما** : غيرُ مَتلوٍّ ولا معجِزٍ ، ولا متعبَّدٍ بتلاوته ، كما سأذكر ذلك إن شاء الله تعالى ، ولهذا حفظ هذا الدين ، وصانه عما حل في الديانات السابقة .

ولكثرة ما رأيت في هذا العصر ـ وفي أقطارٍ مختلفة من العالم الإسلامي ـ من مُعادين للسنة النبوية الشريفة ، ومهاجمين لها : استخرتُ الله عز وجل بكتابة سلسلة في الدفاع عن السنة النبوية الشريفة ، مستعيناً به جل شأنه ، ومستمداً منه وحده تعالى العونَ والتوفيق ، وسائله السداد والصواب ، وراجياً منه تعالى

---

(١) سورة الحجر (٩).

التوفيقَ والفلاحَ ، وآملاً منه جل وعز القبول والنجاح ، كما أسأله تعالى إنجازها ، والانتفاع بها .

والدفاع ـ في نظري ـ ذو شقين . إيجابي ، وسلبي :

ـ **أما الإيجابي** : فهو إظهار محاسن السنة النبوية الشريفة ، ومكانتها ، وحجيتها ،... وعمل السلف الصالح بها ، وحاجة المسلمين إليها ،... وما قام به علماءُ الحديث رحمهم الله تعالى من جهود مضنية في الحفاظ عليها ، وتنقيتها وكتابتها وبيان حجيتها ،...إلخ. بالإضافة إلى الدعوة للتمسك بها واتباعها ، وقرع أبواب الخصوم بها ،... وإيصالها إلى كل مكان ، والعمل على نشرها ، وتطبيقها عملياً ، والتمسك بها قولاً وفعلاً وحالاً ،... وهكذا .

وأما الجانب السلبي : فهو كشفُ عوار المخالفين ، والرد عليهم ، ودحض شبهاتهم ، وفضحهم للناس ، حتى لا يغترَّ بهم أَحدٌ .

وآمل من الله تعالى أن تحقّق هذه السلسلةُ بعضَ الغرض المطلوب منها إن شاء الله تعالى ، لأنه يعجز إنسان واحد ـ مثلي ـ أن يقوم بمفرده ، في هذا العمل ، بل لابد من تكاتف الجهود لتحقيقه والقيام به .

وقد كتبت من هذه السلسلة حتى الآن :

١ ـ تدوين السنة من العهد النبوي إلى زمن التابعين .

٢ ـ بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة [وهو هذا الكتاب].

٣ ـ السنة النبوية وحي ، وهو في ثلاث مجلدات كبار .

٤ ـ مكانة الصحيحين .

٥ ـ شبهات حول السنة ودحضها .

٦ ـ الإصابة في صحة حديث الذبابة .

٧ ـ خبر الواحد ، إفادته وحجيته .

٨ ـ الإسناد وأهميته ، والرد على المشكّكين فيه .

٩ ـ الإمام البخاري وصحيحه ، والرد على الطاعنين فيهما .

وعامتها قد طبع ، وأسأله تعالى إنجاز الباقي(١) .

ولست أدعي أني أتيت بما لم يأت به غيري ، فهذا بعيد ، لكن حسبي أني جمعتُ من القرآن الكريم ، ومن كتب السنة الشريفة ، ما أمكنني بيان حجيتها ، وأنها وحيٌ من الله تعالى ، وأنها المطاعة المخصوصة ، الداخلةُ في الأمر بطاعة رسول الله ﷺ ، كما أن القرآنَ الكريم : هو المخصوصُ الداخلُ بطاعة الله تعالى في أمره .

ثم ذكرت عمل السلف من الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين ومن بعدهم رحمهم الله تعالى في التزامهم بها ، والعمل بها ـ علماً وتطبيقاً ونشراً ـ وكيف كانوا يستدلون بالقرآن الكريم عليها ، ويرحلون من أجل سماعها ، بل من أجل سماع حديث واحد .

لأن التمسكَ بها هدايةٌ ، والبعدَ عنها وتركَها ضلالٌ وغوايةٌ . وأن ترك السنة النبوية الشريفة كفرٌ وضلال ، وصاحبَ تلك الفكرة ملعونٌ على لسان النبي المختار ﷺ .

وأن إجماع الأمة منعقدٌ على الأخذ بها ، والتمسك بها ، وأن طاعة النبي ﷺ ، في حال حياته وبعد وفاته سواء ، وأن الأمر بالأخذ بها شاملٌ لمن كان في عصره ﷺ ولمن يأتي بعده ، لا فرق في ذلك أيضاً .

وأن إجماع الأمة منعقد على أن أصول التشريع : كتاب وسنة ، ثم إجماع ، وقياسٌ على واحدٍ منهما ، فمن ترك الأخذ بالسنة النبوية كمن ترك الأخذ بالكتاب ، لأنه عاصٍ لله تعالى ولرسوله ﷺ .

---

(١) انظر مقدمة (خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع) ففيه زيادة .

واستكمالاً للفائدة فقد قسمت الكتاب إلى مقدمة وتسعة أبواب :

- **تمهيد** : وفيه العداء للسنة النبوية منذ القدم حتى العصر الحاضر .

الباب الأول : وجوب الإيمان به ﷺ على أنه رسول الله ﷺ .

الباب الثاني : وجوب محبته وتوقيره وتعظيمه ﷺ لأنه رسول الله ﷺ .

الباب الثالث : وجوب طاعته ﷺ لأنه رسول الله ﷺ .

الباب الرابع : وجوب طاعته ﷺ بعد وفاته لأنه رسول الله ﷺ .

الباب الخامس : تحريم معصيته ﷺ لأنه رسول الله ﷺ .

الباب السادس : سنته ﷺ وحي من الله تعالى .

الباب السابع : سنته حجة في دين الله تعالى لأنه رسول الله ﷺ .

الباب الثامن : جعل الله تعالى السنة مبيِّنةً للكتاب الكريم .

الباب التاسع : حرص السلف على السنة وتمسكهم بها وتطبيقهم لها .

- **الخاتمة ، أحسن الله تعالى ختامنا جميعاً .**

ولما كان الموضوعُ طويلاً جدّاً ، والآيات القرآنيةُ كثيرةً جدّاً ، اجتهدتُ في الاعتماد عليها ، وجعلتُها هي المدار ، وأذكر من الأحاديث النبوية تكملة للموضوع ، على أن يكون بشكل مختصر جدّاً ، بمقدار هذا المجلد ، وإلا فكل باب منها يُكتبُ فيه مجلّدٌ كبير .

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل وكل أعمالي خالصاً لوجهه الكريم ، ويجعله ذخيرة ليوم ألقاه ، ويجعل له القبول بين عباده ، ويرزقني التوفيق والسداد والصواب ، والصدقَ في القول ، والإخلاص في العمل ، ويغفر لي ولوالدي ولوالد والدي ، ولأخوتي وأولادي وأزواجنا ولمشايخنا ، ولمن له حقٌّ علينا ، ويشافي مرضانا ومرضى المسلمين ، ويبارك في سمعي وبصري وذاكرتي وقوتي ، ويجعله الوارث مني ، ويحفظني فيما بقي من العمر ، ولا يردني إلى أرذله ، وأن

يُصلحَ لي نِيّتي وذرِّيّتي ، ويرزقنا حسن الختام من غير ابتلاء ولا محنة ، والحشرَ تحت لواء النبي المصطفى الكريم ﷺ .

وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد ، وعلى آله الطَّيِّبين الطّاهرين ، وصحبه الكرام المبَجَّلين ، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين ، والحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة ، ليلة الجمعة ، ربيع الأول ، ١٤٠٠هـ

وكتب

أبو إبراهيم

خليل بن إبراهيم مُلّا خاطر العزّامي

نزيل المدينة المنورة

☆☆☆☆☆

تمهيد
العداء للسنة النبوية منذ القدم حتى العصر الحاضر

الصراعُ بين الحق والباطل قديمٌ ، وتربصُ الشر بالخير قديمٌ ، ومحاولةُ إغراء المؤمن وردِّه عن دينه قديمةٌ جدّاً ، قدمَ الإنسان على هذه الأرض ، بل منذ أقسم إبليس أمام الله تعالى على احتناك ذرية آدم . ومن مظاهر الصراع : العداء للسنة النبوية ، فقد بدأ منذ اللحظات الأولى ، وما زال إلى يومنا هذا

العداء للسنة النبوية في العصور الماضية :

لقد ابتليت السنة النبوية الشريفة ـ ولحكمة يريدها الله عز وجل ـ يوم صدورها من النبي الكريم ﷺ بمشكِّكين ، عندما قالوا لعبدِ الله بنِ عَمرِو بنِ العاص رضي الله تعالى عنهما : (تكتب كلَّ شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسولُ الله ﷺ بَشَرٌ ، يقول في السخط والرضى ؟).

لكن تشكيكَهم وشكَّهم زال عندما سمعوا رسول الله ﷺ وهو يعلن للناس كلهم ، وهو يخاطب عبدَ الله بنَ عَمرٍو رضي الله تعالى عنهما ، بعد ذكره له مقالةَ مَن شَكَّك : «اكتب فوالذي نفسي بيده ، ما خرج منه ـ وأشار إلى فيه ـ إلا الحق»[١].

إن هذا التشكيك ـ الذي صدر من هؤلاء ـ لم يكن باعثُه ـ والله تعالى أعلم ـ الحقدَ والبغضَ للشريعة ، ونبيِّها ﷺ ، وإنما كان فيما يبدو ـ والله تعالى أعلم ـ أنهم ظنوا أنه ﷺ مثلهم غير معصوم ، ولم تستوعب عقولُهم عصمةَ قوله ﷺ ، ظنّاً أن الغضب والسخط يؤثران فيه كما يؤثران في سائر البشر ، حتى بيَّن لهم ﷺ أنه

---

(١) سبق تخريجه ص (١٠) فانظره هناك ، وقد رواه أحمد ، وأبو داود ، والدارمي ، والحاكم ، وابن عبد البر ، وهو صحيح .

ليس مثلَهم ، وإن كان بشراً ، لأنه مؤيد ومعصوم ، ولا يقول إلا الحق ، سواء كان ذلك في حال الرضا ، أو في حال السخط ، فإن ذلك لا يخرجه عن العصمة والتأييد ، والله تعالى أعلم .

اللهم إلا إذا كان المتكلمون من المنافقين ، وليس في قريش منافقون .

لذا كان في تقرير النبي ﷺ لعبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما فيما فعل ، وأمره له بالاستمرار بالكتابة ـ إزالةٌ لما في نفوسهم جميعاً من شبهة ، وتقريرٌ لصحة ما فعله ابن عَمرٍو رضي الله تعالى عنهما ، وأنه ﷺ معصومٌ ـ حتى في حالة الغضب ـ وأنه ﷺ يختلف عن سائر البشر ، بالعصمة والتأييد ، والله تعالى أعلم .

إلّا أن الذي حَدَث من عداوة وحقد ،... إنما كان في أواخر القرن الثاني وبدء القرن الثالث الهجري ، حيث كان قد دخل في الإسلام أناسٌ لم يكونوا مقتنعين به باطناً ، هم خليط من الفرق الباطنية والزنادقة والملاحدة والرافضة ؛ كان هدفهم من دخولهم فيه ضربه من الداخل ، فأسلموا فيه ظاهراً ، وبقوا على كفرهم باطناً .

لقد تمركز أغلبهم في البصرة وما حولها ، فأعلنوا عداءَهم للسنة النبوية الشريفة بشكل صريح ، وطالبوا بإلغائها كلها ، ولو كانت متواترةً ، مدعين الاكتفاء بالقرآن الكريم لا غير ، مستدلين لمذهبهم بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية ، على زعمهم ، وتناقل الناس آراءَهم وأقوالهم .

فقالوا : قال الله تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾[1].

وبما كانوا قد وضعوه كذباً وزوراً ، ونسبوه إلى رسول الله ﷺ : (ما جاءكم عني من حديث ، فاعرضوه على القرآن ، فإن وجدتم له أصلاً فخذوا به ، وإلا فردوه)[2]. وهذا الحديث لا أصل له .

(١) سورة الأنعام (٣٨).

(٢) هو حديث موضوع ، وضعته الزنادقة ، قاله يحيى بن معين رحمهم الله تعالى تعالى ، وكذا =

كما ظهر إلى جوار هؤلاء أناس آخرون ؛ من المعتزلة والخوارج ، وإن لم يكونوا مثلهم .

قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى ـ في كتابه النافع (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة)[1] مبيناً أصل مذهب هؤلاء المنكرين ، وزمان وجودهم ، وأصلُ هذا الرأي الفاسد ـ : أن الزنادقة ، وطائفةً من غلاة الرافضة : ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة ، والاقتصارِ على القرآن ، وهم في ذلك مختلفو المقاصد .

ـ فمنهم : من كان يعتقد أن النبوةَ لعليٍّ ، وأن جبريل عليه السلام أخطأ في نزوله إلى سيدِ المرسلين ﷺ ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ـ ومنهم : من أقرَّ للنبي ﷺ بالنبوة ، لكن قال : إن الخلافة كانت حقاً لعليٍّ ، فلما عدل بها الصحابةُ عنه إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنهم أجمعين : قال هؤلاء المخذولون ـ لعنهم الله ـ : كفروا حيث جاروا ، وعدلوا بالحق عن مستحقه ، وكفّروا ـ لعنهم الله تعالى ـ علياً رضي الله تعالى عنه أيضاً ، لعدم طلبه حقّه .

فبنوا على ذلك رد الأحاديث كلها ، لأنها عندهم ـ بزعمهم ـ من رواية قومٍ كفارٍ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وهذه آراء ما كنت أستحل حكايتَها أصلاً ، لولا ما دعت إليه الضرورةُ ؛ من بيان أصل هذا المذهب الفاسد ، الذي كان الناس في راحة منه من أعصار .

= قال الخطابي والصغاني رحمهم الله تعالى ، ورده الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في الرسالة ، وقال : هذه رواية منقطعة عن رجل مجهول ، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء.اهـ.

وانظر : الرسالة (٢٢٥) وتذكرة الموضوعات (٢٨) وكشف الخفاء (١ : ٨٢) وعون المعبود (٤ : ٣٢٩) من الطبعة الهندية ، والدر الملتقط في تبيين الغلط للصغاني (٤٣) وموضوعاته أيضاً (٢٢ رقم ١٣٤).

(١) مفتاح الجنة (٦ ـ ٧).

وقد كان أهلُ هذا الرأي موجودين بكثرة في زمن الأئمة الأربعة فمن بعدهم، وتصدى الأئمةُ الأربعة وأصحابُهم في دروسهم ومناظراتهم، وتصانيفهم، للرد عليهم.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى أيضاً في آخر كتابه المذكور[1] - في معرض كلامه على هذه الفرقة -: والعجب من هؤلاء حيث ضلَّلوا الصحابةَ [رضي الله تعالى عنهم] وردّوا الأحاديثَ، لأنها من رواياتهم، وذلك يلزمهم في القرآن الكريم أيضاً، لأن الصحابة [رضي الله تعالى عنهم] الذين رَووا لنا الحديثَ، هم الذين رووا لنا القرآن، فإن قبلوه: لزمهم قبولُ الأحاديث، إذ الناقل واحد.اهـ.

وقد ذكر الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه في مقدمة (جماع العلم) هذا المذهب، وذكر الشبه التي تمسك بها هؤلاء في رد السنة النبوية الشريفة كلها، وذلك على لسان أحد أئمتهم - والذي يظهر أنهم كانوا في البصرة - عندما ناظره ورد على شبهه التي أثارها، وبيَّن له زيفَها وبطلانَها، وذكر له الحججَ القاطعةَ على ضلاله وبطلان حججه، فلما تبين لهذا المناظر بطلانُ حجته، وزيف شبهه، أعلن توبتَه ورجوعَه عن مذهبه الذي كان ينتحله[2].

كما ظهر إلى جوار هؤلاء الزنادقة والباطنية والرافضة منكري السنة، أناسٌ ينتسبون لأهل الرأي ظاهراً، وأما في حقيقتهم فهم معتزلة، وجلُّهم كان يسكن بالكوفة وبغداد، فقد أنكروا خبر الواحد، وأخذوا بالحديث المتواتر والمشهور - حسب رأي الحنفية لا حسب رأي المحدثين[3] - وردّوا حديث الآحاد، متعلِّلين

---

(١) مفتاح الجنة (٧٥).

(٢) انظر: جماع العلم.

(٣) ينقسم الحديث عند جمهور المحدثين وعامة الأصوليين إلى قسمين: متواتر وآحاد، وينقسم الآحاد إلى: مشهور وعزيز وغريب. بينما ينقسم الحديث عند الحنفية إلى ثلاثة =

بأن الحديث يرويه الرجال ، وهم ـ في خبر الواحد ـ أفراد ، واحتمال الخطأ وارد على الواحد أكثر من احتمال وقوعه من الجماعة ، ناسين في إنكارهم هذا ما عليه عمل رسول الله ﷺ ، وصحابته رضي الله تعالى عنهم ، والتابعين لهم بإحسان ، إلى زمانهم وما بعد ، كما نسوا أن خبر العامة (المتواتر) هو خبر مجموعة من الأفراد ، فما يلزم الجماعة يلزم الواحد

وقد قيض الله تعالى لهاتين الطائفتين مَنْ رد عليهم ، وكشف شبهَهم ، وأطفأ نارَهم ، وأراح المسلمين من شرورهم ، فلم يبق منهم إلا الذكر في صفحات الكتب القديمة ، خاصة الطائفة الأولى التي أنكرت السنة النبوية الشريفة كلها ، ولم تر الاحتجاجَ إلا بالقرآن الكريم ، ولولا ذكر بعض أهل العلم لهم في بعض مؤلفاتهم ، لما علمنا عنهم شيئاً .

وقد حفظ الله سبحانه وتعالى لنا مقالتين للإمام ناصر السنة : محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى ، في الرد على هاتين الطائفتين ، ومناظرته لهما ، الأولى بعنوان (باب حكاية قول الطائفة التي ردت الأخبار كلها) والثانية بعنوان (باب حكاية قول من رد خبر الخاصة) أي خبر الآحاد . وهما في كتابه (جماع العلم)[1].

ولا شك أن غيره من العلماء ـ المعاصرين لهم ـ رحمه الله تعالى وإياهم قد ردوا عليهم ، وتصدّوا لهم ، وناظروهم ، وبيَّنوا أخطاءَهم ، وأزاحوا الستار عن أوهامهم ، وكشفوا زيفَهم أيضاً ، وإن لم ينقل إلا القليل النادر .

= أقسام : متواتر ، ومشهور ، وآحاد [العزيز ، والغريب] فالمشهور عندهم هو قسيم الآحاد ، بينما هو عند المحدثين قسم من الآحاد ، والله تعالى أعلم .

(١) وهو موجود ضمن المجلد السابع من كتابه (الأم) وقد طبعت هذه الرسالة (جماع العلم) في كتاب مستقل ، بتحقيق العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله تعالى .

ثم استراح المسلمون ـ عموماً ـ أعصاراً طويلة ، كما استراحت السنةُ النبوية الشريفة ؛ بعمل المسلمين بها ، وتطبيقها ونشرها وتعليمها وحفظها وشرحها ، والاستنباط منها ،... حتى جاء القرن التاسع فتعكرت الراحة ، واضطرب السكون ،... بظهور زنديق جديد ؛ ينادي بإلغاء السنة النبوية الشريفة ، وظهر معه بعض الزنادقة من الرافضة في مصر ، مدَّعين أن السنة النبوية والأحاديث المروية ـ زادها الله تعالى علواً وشرفاً ورفعةً ـ لا يُحتج بها ، ولا يصح الاعتماد عليها ، وإنما الحجة في القرآن الكريم خاصة .

ولا شك أن هذا الزنديقَ الخبيث يريد تضليلَ المسلمين وزعزعتَهم في عقائدهم ودينهم ، وإخراجَهم من معتقدهم السليم ، ودينهم القويم .

ولكن اللهَ سبحانه وتعالى الذي تكفل بحفظ دينه ، لم يترك هذا الزنديقَ يرتع ويسرح ويمرح كما يشاء ، بل قيَّض تعالى له مِن أهل العلم والفضل من أطفأ نارَه ، وأخرس فاه ،... بعد أن أقام عليه الحجةَ ، بالبراهين القاطعة ، والأدلة الدامغة ، والشواهد الساطعة ، والحمد لله تعالى وحده .

قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه المذكور[1]: اعلموا يرحمكم الله ـ أن من العلم كهيئة الدواء ، ومن الآراء كهيئة الخلاء ، لا تُذكر إلا عند داعية الضرورة .

وأن مما فاح ريحُه في هذا الزمان ، وكان دارساً بحمد الله تعالى منذ أزمان ، وهو أن قائلاً رافضياً زنديقاً أكثر في كلامه أنَّ السنةَ النبويةَ والأحاديثَ المرويةَ ـ زادها الله تعالى علواً وشرفاً ـ لا يُحتج بها ، وأن الحجةَ في القرآن خاصة ، وأورد في ذلك حديث : (ما جاءكم عني من حديثٍ فاعرضوه على القرآن ، فإن وجدتم له أصلاً فخذوا به ، وإلا فردوه)[2].

---

(١) مفتاح الجنة (٥).

(٢) سبق أن قلت في صفحة (١٨ ـ ١٩) : إن هذا موضوع مكذوب على لسان النبي ﷺ ، قد =

هكذا سمعتُ هذا الكلامَ بجملته منه ، وسمعه منه خلائق غيري .

فمنهم من لا يلقي لذلك بالاً ، ومنهم : من لا يعرف أصلَ هذا الكلام ، ولا مِن أين جاء ، فأردت أن أوضح للناس أصل ذلك ، وأبيِّنَ بُطلانه ، وأنه من أعظم المهالك .

فاعلموا رحمكم الله تعالى أن من أنكر كونَ حديث النبي ﷺ ـ قولاً كان أو فعلاً ، بشرطه المعروف في الأصول ـ حجةً : كفَرَ ، وخَرج عن دائرة الإسلام ، وحُشر مع اليهود والنصارى ، أو مع من شاء من فرق الكفرة ،... إلخ كلامه رحمه الله تعالى .

فكان سماعه رحمه الله تعالى لهذا الهذيان والكفر والبهتان هو الذي حمله على تأليف كتابه القيم المفيد (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة).

ثم انطفأت تلك الفتنة حتى كان العصر الحاضر .

وما قاله رحمه الله تعالى من بيان حال المسلمين عندما سمعوا قولَ هذا الزنديق ؛ هو حالهم اليوم أيضاً عندما سمعوا من زنادقة عصرنا الحاضر . فمنهم غير المكترث ، ومنهم المحوقل ، ومنهم الجاهل ، ومنهم المفوِّض ،... والقليل النادر هو الغيور ، والمشتكى إلى الله تعالى .

العداء للسنة النبوية في العصر الحاضر(١):

لقد ظهر في العصر الحاضر ما يمكن تسميته (**مدرسة جديدة) للطعن بالسنة النبوية** . هذه المدرسة : خبيثة في طويتها ، جريئةٌ في طعونها ، جاهلةٌ في عباراتها وأساليبها ، حاقدةٌ في انتقاداتها ، اتخذت أسلوبَ الغيرة على السنة النبوية والدين لها برقعاً ، كما اتخذت أسلوبَ الحماس والدفاع ، ليغتر المسلمُ البسيطُ بقولهم

= وضعته الزنادقة لغرضهم المشين ، ولكن الله تعالى قيض له من يكشف زيفه وبطلانه وكذبه .

(١) انظر مقدمة شبهات حول السنة ودحضها ، ففيها زيادة .

أولاً ، ثم يدسون أفكارَهم الخبيثة ، ومعتقداتِهم الفاسدةَ ، ومبادئَهم الكافرةَ ، وسمومَهم القاتلةَ ، من خلال ذلك الحماس الفارغ ، وتلك الغيرة الكاذبة ، وذلك الدفاع المزعوم .

لقد بدأت هذه المدرسة ـ للمتَتَبِّع ـ في نهاية القرن الماضي وبدء القرن الحالي ، وما زالت مستمرةً حتى اليوم ، حينما بدأت تخالف رأْيَ المسلمين منذ عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ في رأيها بالسنة النبوية من حيث حُجِّيتُها ، وما هي السنة المقبولةُ ، وما هي المردودة ، فحصر بعضُهم المقبولَ في إطارٍ ضيِّقٍ جداً ، لا يسلم بقولهم إلا القليل من الأحاديث ، ليتسنى لهم إلغاءَ ما يريدون .

فنفوا أغلب المعجزات والخوارق ، وأخبار الفتن والملاحم ، بزعم أن رسول الله ﷺ بشر لا يعلم الغيب[1]، وخالفوا نصوص الكتاب الكريم صراحة ، وأوَّلوا الآيات التي تخالف آراءَهم ومعتقداتهم ، وتعارض وجهة نظرهم ، لأن في تأويلها خروجاً لهم من مأزق حرج .

كما أنكروا كثيراً من الأحاديث المتواترة القاطعة ؛ من قولية وفعلية ، واخترعوا طريقة للتصحيح والتضعيف ، وكلُّ حديث لا يوافق معتقدهم (الشرقي) وهواهم (الغربي) جعلوه من الإسرائيليات ، ولو ثبت من طرق كثيرة ، ورواه الثقات الحفاظ الأثبات الأتقياء ،...

فأنكروا المعراجَ ، وشقَّ الصدر ، ونبعَ الماء من بين أصابع النبي الكريم ﷺ ، وحنينَ الجذع ، وأنكروا الدجالَ ، والجنَّ والشياطينَ ، وشكّكوا في الإسراء ،... وأنكروا أموراً كثيرةً ، مدعين أن هذا كلّه من فعل اليهود ، لقنوها الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، ونقلها عنهم التابعون رحمهم الله تعالى ، وإن كانت

---

(١) انظر : السنة النبوية وحي ، وأشراط الساعة ، ومختصريها ، ودلائل النبوة في غزوة الخندق . فقد أوضحت هذه المسألة .

تلك الأحاديث قد وردت في الصحيحين وغيرهما ، واتفقت الأمة عليها ، بل حتى لو ورد ذكره في القرآن الكريم ، أو أشار إليه القرآن الكريم ، بل أنكروا كلَّ حديث فيه إظهارٌ لمكانة النبي الكريم ﷺ ، ورفعةٌ لمقامه الشريف عند ربه تعالى ، وعند الخلق .

كما أن منهم من أنكر السنة النبوية بكاملها ولم يقبل منها شيئاً ، كما أن منهم من نفى العصمة عن الأنبياء عليهم السلام بما فيهم النبي الكريم عليه وعليهم الصلاة والسلام ، لذا لا يجوز ـ في نظرهم ـ اتباعُهم ولا تقليدهم ، وكتاب (عصمة الأنبياء في القرآن) خير شاهد على هذا .

كما أن منهم من أنكر الشهادةَ لرسول الله ﷺ ، مكتفياً بـ (أشهد أن لا إله إلا الله) مدعياً أن (أشهد أن محمداً رسول الله) شرك . ناسياً أن الشهادة للنبي ﷺ هي ركن الإيمان ، فمن لم يؤمن برسول الله ﷺ نبياً ورسولاً فليس بمؤمن ، كيف وقد حصر الله تعالى الإيمانَ بالإيمان به تعالى وبرسوله ﷺ ، فمن لم يؤمن بهما فليس بمؤمن ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1] .

لكن فضحه الله تعالى فبان أنه بهائي كان يتستر على المسلمين بما يزعمه أنه داع ، وهو كذاب خبيث ، يريد إخراج المسلمين من الإسلام إلى الكفر .

أساليب هذه المدرسة الحديثة :

لقد اختطت هذه المدرسة الحديثة ـ إن جاز لي تسميتها بذلك ـ مسلكين رئيسين في الهجوم على السنة النبوية المطهرة الشريفة :

الأسلوب الأول : أسلوب الجرح والتعديل :

وهو تجريح الصحابة ، الذين كثرت رواياتهم للحديث : كأبي هريرة ، وعبد الله ابنِ عباس ، وعبدِ الله بن عُمَرَ ، والسيدة عائشة ، وعبدِ الله بن عَمْرو ،... رضيَ

(١) سورة النور (٦٢).

الله تعالى عنهم[1].

مدعين أن هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم تتلمذوا ـ إفكاً وزوراً ـ على أحبار يهود ، سواء من الذين أسلموا كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وغيرهم ، أو ممن لم يسلموا .

وأنهم السبب في وضع كثير من الأحاديث الشريفة التي نقلها عنهم الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، وهي موجودة ـ كما زعموا ـ (كذباً وزوراً) في الصحيحين وغيرهما .

علماً بأن أغلب هذه الأحاديث الشريفة التي طعنوا بها هي التي تدل على مكانة النبي الكريم ﷺ ، وصدقِ نبوته ، وعلو مقامه الشريف ، وقد أشرت إلى بعضها من قبل ، مما يجعل الإنسان يشك في ولائهم ، وفي صحةِ نسبتهم إلى هذا الدين ؛ إذ لو استطاعوا الطعن بالآيات القرآنية التي تُظهر مكانة النبي المصطفى

---

(١) كنت أدير ندوة ـ في الملتقى السادس عشر للفكر الإسلامي ـ والمخصص في البحث عن السنة النبوية ـ في مدينة تلمسان في الجزائر ٦ ـ ١٢ شوال ١٤٠٢هـ وكان موضوع الندوة : (مسند الربيع بن حبيب الأزدي الفراهيدي ، البصري ، أحد أئمة الأباضية من الخوارج) وكان في الندوة اثنان من علماء الأباضية من الجزائر والثالث أستاذ جامعي شيعي من العراق . وكانت المفاجأة أن قال أحدُ الأباضيَّيْن ـ وهو أكبرهما ـ : أبو هريرة كذّاب كذَّبه عمر وعلي وعائشة وابن عمر . فما كان مني إلا أن طلبت منه توثيق هذا القول ، فامتنع بادئ الأمر ، ثم لما نزلنا عن المنصة عرض عَلَيَّ بحثَه ، فسألته مرة أخرى عن مصدره فأشار إلى كتاب ، فسألته هل تعرف صاحب الكتاب ؟ قال : لا . فقلت له : أما تتقي الله ، أما تخشاه ، تنقل عن أناس وأنت لا تعرفهم ! إنه تربى في أحضان المستشرقين ورضع لبانهم ، فقال الأباضي : لعنة الله عليه وعليهم ، ثم ذكر جهلَه برجال المشرق ، علماً بأن الأباضية يعتمدون مرويات أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، بدلالة وجود ذلك في المسند المنسوب إلى إمامهم .

أما مسند الربيع فلي فيه بحث مستقل بينت فيه حقيقته .

الكريم وفضائله ﷺ ؛ لما تأخروا[1]، والله تعالى أعلم .

إن الطعن في الصحابة الكرام عموماً ، وفي هؤلاء الخمسة رضي الله تعالى عنهم بالأخص يُمَكِّنهم من الطعن في كل كتب الحديث ـ فضلاً عن الطعن بكثير من السنة النبوية الشريفة ـ إذ لايخلو كتاب منها إلا وفيه الكثير من مروياتهم رضي الله تعالى عنهم ، لأنهم أروى الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم عن النبي ﷺ . لذا اختاروا الطعن بهم عن غيرهم .

كما طعنوا بعدد من أئمة التابعين ومَنْ بعدهم رحمهم الله تعالى ؛ ممن عُرفوا بكثرة الرواية ، ولهم مكانة في نفوس المسلمين ، كالإمام الزُّهْري ، والحسنِ البصري ، وغيرهما رحمهم الله تعالى ، فلَفَّقوا الأكاذيبَ والقصصَ ، وردَّدوا الأخبارَ المكذوبةَ المفتراة التي لفَّقها أعداءُ الله تعالى وأعداءُ رسوله الكريم ﷺ وأعداءُ المسلمين ، فأحيوها وتركوا الصحيحَ الصادق الأبلج من حياتهم ، لأن في ذكره رداً عليهم ، وتكذيباً لهم .

ولا يخفى على المسلم الغيور على دينه : أن أولَ من فتح هذا الباب في عصرنا الحاضر إنما هم المستشرقون وأغلبهم من اليهود ، أو من النصارى الحاقدين ، أمثال : جولدزيهر ، وشبرنجر ، وغيرهما ، ثم تبعهم أذنابُهم ـ ممن يحملون الأسماء الإسلامية ـ ذوو المناصب الرفيعة .

إن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم عدَّلهم اللهُ عز وجل وزكاهم وأثنى عليهم في كتابه الكريم ، وهم خيرُ هذه الأمة ، بل خيرُ قرون بني آدم ، منذ زمنه عليه السلام إلى قيام الساعة[2]، لكن الحقدَ يعمي صاحبَه ؛ فلا يرى

---

(١) انظر فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم . وفضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، ومناقب الأصحاب كما وردت في آي الكتاب .

(٢) انظر : فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، ومناقب الأصحاب كما وردت =

الشمسَ في رابعة النهار ، ويصمُّه ؛ فلا يسمع صوتَ النداء من داخله ، أو المنادي من جواره ، والله تعالى أعلم .

الأسلوب الثاني : الطعن في السنة مباشرة :

إن أتباع هذا الأسلوب ينقسمون إلى أقسام متعددة ، ونحل متباينة ، بعضها أضل من بعض . بل منها ما يُحكم بكفره بالإجماع ـ كما سترى إن شاء الله تعالى ـ كما يحكم بضلال الآخرين ، والكفر منهم ليس ببعيد . وهم :

المذهب الأول :

إن أصحاب هذا المذهب نظروا فرأوا المسلمين مجمعين على أن أصحَّ كتابٍ بعد كتاب الله عز وجل : صحيحا البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى . ورأوا أن لهما من القدسية والاحترام في نفوس المسلمين ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، فعَمَّقوا هذا الشعورَ في نفوس المسلمين أولاً ، حتى صار كثيرٌ من المسلمين يقول : هل ورد ذلك في البخاري ومسلم ؟ هاتِ حديثاً من البخاري ومسلم ، لا أصدِّق إلا ما في البخاري ومسلم ،...إلخ.

فبعد هذا التعميق في الشعور نحو الصحيحين ، عمدوا إلى النيل منهما ـ حقداً وبغضاً وسفهاً ـ مستغلين ما ورد عن بعض الحفاظ القدامى من نقدٍ لبعض الأحاديث فيهما ؛ قياساً على قواعد الشيخين رحمهما الله تعالى ، أو على قواعد ضعيفةٍ يخالف بها هذا الناقدُ جمهورَ العلماء ، أو تَصَوُّرٍ خاطئ من الناقد ، وأن هذه الأحاديث نزلت ـ في ظنّه ـ من مرتبة (أصح الصحيح) إلى مرتبة (الصحيح) وعلى أيٍّ فإن الأمةَ متفقةٌ على صحة هذين الكتابين ، وأن كل

= في آي الكتاب ، حيث ذكرت فيهما فضلهم ومناقبهم ومنزلتهم عند الله تعالى وعدالتهم ، في كتاب الله تعالى وفيما صح من السنة النبوية الشريفة ، وما انعقد عليه الإجماع ، وثناء أئمة آل البيت عليهم رضي الله تعالى عنهم .

حديث انتُقد فيهما وُجد له المخرجُ ، وأن الصوابَ بجانب صاحب الصحيح لا بجانب المنتقِد[1]. كما بينته بشكل مفصل في مكانة الصحيحين فانظره لأنه لا يمكن استعراضه هنا .

علماً بأن العلماء متفقون على أن الصحيحين لم يستوعبا جميع الأحاديث الصحيحة ، وأنه يوجد في غيرهما حديث صحيح كثير ، كما بينت ذلك في (مكانة الصحيحين) وفي (المبسوط في علوم الحديث) وفي (الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما)، والله تعالى أعلم .

إن هؤلاء المعاصرين الطاعنين بالصحيحين إنما يحققون حلمَ أسيادهم المرتقبَ ؛ من اليهود والنصارى ، ويضربون المسلمين في أصل دينهم .

إن السنة النبويةَ ـ كما هو مجمع عليه ـ هي المصدر الثاني للتشريع ، والنظرُ إليها كالنظر إلى القرآن الكريم[2]، وأصحُّ كتاب فيها الصحيحان ، فإذا استطاع هؤلاء النيلَ منهما : يكونون ـ حسب تصورهم ـ قد ضربوا السنةَ من أصلها ، وأتوا على الدين من أصله ، لأن كتبَ السنة الباقية تبع ـ في الأصحية والمكانة ـ للصحيحين .

وما كتاب (الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها) للشقي الطالح ، وهو جندي سابق في البحرية المصرية ، و (الأضواء على السنة المحمدية) لأُستَاذِه أبي رية ، وما في (يوميات الأيام) السودانية[3]، وما

---

(١) وانظر : الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما ، فقد خصصته للرد على شبه المتأخرين .

(٢) انظر (السنة النبوية وحي) فقد فصلت ذلك فيه ، وفي (نشأة علوم الحديث) في الباب الأول فيه .

(٣) حدثني أحد الأخوة السودانين ، أن الرجل قد رجع عن أفكاره ، وأنشأ مكتبة ضخمة ، =

نشره عبد الوارث كبير والفنجري ؛ في مجلة (العربي) وَ (ليس كل ما في الصحيحين صحيحاً) وَ (لا يثبت إلا الصحيح) وأساتذة لهؤلاء ، وكلهم مستشرقون ومستغربون ، وتلامذة لهم حاقدون ـ وهذا كثير في هذا العصر ـ إلا نماذج من هذا الإنحراف عما يُكِنُّهُ المسلمون للصحيحين .

ومما يدخل في هذا المضمار : ما ينتحله بعض طلبة العلم بالجامعات ، من وضع الصحيحين تحت البحث ، ولم يكتفوا باتفاق الأمة على صحة الكتابين ، فصاروا يصحِّحون ويضعِّفون من أحاديثهما . لجهلهم بقواعد الشيخين ، وانتقاء الحديث عندهما ، فترى بعضهم يقول : رواه البخاري وهو صحيح ، أو حسن ، أو رواه مسلم وهو ضعيف ،... وقد بينت ذلك في (مكانة الصحيحين) فارجع إليه تجد البيان ، إن شاء الله تعالى .

المذهب الثاني :

أما أصحاب هذا المذهب فقد أعلنوا أن الواجب هو الأخذ بكتاب الله تعالى فقط ، ومن ثم يؤخذ من السنة النبوية ما تواتر من فعله ﷺ فقط ، أما السنة القولية ـ كلها ـ والفعلية غير المتواترة ، فلا يؤخذ منها شيء ، اللهم إلا ما كان شرحاً أو تفسيراً لكتاب الله تعالى ، بزعم أن هذه من أقوال اليهود ، لقنوها للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، وعنهم نقلها المسلمون .

كما يردّون الحديثَ المتواترَ بنوعيه ؛ الفعليَّ والقوليَّ ، إذا كان غيرَ موافق لأهوائهم الغربية ، وترفهم الزائف ، مدعين أنها مدسوسةٌ على الإسلام ، وأنها تشوِّه أصولَه وفروعه ، وتُسيء إليه ، فعليهم التخلي عنها .

وكذبوا وربي ، إنما ردّوها لأنها على غير ما اعتادوا عليه من تقاليد ، وعادات غربية ، كما هو الحال في الأحاديث الواردة في الأطعمة وغيرها .

= وصار من دعاة الخير والسنة ، بعد قراءته لمكانة الصحيحين ، والله تعالى الموفق والمعين .

وبفعلهم هذا يكونون قد نفوا شطرَ السنة النبوية الشريفة ، وعطَّلوا الشريعة ، وذلك لأن فعلَه ﷺ المتواترَ قليلٌ بالنسبة لما سواه .

وكم من حديثٍ صحيحٍ ، متفقٍ على صحته ، وهو من أعلى درجات الصحة ، وهو لا يوافق هوى الغرب ونفوس أتباعه المأجورين(١)؟ .

المذهب الثالث :

وهو أشد خطورة من سابقه ، وقد ظهر أتباعُه بشكل متفرق في البلدان الإسلامية ؛ في جنوب شرق آسيا ، وفي بعض البلاد العربية أيضاً .

إن هؤلاء قد نادوا بفكرة التجديد ، فتنكروا للفقه الإسلامي ، وأحلوا عقولَهم محل النصوص ، وحرَّفوا المفاهيم ، وألغوا قواعدَ المحَدِّثين في الجرح والتعديل ، واخترعوا طريقةً للتصحيح والتضعيف ؛ فكم من حديث صحيح : هو ضعيف عندهم ، بل موضوع ، ولو كان في غاية الصحة ، وأن الأحكام الشرعية يجب أن تتغير ، وتُجدَّد ، لأن لكل عصر أحكامَه ، ولكلِّ زمان علماءَه ، وتطاول الأمر عندهم : فألغوا أخبارَ الآحاد في السنة . وأنها لا تثبت بها أحكام ، لأنها مجرد تجارب شخصية للنبي ﷺ ، لا يلزم التقيدُ بها ، والاحتكام إليها ، والعمل بها .

ويحتجون بوجود من أنكر حديثَ الآحاد فيما مضى من المنحرفين ، ومخالفة بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم لبعض أحاديث الآحاد .

إن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ما خالفوا خبراً إلا لما هو أصح منه عندهم ، وأن الذي ذهبوا إليه هو الذي سمعوه ، أو علموه ، أو استقر عندهم من أمر النبي ﷺ . وهذا باب واسع ، أمّا أن يخالفوا لمحض المخالفة أو لأنه خبر

(١) انظر ما نشرته في مجلة رابطة العالم الإسلامي من عام (١٣٩٤ ـ ١٣٩٦) من حلقات في الرد على مثل تلك الدعاوى .

واحد ، فهذا لا يعلم عنهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم[١].

إن هذه الدعوة تلغي أكثر السنة النبوية الشريفة ، بل أغلب الأحكام الشرعية ، لأن كثيراً من أحكام الشريعة ثابت بأخبار الآحاد ، كما تخالف عامة المسلمين فيما استقروا عليه بإجماعهم على وجوب العمل بخبر الواحد . كما أوضحته في (المبسوط في علوم الحديث)، والله تعالى أعلم .

المذهب الرابع : وهو لا يقل خطورة عما سبق ، وقد بدأ بالظهور في السنوات الأخيرة ، وهذه الفكرة تنبثق من التشكيك في صحيح البخاري ، وقد أخذت مسارات متعددة .

ـ كون الإمام البخاري رحمه الله تعالى لم يرو عن الصحابي الفلاني رضي الله تعالى عنه ، وهذا يعني أن المسلمين عنصريون ، لا يحبون غير العرب[٢].

ـ كون الإمام البخاري رحمه الله تعالى لم يرو عن الطائفة المعينة ، ومعنى هذا أن أهل السنة لا يحبون غيرهم ولو كانوا من أئمة أهل البيت[٣].

---

(١) انظر : خبر الواحد ، إفادته وحجِّيته . وهو الحلقة الثانية في خبر الواحد .

(٢) اتصل بي أحد الأخوة الأفاضل قبل سنوات ـ بعد منتصف الليل ـ فأيقظوني من النوم ، وإذا به يسألني : هل روى الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن سيدنا بلال رضي الله تعالى عنه ؟ وكم حديث روى له ؟ فلما أجبته قال : إن فلاناً اتصل به من بلدٍ بأفريقيا ، وهو على الخط ، وأن زعيم تلك الدولة استدعاه ، وقال له : أنتم يا معشر العرب عنصريون ، فلما استفسر منه قال له : إن إمامكم البخاري لم يرو عن بلال ، فلولا أنكم عنصريون لرويتم عنه . فلما رجع إليه بعد ذلك وأخبره بما كتبتُ لهم ، اعتذر ، لكن هيهات .

(٣) زارني ـ قبل سنوات ـ عدد من علماء السنة المعروفين ، من بلد عربي معروف ، وفوجئت بأحدهم يسألني : لِمَ لَمْ يرو الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن أئمة آل البيت ؟ ثم زارني في السنة التالية عدد من علماء ذلك البلد ، وسأل أحدُهم نفسَ السؤال ، ثم زارني بعد سنة عددٌ منهم ، وسألني أحدُهم نفسَ السؤال . فتعجبت من سؤالهم الموحد ، فقلت لمن سألني أول =

ـ كون الإمام البخاري رحمه الله تعالى يروي بعض الأحاديث المتعارضة أو المتناقضة[1]، كما قد يذكر أحاديث لا تقبلها عقولهم ولا منطقهم ، أو تتعارض مع القرآن . وهناك نماذج متعددة أخرى .

المذهب الخامس : وهو أخطرها ولا شك في كفره .

= مرة : ما حكم نكاح المتعة عند أهل السنة ؟ فقال : حرام ، فقلت : لم ؟ قال : لأن النبيّ ﷺ حرَّمه . فقلت : فمن هو الصحابي الذي روى التحريم ؟ فسكت . فقلت له : إنما هو علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، فقد روى الشيخان ـ ومن قبلهما الأئمة مالك والشافعي وأحمد ،... ومن بعدهما فلان وفلان ،...عنه رضي الله تعالى عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن المتعة يومَ خيبر وعن لحوم الحمر الأهلية . ورواه عنه ولده محمد ابن الحنفية ، وعنه ولداه الحسن وعبد الله ، فكيف يقال : لم يرو عن أحد من أئمة آل البيت ؟ ثم ذكرت له روايات البخاري رحمه الله تعالى عن جميع الأئمة القدامى منهم . كما بينت له منهج الرواية عند أئمة الحديث عموماً ، والبخاري خصوصاً ، وأخذ ذلك مني نحو ساعتين ، وقد كتبتُ بحثاً جديداً في ذلك (الإمام البخاري وأئمة آل البيت) وقد تكرر جوابي لهؤلاء العلماء ، وعلى مدى ثلاث سنوات متتالية .

(١) اتصل بي أحد الأخوة ـ وهو عميد لإحدى الكليات العلمية ، في جامعة معروفة ـ طالباً زيارتي ، فرحبت به ، ولم أكن أعرفه من قبل ، فلما جلس ، وبعد المجاملات ، سألني : إن البخاري روى أحاديث متعارضة ، جعلتنا نشك في مصداقيته ، وأخرج كتاباً لرجل تركي ، وقال : هذا الحديث وكلنا نعرفه ، ثم ذكر حديثاً آخر ـ وهو ضد الأول ـ فقلت له : تريد حديث (جابر رضي الله تعالى عنه) ؟ اقرأ عليّ الحديث الثاني . فلما انتهى من قراءته ، قلت له : أعد قراءته ثانيةً . فلما قرأ نصف الحديث قلت له : قف . لقد حذف الكاتب من الحديث الثاني جملةَ كذا . فلما ذكرتها له قال : الحمد لله ، لقد زال الإشكال .

هكذا يتصيد المجرمون ، ويفعلون في قلوب العباد ، ولا همَّ لهم إلا تشكيك المسلمين ، لذا على المسلمين الانتباه واليقظة والاحتياط ، وعليهم التمسك بالثوابت التي خلّفها سلف هذه الأمة . وانظر : الإمام البخاري وصحيحه ، فقد ذكرت عدداً من الشبه .

وهم الذين نفوا السنة النبوية الشريفة بكاملها ـ متواترها وآحادها ، قوليها وفعليها ـ ويُسمّون أنفسَهم ـ كذباً وزوراً ـ (أهل الذكر) أو (أهل القرآن) أو (القرآنيين) ويتمركز أغلبهم في الباكستان ـ وخاصة في لاهور ـ ومنهم قلة في بعض البلاد العربية .

وبدأ هذا التيار ينتشر في بعض البلاد الإسلامية ، وقد حدثني عدد من طلبة العلم من الحجاج من بلاد مختلفة بوجود ذلك في عدد من بلادهم .

ظهر أوائلهم ـ في حدود علمي ـ في لاهور ـ وهي الآن في باكستان ـ في أوائل القرن الرابع عشر ، ومؤسس هذا المذهب الخبيث هو : (عبد الله الجكراولي)[1] ثم تلاه تلميذه (محمد أسلم الجيراجبوري) ثم (غلام أحمد برويس) ثم (الدكتور غلام جيلاني برق) وأظنه ما زال على قيد الحياة[2]، وهو مؤلف كتاب (دو إسلام).

وقد ألف إمامُهم عبدُ الله الجكراولي وأتباعُه عدداً من المؤلفات المطولة والمختصرة ، يبيِّنون فيها مذهبَهم في إنكار السنة النبوية الشريفة ، ويوردون الشبه على ذلك ، وقد رد عليهم علماءُ أفاضل من القارة الهندية ، بيَّنوا زيفَهم وضلالَهم وكفرَهم ، ودحضوا شبههم ، وكشفوا عوارهم .

ومن الملاحظ أن هذه الجماعة لم تحظ بتأييدٍ شعبيٍّ إنما حظيت بتأييد من الفسقة اللئام ، ومن بعض الملاحدة ، شأن كل الدعوات الضالة ؛ لا يؤيدها إلا المنحرفون ، ولا يستغلها إلا المارقون ،...

وقد أرسلتُ إلى الهند فأُحضر لي عشرة كتب لهم ـ وبعضها للرد عليهم ـ وكلها باللغة الأوردية ، سوى واحد صغير . وقد طلبتُ من بعض طلبتي من

(١) المتوفى سنة (١٣٣٤ هـ) وانظر ترجمته في (نزهة الخواطر ٨ : ٢٨٩).

(٢) بلغني وفاته منذ سنوات .

تلك الديار ترجمةَ أخطر ما في تلك الكتب من شُبه ففعل بعضهم[1].

لكن خطر هذا المذهب ازداد عندما بدأ ينتشر في بعض البلاد العربية ، ثم انتقل إلى أمريكا وأوربّا . وقد انكشف زيف الذي ظهر في بلاد الغرب ، وبانت حقيقته ، وأنه ـ وإن كان من العرب ـ صار صنيعة مأجورة ، إنه لما أظهر كتابَه (عليها تسعة عشر) وفيه السم في ظاهر العسل ، ظنه كثير من الناس إعجازاً علمياً عددياً جديداً للقرآن الكريم ، لكنهم لم يكونوا يظنون أنه يقرر حقيقةَ معتقده ـ البابية والبهائية ـ يقدمها بثوب قشيب ومظهر جميل ، ليعتنقه الناسُ وهم لا يشعرون أنهم قد خرجوا من الإسلام[2].

---

(١) وقد كتبت على شبههم (شبهات حول السنة ودحضها) وهو مطبوع ، وقد استأذنني بعض الأخوة من العلماء من القارة الهندية بترجمته إلى الأوردية فأجبتهم إلى طلبهم .

(٢) لقد اطلعت بعد كتابة هذا الكتاب على خطاب من الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سابقاً ، وهو الآن المفتي العام بالمملكة العربية السعودية [وقد توفي رحمنا الله وإياه قبل ثلاث سنوات] وجَّهه إلى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، عاصمة المملكة العربية السعودية ، [وكنت أثناءها أستاذاً للحديث الشريف وعلومه فيها] ويذكر أن هذه الفكرة ـ إلغاء السنة بكاملها ـ قد انتقلت إلى أمريكا ، ويتبناها رجل مصري ، معه دكتوراه في الهندسة الزراعية ، يقول فيه فضيلته : فحيث يوجد في مدينة (توسان) التابعة لولاية (أريزونا) مسجدٌ يشرف عليه شخص ، يُدعى (رشاد خليفة) مصري الأصل ، أمريكي الجنسية ، يقوم فيه بالدعوة الإسلامية على أساس بعيد عن الإسلام ، لإنكاره السنة ، واستنقاصه من منزلة الرسول ﷺ ، وذلك بما ثبت لدينا من التقارير بحقه من عدة جهات ، والتي ملخصها ما يلي :

١ ـ ...إن دعوته للإسلام يظهر منها المخادعة والتغرير بالمسلمين الجدد والسذج من العامة باسم الإسلام ، في الوقت الذي هو يحارب الإسلام بإنكارالسنة ، وتعاونه مع المنكرين لها قولاً وفعلاً ، أمثال محمد علي اللاهوري ، وغيره .

٢ ـ في زيارته لليبيا عام ١٣٩٩هـ سجل في إذاعتها أحاديث ، ووجد من يستمع إليه =

= حول رأيه في السنة المطهرة ، بل إنه حينما سُئل من قبل أحد أساتذة الجامعة قبل صعوده الطائرة عن رأيه في أحاديث الرسول ﷺ ، أجاب باختصار : نظراً لضيق الوقت قائلاً : (الحديث من صنع إبليس).

ومن مواقفه التي توضح رفضه للسنة النبوية وتأويل القرآن الكريم حسب ما يراه :

أ ـ قوله : إنه لا يجوز رجم الزاني أو الزانية ،... لأن ذلك لم يرد في القرآن [الكريم].

ب ـ تبجحه بصورة مستمرة بما يُروى «لا تكتبوا عني سوى القرآن» ليثبت أنه لا تجوز كتابة الأحاديث . [قلت : انظر (نشأة علوم الحديث) فقد بينت وجه الجمع بين هذا الحديث وأحاديث كتابة الحديث].

ج ـ استدلاله على ما ذهب إليه من أنه لا حاجة للسنة ، ولا لتفسير الرسول ﷺ للقرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ .

د ـ ادعاؤه أن الأخذ بالسنة وكتابتها وجمع الأحاديث في القرنين الثاني والثالث : كان سبباً في سقوط الدولة الإسلامية .

هـ ـ عدم التصديق بالمعراج ، وأن الرسول ﷺ لم يأت بجديد في الصلاة ، لأن العرب قد توارثوها بهذه الكيفية المعهودة عن جدهم إبراهيم [عليه السلام].اهـ ما يخص السنة .

أما ما ذكره عن القرآن الكريم فأمر آخر . ومن أراد الإطلاع على خطاب الرئيس العام للإفتاء فلينظره برقم ٢٩٤ / ١٤ / ط ، وتاريخ ٢٥ / ١٠ / ١٤٠٢ هـ الدعوة في الخارج .

وقد حدثني بعض الأخوة الأفاضل من وجهاء جدة ، أن بعضهم قد ذهب إلى هناك ، ولما دخلوا المسجد المذكور ، وحان وقت الصلاة ، وإذا بالمؤذن قد حذف من الأذان (أشهد أن محمداً رسول الله) ولما ناقشوا الدكتور رشاد خليفة المذكور ، احتج بأن الله تعالى قال : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ وأن إثبات الشهادة للنبي ﷺ عبادة له . كما أن طاعة رسول الله ﷺ شرك في عقيدته ،...إلخ ما يقول .

ولا غرو ولا غرابة إذا قلت من خلال اطلاعي على حقيقة هذا الرجل وما كتبه : إنه (بهائي) ينشر دين البهائية هناك بشكل سافر ، لذا فإن إنكاره للسنة النبوية الشريفة والشهادة للنبي ﷺ ؛ حتى يقلع الرسالة والنبوة للنبي ﷺ ، وليثبت ذلك لإمامه (الباب) وقد بلغني عنه دعوات أخطر من ذلك ، ولكن سيف الله تعالى ماض ، وحكمه قاض . وقد تكفل =

لكن الأمر قد ازداد خطورةً ، والطريق وعورةً ، عندما تبنى أحد زعماء العرب هذه الفكرة ، ودعا لها ، وهيأ لها ، والمشتكى إلى الله تعالى .

إنه ليس من المستغرب أن تصدر هذه الأقوال من هؤلاء المنحرفين ، الذين يريدون أن يُحيوا ما قاله وما فاه به أهلُ الضلال : من باطنية وزنادقة ورافضة وغيرهم في أواخر القرن الثاني ، والذي زال بفضل الله عز وجل ، بما قيَّض لهم من أهل العلم ، ما قضى على زيفهم وضلالهم ، وأزال شبهَهم ، وأطفأ نارَهم ، وأخمد شعلَتهم ، بنور الحق .

إنما المستغرب أن يكون وراء كثيرٍ من الذين يهرفون بما لا يعلمون ، مخططات مريبة ، ما لبث أن انكشف عوارها ، وظهرت سوآتها ، وتكشفت حقائقها ، وهم مع الأسف لا يعلمون أنهم ينفذون مخطَّطاً جهنَّميّاً ـ هم أداته ـ يُراد منه وبهم وعلى أيديهم : القضاءُ على الإسلام والمسلمين .

هذا إذا أحسنّا الظنَّ ببعضهم ، لكن الحياة علمتنا دروساً كثيرة قاسية ، إذ العالم الإسلامي يموج بأعدادٍ كثيرة من المخفِيِّين ، لا يعلمُهم كثيرٌ من الناس ، هم في ظاهرهم من المسلمين ، وفي باطنهم من اليهود والنصارى ـ حقيقةً أو معتقداً ـ اندسوا بين المسلمين لينفذوا مخططات أسيادهم .

إن المسلمين قد اكتشفوا ـ في ميدان السياسة ـ (كوهيناً) واحداً ، وبقي (كواهين) كثر ، فما عساهم أن يكتشفوا في ميادين العقائد والدِّين والعلم ؟

إن كثيراً من المنحرفين لا يَظهرون بانحرافهم بادئ الأمر ، إنما يمهِّدون له بتمهيدات كثيرة ، فيظهرون بادئ الأمر بمظهر الإصلاح ، والدفاعِ عن الإسلام

= بحفظ هذا الدين فقال جل شأنه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ .

تنبيه : لقد قضى الله تعالى عليه ، حيث قُتل ، وتخلص الناس من شره قبل عشرين سنة تقريباً من الآن .

والدعوة إليه ، حتى إذا مالت القلوب إليهم ، واطمأنوا إلى ما حققوه ،... بدؤوا يُظهرون نواياهم ، ويَكشفون عن حقائِقِهم ، ويبثون أفكارَهم ، وينشرون سمومَهم ، وما (غلام أحمد قادياني) ببعيد المثال ، وما (الباب) بمستنكر ، لمن عنده اطلاع على رجالات العصر الحاضر ، وسير الحوادث فيه ، وغيرهما كثير .

كما أن الأسماء المستعارة تخفي وراءها كثيراً من الحقائق المذهلة المخيفة

فالقادياني : كان من أسرة عريقة الصلة والولاء للإنكليز ، وكانت الهند تحت الاستعمار البريطاني ، وكان المنصِّرون ـ على اختلاف الهيئات المرسِلة لهم ـ تموج بهم البلاد ، من طولها إلى عرضها ، وصاروا يتعرضون للمسلمين ، ويشكِّكونهم في دينهم ، حتى اضطربت الأمور ، وبدأ المسلمون يبحثون عن منقذٍ لهم ؛ يخلصهم وينقذهم من براثن المنصِّرين ، ويرد عليهم ، ويبين مزايا الإسلام ، ومواءمته للفطرة ،...

فكان القاديانيُّ صنيعةً جاهزةً مجهَّزة ، فكتب في بيان الإسلام ، والدفاعِ عنه ، فصار أملَ المسلمين المنشود ، الذي ظهر لهم بالمصلِح المرتقب ، فمالت إليه القلوبُ ، وتمسك به الخلق ، فادعى التجديد ، ثم ، ثم ، حتى ادعى أن الله تعالى حل فيه ،... إلى آخر ما كان من أمره[1]. وأمثاله كثير .

فهل على المسلمين الخضوع والانقياد ، والسير وراء كل ناعق ، كالغنم التي تُجر إلى المسلخ ، وفي هذا هلاكهم وإذلالهم ، في الدنيا والآخرة ، أم عليهم الانتباهُ واليقظةُ ، حتى يفوّتوا الفرصَ على أعداء الله سبحانه وتعالى في استغلال ضعفاء الإيمان والنفوس ؟

لقد نسي هؤلاء أو تناسوا أن الكلَّ زائلٌ ، وسيفَ الله تعالى حادٌّ وقاطعٌ ، ولا يخفى عليه شيء ، وسيقف العبدُ بين يدي مولاه ، فيحاسبه على كل معتَقَدٍ ،

(١) انظر ما كتبته عنه (الردة قديمها وحديثها).

وعما صدر ، وَ«من نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب»[1].

إن هذه الدعوة هي معجزة من معجزات النبي الكريم ﷺ ، قالها قبل أن تظهر هذه الفئةُ ، كيف والمؤمن ينظر بنور الله تعالى ، فكيف بسيد البشر عليه وآله الصلاة والسلام المؤيَّد بالوحي .

إن دعوات المعاصرين الذين يُحيون آراء الباطنية القديمة ، والزنادقة المقيتة ، والرافضة المتهوِّدة : ستزولُ بإذن الله تعالى ، كما زال ما سبقها من الدعوات المثيلات ، لأن الله تعالى هو الذي تكفَّل بحفظ دينه ، ولم يترك حفظَه لغيره ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2].

إذا كان الله تعالى قد أفنى المأجورين القدامى ، وأطفأ نارهم ، وأزهق باطلهم ، وأزال معالمهم ، ثم أنسى ذكرَهم وآراءَهم ، حتى لم يعد يُذكر من أخبارهم شيء ، فإنه ليس من شك أنَّ نصيبَ هؤلاء المأجورين ، هو نصيبُ أهل الضلال والبدع ، والله عز وجل لهم جميعاً بالمرصاد ، كما قال جل شأنه : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[3].

إن آراء المنحرفين ما هي إلا هبَّةُ ريحٍ في صحراء ، أو سحابةُ صيف سرعان ما تنقشع ، وتظهر الحقيقةُ الثابتةُ ، بارزةً للعيان ، لأن الدينَ لله عز وجل ، والخَلْقَ عبادُ الله تعالى ، ومن تعدى حقوقَ الله تعالى فقد باء وخسر ، ولن يستطيع العبدُ

(١) هو طرف من حديث متفق عليه : رواه البخاري : كتاب العلم : باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ، وفي كتاب التفسير : سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، وفي كتاب الرقاق : باب من نوقش الحساب عذب . ورواه مسلم ـ واللفظ له ـ في كتاب الجنة وصفة نعيمها... : باب إثبات الحساب ، رقم (٧٩ ، ٨٠) من حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها .

(٢) سورة الحجر (٩).

(٣) سورة الصف (٨).

محاربةَ ربه تعالى ، الذي تكفل بحفظ هذا الدين .

ذلك لأن من عادى وليّاً لله تعالى قصمه الله تعالى ، فكيف بمن يعادي سيدَ الوجود ، وفخرَ الكائنات ، عليه وآله من الله الصلاة والسلام ؟ الذي معاداته معاداة لله عز شأنه ، القادر على البطش به وهتك أستاره .

إن إنكار السنة النبوية وتعطيلها ،... : معصيةٌ لرسول الله ﷺ ، ومخالفةٌ لأمره ، وتعدٍّ لحدوده ، وفي كل ذلك مخالفةٌ لأمر الله عز وجل في طاعة نبيه الكريم ﷺ واتباع أمره ، وتحريم معصيته ﷺ .

إن العداء للسنة النبوية لم يكن ناشئاً عن ورود شبَهٍ يحتاج صاحبُها إلى من يزيلها عنه ، أو شكوك يحتاج إلى من يكشف زيفها ، أو أوهام وتخيلات ، يحتاج إلى من يرفعها ، إنما هو في الحقيقة ناشئ عن حقد وبغض وعداء للإسلام ، ولما كانت السنةَ النبوية الشريفة الميدان العملي ، ومجالُ التشكيك فيها ممكن ، لذا كان الخوض في هذا الميدان سهلاً .

وإلا كيف يجرؤ مسلم على القول بإلغاء السنة النبوية كاملة ، وهو يقرأ عشرات الآيات تأمر بطاعة النبي المصطفى الكريم ﷺ ، وتهدد من يعاند ويكابر أو يعصي ؟ بل إن الله تعالى جعل شرط الإيمان : الإيمانَ برسوله ﷺ وطاعته وتحكيمه واتباع أمره ، وعدم مخالفته ومعصيته[1].

وطاعته ﷺ في حياته وبعد مماته سواء ، لأن سنته أمر ونهي ، وتقرير وفعل ، وهي واحدة ، سواء كان ذلك في حياته أو بعد مماته .

أسأله عز وجل الهداية والرشاد ، والعون والتوفيق ، والحفظ والأمان ، والسداد في القول ، وتثبيت الجنان ، ووضوح المعنى ، وصحة العبارة ، وتمام

(١) انظر (فضائل النبي الكريم كما وردت في القرآن العظيم) وَ (الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن جميع الأنبياء السابقين عليهم السلام).

القبول ، وحسن الختام ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي * وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴾[1].

اللهم آمين ، بمنك وكرمك ولطفك وعونك ، ياأرحم الراحمين .

☆☆☆☆☆

---

(١) سورة طه (٢٥ ـ ٢٨).

الباب الأول

وجوب الإيمان به ﷺ على أنه رسول الله

إن الله عز وجل لم يجعل لأحد من الخلق ما جعله لرسوله الكريم ﷺ ، فقد وضعه من دينه وفرضه وكتابه : الموضع الذي أبان جل ثناؤه أنه جعله عَلَما لدينه ، بما افترض من طاعته ، وحرَّم من معصيته ، وأبان من فضيلته ، بما قرن من الإيمان برسوله الكريم ﷺ ، كما أمر عز وجل بالإيمان به ﷺ ، وأخبر تعالى أن من لم يؤمن به ﷺ فهو كافر ، خالدٌ في النار .

وليس المراد بالإيمان به ﷺ : التصديقَ بوجوده ، والاعتقادَ بنبوته ﷺ فحسب ، إنما المرادُ بذلك ما يلزم ذلك الاعتقاد والتصديق من مظاهر متعددة ؛ من الطاعة والاتِّباع والمحبّة والتعظيم والتوقير ، والالتزام بكل ما يقوله وما يفعله ﷺ ،...

فنحن المسلمين نؤمن بجميع الأنبياء السابقين عليهم السلام ، ونعتقد بنبوتهم ورسالاتهم من قِبَل الله تعالى ، ولكنّا لسنا مطالبين ـ شرعاً ـ بطاعتهم وامتثال أوامرهم ، والانزجار عن نهيهم ، لأنهم لم يُرسلوا إلينا ، إنما هم لأقوامهم فقط ،...

إنما المراد بالإيمان به ﷺ : ما فهمه العربُ يومَ خاطبهم النبيُّ المصطفى الكريم ﷺ . إن الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ يعني الانسلاخَ عن كلِّ معتَقَد يخالف مقتضى الإيمان ، والامتثالَ بكل ما جاء به هذا الدين .

وقد أوضح أبو جهل ما فهمه العرب ما المراد بالإيمان .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : لما مرض أبو طالب ، دخل عليه رهطٌ من قريش منهم أبو جهل ، فقالوا : يا أبا طالب ؛ ابنُ أخيك

يشتم آلهتنا ؛ يقول ويقول ، ويفعل ويفعل ، فأرسِل إليه ، فانهه . قال : فأرسل إليه أبو طالب ـ وكان قربَ أبي طالب موضعُ رجلٍ ، فخشي إن دخل النبيُّ ﷺ على عمِّه أن يكون أرقَّ له عليه ، فوثب [أبو جهل] فجلس في ذلك المجلس .

فلما دخل النبيُّ ﷺ لم يجد مجلساً إلّا عند الباب فجلس . فقال أبو طالب : يا ابنَ أخي ؛ إن قومَك يشكونك ، يزعمون أنك تشتم آلهتَهم ، وتقول وتقول ، وتفعل وتفعل . فقال : «يا عمّ ؛ إني إنما أريدهم على كلمة واحدة ، تدين لهم بها العربُ ، وتؤدّي إليهم بها العجمُ الجزيةَ» قالوا : وما هي ؟ نعم وأبيك ، عشراً .

قال : «لا إله إلّا الله» قال : فقاموا وهم ينفضون ثيابهم وهم يقولون : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ ثم قرأ حتى بلغ ﴿لَمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾[1]. رواه أحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حُميد والترمذي وحسنه ، وفي بعض النسخ التصحيح ، والنسائي وأبو يعلى وابن جرير ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[2]. ورواه آخرون .

ولما كانت النصوص الكريمة ـ من آيات وأحاديث ـ كثيرة جدّاً : أقتصر على ذكر بعضها ، وجعلت ذلك تحت فقرات ، من غير شرح ولا تطويل ، إيثاراً للاختصار ، والله تعالى الموفق والمعين والحافظ .

---

(١) سورة ص (٥ ـ ٨).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠) ومسند أحمد (١ : ٢٢٧ ، ٣٦٢) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : باب ومن سورة ص ، رقم (٣٢٣٢) والسنن الكبرى للنسائي (٦ : ٤٤٢) والتفسير له (٢ : ٢١٦ ـ ٢١٧) ومسند أبي يعلى (٤ : ٤٥٥ ـ ٤٥٦) وتفسير الطبري (٢١ : ١٤٩ ـ ١٥١ من طرق) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٧٩ ـ ٨٠) والمستدرك (٢ : ٤٣٢) وأسباب النزول للواحدي (٣٨٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ١٨٨) وانظر : تفسير ابن كثير (٤ : ٢٧ ـ ٢٨) والدر المنثور (٧ : ١٤٢) وتحفة الأحوذي (٩ : ١٠١).

أخذ العهد له ﷺ على جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام :

ولعلو مكانته ﷺ عند ربه عز وجل ، ولحكمة يعلمها سبحانه وتعالى : أن أخذ الله تعالى له العهدَ والميثاقَ على جميع الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وهو إنْ بُعث ﷺ ، وهم أحياءٌ ، أو أحدٌ منهم : يجب عليهم أن يؤمنوا به ، ويتبعوه ، وينصروه ، ويؤيدوه .

وهذا مما خَصَّ الله سبحانه وتعالى به رسولَه الكريمَ سيدنا محمداً ﷺ .

كما أخذ الله سبحانه وتعالى عليهم أيضاً أن يأخذوا هذا العهدَ والميثاق على جميع أممهم ، إن بُعث ﷺ يجبُ عليهم ـ ممن يدركه وهو حيٌّ ـ أن يؤمنَ به ويتبعه وينصره ويؤيده ، فإن لم يفعل فقد خالف أمرَ الله عز وجل .

قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1].

ويلاحظ في هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ حيث يشمل كلَّ نبي وكلَّ رسول من البشر . ذلك لأن كل رسول هو نبيٌ ، وليس كلُّ نبيٍّ رسولاً ، فلما قال تعالى : ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كان شاملاً للأنبياء والمرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، والله تعالى أعلم .

ولهذا قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله تعالى عنهم ، وقتادة والسُّديُّ ـ وقريب منه قول الحسن ، وطاووس ـ كما ذكر ذلك الطبريُّ وابنُ كثير وغيرُهما من أهل التفسير : ما بعث اللهُ نبيّاً من الأنبياء ـ من لدن نوح ـ إلّا أَخذ

---

(١) سورة آل عمران (٨١).

ميثاقَه، ليؤمنن بمحمد ﷺ، ولينصرنه إن خرج وهم أحياء.

قال الإمام السبكيُّ رحمه الله تعالى في شرحه لهذه الآية الشريفة[1]: قول المفسرين هنا: إن الرسول هو نبيُّنا محمد ﷺ، وأنه ما من نبيٍّ إلّا أُمر أنه: إن بُعث محمد ﷺ في زمانه ليُؤمنّنَّ به ولينصرّنَّه، ويوصي أمته بذلك.

وفي ذلك من التنويه بالنبي ﷺ، وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى، وفيه مع ذلك: أنه على تقدير مجيئه في زمانهم؛ يكون مرسَلاً إليهم، فتكون نبوَّتُه ورسالتُه عامةً لجميع الخلق، من زمن آدم إلى يوم القيامة، ويكون الأنبياءُ وأُممُهُم كلهم من أمته، ويكون قولُه ﷺ: «...وبُعثتُ إلى الناس كافَّةً»[2]. لا يختص به الناس في زمانه إلى يوم القيامة، بل يتناول مَنْ قبلهم أيضاً، ويتبين بذلك معنى قوله ﷺ: «كنتُ نبيّاً وآدمُ بين الروح والجسد»[3]... وأنه تعالى أعطاه النبوة من ذلك الوقت [أي قبل خلق آدم عليه السلام] ثم أخذ له المواثيق على الأنبياء وعلى أممهم؛ ليعلموا أنه المقدَّمُ عليهم، وأنه نبيُّهم ورسولُهم.

وفي أخذ المواثيق - وهي في معنى الاستحلاف، ولذلك دخلت لام القَسم في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ - لطيفة أخرى، وهي: كأنها أيمان البيعة التي تؤخذ

(١) فتاوى السبكي (١ : ٣٨ - ٤٠) وذكره القسطلاني في المواهب اللدنية (١ : ٦٧) مختصراً.

(٢) جزء من حديث متفق عليه، انظر: صحيح البخاري: كتاب التيمم: الباب الأول. وصحيح مسلم: كتاب المساجد: رقم (٣).

(٣) مسند أحمد (٥ : ٥٩) والسنة (١ : ١٧٨) والتاريخ الكبير (٧ : ٣٧٤) والشريعة (٧ : ٦٠) وشرح مشكل الآثار (١٥ : ٢٣١ - ٢٣٢ من طبعة الشيخ شعيب لسقوطه من الطبعة القديمة) ومعجم الصحابة لابن قانع (٣ : ١٢٩ - ١٣٠، ١٣٠) والمعجم الكبير (٢٠ : ٣٥٣) وحلية الأولياء (٩ : ٥٣) والمستدرك (٢ : ٦٠٧ - ٦٠٩) ودلائل النبوة للبيهقي (١ : ٨٤ - ٨٥) (٢ : ١٢٩) وقال الهيثمي في المجمع: (٨ : ٢٢٣) رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح.

وانظر: الإصابة (٦ : ٢٣٩ - ٢٤٠) وانظر عظيم قدره ﷺ، وما يأتي بعد قليل.

للخلفاء ،...

ثم قال : فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي ﷺ من ربِّه سبحانه وتعالى ، فإذا عُرف ذلك ؛ فالنبي ﷺ هو نبيُّ الأنبياء ، ولهذا ظهر ذلك في الآخرة ؛ جميعُ الأنبياء تحت لوائه ، وفي الدنيا ؛ كذلك ليلة الإسراء صلّى بهم .

ولو اتفق مجيئُه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى - عليهم السلام - : وجب عليهم وعلى أممهم الإيمانُ به ونصرتُه ، وبذلك أخذ اللهُ تعالى الميثاقَ عليهم.اهـ.

لذا ما من نبيٍّ من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ؛ إلا عنده علمٌ تام به ﷺ ، وبمبعثه ، وزمانه ، ومهاجَرِه ، وعلاماته وأوصافه ﷺ ،...

عن العِرْباض بن سارِيةَ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : «إني عند الله لخاتَمُ النَّبِيّين ، وإن آدمَ لَمُنْجَدلٌ في طينته ، وسأخبرُكم بأول أمري : أنا دعوةُ إبراهيم ، وبشارةُ عيسى ، ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني ، وقد خرج منها نورٌ ساطعٌ أضاءت منه قصور الشام». رواه أحمد والبخاري في تاريخه ، والحاكم وابن حبان وصححاه وأقره الذهبي ، ورواه البزار والطبراني وابن سعد والبيهقي ، في آخرين[1].

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١٢٧ - ١٢٨) والتاريخ الكبير (٦ : ٦٨ - ٦٩) والطبقات الكبرى (١ : ١٤٨ - ١٤٩) والمعرفة والتاريخ (٢ : ٣٤٥) والمعجم الكبير (١٨ : ٢٥٢ - ٢٥٣ من طرق) والشريعة (٤٢١) وحلية الأولياء (٦ : ٨٩ - ٩٠) ودلائل النبوة له (١ : ٥٣ - ٥٤) وصحيح ابن حبان (٨ : ١٠٦) وموارد الظمآن ، رقم (٢٠٩٣) والمستدرك (٢ : ٤١٨ ، ٦٠٠) وكشف الأستار (٣ : ١١٢ - ١١٣) وقال : لا نعلم يُروى بإسناد أحسن من هذا ،... ودلائل النبوة للبيهقي (١ : ٨٠ ، ٨٣) (٢ : ١٣٠) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٢٣) ورواه آخرون مختصراً ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور للطبري وابن أبي حاتم وابن مردويه .

فدعوةُ إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ... ﴾[1].

وبشارةُ عيسى عليه السلام : ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[2]. ﷺ .

وقد اتضح أخذُ العهد له ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين عليهم السلام بأمور كثيرة ، يهمني منها :

* إمامتُه ﷺ بهم في بيت المقدس .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ: «...ولقد رأيتُني في جماعة من الأنبياء ؛... فحانت الصلاة فأممتهم ،...» الحديث بطوله ، رواه مسلم[3].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «...ثم دخلت بيت المقدس ، فجُمع لي الأنبياءُ عليهم السلام ، فقدَّمني جبريلُ حتى أممتُهم ،...». الحديث بطوله ، رواه النسائي والطبري[4].

ومعلوم مدى التزام المأموم بما يفعله الإمام ؛ من قراءة ، وركوع ، وسجود ، وجلوس ، وسلام ،... وأن ذلك كان على شريعته ﷺ .

* ومنها : قولهم له عليه وعليهم الصلاة والسلام يوم المعراج عندما مرَّ بهم :

---

(١) سورة البقرة (١٢٩).

(٢) سورة الصف (٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب ذكر المسيح ابن مريم عليه السلام ، والمسيح الدجال ، رقم (٢٧٨).

(٤) سنن النسائي : كتاب الصلاة : باب فرض الصلاة (١ : ٢٢١ ـ ٢٢٢) وتهذيب الآثار (١ : ٤٥٢ ـ ٤٥٣) وتفسير الطبري (١٧ : ٣٣٣) وَ (١٧ : ٣٣١) لحديث مالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنه ، وقد توسعت في بيان طرق الحديث في (الآيات البينات بما في الإسراء والمعراج من الخوارق والمكرمات).

«مرحباً بالنبيِّ الصالحِ ، والأخِ الصالحِ» إلا ما كان من آدم وإبراهيم عليهما السلام حيث قالا : «مرحباً بالنبيِّ الصالح ، والابن الصالح ،...». كما في حديثي مالك بنِ صعصعة وأبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنهما ، وغيرهما[1].

وهذا اعتراف منهم بنبوته ورسالته ﷺ ، ثم كونهم تحت لوائه ﷺ يوم القيامة ؛ دلالة هي الأخرى على الامتثال بكل ما يفعل ، كما أوضحه ﷺ ، كما بينتُه في غير هذا الكتاب ، وثمة أمور أخرى كثيرة ، والله تعالى أعلم .

وقد أوضح رسول الله ﷺ وجوبَ اتِّباعهم له لو أدركه أحدُهم ، أو وُجد في زمانه ، بقوله ﷺ : «لو كان موسى حيّاً ما وسعه إلا اتباعي»[2].

فإذا كان الله تعالى أوجب على الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام : الإيمانَ به ﷺ ، ونصرتَه واتباعَه ، وأكد ذلك بقوله تعالى : ﴿قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ﴾ فلما أقروا بذلك أشهدهم تعالى على أنفسهم ، وشهد الله تعالى عليهم بذلك ، ﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ .

---

(١) انظر : صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾، وكتاب الصلاة : باب كيف فرضت الصلاة . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الإسراء برسول الله ﷺ ، رقم (٢٦٣ ـ ٢٦٤).

(٢) جاء عن عدد من الصحابة ، منهم : جابر وعبد الله بن ثابت وعمر وابن عباس وعقبة ابن عامر وأبو الدرداء رضي الله تعالى عنهم . انظر : مسند أحمد (٣ : ٣٣٨ ، ٣٨٧ ، ٤٧٠ ـ ٤٧١) (٤ : ٢٦٥ ـ ٢٦٦) ومصنف عبد الرزاق (٦ : ١١٣) (١٠ : ٣١٣) ومسند أبي يعلى (٤ : ١٠٢) وسنن الدارمي (١ : ٩٥) وكشف الأستار (١ : ٧٨ ـ ٧٩) وشعب الإيمان (١ : ٢٠٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ١١) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٥٠) ومجمع الزوائد (١ : ١٧٣ ـ ١٧٤) (٨ : ٢٦٢) وكنز العمال (١ : ١٨٣ ، ٢٠٠ ـ ،...٢ ، ٢٠١) وفتح الباري (١٣ : ٣٣٤) وتفسير ابن كثير (١ : ٣٧٨) (٢ : ٤٦٧).

فإذا كان هذا بالنسبة للأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، فمن دونهم ـ وخاصة هذه الأمة ـ فمن باب أولى .

وأخذ العهد والميثاق بالإيمان والنصرة يقتضي الطاعة والامتثال ، وإلا ما فائدة هذا العهد ، وقد رأيناهم قد صلوا وراءه في بيت المقدس ، بمقتضى شرعه ، والمأموم يقتدي بإمامه ، ويتبعه في كل حركاته ، والله تعالى أعلم .

أمر جميع الناس بالإيمان برسوله ﷺ :

لقد طلب الله جل ثناؤه من جميع الناس ـ سواء كانوا عرباً أو غيرهم ، وسواء كانوا أهل كتاب أو مشركين أو مجوساً ـ أن يؤمنوا بهذا النبي الكريم ﷺ ، لأنه رسوله الذي أرسله إلى الخلق كافة ، وليس لقومه فقط ـ بخلاف حال كل الأنبياء عليهم السلام ، كما أخبرهم تعالى أن له ما في السمٰوات والأرض ، وهو المتصرف فيها ، فإن لم يؤمنوا بنبيِّه الكريم ﷺ ـ الإيمان الذي يترتّب عليه الطاعة والامتثال والانزجار ـ فالعذاب لهم ، لأنهم كفار .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾[1] .

وقد أمر الله تعالى نبيّه الكريم ﷺ أن يعلن للناس أنه رسولُ الله إليهم جميعاً ، وهو مالك الملك ، الواحد المحيي المميت ، لذا أمرهم الله تعالى جميعاً أن يؤمنوا به وبرسوله ﷺ ، وذكر صفاته لهم ، حتى لا يتنكّروا له إذا رأوه . وأنه لا سبيل للهداية إلّا ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ

---

(١) سورة النساء (١٧٠).

﴿ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١).

وهذا خاصٌّ به ﷺ ، لأنه الوحيد الذي أُرسل إلى كل الخلق ، بخلاف غيره من الرسل عليهم السلام ، فرسالاتهم خاصة بأقوامهم ، فهي قومية .

يضاف إلى ذلك أيضاً : أنه ﷺ الوحيد الذي قرن الله سبحانه وتعالى اسمَه الشريف مع اسمه تعالى ، سواء كان في الإيمان أو الطاعة أو غيرهما .

أمر الكفار بالإيمان برسول الله ﷺ :

لقد أمر الله تعالى الكفار أن يؤمنوا به تعالى وبرسوله الكريم ﷺ ، وردَّ عليهم دعواهم بعدم البعث ، وأمر نبيَّه الكريم ﷺ أن يؤكِّد لهم بعثَم وأنهم سيُسألون عما عملوا ، وأن ذلك كلّه سهل على الله تعالى ويسير ، لأن إعادة الخلق أسهل من الخلق ، وإن كان الجميع عند الله تعالى سواء ، فكله سهل عليه ويسير .

وهذا الإيمان الذي طولبوا به : يقتضي الطاعة التامّة ، والاتّباع التّام ، والأخذ بكل ما جاء به ، لأنه نورٌ من عند الله تعالى ، فإن لم يفعلوا فلهم الخلود في النار .

قال الله تعالى : ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ * فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٢).

تذكير أهل الكتاب بأوصافه ﷺ عندهم ، وجعل الإيمان به سبب فلاحهم :

لقد ألزم الله سبحانه وتعالى أهلَ الكتاب بالإيمان برسوله الكريم ﷺ ، ثم باتّباعه وطاعته ، وجعل ذلك سبباً لفلاحهم إذا آمنوا ، وجعل عندهم وصفه ﷺ كاملاً في كتبهم ، حتى لا ينكروه إذا أتاهم ، ومن شدة وضوح صفاته ﷺ ونعته عندهم : صاروا يعرفونه كما يعرف أحدُهم ولدَه وأباه وقريبَه .

فقال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ

---

(١) سورة الأعراف (١٥٨).

(٢) سورة التغابن (٧ ـ ٨).

مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(١).

ويلاحظ كيف عطف الله عز وجل الأمرَ بالإيمان برسوله الكريم ﷺ وتعظيمه وتعظيمه ونصرته واتّباع ما جاء به ؛ على وصفه تعالى له بالتشريع والتحليل والتحريم ،... دلالة على أن المراد ليس مجرد التصديق فحسب بل هو أعم من ذلك ، والله تعالى أعلم .

ثم كيف لا يُلزمون بالإيمان بهذا النبي المصطفى الكريم ﷺ : وقد أُخِذ عليهم العهدُ بذلك من قِبَل رسلهم عليهم السلام ، كما مر . ولذا بشر به آخر أنبياء بني إسرائيل ، وهو عيسى عليه السلام ، فقال تعالى : ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾(٢). لكن بني إسرائيل قوم بهت ، لذا أنكروه ، وزعموا أنه سحر واضح ، مع أنه ثابت عند علمائهم ، وأحبارهم .

جعل غاية بعثته ﷺ حتى يؤمن الناس :

لقد جعل الله تعالى غاية بعثة رسوله الكريم ﷺ حتى يؤمن الناس بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ ، لأنه هو المبلِّغُ المبشِّرُ ، ينذر من يصد من الناس ، ويبشِّر من يؤمن ويطيع ويتَّبع من الناس ..

قال الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا * لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ

(١) سورة الأعراف (١٥٧).

(٢) سورة الصف (٦).

﴿ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[1].

فهو إيمان بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ ، وتعزيرٌ وتوقيرٌ لرسوله ﷺ ، وتسبيحٌ لله تعالى ، وكلّه دالٌّ على الالتزام ، وليس مجردَ تصديق .

بل حتى في الفروع ، فقد جعل الله تعالى ذلك لكي يؤمن المسلمون .

قال الله عز شأنه : ﴿ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2].

فمن لم يؤمن بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ ، وينفّذ ما أمر به أو نهى عنه ، يكون متعدياً حدودَ الله عز وجل ، لذا استحقّ العذبَ الأليم في نار الجحيم والعياذ بالله تعالى .

وقال الله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3].

فقد جعل الله عز وجل الإيمانَ به جل شأنه وبرسوله ﷺ من حدوده ، فمن تعدّاها وخالفها وأنكرها فقد كفر ، والعياذ بالله تعالى .

نفي صفة الإيمان عمن لم يؤمن بالنبي الكريم ﷺ :

إن المؤمن هو من آمن بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ ، فمن لم يؤمن بذلك فليس بمؤمن ، لذا نفى الله تعالى صفةَ الإيمان أصلاً عمّن لم يؤمن بنبيِّه الكريم ﷺ ، كما توعَّد الله عز وجل هذا الذي لم يؤمن بالسّعير في نار جهنم ، لأنه كافر

---

(١) سورة الفتح (٨ ـ ٩).

(٢) سورة المجادلة (٤).

(٣) سورة المجادلة (٤).

سيُخلَّد في النار .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾[1] .

قرن الإيمان به ﷺ بالإيمان بالله تعالى :

إن من الملاحظ أن الأمرَ الإلهيَّ بالإيمان بالنبي الكريم ﷺ : جاء في غالب الآيات مقروناً بالإيمان بالله تعالى . وهذا أمر ضروري ، لأن ذلك هو التعبير الحقيقي عن الشهادتين (لا إله إلّا الله ، محمد رسول الله ﷺ) لأن الله تعالى ما أرسل رسوله ﷺ إلّا ليؤمنَ الناسُ به أنه رسول الله ﷺ ، فلو لم يكن الإيمانُ به مطلوباً ، وأساسَ دخول المرء في الإسلام : ما أرسله الله تعالى . ولما كانت الآياتُ كثيرةً في هذا الباب فإني أشير إلى بعضها .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ﴾ ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ ... ﴾ ﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ ﴾ ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ وكل ذلك يدل على مدى عناية الله تعالى برسوله الكريم ﷺ ، ومكانته ﷺ عند ربه تعالى .

فكما أن مقتضى الإيمان بالله تعالى يقتضي طاعتَه ـ أمراً ونهياً ـ والأخذَ بكل ما أنزله على نبيِّه الكريم ﷺ ـ ولا يكفي مجرّد التصديق بوجوده تعالى ، فكذلك الإيمان برسوله الكريم ﷺ يقتضي ذلك ، والله تعالى أعلم .

إدخال أهل الكتاب نار جهنم إذا لم يؤمنوا به ﷺ :

لقد أخبر النبي المصطفى الكريم ﷺ أنه لا يسمع به أحدٌ ـ بعد بعثته ـ من

---

(١) سورة الفتح (١٣).

يهودي أو نصراني أو غيرهم : ثم لم يؤمن به ﷺ وبما جاء به ، ولم يتبعه ، إلا دخل النار ؛ لأنه كافر يستحق الخلودَ فيها ، لمخالفته أمرَ الله تعالى له في كتابه الذي أنزله على رسوله الذي يتبعه ، والعهد الذي أخذه الله تعالى على رسوله من قَبلُ بالإيمان به ﷺ ونصرته ، وأَخَذَه رسولُهم عليهم بذلك .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم[1].

وفي رواية «والذي نفسُ محمد بيده ، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة ، ولا يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ،...» الحديث ، ثم ذكر مثله ، رواه أحمد وأبو عوانة والبغوي بسند على شرطهما[2]. وهو ضمن صحيفة همّام ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

فقد جاء بواو العطف . فيدخل في النص : العرب واليهود والنصارى .

لعن أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ :

لما خالف كثيرٌ من أهل الكتاب أَمْرَ الله عز وجل وأَمْرَ رسلهم عليهم السلام ؛ في اتِّباع النبي المصطفى الكريم ﷺ وفي الإيمان به : شنَّع الله تعالى عليهم ؛ لعلمه تعالى بما في نيّاتهم وقلوبهم ، وأن ما فعلوه من عدم الإيمان برسول الله ﷺ قد سبقه عصيان منهم ، وتولٍّ للكافرين ، ومخالفة لأنبيائهم ، لذا استحقّوا اللعن .

قال الله تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، رقم (٢٤٠).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٣١٧) ومسند أبي عوانة (١ : ٩٧ ، رقم ٣٠٧) وشرح السنة (١ : ١٠٤) وانظر صحيفة همّام (٤٠٩ ، رقم ٩١).

وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ * وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾[1].

فهؤلاء الكفار يتولون كثيراً من كفار أهل الكتاب ، ولو أنهم آمنوا بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ وما أنزله الله تعالى عليه من الآيات ؛ ما اتّخذوا هؤلاء الكفار أولياء ، لكنهم خارجون عن حكمه تعالى ، فاسقون في توليهم وكفرهم .

الإيمان به ﷺ ليس خاصّاً بالإنس فهو يشمل غيرهم أيضاً :

إن الإيمان بالنبيِّ الكريم ﷺ لم يكن مطلوباً من الإنس فحسب ، بل هو مطلوب من الجن أيضاً ، ومن لم يؤمن من الجن بالنبي الكريم ﷺ على أنه رسول الله ﷺ ، أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق ، ليُخرج الناسَ من الظلمات إلى النور بإذن الله تعالى : فله عذابٌ أليم .

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

---

(١) سورة المائدة (٧٨ ـ ٨١).

(٢) سورة الأحقاف (٢٩ ـ ٣٢).

فيخبر الله عز وجل على لسان هؤلاء النفر من الجن الذين صرفهم الله تعالى ليستمعوا القرآن منه ﷺ ـ بعد سماعهم القرآن الكريم وهو يتلوه ﷺ ، وتنصيت بعضهم لبعض ، ورجوعهم إلى قومهم منذرين ـ: أنهم طلبوا من قومهم الاستجابة للنبي الكريم ﷺ والإيمان به ، حتى يغفر الله تعالى لهم من ذنوبهم ، ويجيرهم من عذاب جهنم ، وأن الذي لا يستجيب لهذا الدّاعي ـ وهو رسول الله ﷺ ـ فليس بمعجز في الأرض ، وليس له من يجيره من العذاب ، لأنه في ضلال مبين .

لقد جعل الله تعالى جميعَ ما في هذا الكون ؛ من علوي وسفلي ، مشاهد وغير مشاهد ، من إنسان ومَلَك وجانٍّ ، من حيوان وجماد ونبات ، من ناطق وصامت ،... يعني ما بين السمٰوات السبع وبين الأرضين السبع وما بينها : إلا وهو يعلم أن هذا النبي المصطفى الكريم هو رسول الله ﷺ ، ويؤمن بذلك ، ولم يخالف في ذلك وينكره إلا الفسقة من الجن والإنس .

فعن جابر رضي الله تعالى عنهما قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر ، حتى دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار ، إذا فيه جملٌ لا يدخل الحائطَ أحدٌ إلا شدَّ عليه ،... الحديث بطوله ، وفي آخره : قال رسولُ الله ﷺ : «**إنه ليس شيءٌ بين السماء والأرض إلا يعلمُ أني رسولُ الله ، إلا عاصي الجن والإنس**». رواه أحمد والدارمي وابن أبي شيبة والطبراني وعبدُ بن حُميد والبزار ، وأبو نُعيم والبيهقي والتيمي ـ ثلاثتهم في دلائل النبوة ـ والضياء المقدسي .

ورواه أحمد والطبراني والبيهقي وصححه ـ بلفظه ـ من حديث يعلى بن مرة رضي الله تعالى عنه ، ورجالُ أحمد رجالُ الصحيح .

ورواه الطبراني برجال ثقات ـ وفي بعضهم ضعف ـ وأبو نعيم والتيمي والبيهقي ـ كلهم في الدلائل ـ من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بنحوه .

وقال الإمام البيهقي رحمه الله تعالى : هذه طرق جيدة متعددة تفيد غلبةَ الظن

أو القطع...اهـ[1].

ومن الملاحظ : أنهم ربطوا بين الاستجابة له ﷺ وبين الإيمان به ، وفي ذلك دلالة على الربط بين الإيمان والطاعة ، والله تعالى أعلم .

أمر الله تعالى المؤمنين بالإيمان برسوله الكريم ﷺ :

لقد أمر الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة بالإيمان به تعالى وبرسوله الكريم ﷺ على أنه رسول الله ﷺ . وليس المراد بالإيمان مجردَ التصديق ، لأنه لا يكفي ، بل المطلوب مستلزم الإيمان الذي رتّب عليه الثوابَ الكبير ، والأجرَ الجزيل ، والله تعالى أعلم .

قال الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾[2].

وقال الله تعالى : ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[3].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣١٠) وسنن الدارمي (١ : ١٩ رقم ١٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٧٣) ومسند عبد بن حُميد (٣٣٧ رقم ١١٢٢) وكشف الأستار (٣ : ١٥٠ ـ ١٥١) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٤٩١ ـ ٤٩٢) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٢٢ ـ ٢٣ ، ٢٦ ، ٣٠) ودلائل النبوة للتيمي (١٢٩ ، ١٥٨ رقم ١٣٩ ، ١٨٣) وانظر : كنز العمال (١١ : ٤١٧) والشمائل لابن كثير (٢٦٣ ـ ٢٦٤ ، ٢٧٠) ومجمع الزوائد (٩ : ٤ ـ ٧) وسبل الهدى والرشاد (٢ : ٣٩٢) والمعجم الكبير (١٢ : ١٥٥) (٢٢ : ٢٦١ ـ ٢٦٢) والأحاديث الطوال (٣٠٦ ـ ٣٠٧ رقم ٥٤) وعلامات النبوة (١٢٥ ـ ١٢٦).

(٢) سورة النساء (١٣٦).

(٣) سورة الحديد (٧).

وقال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

لذا أمر الله عز وجل عباده المؤمنين بالاستجابة لرسوله الكريم ﷺ إذا دعاهم ، لما فيه حياتهم ونجاتهم ، وهل يوجد أنجى من الإيمان ؟ كما أنهم لن يستجيبوا حتى يكونوا مؤمنين .

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[2].

فالإيمان موجود في نفوسهم ـ لأنه تعالى خاطبهم به ـ ومع هذا طلب منهم الاستجابة لأمره ﷺ .

الإيمان أفضل الأعمال :

لقد جعل النبي المصطفى الكريم ﷺ الإيمانَ بالله تعالى وبرسوله ﷺ : أفضلَ الأعمال على الإطلاق . لأنه هو الأساس الذي يُبنى عليه بناءُ الدِّين ، وما بعد هذا الركن فهو متفرِّع عنه ، أو مرتبطٌ به .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ سُئل : أيُّ العمل أفضل ؟ فقال : «إيمان بالله ورسوله» قيل : ثم ماذا ؟ قال : «الجهاد في سبيل الله» قيل : ثم ماذا ؟ قال : «حج مبرور». متفق عليه[3]. وقد ورد نحوُ ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

---

(١) سورة الحديد (٢٨).

(٢) سورة الأنفال (٢٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب من قال : الإيمان هو العمل ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ، رقم (١٣٥).

الدعاء إلى الإيمان أولاً ، والتعبير عنه بالشهادتين :

ولأهمية الإيمان ، وأنه المدخل الوحيد للدخول في الإسلام ،... كان النبي المصطفى الكريم ﷺ يأمر أصحابَه رضي الله تعالى عنهم إذا بعثهم للدعوة ؛ بما كان يفعله ﷺ نفسه ، وهو أن تكون الدعوة أولاً إلى الدخول في الإسلام ؛ بالنطق بالشهادتين ؛ اللتين هما المدخل الوحيد للدخول في حظيرة الإسلام ، وهذا ما بيّنه ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه حين أرسله إلى اليمن ، وكذا لوفد عبد القيس عندما قدموا المدينة .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال : «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمسَ صلوات في كل يوم وليلة ،...» الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

وقد ورد في بعض الروايات : عن ابن عباس ، عن معاذ بن جبل .

وفي رواية لهما[2] عنه رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله تعالى عنه إلى اليمن قال : «إنك تَقدَم على قومٍ أهلِ كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه : عبادة الله ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم ،...» الحديث بطوله .

والمراد بقوله ﷺ : «عبادة الله» توحيده تعالى ، والإذعان لرسوله ﷺ ، لأنه المبلِّغ عنه تعالى ، بعد الإيمان بالله عز وجل وبرسوله الكريم ﷺ ، والله تعالى

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، رقم (٢٩ ـ ٣٠).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣١).

أعلم .

لذا كان رسول الله ﷺ أولَ ما يأمر به : الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ ، لبيان أهميته ، وعلوِّ شأنه ، وأنه هو الأساس ؛ الذي بَعث الله تعالى به رسلَه عليهم السلام .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ـ في قصة قدوم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ وفيه ـ قال رسول الله ﷺ : «آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع : الإيمانِ بالله ، ثم فسرها لهم ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدّوا خمسَ ما غنمتم ،...» الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

فقد فسّر الإيمانَ بالإسلام . وهما لفظان كريمان ، بينهما تداخل ، فإذا ذُكرا معاً افترقا ، وإذا ذُكر أحدُهما دون الآخر عبّر عنه ، كما في هذا الحديث ، وفي غيره من النصوص ، فليكن على ذكر من القارئ الكريم .

ومن الملاحظ : أنه ﷺ أدخل العملَ في الإيمان ، وفي هذا دلالة على الإيمان ليس مجرد التصديق فحسب ، بل هو شامل للطاعة أمراً ونهياً أيضاً ، والله تعالى أعلم .

قتال الناس حتى يؤمنوا بالله تعالى وبرسوله ﷺ :

لما كان الإيمان هو الأصل ـ لأن الإنسان مخلوق على الفطرة ـ وأن الكفرَ طارئ ، بسبب الشيطان وأعوانه ـ وكون الرسول المصطفى الكريم ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وأنه لابد من إعادة من

(١) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب أداء الخمس من الدِّين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الإسلام ،... رقم (٢٣ ـ ٢٥).

شرد من حظيرة الإيمان إليها ،... ولأهمية الإيمان عند الله تعالى : فقد أعلن النبي المصطفى الكريم ﷺ أن الله عزوجل أمره أن يُقاتل الناسَ حتى يؤمنوا بالله تعالى الواحد الأحد ، وبه ﷺ نبيّاً ورسولاً ، ويلتزموا بذلك . ويشهدوا أن لا إله إلّا الله ، وأن محمداً رسول الله . وأخبر ﷺ أن من شهد بذلك ؛ يكون قد عصم دمَه وأموالَه وعرضَه ، إلّا بحقِّها ، وحسابه على الله تعالى .

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : «أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك ، فقد عصموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها ، وحسابُهم على الله». متفق عليه[١].

فعطف تلك الفروع على الشهادتين : دلالةٌ على دخولها في الإيمان ، الدّال على وجب الطاعة ، وليس القصد مجرّد التصديق ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، ويؤمنوا بي ، وبما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك ؛ فقد عصموا مني دماءَهم وأموالَهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله». متفق عليه[٢].

وعنه رضي الله تعالى قال : لما تُوفِّي رسولُ الله ﷺ ، واستُخلِف أبو بكر بعده ، وكفر من كفر من العرب . قال عمر بنُ الخطاب لأبي بكر : كيف تقاتل الناسَ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ...﴾. وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويقيموا الصلاة ،... رقم (٣٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب دعاء النبيّ ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة ،... وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٣ ـ ٣٥).

وقد قال رسولُ الله ﷺ : «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله ؛ فقد عصم مني مالَه ونفسَه ، إلا بحقه ، وحسابُه على الله». متفق عليه[1].

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوا : لا إله إلا الله ؛ عصموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله» ثم قرأ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[2]. رواه مسلم[3].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أُمرتُ أن أقاتلَ الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها ، وصلُّوا صلاتَنا ، واستقبلوا قبلتَنا ، وذبحوا ذبيحتَنا ، فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالُهم إلا بحقِّها ، وحسابُهم على الله». رواه البخاري[4].

والحديث مروي أيضا من طرق كثيرة غير ما ذكرتُ .

وقد عبّر في الحديثين الأولين [حديثي ابن عمر وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم] بالشهادة «حتى يشهدوا...» وهي أعمق من القول ، لأن الشهادة بالتوحيد وبرسالة سيدنا محمد ﷺ تنفي كلَّ ما يعارضها ويخالفها ، ولهذا كانت الشهادتان أول ما يدعو إليه النبي الكريم ﷺ ، كما مر في الفقرة السابقة . وهذا ما عرضه ﷺ على عمه أبي طالب عند وفاته .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب وجوب الزكاة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٢).

(٢) سورة الغاشية (٢١ ـ ٢٢).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٥).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب فضل استقبال القبلة ،...

فعن المسيِّب بن حَزْن رضي الله تعالى عنهما قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة ؛ جاءه رسولُ الله ﷺ ، فوجد عنده أبا جهل بنَ هشام وعبدَ الله بنَ أبي أمية بن المغيرة . قال رسول الله ﷺ لأبي طالب : «يا عم ؛ قل لا إله إلا الله ، كلمةً أشهد لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبدُ الله بنُ أبي أمية : يا أبا طالب ؛ أترغبُ عن ملةِ عبد المطلب ؟ فلم يزل رسولُ الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال رسولُ الله ﷺ : «أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله تعالى فيه : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ . متفق عليه[1].

فمن قال : (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) فقد عصم ـ في الدنيا ـ دمَه ومالَه ونفسَه إلا بحقها ، وحسابه على الله تعالى فيما سوى ذلك . وأما في الآخرة فلا يخلّد في النار ، لكنه يدخلها إذا قصّر في الأعمال ، ويبقى فيها على قدر عصيانه .

وأما الاقتصار ـ في الأحاديث الأخيرة ـ على جملة (لا إله إلّا الله) فقط : فهذا لا يضر ، وليس مخالفاً لوجود الجملة الثانية (محمد رسول الله) لأن هذا من باب الاختصار ، لأن من شهد لله تعالى بالألوهية شهد للنبي الكريم ﷺ بالرسالة ، ولهذا كثيراً ما يرد ـ في القرآن الكريم وفي السنة النبوية ـ الاقتصار على ركنين من أركان الإيمان ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وَ ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وَ ﴿مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وَ ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب إذا قال المشرك عند الموت : لا إله إلا الله ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ،... رقم (٣٩ـ ٤٠).

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وَ ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ في آيات كثيرات . «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر». متفق عليه ، في أحاديث كثيرة . مع أن أركان الإيمان ستة ، كما هو معلوم .

زيادة ثواب الكتابي إذا آمن به ﷺ :

لقد أخبر رسول الله ﷺ أن الكتابيّ إذا كان مؤمناً بنبيِّه السابق ـ موسى أو عيسى على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ـ ثم آمن به ﷺ واتَّبعه وصدَّقه ؛ فإن الله تعالى يضاعف له الأجرَ مرتين .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «ثلاثةٌ يُؤتَوْن أجرَهم مرتين ؛ رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيِّه وأدرك النبيَّ ﷺ فآمن به واتّبعه وصدّقه ،...» الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

ولا يكون الإيمان ببعض ما جاء به ﷺ ، لأن مثل هذا لا يمكن أن يكون اتِّباعاً ، والله تعالى أعلم .

الشهادة لرسول الله ﷺ تكفي للدلالة على الإيمان :

لقد أخبر رسول الله ﷺ أن من أعلن إيمانه بالله تعالى وبرسالة رسوله الكريم ﷺ فهو مؤمن ، لذا جاز إعتاق من كان هذا حاله ، لمن عليه إعتاق رقبة مؤمنة .

فعن معاوية بن الحكم السُّلمي رضي الله تعالى عنه قال : ...كانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبَلَ أُحُدٍ والجوّانيَّة[2] فاطّلعتُ ذاتَ يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاةٍ منها ، وأنا رجل من بني آدم ، آسف كما يأسفون ، لكني صككتُها صكَّةً . فأتيتُ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب تعليم الرجل أمتَه وأهله ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ، رقم (٢٤١).

(٢) منطقة بجوار جبل أحد ، في المدينة المنورة .

رسول الله ﷺ ، فعظَّم ذلك عليَّ . قلت : يا رسول الله ، أفلا أعتقُها ؟ قال : «ائتني بها» فأتيتُه بها . فقال لها : «أين الله ؟» قالت : في السماء . قال : «من أنا ؟» قالت : أنتَ رسولُ الله . قال : «أعتقها ، فإنها مؤمنة». رواه مسلم[1].

وعن الشَّرِيد بن سُويد الثقفيِّ رضي الله تعالى عنه ، أن أُمّه أوصت أن يُعتقَ عنها رقبة مؤمنة . فقال : يا رسول الله ، إن أمي أوصت أن يعتق عنها رقبة مؤمنة ، وعندي جاريةٌ نوبيةٌ سوداءُ . فقال : «ادْع بها» فجاء بها ، فقال لها النبي ﷺ : «من ربُّكِ ؟» قالت : الله . قال : «من أنا ؟» قالت : أنت رسولُ الله . قال : «أعتقها ، فإنها مؤمنة». رواه أحمد وأبو داود والنسائي والطبراني والبيهقي ، وصححه ابن حبان[2].

ففي هذه الأحاديث دليل على أن من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو مؤمن ، إذا كان قلبُه مصدّقاً لما ينطق به لسانه .

كما فيه دليل على أن من شهد بهذه الشهادة جاز عتقُه عمّن عليه رقبة مؤمنة ، وإن لم يكن صام وصلى ، كما قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى[3]، والله تعالى أعلم .

إطلاق الإيمان على من يأت ببعض أجزائه :

إن بعض الأحاديث التي وردت عن النبي المصطفى الكريم ﷺ قد أطلقت

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب تحريم الكلام في الصلاة ، ونسخ ما كان من إباحة ، رقم (٣٣).

(٢) مسند أحمد (٤ : ٢٢٢ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩) وسنن أبي داود : كتاب الأيمان والنذور : باب الرقبة المؤمنة ، رقم (٣٢٨٣) وسنن النسائي : كتاب الوصايا : باب فضل الصدقة عن الميت (٦ : ٢٥٢) والسنن الكبرى له (٤ : ١١٠) وسنن الدارمي (٢ : ١٠٧ ـ ١٠٨) والمعجم الكبير (٧ : ٣٨٣) وصحيح ابن حبان (١ : ٤١٨ ـ ٤١٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٧ : ٣٨٨ ـ ٣٨٩).

(٣) انظر : التمهيد (٩ : ١١٦ ـ ١١٧).

لفظ الإيمان على من أتى ببعض أجزاء الإيمان وشُعَبه ، وكذا أطلق وصف الإيمان على بعض شعب الإيمان وأجزائه ، وهذا باب واسع جدّاً ، لذا سأشير إلى بعض الروايات ذاكراً موطن الشاهد ، من غير تفصيل .

«من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة». رواه مسلم ، من حديث عثمان رضي الله تعالى عنه ، وسيأتي .

«من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرّم الله عليه النار». رواه مسلم ، من حديث عُبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه ، وسيأتي .

ولما سئل ﷺ أي العمل أفضل ؟ قال : «إيمان بالله ورسوله». متفق عليه ، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وقد سبق ذكره .

«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ،...». رواه البخاري

وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : «لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربع : حتى يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ؛ بعثني بالحق ، وحتى يؤمن بالبعث بعد الموت ، وحتى يؤمن بالقدر». رواه الطيالسي وأحمد والترمذي وعبد بن حُميد والبزار وأبو يعلى ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[1] .

فقد ذكر في الحديث : أربعةَ أركان من أركان الإيمان ، بينما ذكر في الحديث الثالث مستلزَماً من مستلزمات الإيمان .

---

(١) مسند الطيالسي (١٧ رقم ١٠٦) ومسند أحمد (١ : ٩٧ ، ١٣٣) وسنن الترمذي : كتاب القدر : باب ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره ، رقم (٢١٤٥) وسنن ابن ماجه : المقدمة : باب في القدر ، رقم (٨١) ومسند عبد بن حُميد (٥٤ رقم ٧٥) وصحيح ابن حبان (١ : ٤٠٤ ـ ٤٠٥) والمستدرك (١ : ٣٢ ـ ٣٣ ، ٣٣) وشرح السنة (١ : ١٢٢) ومسند أبي يعلى (١ : ٢٩٠ ، ٣٠٧ ـ ٣٠٨ ، ٤٣٨) والبحر الزخار (٣ : ١١٦) وتاريخ بغداد (٣ : ٣٦٦) والمختارة (٢ : ٦٤ ـ ٦٨ من طرق) وتاريخ أصفهان (١ : ٩٧).

الإيمان به ﷺ هو ركن أساسي في الإيمان :

لقد جعل الله تعالى ونبيُّه المصطفى الكريمُ ﷺ للإيمان أركاناً ، لا يتم إلا بها ، فمن أتى بها كلّها فقد سعد ، ومن أخلّ بركن منها ـ فلم يؤمن به ـ لم يصح إيمانه ، وكان دينه ناقصاً بقدر نقصانه منها . والأحاديث النبوية في هذا الباب كثيرة ، لكن أقتصر على ذكر حديثين فقط .

عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : بينا نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياض الثياب ، شديد سواد الشَّعَر ، لا يُرى عليه أثرُ السفر ، ولا يعرفُه منا أحدٌ ، حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه .

وقال : يا محمد ؛ أخبرني عن الإسلام ؟ فقال رسول الله ﷺ : «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيمَ الصلاة ، وتؤتيَ الزكاة ، وتصومَ رمضان ، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلا» .

قال : صدقتَ . قال : فعجبنا له يسأله ويصدِّقه .

قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : «أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر خيره وشره» قال : صدقتَ .

قال : فأخبرني عن الإحسان ؟ قال : «أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»... الحديث بطوله ، رواه مسلم[1] .

وقد رواه الشيخان[2] من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بنحوه .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، رقم (١ ـ ٤) .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب سؤال جبريل النبيَّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥ ـ ٧) .

فقد جعل الشهادةَ له ﷺ في المقام الأول من أركان الإسلام ، وجعلها قبل بقية العبادات ، لأنها لا تصح إلّا بوجود الإيمان بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ ، فهما الأساس الذي يقوم عليه الدّين ، والله تعالى أعلم .

الامتحان ـ في القبر ـ بالنبي ﷺ من قِبَل منكر و نكير :

إذا وُضع المتَوَفّى في قبره ؛ سأله الملكان ـ منكَرٌ ونكيرٌ ـ عن النبي الكريم ﷺ ، فإن كان مؤمناً مطيعاً ثبّته الله تعالى ، فأجاب صواباً ، فيسعد . وإن كان كافراً أو منافقاً شقي ، فلم يحر جواباً ، لذا يهلك ، والعياذ بالله تعالى .

وقد تواترت الأحاديث في ذلك ، لكن أقتصر على ذكر بعضها[1].

فعن أنس رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «إن العبد إذا وُضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ـ وإنه ليسمع قرعَ نعالهم ـ إذا انصرفوا ـ أتاه الملكان ، فيقعدانه ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار ؛ أبدلك الله به مقعداً من الجنة . قال النبي ﷺ فيراهما جميعاً».

ـ قال قتادة : وذُكر لنا أنه يُفسح له في قبره ـ ثم رجع إلى حديث أنس ـ.

«وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنتَ تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري كنتُ أقول ما يقول الناس فيه ، فيقال : لا دريتَ ولا تليتَ . ويضرب بمطارق من حديد ـ ضربةً بين أذنيه ـ فيصيح صيحة يسمعها من يليه غيرَ الثقلين» . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

(١) انظر : تنبيه الذات بهادم اللذات ، فقد ذكرت كثيراً من الأحاديث في ذلك .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب الميت يسمع خفق النعال ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر ، رقم (٧٠ ـ ٧٢).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا قُبر الميت ـ أو قال أحدكم ـ أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما : المنكر ، وللآخر : النكير ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : ما كان يقول : هو عبد الله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا . ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ، ثم ينوَّر له فيه ، ثم يقال له : نم . فيقول : أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نم كنومة العروس الذي لا يوقظها إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك .

وإن كان منافقاً قال : سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله ، لا أدري ، فيقولان : كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : التئمي عليه ، فتلتئم عليه ، فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها معذَّباً ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك». رواه الترمذي وحسنه ، وابن أبي عاصم والآجري والبيهقي ، وصححه ابن حبان[1] . وشاهده ما سبق . وستأتي رواية أخرى له .

وعن أسماء رضي الله تعالى عنها قالت : خَسفت الشمسُ على عهد رسول الله ﷺ ، فدخلتُ على عائشة وهي تصلي . فقلت : ما شأن الناس يصلّون ؟ فأشارت برأسها إلى السماء . فقلت : آية ؟ قالت : نعم ، فأطال رسول الله ﷺ القيامَ جدّاً حتى تجلّاني الغَشْيُ ،... فانصرف رسول الله ﷺ وقد تجلَّت الشمسُ ، فخطب رسول الله ﷺ الناسَ ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : «ما من شيء لم أكن رأيتُه إلا قد رأيتُه في مقامي هذا ، حتى الجنةَ والنارَ ، وإنه قد أوحي إلَيَّ أنكم

---

(١) سنن الترمذي : كتاب الجنائز : باب ما جاء في عذاب القبر ، رقم (١٠٧١) والسنة لابن أبي عاصم (١ : ٥٩٦ ـ ٥٩٧ رقم ٨٩٠) وصحيح ابن حبان (٧ : ٣٨٦) والشريعة (٣ : ١٢٨٨ رقم ٨٥٨) وإثبات عذاب القبر (٥٦) والترغيب والترهيب (٦ : ١٦٨).

تُفتنون في القبور قريباً أو مثلَ فتنة المسيح الدّجّال ، فيُؤتى أحدُكم ، فيقال : ما علمُك بهذا الرجل ؟

فأما المؤمن أو الموقن فيقول : هو محمد ، هو رسولُ الله ، جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا وأطعنا ، ثلاثَ مرار . فيقال له : نم ، قد كنا نعلم إنك لتؤمن به . فنم صالحاً .

وأما المنافق أو المرتاب فيقول : لا أدري ، سمعت الناسَ يقولون شيئاً فقلتُه». متفق عليه[1].

وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ، ولمّا يُلحَد ، فجلس رسول الله ﷺ ، وجلسنا حوله ، كأن على رؤوسنا الطير ،... الحديث بطوله ، وفيه :

قال [عن المؤمن] : «فتعاد روحه في جسده . فيأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له : من ربُّك ؟ فيقول ربي الله . فيقولان له : ما دينُك ؟ فيقول : ديني الإسلام . فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله ، وآمنت به ، وصدَّقتُ ، فينادي منادٍ في السماء : أن قد صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وأَلْبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة .

قال : فيأتيه من رَوحها وطِيبها ، ويُفسح له في قبره مَدَّ بصره ،...

[ثم قال عن الكافر] فتعاد روحه في جسده . ويأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له : من ربُّك ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، قال : فيقولان له : ما دينُك ؟

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة الكسوف : باب ما عرض على النبيِّ ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنةوالنار ، رقم (١١ ، ١٢).

فيقول : هاه هاه لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه ، لا أدري ، فينادي منادٍ من السماء أن كذب ، فأفرشوا له من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار . فيأتيه من حرِّها وسمومها ، ويُضيَّق عليه قبرُه ، حتى تختلف فيه أضلاعه...» الحديث بطوله ، رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة وهناد وأبو داود والطبري والروياني وأبو عوانة والبيهقي ، وصححه الحاكم والبيهقي وابن منده وابن القيم والهيثمي وابن حجر[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : شهدتُ مع رسول الله ﷺ جنازةً ، فقال رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس ؛ إن هذه الأمةَ تبتلى في قبورها ، فإذا الإنسان دُفن ، فتفرَّق عنه أصحابُه ، جاءه ملَكٌ في يده مطراقٌ ، فأقعده . قال : ما تقول في هذا الرجل ؟

فإن كان مؤمناً قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبدُه ورسولُه ، فيقول : صدقتَ . ثم يُفتحُ له باب إلى النار ، فيقول : هذا كان منزلَك لو كفرتَ بربِّك ، فأمّا إذ آمنتَ فهذا منزلُك ، فيُفتحُ له بابٌ إلى الجنة ، فيريد أن ينهض إليه ، فيقول له : اسكن ، ويُفسحُ له في قبره .

وإن كان كافراً أو منافقاً ؛ يقول له : ما تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٢٨٧ ، ٢٩٥ ـ ٢٩٦) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في المسألة في القبر وعذاب القبر ، رقم (٤٧٥٣) ومسند الطيالسي (١٠٢ ـ ١٠٣ رقم ٧٥٣) ومصنف ابن أبي شيبة (٣ : ٣٨٠ ـ ٣٨٢) والزهد لهناد (١ : ٢٠٥ ـ ٢٠٦) وتهذيب الآثار (السفر الثاني رقم ٧١٨ ـ ٧٢٣ من طرق) والشريعة (٣ : ١٢٩٤ ـ ١٢٩٩) ومسند الروياني (١ : ٢٦١ ـ ٢٦٧) والإيمان (٣ : ٩٤١ ـ ٩٤٤) والسنة لعبد الله بن أحمد (٢ : ٦٠٢ ـ ٦٠٨) والمستدرك (١ : ٣٧ ـ ٤٠ من طرق) وإتحاف المهرة (٢ : ٤٥٩) وشعب الإيمان (١ : ٣٥٥ ـ ٣٥٧) وإثبات عذاب القبر (٢١ ، ٢٧) ومجمع الزوائد (٣ : ٤٩ ـ ٥٠) وانظر : ومجموع الفتاوى (٤ : ٢٩٠) والروح (٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٧٦) وتهذيب السنن (٤ : ٣٣٧) وفتح الباري (٣ : ٢٣٤).

أدري ، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً ، فيقول : لا دريتَ ولا تليتَ ولا اهتديتَ . ثم يُفتحُ له بابٌ إلى الجنة ، فيقول : هذا منزلُك لو آمنتَ بربك ، فأمّا إذ كفرتَ به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا ، ويُفتحُ له بابٌ إلى النار ، ثم يقمعه قمعةً بالمطراق يسمعها خلقُ الله كلُّهم غيرَ الثقلين».

فقال بعضُ القوم : يا رسول الله ؛ ما أحدٌ يقوم عليه ملَكٌ في يده مطراقٌ إلا هِيلَ عند ذلك . فقال رسول الله ﷺ : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾. رواه أحمد والبزار وابن أبي عاصم برجال الصحيح[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : «إن هذه الأمةَ تُبتلى في قبورها ، فإذا أُدخل المؤمنُ قبرَه ، وتولّى عنه أصحابُه ، جاء ملَكٌ شديدُ الانتهار ، فيقول له : ما كنتَ تقول في هذا الرجل ؟ فيقول المؤمن : أقولُ : إنه رسول الله ﷺ وعبدُه . فيقول له الملَكُ : انظر إلى مقعدكَ الذي كان لك في النار ، قد أنجاك الله منه ، وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدَك الذي ترى من الجنة ، فيراهما كلاهما . فيقول المؤمن : دعوني أُبشِّرْ أهلي . فيقال له : اسكن .

وأما المنافق ، فيُقعدُ إذا تولّى عنه أهلُه ، فيقال له : ما كنتَ تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، أقول ما قال الناسُ . فيقال له : لا دريتَ ، هذا مقعدُك الذي كان لك من الجنة ، قد أُبدلتَ مكانه مقعدَك من النار».

قال جابر : فسمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : «يُبعثُ كلُّ عبدٍ في القبر على ما مات ؛ المؤمنُ على إيمانه ، والمنافقُ على نفاقه». رواه عبد الرزاق وأحمد وابن أبي عاصم

(١) مسند أحمد (٣ : ٣ ـ ٤) وكشف الأستار (١ : ٤١٢ ـ ٤١٣) والسنة (١ : ٥٩٧ ـ ٥٩٨) وتفسير الطبري (١٦ : ٥٩١ ـ ٥٩٢) ومجمع الزوائد (٣ : ٤٧ ـ ٤٨) وعزاه في الدر المنثور لآخرين ، وقوله : «هيل» من الهول ، وهو الفزع الشديد .

والطبراني ، وإسناد أغلبهم صحيح[1].

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

ولا شك أن في هذا المشهد المرعب المخيف ، وسؤال هذين الملكين ؛ يكون الامتحان والابتلاء ، والسعيد من ثبته الله تعالى . أسأله تعالى الثبات .

قال ابن أبي عاصم رحمه الله تعالى : وفي المساءلة أخبارٌ ثابتة ، والأخبارُ التي في المساءلة في القبر منكَر ونكير : أخبار ثابتة ، توجب العلمَ ، فنرغبُ إلى الله أن يثبّتنا في قبورنا عند مسألة منكر ونكير ، والقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.اهـ.

فلولا إيمان من آمن ما استطاع أن يجيب ، لأن الله تعالى ثبَّتَه ، والتثبيتُ ـ كما سيأتي ـ خاصٌّ بالمؤمنين ، أما غيرهم فلا ، والعياذ بالله تعالى . أسأله عز وجل الثبات ، وإطلاق اللسان ، واستحضار اليقين والإيمان .

تثبتت المؤمن في الامتحان في القبر ، وهو من فضل الله تعالى :

إن من فوائد الإيمان ومردوده على صاحبه : أنه إذا وُضع في قبره ، وجاءه الملكان ، ليسألانه ويمتحنانه ، فإن الله تعالى يثبّته ، ثبّتنا الله عز وجل والمسلمين جميعاً بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .

إن الثبات في القبر عند سؤال منكر ونكير هو من فضل الله عز وجل ، ورحمته بعبده المؤمن ، وإلا فإن الملَك الذي يأتيه بمنظره المرعب والمخيف ، وانتهاره له ، وما يحمله بيده من المطرقة التي لو ضرب بها الجبال لساخت : كفيلٌ بزعزعة القلوب ، وزوال الصواب منها ، ولكن الله تعالى هو الكفيلُ بحفظ عبده الضعيف المفتقر إلى رحمته في تلك الساعة ، أسأله تعالى الثبات عند

(١) مصنف عبد الرزاق (٣ : ٥٨٥ ـ ٥٨٦) ومسند أحمد (٣ : ٣٤٦) والمعجم الأوسط (٩ : ٣٨ـ٣٩) والسنة (١ : ٥٩٩ مختصراً) ومجمع البحرين (٢ : ٤٤٢) ومجمع الزوائد (٣ : ٤٨).

الموت ، وعند السؤال ، إنه جواد رحيم .

فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي ﷺ قال : «إذا أُقعد المؤمن في قبره ؛ أُتي ، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾[1] .

قال : نزلت في عذاب القبر .

وفي رواية عنه رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «المسلم إذا سئُل في القبر يشهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ .

وفي رواية ثالثة عنه رضي الله تعالى عنه قال : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ نزلت في عذاب القبر ، يُقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، ونبيي محمد ﷺ» . متفق عليه[2] .

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن النبي ﷺ قال : «إن العبدَ إذا وضُع في قبره ، وتولّى عنه أصحابُه - وإنه ليسمع قرعَ نعالهم إذا انصرفوا - أتاه المَلَكان ، فيُقعدانه ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدُ الله ورسوله . فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار ؛ أبدلك الله به مقعداً من الجنة . قال النبيُّ ﷺ : فيراهما جميعاً» .

قال قتادة : وذُكِر لنا أنه يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً ، ويُملأ عليه خَضِراً إلى يوم يبعثون . متفق عليه ، وقد سبق ذكره قبل قليل .

---

(١) سورة إبراهيم (٢٧) .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب ما جاء في عذاب القبر ، وكتاب التفسير : سورة إبراهيم : باب ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ . وصحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ،... رقم (٧٣ ، ٧٤) .

والأحاديث في هذا كثيرة ، ذكرتُ جملةً منها في (تنبيه الذات بهادم اللذات).

فقد قيّد الله عز وجل ورسولُه ﷺ التثبيتَ بالإيمان ـ الذي فسَّره النبي الكريم ﷺ بقوله : «يشهد أن لا إله إلّا الله ، وأن محمداً رسول الله» ففي هذا دلالة على علو منزلة الإيمان النافع للعبد ، والله تعالى أعلم .

تحريم دخول المؤمن النار ، وعدم خلوده فيها :

لما كان الإيمان هو أساس الدِّين ، وعليه تُبنى صحةُ جميع الأحكام ، وأن المؤمن قد أطاع الله تعالى في أحب ما يريده الله تعالى وهو الإيمان ، ولم يتصف في أبغض ما يكرهه الله تعالى وهو الكفر والنفاق ، لذا فإن الله تعالى قد أعطى لهذا المؤمن عهداً أن يدخله الجنة ، وأنه عز وجل حرَّمه على النار . طالما كان كاملَ الإيمان ، أما إذا كان ضعيفَ الإيمان ، وكثرت معاصيه فإن الله تعالى إذا أدخله النار فلن يخلِّده فيها ، لأن الله تعالى جعل الخلودَ في النار للكافرين ، كما سيأتي في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى(١).

فعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، حرَّم الله عليه النارَ». رواه مسلم(٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إني لأعلم كلمةً لا يقولها عبدٌ حقّاً من قلبه ، فيموت على ذلك ؛ إلا حرَّمه الله على النار : لا إله إلا الله». رواه أحمد ، وصححه ابن حبان والحاكم ، ووافقه الذهبي(٣).

---

(١) انظر كتاب (الشفاعة) فقد ذكرت نصوصاً كثيرة في خلود المؤمنين في الجنة ، وخلود الكفار في النار .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، رقم (٤٧).

(٣) مسند أحمد (١ : ٦٣) وصحيح ابن حبان (١ : ٤٣٤) والمستدرك (١ : ٧٢) وحلية =

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ ﷺ ـ ومعاذٌ رديفُه على الرَّحْل ـ قال : «يا معاذ بنَ جبل» قال : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : «يا معاذُ» قال : لبيك يا رسول الله وسعديك (ثلاثاً) قال : «ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسولُ الله صدقاً من قلبه ؛ إلا حرَّمه الله على النار» قال : يا رسول الله ؛ أفلا أخبرُ به الناسَ فيستبشروا ؟ قال : «إذاً يتَّكِلوا» وأخبر بها معاذٌ عند موته تأثُّماً . رواه البخاري[1].

فقوله : وأخبر بها معاذ عند موته تأثُّماً : أي خشية الوقوع في الإثم ، من كتم العلم ، وصنيعُ إخبار معاذٍ رضي الله تعالى عنه بها عند موته ؛ على أنه عرف أن النهيَ عن التبشير ليس على التحريم ، إنما هو للتنزيه ، وإلا لما أخبر به أصلاً[2]، والله تعالى أعلم .

وعن عتبان بن مالك رضي الله تعالى عنه ـ في قصة صلاة رسول الله ﷺ عنده ، وفيه ـ : قال رسول الله ﷺ : «لا يشهد أحدٌ أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، فيدخلَ النارَ ، أو تَطعمَه». رواه مسلم[3].

وعن أبي عَمْرة الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع النبيِّ ﷺ في غزوة ، فأصاب الناسَ مخمصةٌ شديدةٌ ،... وفيه قصة جمع أزوادهم ودعاء النبي المصطفى الكريم ﷺ بما شاء أن يدعو ، فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه ، وبقي مثلُه ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ، ثم قال : «أشهد أن لا

= الأولياء (٢ : ٢٩٦).

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا .

(٢) انظر فتح الباري (١ : ٢٢٧).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنةَ قطعاً ، رقم (٥٤ ، ٥٥).

إله إلا الله ، وأشهد أني رسولُ الله ، وأشهد عند الله لا يلقاه عبدٌ مؤمن بهما إلا حجبتاه عن النار يوم القيامة». رواه ابن المبارك وأحمد والنسائي والطبراني ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يدخلُ النارَ من كان في قلبه مثقالُ حبَّةٍ خردلٍ من إيمان ، ولا يدخلُ الجنةَ من كان في قلبه مثقالُ حبّةٍ خردلٍ من كِبْرياء». رواه مسلم(٢).

والنصوص في ذلك كثيرة والحمد لله رب العالمين .

ويلاحظ أن في كل الأحاديث : أن من شهد للنبيّ ﷺ بالرسالة ؛ فإنه لا يدخل النار أصلاً ، أما إذا كان عاصياً ، فإنه يدخلها ويلاقي فيها من العذاب حسبَ ذنوبه ، ثم يخرج منها ، ويدخل الجنة ، لأن المؤمن لا يُخلد في النار ، كما أن الكافر لا يدخل الجنة ، إنما يدخل النار ، وهو الذي يخلّد فيها ، والله تعالى أعلم(٣).

وفي هذا دلالة على أن مجردَ الإيمان لا يكفي ، بل لا بد من الطاعة ، حتى لا يدخل النار أصلاً ، أما إذا وُجد الإيمان ولم توجد الطاعة فإنه يدخل النار ويُعذّب فيها ثم يخرج منها بالشفاعة ، كما أوضحته الأحاديثُ الكثيرةُ ، وذكرت

(١) الزهد (٣٢١ رقم ٩١٧) ومسند أحمد (٣ : ٤١٧ ـ ٤١٨) والسنن الكبرى (٦ : ٢٧٩ ـ ٢٨٠) وعمل اليوم والليلة (١١٤٠) والمعجم الكبير (١ : ١٨٠ ـ ١٨١) والمعجم الأوسط (١ : ٢٦ ـ ٢٧) وكتاب التوحيد (٢ : ٨٠٤ ـ ٨٠٦ من طرق) وصحيح ابن حبان (١ : ٤٥٤ ـ ٤٥٥) والمستدرك (٢ : ٦١٨ ـ ٦١٩) ودلائل النبوة (٦ : ١٢١) ومجمع الزوائد (١ : ١٩ ـ ٢٠) ومجمع البحرين (٢ : ٥٨ ـ ٥٩).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب تحريم الكبر وبيانه ، رقم (١٤٨).

(٣) انظر ما كتبته في هذا الموضوع : (الشفاعة) حيث ذكرتُ خلودَ المؤمن المطيع في الجنة ، وخلودَ الكافر في النار ، ودخول المؤمن العاصي في النار ، ثم خروجه منها برحمة الله تعالى ، وبالشفاعة ، سواء من المؤمنين ، أو من النبي المصطفى الكريم ﷺ .

ذلك مفصّلاً في كتاب (الشفاعة) والله تعالى أعلم .

من مات مؤمناً بالله تعالى وبرسوله ﷺ غُفرت له ذنوبه :

ومن فضائل الإيمان وثمرته : أن من مات على الإيمان ، وشهادة أن لا إله إلّا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ غُفرت له ذنوبه .

فعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما على الأرض نفسٌ تموت لا تُشركُ بالله شيئاً ، وتشهد أني رسول الله ، يرجع ذلك إلى قلبٍ موقنٍ ، إلا غُفِر له». رواه الحميدي وأحمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة ، وصححه ابن حبان والحاكم[1].

ذلك لأن الشرك يتعارض مع الإيمان ، لذا من مات وهو مؤمن موقنٌ غيرُ مشرك : غفر الله تعالى له ذنوبَه مهما كانت .

من لقي الله تعالى على الإيمان دخل الجنة :

لما كان الإيمان بمستلزماته هو الأصل ، وأنه الأساس الذي يُبنى عليه بناءُ الدِّين ، وجميعُ العبادات وكثيرٌ من المعاملات لا تصح أو لا تنعقد إلا بعد وجوده ، لذا فمن مات عليه : دخل الجنة ، وأُكرم بالخلود فيها ، لأن الذي يدخلها لا يخرج منها ، ولو كان ناقصَ العمل ، لكن يتفاوت مع غيره من الداخلين فيها بالأعمال ، فمن كثرت أعمالُه الصالحة كان أعلى من غيره

فعن عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : «من

---

(١) مسند الحميدي (١ : ١٨١ ـ ١٨٢) ومسند أحمد (٥ : ٢٢٩) وعمل اليوم والليلة (٦٠٥ ـ ٦٠٧) وسنن ابن ماجه : كتاب الأدب : باب فضل لا إله إلا الله ، رقم (٣٧٩٦) وصحيح ابن حبان (١ : ٤٣٢ ـ ٤٣٣) وكتاب التوحيد لابن خزيمة (٢ : ٧٩٢ ـ ٧٩٣) والبحر الزخار (٧ : ٧٥ ـ ٧٦ من طرق) ومسند الشاشي (٣ : ٢٣٦ ـ ٢٣٧) والمعجم الكبير (٢٠ : ٤٥ ـ ٤٦ من طرق) وكتاب الدعاء له (٣ : ١٤٨٢ ـ ١٤٨٤ من طرق) والمستدرك (١ : ٨).

مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة». رواه مسلم[1].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه قال : أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو نائم ، وعليه ثوبٌ أبيض ، ثم أتيتُه فإذا هو نائم ، ثم أتيتُه وقد استيقظ ، فجلستُ إليه ، فقال : «ما من عبدٍ قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» قلتُ : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : «وإن زنى وإن سرق» قلتُ : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : «وإن زنى وإن سرق» ثلاثاً . ثم قال في الرابعة : «على رغم أنف أبي ذر» قال : فخرج أبو ذرٍّ وهو يقول : وإن رغم أنفُ أبي ذر . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع النبيِّ ﷺ في مسير ، قال : فنفِدت أزوادُ القوم ، حتى همَّ بنحر بعضِ حَمائلهم ، قال : فقال عمر : يا رسول الله ؛ لو جمعتَ ما بقي من أزواد القوم ، فدعوتَ الله عليها . قال : ففعل . قال : فجاء ذو البُرِّ ببُرِّه ، وذو التَّمْر بتَمْرِه ،... قال : فدعا عليها ، حتى ملأ القومُ أزودتَهم . قال : فقال : ـ أي النبي ﷺ ـ عند ذلك : «أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما ، إلا دخل الجنة». رواه مسلم[3].

وعن رِفاعةَ بنِ عَرابةَ الجهني رضي الله تعالى عنه قال : صدرنا مع رسول الله ﷺ من مكة ،... الحديث ، وفيه : فقام رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه ـ

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، رقم (٤٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب اللباس : باب الثياب البيض ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ،... رقم (١٥٤).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ، رقم (٤٤ ، ٤٥) وانظر فيه رقم (٥٢) حيث أرسله رسول الله ﷺ ليبشر مَن وراء الجدار ، لكن رواه ابن حبان (١ : ٣٦٣ ـ ٣٦٤) وغيره من حديث جابر رضي الله تعالى عنه ، ولفظه : «ناد في الناس ، من قال : لا إله إلا الله ، دخل الجنة».

وكان إذا حلف قال ـ : «والذي نفسي بيده ، أشهد عند الله ما منكم من أحدٍ يؤمن بالله ، ثم يسدِّدُ ، إلا سُلك به في الجنة».

وفي لفظ قال ﷺ : «أشهد عند الله لا يموتُ عبدٌ يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ؛ صِدقاً من قلبه ، ثم يُسدِّدُ إلا سَلَك في الجنة» قال : «وقد وعدني ربي عز وجل أن يُدخِل من أمتي سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذابَ ، وإني لأرجو أن لا يدخلوها حتى تبوَّءوا أنتم ومن صَلَح من آبائكم وأزواجكم وذرِّيّاتكم مساكنَ في الجنة»... الحديث بطوله ، رواه أحمد والطيالسي وابن ماجه والطبراني والبزار برجال الصحيح ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والضياء[1].

وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : «من قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبدُه ورسولُه ، وأن عيسى عبدُ الله وابنُ أَمَتِه وكلمتُه إلى مريم وروحٌ منه ، وأن الجنةَ حقٌّ ، وأن النارَ حقٌّ ، أدخله الله من أيِّ أبواب الجنة الثمانية شاء».

وفي رواية : «أدخله الله الجنةَ على ما كان مِنْ عمل». متفق عليه[2].

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١٦) ومسند الطيالسي (١٨٢) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب بيان صفة أمة محمد ﷺ ، رقم (٤٢٨٥) والمعرفة والتاريخ (١ : ٣١٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٨٣ مختصراً) والمعجم الكبير (٥ : ٤٣ ـ ٤٥ من طرق) وكتاب التوحيد (١ : ٣١٢ ـ ٣١٤) وصحيح ابن حبان (١ : ٤٤٤ ـ ٤٤٥) وكشف الأستار (٤ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧) والآحاد والمثاني (٥ : ٢٤) وسقط أغلبه من الطباعة ، ومجمع الزوائد (١٠ : ٤٠٨) (١ : ٢٠ ـ ٢١) وفتح الباري (١١ : ٤٠٩) والنهاية لابن كثير (٢ : ١٠٨) وذكر الدارمي (١ : ٢٨٦ ـ ٢٨٧) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٣٣٧ـ٣٣٨) سنده وآخرَ الحديث . وانظر كنز العمال (١٠ : ٤٧٧ ـ ١٧٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب قوله : ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ...﴾ . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٦).

فقد قيّد رسول الله ﷺ دخولَ الجنة بالإيمان .

فعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا ، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم ، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجلٌ لا يدع لهم شاذَّةً ولا فاذَّةً إلا اتَّبعها يضربها بسيفه ،... الحديث بطوله ، وفي آخره :

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : «إن الرجلَ ليعمل عملَ أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجلَ ليعمل عملَ أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة ، وإنما الأعمال بالخواتيم». متفق عليه(١).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ـ بنحوه ، وفيه : فقال رسول الله ﷺ : «يا بلال ؛ قم فأذِّن : لا يدخل الجنةَ إلا مؤمن ، وإن الله ليؤيِّد هذا الدينَ بالرجل الفاجر». متفق عليه(٢).

فليس العبرة بالظاهر ، إنما العبرة بما خفي من نية العبد فيما بينه وبين نفسه ، وما يعلمه الله تعالى منه ، وما قاله رسول الله ﷺ فإنما هو الوحي الذي لا نعلمه .

ويوضح ذلك أول من يقضى يوم القيامة عليه ؛ وهم الشهيد والقارئ والمنفق(٣). فيما يراهم الناس أنهم صادقون ، وهم خلاف ذلك .

من مات على الإيمان دخل الجنة :

إن المرء بين أمرين مخفيين لا يعلمهما ، هما : السابقةُ ، وحسنُ الخاتمة .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب لا يقول فلان شهيد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ،... رقم (١٧٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب القدر : باب العمل بالخواتيم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٧٨).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ، رقم (١٥٢).

ـ أما السابقة :

إن الإنسان لا يعلم ما كان قد كُتب له ، لذا فهو في وَجَل ، وإن كان الرجاء وحسن الظن بالله تعالى قائمين ، وهو يرجو رحمةَ ربه عز وجل ، وهذا من إكرام الله تعالى لعباده المؤمنين الصالحين .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ * لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ * لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾[1] .

ـ وأما حسن الخاتمة :

فهو مخفيٌّ أيضاً ، لا يضمنه الإنسان ، لذا شُرع تلقينُ المحتضر . لأنه إذا قال آخر كلامه من الدنيا : (لا إله إلّا الله محمد رسول الله) فقد خُتم له بالإيمان ، وأنه يُبعث عليها ، ومن بُعث عليها دخل الجنة بإذن الله تعالى ، وكان ذلك دليلاً على إيمانه .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لقّنوا موتاكم لا إله إلا الله» . رواه مسلم[2] .

ورواه أيضاً[3] من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بلفظه .

زاد ابن حبان في روايته[4]: «فإنه من كان آخرَ كلمته لا إله إلا الله عند الموت :

(١) سورة الأنبياء (١٠١ ـ ١٠٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب تلقين الموتى لا إله إلا الله ، رقم (١ ، ٢).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين .

(٤) صحيح ابن حبان (٧ : ٢٧٢) وكشف الأستار (١ : ١٠) والمعجم الأوسط (٤ : ١٢) والمعجم الصغير (١ : ٢٤١) ومجمع البحرين (١ : ٥٥ رقم ٤) ومجمع الزوائد (١ : ١٧) وحلية الأولياء (٥ : ٤٦).

دخل الجنة يوماً من الدهر ، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه». ورواه البزار بنحوه ، برجال الصحيح .

وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من كان آخر كلامه : لا إله إلا الله دخل الجنة [وفي رواية : وجبت له الجنة]». رواه أحمد وأبو داود ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وحسن النووي سند أبي داود ، وصحح سند الحاكم[1].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لقِّنوا موتاكم لا إله إلا الله ، فإنه من كان آخرَ كلمته لا إله إلا الله عند الموت : دخل الجنة يوماً من الدهر ، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه». رواه ابن حبان والبزار بنحوه ، برجال الصحيح[2].

ذلك لأن من كان آخر كلامه لا إله إلّا الله ؛ فقد خُتم له بالإيمان ، ومن خُتم له به فإنه يُبعث على ما مات عليه ، ثم يدخل الجنة ، مع ما كان عليه من العمل .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «يُبعث كلُّ عبدٍ على ما مات عليه». رواه مسلم[3].

(١) مسند أحمد (٥ : ٢٣٣ ، ٢٤٧) وسنن أبي داود : كتاب الجنائز : باب في التلقين ، رقم (٣١١٦) والمستدرك (١ : ٣٥١ ، ٥٠٠) وشرح السنة (٥ : ٢٩٦) والمجموع (٥ : ٩٩) وخلاصة الأحكام (٢ : ٩٢٤) وانظر المطالب العالية (١ : ١٩١ رقم ٦٨٥) لرواية أبي يعلى . وفتح الباري (٣ : ١٠٩) وانظر بر الوالدين (١١٩) لقصة وفاة الحافظ أبي زرعة رحمه الله تعالى .

(٢) صحيح ابن حبان (٧ : ٢٧٢) وكشف الأستار (١ : ١٠) والمعجم الأوسط (٤ : ١٢) والمعجم الصغير (١ : ٢٤١) ومجمع البحرين (١ : ٥٥ رقم ٤) ومجمع الزوائد (١ : ١٧) وحلية الأولياء (٥ : ٤٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجنة ونعيمها : باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت ، رقم (٨٣).

ولا يكون ذلك إلا من كان معتاداً على هذا اللفظ الكريم ، لأن المرءَ يموت على ما عاش عليه ، ويبعث على ما مات عليه ، والله تعالى أعلم .

إخراج من في قلبه حبة خردل من إيمان من النار :

ومن فوائد الإيمان وثمراته يوم القيامة ؛ أن من دخل النار من هذه الأمة ، وفي قلبه مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ من إيمان بل أدنى من ذلك فإنه يخرج منها بعد ما يعذّب فيها حسب ذنوبه وآثامه ، وقد أطلت النفسَ في ذلك في الخصائص والشفاعة ، وذكرت جملةً صالحة في عظيم قدره ﷺ ، وفي تنبيه الذات ، فانظرها . لذا فإني أقتصر على نصين مما فيها .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : «إذا كان يوم القيامة ماج الناسُ بعضُهم إلى بعض ، فيأتون آدم ، فيقولون له : اشفع إلى ذريتك ،...» الحديث بطوله في ذكر الشفاعة العظمى ، وفيه ذكر إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، ثم يأتونه ﷺ ، قال : «فيقال لي : ارفع رأسكَ ، وقُل يُسمع ، وسلْ تعطه ، واشفع تُشفّع . فأقول : يا رب ؛ أمتي ، أمتي . فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقالُ حبَّةٍ من بُرَّةٍ أو شعيرةٍ من إيمانٍ فأخرجه منها ،... فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقالُ حبَّةٍ من خردلٍ من إيمانٍ فأخرجه منها ،... فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبَّةٍ من خردلٍ من إيمانٍ فأخرجه منها . فأنطلق فأفعلُ». متفق عليه(١).

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «...فيحدُّ لي حدّاً ، ثم أخرجهم من النار ، وأُدخلهم الجنةَ ، ثم أعود فأقع ساجداً ، مثله في الثالثة أو الرابعة ، حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن». متفق عليه(٢).

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم (٣٢٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار . وصحيح مسلم : في الكتاب =

ومعنى قوله : «حبسه القرآن» أي وجب عليه الخلود فيها ، لعدم وجود أصل الإيمان في قلبه ، والله تعالى أعلم . والأحاديث كثيرة في ذلك .

يؤخذ من هذه الأحاديث ونظائرها شمولُ شفاعته ﷺ لكل أمته ، ولو كانوا بعده بألوف السنين ، وشفاعته ﷺ فيمن في قلبه قليل من الإيمان : دليلٌ على نفع أصل الإيمان لمن يعتقده ، فلا يخلّد في النار ، والله تعالى أعلم .

ـ حديث البطاقة :

إن من رحمة الله عز وجل أنه جل شأنه لا يضيع عمل عامل مهما كان العمل قليلاً ، وكذا فإنه تعالى لا يضيع للمسلم ما كان قد نطق به في أيام دهره ، لذا فإنه سبحانه وتعالى يحتفظ للعبد المسلم الشهادتين ليظهرها له وقت حاجته إليهما ، ولا يعلو ذكرَ الله تعالى شيء ، ولا يعلو توحيدَه جل شأنه شيء ، فإذا ما وُضعت كلمة التوحيد في الميزان فإنها سترجح على جميع ما يقابلها من عمل فاسد ، وهذا يدل على أن كلمة التوحيد تُنقذ صاحبَها ـ فلا يخلَّد في النار ـ ولو لم يعمل من الصالحات ما ينقذه .

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله سيُخلِّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر له تسعةً وتسعين سِجِلاً ، كلُّ سِجِلٍّ مد البصر ، ثم يقول له : أتنكر شيئاً من هذا ؟ أظَلَمك كَتَبتي الحافظون ؟ فيقول : لا ، يا رب ، فيقول : أَفَلَك عُذرٌ أو حسنةٌ ؟ فيُبهت الرجلُ ، ويقول : لا ، يا رب . فيقول : بلى ، إن لك عندنا حسنة ، وإنه لا

= والباب السابقين ، رقم (٣٢٢ ـ ٣٢٥) وانظر : صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية ، رقم (٣٠٢) لشفاعة هذه الأمة لمن دخل النار منها أيضاً ، وفي آخره : «فيقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً ،...» .

ظلمَ عليك اليوم ، فيُخرِجُ له بطاقةً فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدُه رسوله . فيقول : احضُر وزنَك . فيقول : يا ربِّ ؛ ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجِلّات ؟ فيقول : إنك لا تُظلم .

قال : فتوضع السِّجلّات في كِفة ، والبطاقةُ في كِفة ، فطاشت السِّجلّاتُ ، وثقلت البطاقة . قال : فلا يثقُلُ اسمَ الله شيءٌ». رواه أحمد وابن ماجه ، وحسنه الترمذي ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي[1].

وهذه الكلمة الطيبة تنفع صاحبها ، حتى إنها تنجيه من النار . مع عدم معرفته بالشرع ، ولا بأحكام الدين ، كما سيحصل في آخر الزمان .

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «يُدرس الإسلامُ كما يُدرس وشيُ الثوب ، حتى لا يُدرى ما صيامٌ ولا صلاةٌ ولا نسكٌ ولا صدقةٌ ، ولَيُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلةٍ ، فلا يبقى في الأرض منه آية ، وتبقى طوائفُ من الناس : الشيخُ الكبير والعجوزُ يقولون : أدركنا آباءَنا على هذه الكلمة (لا إله إلا الله) فنحن نقولها».

فقال له صِلة : ما تغني عنهم لا إله إلا الله ، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة ؟ فأعرض عنه حذيفةُ ، ثم ردَّها عليه ثلاثاً . كلّ ذلك يُعرض عنه حُذيفة ، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال : يا صلةُ ؛ تُنجيهم من النار . ثلاثاً . رواه ابن ماجه ومسدَّد بإسناد صحيح ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ،

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٢١٣ ، ٢٢١ ـ ٢٢٢) وسنن الترمذي : كتاب الإيمان : باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، رقم (٢٦٣٩) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ، رقم (٤٣٠٠) وزوائد الزهد لابن المبارك (١٠٩ ـ ١١٠ رقم ٣٧١) وصحيح ابن حبان (١ : ٤٦١ ـ ٤٦٢) والمستدرك (١ : ٦ ، ٥٢٩) وشرح السنة (١٥ : ٢٣٤) وشعب الإيمان (١ : ٢٦٤) وقد ذكره الحافظ حمزة الكناني في مجلس البطافة ، رقم (٢).

ورواه البيهقي ، والضياء في المختارة ، وصححه البوصيري ، وقواه الحافظ[1].

ذوق المؤمن طعم الإيمان وحلاوته :

إن للإيمان حلاوة ، وطعماً يتذوقه صحيحُ الإيمان ، ودقيقُ الإحساس ؛ الذي قويت صلته بربه عز وجل . ولهذا كان المؤمن ـ الذي هذه حاله ـ يكره الكفرَ ـ رجوعاً أو تلَبُّساً ـ كما يكره الدخولَ في النار .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : «ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهن حلاوةَ الإيمان ؛ من كان الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب المرءَ لا يحبه إلا لله ، وأن يَكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

ولا يكون اللهُ تعالى ورسولُه الكريم ﷺ أحبَّ إلى المرء مما سواهما إلّا إذا كان الإيمان قد بلغ في قلبه أعلاه ، والله تعالى أعلم .

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه ، أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول : «ذاق طعمَ الإيمان من رضي بالله ربّاً ، وبالإسلامِ ديناً ، وبمحمدٍ ـ ﷺ ـ رسولاً». رواه مسلم[3].

فمن رضي بهذه الثلاثة دلَّ على كمال إيمانه ، وثبات يقينه ،... الخ .

---

(١) سنن ابن ماجه : كتاب الفتن : باب ذهاب القرآن والعلم ، رقم (٤٠٩٨) والمستدرك (٤ : ٤٧٣ ، ٥٠٥ ، ٥٤٥) ومصباح الزجاجة (٤ : ١٩٤) وكنز العمال (١٤ : ٢١٤) وإتحاف الخيرة المهرة (١٠ : ٢٠٠) وفتح الباري (١٣ : ١٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب حلاوة الإيمان . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ، رقم (٦٧ ـ ٦٨).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أنَّ مَن رضيَ بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن ،... رقم (٥٦).

حصر الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ :

لقد جعل الله تعالى كمالَ ابتداء الإيمان ـ كما يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[1] ـ: الذي ما سواه تبع له : الإيمان بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ . لأنه هو الأساس الذي يُبنى عليه بيتُ الدين ودارُه وحماه .

فلو آمن عبدٌ بالله تعالى ، ولم يؤمن برسوله الكريم ﷺ فإنه لم يقع اسم كمال الإيمان أبداً حتى يؤمن برسول الله ﷺ معه ، لأن رسول الله ﷺ هو المبلِّغ عنه تعالى ، وهو رسولُه الذي أرسله لهداية الخلق إليه ، ودلالتهم عليه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾[2]. لذا فمن لم يؤمن به ﷺ لم يؤمن بالذي أرسله .

لهذا جعل الله عز وجل من صفات المؤمنين الصادقين : الإيمان به تعالى وبرسوله الكريم ﷺ ، وأنهما متلازمان ، حتى صارا شيئاً واحداً ، لذا قد يُعبَّر بأحدهما ويراد به الاثنين ، والله تعالى أعلم .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

يلاحظ كيف حصر في أول الآية ـ الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ ـ ثم لما

---

(١) انظر الرسالة (٧٥).

(٢) سورة الشورى (٥٢ ـ ٥٣).

(٣) سورة النور (٦٢).

ذكر استئذانَ بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم لبعض شأنهم وحثه على الإذن لهم : وصفهم بأنهم يؤمنون بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾(١).

لذا فمن آمن بالله تعالى ولم يؤمن برسوله الكريم ﷺ فليس بمؤمن ، لأن مقتضى الإيمان بالله تعالى : طاعته ، والثناء على الدّال عليه ، وامتثال أمره ، ومن طاعته تعالى وامتثال أمره جل ثناؤه : الإيمان برسوله الكريم ﷺ ، لأمره تعالى بذلك ، فمن لم يؤمن به ﷺ لم يُطع الله تعالى ، ولم يمتثل أمرَه عز وجل ، وكان عاقّاً للذي دلّه على ربه ، وجاحداً نعمةَ الله تعالى عليه

جعل الإيمان به ﷺ أعظم التجارات :

لقد جعل الله عز وجل الإيمان به جل شأنه وبرسوله الكريم ﷺ : أولى التجارات الرابحة ، والمنجية من عذاب الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢).

فكل ما ذكر في هذه الآيات الكريمة ـ من مغفرة الذنوب ، ودخول الجنة ، والسكنى في المساكن الطَّيِّبة فيها ، والفوز العظيم ، والنصر الكبير ، والفتح المبين ، ثم البشارة لهؤلاء المؤمنين ـ إنما هو مترتب على الإيمان به تعالى وبرسوله الكريم

---

(١) سورة الحجرات (١٥).

(٢) سورة الصف (١٠ ـ ١٣).

ﷺ ، وكل ذلك دلالة على أن الإيمان بالله تعالى وبه ﷺ هو أساس الإيمان ، وأصله ، والله تعالى أعلم .

جعل الإيمان به ﷺ سبب الفلاح :

لقد جعل الله تعالى الإيمان برسوله الكريم ﷺ وتوقيره ونصره واتّباع ما جاء به من الله عز وجل : سبباً للفلاح في الدارين .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(1) .

لقد وصف الله تعالى رسولَه الكريم ﷺ في هذه الآية بتسع صفات ، ومنها أنه يحلّل ويُحرِّم ويخفِّف ، فمن آمن به ﷺ وعزّره ونصره واتّبعه فقد أفلح ، ولا يكون اتِّباع إلّا بوجود الإيمان أولاً ، لذا نال المؤمن المتَّبع الفلاح في الدارين بإذن الله تعالى . دلالة على أن الإيمان لابد معه من طاعة واتّباع .

يضاف إلى ذلك : أن الله عز وجل جعل من صفات النبيِّ الرسول ﷺ الذي أوجب علينا الإيمان به لننال الفلاح ؛ أنه يحلِّل ويحرِّم ، فمن لم يؤمن بالذي يحلِّل ويحرِّم ما آمن بالذي أمر الله تعالى به ، ومن آمن لزمه اتّباع ما أحلّه وحرّمه وهو الطاعة ، والله تعالى أعلم .

الربط بين الإيمان والعمل الصالح :

لقد كثرت الآيات الكريمة التي ربط الله تعالى فيها بين الإيمان والعمل الصالح ، حتى بلغت نحواً من أربعين آية ، منها :

---

(1) سورة الأعراف (157).

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾(١).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٢).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٣).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾(٤).

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾(٥).

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ

---

(١) سورة البقرة (٢٥).

(٢) سورة البقرة (٨٢).

(٣) سورة البقرة (٢٧٧).

(٤) سورة محمد (٢).

(٥) سورة الفتح (٢٩).

﴿ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1].

﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾[2].

فقد أوجب الله تعالى لهم الخلود في الجنة بما فيها من نعيم ، وصرف عنهم سيء الأعمال بما فيها عذاب النار . إضافة إلى مغفرة الذنوب ، وراحة الفكر ، وصرف الخوف والحزن ،...إلخ .

فبأي شيء نالوا ذلك ؟ إنما هو بالإيمان والعمل الصالح ، وبأي شيء يكون العمل الصالح ؟ هل باختراع الإنسان ، أم باتباع سيد الأكوان ﷺ ؟ وقد مر أن من صفات النبيِّ الكريم ﷺ أنه يحلِّل ويحرِّم ، ويشرِّع ويسن . وما على العبد إلّا الإيمان والطاعة والامتثال ، والله تعالى أعلم .

الإيمان ليس بالقول ، إنما هو بالعمل :

من صفات المنافقين : أنهم يزعمون أنهم يؤمنون بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ ، وأنهم يطيعون الله عز وجل ورسوله ﷺ ، ولكنهم في الحقيقة ليسوا مؤمنين ، بل هم كفار ، وقد نبَّه الله تعالى على ذلك ، وبيَّن أنهم ليسوا مؤمنين .

قال الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

فقد نفى تعالى عنهم صفةَ الإيمان ، لأنهم كانوا كاذبين في دعواهم ، وإن قالوا

---

(١) سورة التغابن (٩).

(٢) سورة الطلاق (١١).

(٣) سورة النور (٤٧).

بألسنتهم إنهم يؤمنون بالله تعالى وبرسوله ﷺ وأنهم يطيعون ، وقد سبق القول : ليس العبرة بالظاهر ، إنما العبرة بما خفي من نية العبد فيما بينه وبين نفسه ، وما يعلمه الله تعالى منه ، والله تعالى أعلم .

استمرار نفع الإيمان به ﷺ في الآخرة :

إن الإيمان برسول الله ﷺ - أنه عبد الله ورسوله - لا يتوقف على أمور الدنيا ، بل يبقى أثره حتى إلى يوم القيامة ، ذلك بأن الله تعالى حرّم على غير المؤمن أن يدخل الجنة ، كما أنه تعالى يجعل ثواب المؤمنين الخلود فيها .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : خطبنا رسولُ الله ﷺ ، فأسند ظهره على قبَّةِ أَدَمٍ فقال : «ألا لا يدخل الجنةَ إلا نفسٌ مسلمةٌ . اللهم هل بلغت ؟ اللهم اشهد ،...» الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

وقد مر حديثُ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه - في قصة الرجل الذي انتحر - وفيه : فقال رسول الله ﷺ : «يا بلال ؛ قم فأذِّن : لا يدخل الجنةَ إلا مؤمن ، وإن الله ليؤيِّد هذا الدينَ بالرجل الفاجر». متفق عليه[3].

إن الظاهر من الطاعة والاتباع لا يُقبل إلا بوجود الإيمان ، وإن الإيمان لا يكفي إلا بوجود الطاعة والامتثال ، فكلها متلازمة ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة المائدة (٧٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب الحشر . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة . رقم (٣٧٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب القدر : باب العمل بالخواتيم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٧٨).

الترابط الوثيق بين الطاعة والإيمان :

إن الناظر في كتاب الله تعالى وفي سنة النبي الكريم ﷺ يجد أن الله تعالى جعل الطاعة مظهراً من مظاهر الإيمان بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ . لذا قيَّد الطاعةَ ـ في كثير من الآيات الكريمة ـ بالإيمان ، وحث المؤمنين ـ في كثير من الآيات ـ على الطاعة ، دلالة على أن المؤمن يجب أن يكون مطيعاً ، وأن المطيع لا بد أن يكون مؤمناً ، لأنه ما فائدة الطاعة إذا لم يكن إيمان ؟ وكيف يرجو المسلمُ الثواب من الله تعالى على طاعته إذا لم يكن مؤمناً ؟ بل كيف يطيع إذا كان غير مؤمن ؟ علماً بأنه لا تصح الطاعة إذا لم يكن إيمان ، ولذا كان ﷺ يطالب من يأتيه يريد القتال معه ـ وهو غير مؤمن ـ أن يؤمن أولاً ثم يجاهد .

ثم إذا كان مؤمناً بوجود الله تعالى ووجود رسوله ﷺ فما فائدة هذا الاعتقاد ـ حقيقة ـ إذا لم يترجم ذلك إلى عمل ، ومن شرط الإيمان القيام بأركانه ، ومن شرط الإسلام القيام بأركانه . لذا كثرت الآيات التي تحث المؤمنين على الطاعة ، مع ذكر الإيمان ، وأذكر بعضها اختصاراً .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾(١).

وقال الله جل شأنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾(٢).

وقال الله جل شأنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾(٣).

---

(١) سورة النساء (٥٩).

(٢) سورة الأنفال (٢٠).

(٣) سورة محمد (٣٣).

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾(١). وسيأتي بيان كثير من الروابط في الباب الثالث .

ثم إن الله تعالى يهيّج كلَّ من يدّعي الإيمان بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ بوجوب طاعة نبيّه الأمين ﷺ ، فمن لم يفعل فما صدق في دعوى الإيمان .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾(٢).

قال الله جل شأنه : ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(٣).

كما نجد كثيراً من الآيات قد ربط الله تعالى فيها بعض أصول وفروع الشريعة بهذا التهييج ، دلالة على الربط التام بين الإيمان بالله تعالى ورسوله الكريم ﷺ وبين الطاعة والامتثال له .

قال الله تعالى : ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(٤).

وقال جل شأنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾(٥). في آيات كثيرات .

(١) سورة الأنفال (٢٤).

(٢) سورة النساء (٥٩).

(٣) سورة الأنفال (١).

(٤) سورة الحديد (٨).

(٥) سورة البقرة (٢٧٨).

لهذا كثيراً ما يقول رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر» ثم يذكر بعض فروع الشريعة ، وكل ذلك من باب التهييج وتحريك الإيمان بالنفس ، لأن مقتضى المؤمن الطاعة ، كما سيأتي ، بمعنى : إن كنتَ ـ يا أيها المكلَّف ـ مؤمناً حقّاً يلزمك أن تفعل كذا ، أو تتصف بكذا ، أو تقول كذا ، أو تعتقد بكذا ، والنصوص في ذلك كثيرة جدّاً .

فمما ورد في الصحيحين أو أحدهما قوله ﷺ :

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره» وَ «من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليصل رحمه» وَ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» وَ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

وأما في غير الصحيحين فكثير .

والمراد بالطاعة : امتثال الأمر والنهي ، من قول أو فعل .

أما الاتباع : فهو التوغل في الاقتداء والقفو مع تفضيل المتبوع .

وما يصدر عن رسول الله ﷺ من أمر أو نهي إنما هو السنة ، وهي كل ما أضيف إليه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف . فتكون الطاعة هي تطبيق كل ما يضاف إلى النبي المصطفى الكريم ﷺ ، ما لم يكن خاصّاً به ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆



الباب الثاني

وجوب محبته ﷺ وتوقيره وتعظيمه لأنه رسول الله

تَعْصي الإِلهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَـذا لَعَمْـري في القِياسِ بَدِيعُ
لَـوْ كـانَ حُبُّكَ صادِقاً لأَطَعْتَه ... إِنَّ الـمُحِبَّ لِـمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

إن من مستلزمات المحبة : الطاعة ، ولا يُتصوَّر وجودُ محبٍّ غير مطيع لمحبوبه ، وكلما قويت المحبةُ في نفس المحِب : ازداد طاعةً ، وبقدر نقصان المحبة يقل الالتزام بالطاعة ، لأن من صفات المحب اتباعَ محبوبه ومحاكاته ، حتى يصير نسخةً مصغرةً ـ أو مكبّرةً ـ عنه .

لهذا أمر الله تعالى بمحبة نبيِّه الكريم ﷺ وتوقيره وتعظيمه : لتكون الطاعةُ له تامّةً ، والالتزام به متيناً ، والاتّباع له متحقَّقاً ، إذ لا يُتصوَّر وجود محبٍّ غير متَّبع ، كيف وقد جعل الله تعالى الاتّباع عنوانَ المحبة وبرهانها .

كما أن بيان الله تعالى منزلة النبي المصطفى الكريم ﷺ عنده ، ومكانته العالية لديه ، ورفيع مقامه عنده تعالى ، وعِظم قدره ﷺ ، ورفعة مكانته ،... كل ذلك : يقتضي من أمته ﷺ اتباعَه وطاعتَه ﷺ ، لأن الله تعالى ما جعله كذلك إلا ليُحب ويُطاع ويُتَّبع .

إن خيرَ من يمثّل المحبةَ للنبي الكريم ﷺ والتوقير والتعظيم ، وما ينتج عن ذلك من مظاهر الطاعة والامتثال والالتزام : إنما هم الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، حيث برزت تلك المظاهر عمليّاً في حياتهم معه ﷺ ، وحسن تعاملهم له .

ولهذا كثرت النصوص في هذا الموضوع ، أقتصر على ذكر بعضها ، بما يناسب هذا المختصر ، ويكون تحت فقرات معينة .

وجوب نصرة النبي المصطفى الكريم ﷺ :

لقد أوجب الله تعالى ـ في جميع الظروف ـ نصرةَ نبيّه الكريم ﷺ ، ولو كان ذلك في أحلك الظروف .

قال الله عز وجل : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] .

ففي الآية الكريمة عدة مزايا منها ؛ نصر الله عز وجل لنبيه الكريم ﷺ ، وهذا النصر دائم ـ لأنه تعالى إذا نصره في الغار ـ يوم لم يكن معه إلا الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه ، فكيف لا ينصره تعالى ومعه ملايين المسلمين ـ وإنزال السكينة عليه وعلى صاحبه الصِّدِّيق الأكبر رضي الله تعالى عنه ، وتأييده بالملائكة ، وجعل كلمة الله تعالى هي العليا ، وجعل كلمة الذين كفروا هي السفلى ، وكل ذلك حاصل ، وهذا دالٌّ على علو منزلته ﷺ عند الله تعالى ، ومحبته تعالى له ، مما تقتضي طاعته ﷺ .

فلو لم تكن طاعته واجبةً لما عاتبهم الله تعالى بالتباطؤ عن نصرته ﷺ ، فإذا فرَّط المسلمون المتأخِّرون ، فلم ينصروا نبيَّهم ﷺ فهم السبب .

والتفريط في ذلك يدل على ضعف إيمانهم ، وضعف الصلة بالله تعالى ، وضعف محبتهم واتباعهم لرسولهم الكريم ﷺ ، وضعف ارتباطهم به .

من صفات المؤمنين نصرة الله تعالى ورسوله ﷺ :

لقد جعل الله تعالى من صفات المؤمنين الصادقين المخلصين : نصرةَ الله

---

(١) سورة التوبة (٤٠).

تعالى ونصرةَ رسوله الكريم ﷺ . وهل يُتصوّر وجود نصر بدون طاعة ، وفي النصر من المخاطرة مالايخفى ؟

قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾(١) .

بل جعل الله سبحانه وتعالى من مفردات الميثاق والعهد الذي أخذه عز وجل على الأنبياء عليهم السلام لرسوله الكريم ﷺ : نصرته .

قال الله تعالى : ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(٢)، ووجوب النصرة يقتضي تقديم كل شيء في سبيلها . ثم هو بين النجاة والموت ، ولا يقدم على ذلك إلا محب ، والله تعالى أعلم .

وجوب تقديم محاب النبيِّ الكريم ﷺ ورغباته على محاب المؤمن :

لقد أوجب الله تعالى على الأمة تقديمَ نفس النبي الكريم ﷺ ، ورغباته على نفوسها ورغباتها ، بل يكون هواها تبعاً لهواه ، ولهذا عاتب الله تعالى المؤمنين حينما تباطؤوا عن الخروج سراعاً يوم خروجه ﷺ إلى غزوة تبوك .

قال الله عز وجل : ﴿مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾(٣) .

فهذا عتاب وتنبيه لأصحاب القلوب الحية ، أن يكون رسول الله ﷺ

---

(١) سورة الحشر (٨).

(٢) سورة آل عمران (٨١).

(٣) سورة التوبة (١٢٠).

مقدَّماً عندهم حتى على أنفسهم ، فضلاً عن الرغبات والهوى .

ومثل هذا يقتضي محبتَه وتوقيرَه وتقديمَه على كل غال ورخيص .

وجوب تقديم محبة الله تعالى ومحبة النبيِّ الكريم ﷺ على محبة جميع المخلوقات :

لقد أوجب الله جلت قدرته ورسولُه ﷺ على الأمة أن تكون محبةُ الله تعالى ومحبةُ النبي المصطفى الكريم ﷺ : مقدمةً على محبة جميع المخلوقات ، كما حذّر الله تعالى من تقديم محبة أي شيءٍ عليها ، وإن غلا وارتفع .

قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[١].

فهذا تهديد شديد ووعيد مخيف ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ الآية ، لمن كان له قلب .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده». رواه البخاري[٢].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يُؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[٣].

وفي رواية لمسلم[٤] عنه رضي الله تعالى عنه «لا يؤمن عبد - وفي رواية : رجل -

---

(١) سورة التوبة (٢٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب حب الرسول ﷺ من الإيمان .

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين ، رقم (٧٠).

(٤) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٩).

حتى أكون أحبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين».

وعن عبد الله بن هشام رضي الله تعالى عنه قال: كنا مع النبيِّ ﷺ، وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله؛ لأنتَ أحبُّ إليَّ من كلِّ شيء إلا من نفسي. فقال النبيُّ ﷺ «لا، والذي نفسي بيده، حتى أكونَ أحبَّ إليك من نفسك» فقال له عمر: فإنه - الآن - والله - لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسي. فقال النبيُّ ﷺ: «الآن يا عمر». رواه البخاري[1].

فقد اجتمع - من خلال الآية الكريمة والأحاديث الشريفة - النفس، والوالد، والولد، والأخوة، والزوجة، والأهل، والعشيرة، وبقية الناس، والمال، والتجارة، والمساكن، فلم يبق شيء، فيجب تقديم محبة الله تعالى ومحبة نبيِّه الكريم ﷺ على محبة هؤلاء جميعاً، وإن قدَّم محبةَ هؤلاء على محبته ﷺ فالخطر محدق به، والتهديد واقع عليه.

ومن كانت محبة النبيِّ الكريم ﷺ مقدَّمةً عنده على محبة ما سواه من المخلوقين مهما كانوا مقرّبين - حقيقة لا عقلاً - تذوَّق حلاوةَ الإيمان، وطعمه.

فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهن حلاوةَ الإيمان؛ من كان الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يُحبُّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذفَ في النار». متفق عليه[2].

ومن كان رسول الله ﷺ أحبَّ إليه من محبة جميع المخلوقات - ذوقاً وحقيقة

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأيمان والنذور: باب كيف كانت يمين النبيِّ ﷺ.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الإيمان: باب حلاوة الإيمان، وباب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار، وفي غيرها. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، رقم (٦٧، ٦٨).

لا تصوُّراً ـ فكيف يطيعه ؟ وكيف يحترمه ويوقِّره ؟ وكيف يتفانى في خدمته ، والمحافظة عليه ، والدِّفاع عنه ، والاستماتة دونه ؟ إذ لا يُتصوّر محبٌ صادِقُ المحبة غير مطيع .

تكفّل الله تعالى بحفظ نبيِّه الكريم ﷺ وعصمته :

لقد تكفَّل الله عز وجل بحفظ نبيِّه الكريم ﷺ ، وعصمته من الناس ، بحيث لن يصلوا إليه ، وسخَّر الملائكةَ لحفظه والدفاع عنه .

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[1] .

وقد بلّغ رسول الله ﷺ رسالة ربه عز وجل ، وشهد له ربُّه جل شأنه بالبلاغ ، وقد كثرت الأحاديث الشريفة في ذلك «اللهم اشهد» .

وقد كان بعضُ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل يحرسه ، فلما نزلت هذه الآية صرفهم ﷺ عن حراسته .

وهؤلاء الذين كانوا يحرسونه ﷺ دفعهم الحرص منهم عليه ، والمحبةُ له ، بدافع من عند أنفسهم رضي الله تعالى عنهم ، فكانوا ممن عصم الله تعالى بهم رسولَه الكريم ﷺ ، وهذا غاية المحبة والعناية ، لأن الحارس على خطر المداهمة من قبل العدو ، فيكون بين الموت والدفاع ، والله تعالى أعلم .

تنبيه : إن الله تعالى قال : ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ ولم يقل : (والله يحفظك) لأن الحفظ أمر مشترك بين العبد والخالق ، فالعبد يحفظ غيره ، أما العصمة فلا يقدر عليها سوى الله عز وجل .

وجوب تعظيمه وتوقيره ﷺ :

لقد أوجب الله تعالى على هذه الأمة تعظيمَ نبيها الكريم ﷺ وتعزيره وتوقيره .

---

(١) سورة المائدة (٦٧).

وهذا غاية المحبة المتناهية ، لأن مقام التوقير أعلى من مقام المحبة .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

والتعزير : المبالغة في التعظيم .

والتوقير : هو الاحترام والإجلال والإعظام والتبجيل ، فهو أعلى من مقام المحبة[3].

ومقتضى التعزير والتوقير : الطاعة والاتباع ، لأن المتابعة دليل المحبة ، والطاعة امتثال الأمر ، فكيف يوقره إذا لم يكن يتبعه ويطيعه ؟

من شروط بيعة العقبة السمع والطاعة ، ومنعه ﷺ مما يمنعون أنفسهم وأبناءهم :

من شروط بيعة العقبة حين بايع النبي المصطفى الكريم ﷺ الأنصار رضي الله تعالى عنهم : السمع الطاعة في النشاط والكسل ،... وأن يمنعوه مما يمنعون أنفسهم وأبناءَهم وأزواجَهم .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ـ عن قصة بيعة العقبة ،... وفيه قولهم ـ فقلنا : يا رسول الله ؛ على ما نبايعك ؟ قال : «تبايعوني على السمع والطاعة ، في النشاط والكسل ، وعلى النفقة في العسر واليسر ،... وعلى أن تنصروني إذا

---

(١) سورة الفتح (٨ ـ ٩).

(٢) سورة الأعراف (١٥٧).

(٣) انظر : محبة النبيِّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجهاد ، ومكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام ، وغيرهما . فقد أوضحتُ تقدم مقام التوقير على مقام المحبة .

قدمتُ عليكم ، وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجَكم وأبناءَكم ، ولكم الجنة». رواه أحمد والبزار والبيهقي برجال الصحيح ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وحسنه الحافظ[1].

وقد ورد بنحوه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

ومقتضى السمع والطاعة في النشاط والكسل : يقتضي أن يكون ذلك في جميع أحوال المؤمن ، كما هو الحال في نصرته ومنعه مما يمنع منه النفس والولد والزوج ، حيث يقتضي تقديم كل شيء في سبيل ذلك ، حتى النفس ، وهذا ما فعله الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ، حيث قدّموا الغالي قبل الرخيص ، في سبيل المحافظة عليه ﷺ ، وسلامته ، والدفاع عنه ، والاستماتة دون وصول العدو إليه ، إنما يدفعهم الإخلاص والحب والتفاني .

جعل معيار المحبة الاتّباع ، وبيان مردود ذلك :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى معيارَ من يدَّعي محبةَ الله تعالى : اتّباعَ النبي المصطفى الكريم ﷺ ، لينال متَّبعُه محبةَ الله تعالى له ، وغفرانَ ذنوبه .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

حيث جعل الله جلت قدرته نبيَّه الكريم ﷺ حادياً يحدو بقلوب العباد ، في بيداء الدنيا ؛ أن اتبعوني ، حتى تصلوا إلى شاطئ السلامة ، فتنالوا محبةَ الله تعالى

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ، ٣٣٩ ـ ٣٤٠) وصحيح ابن حبان (١٤ : ١٧٢ ـ ١٧٣) (١٥ : ٤٧٤ ـ ٤٧٦) والمستدرك (٢ : ٦٢٤ ـ ٦٢٥) والسنن الكبرى (٨ : ١٤٦) (٩ : ٩) ودلائل النبوة (٢ : ٢٢٢) وكشف الأستار (٢ : ٣٠٧ ـ ٣٠٨) ومسند أبي يعلى (٣ : ٤٠٥) حيث روى قطعة منه . ومجمع الزوائد (٦ : ٤٦) وانظر : فضائل المدينة المنورة ، وساكن المدينة المنورة .

(٢) سورة آل عمران (٣١).

ومغفرةَ ذنوبكم ، فمن حاد عنه ولم يتبعه وسلك غير سبيله : ضل وهلك ، ولم ينل محبة الله تعالى . ومن مشى خلفه واتّبع سبيلَه ونهج منهجه وسلك مسلكه : نجا وسعد ، وصوتُه ﷺ ينادي دائماً - في أعماق الكون - كلَّ من يدّعي محبةَ الله عز وجل : ﴿فَٱتَّبِعُونِي﴾ لتنالوا ﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ وهذه سعادة لا تقابلها سعادة .

لقد جعل الله عز شأنه جميعَ السبل إليه مقفلةً مغلقةً إلا باب اتباع النبي المصطفى الكريم ﷺ ، فبقدر حاجة المتَّبِع للمتبوع يكون حرصه عليه ، خاصة وهو يمشي بين يديه في متاهات الدنيا ، ودروب الحياة ، كما أن بقدر حرص المرء على أن يحبَّه الله تعالى ويغفر له ذنوبه يتمسك بالمتبوع .

ومتَّبعُ النبي المصطفى الكريم ﷺ يكون في بدء أمره مُحبّاً لله تعالى ، ثم يصير بعد اتباعه له محبوباً من الله تعالى .

والاتباع غير الطاعة ، فبينهما عموم وخصوص ، إذ كل اتباع طاعة ، وليس كلُّ طاعة اتباعاً ، **والاتّباع** هو التوغل في الاقتداء والقفو مع تفضيل المتبوع ، فهو ناشئ من محبة المتَّبِع للمتبوع وتعظيمه له ، وتكون باختيار المتَّبِع ، وعدم الخروج عنه ، ولا يكون ذلك إلا للمحب ، بينما الطاعة فهي مرتبطة بالأمر والنهي ، وتكون عن محبة وعن غير محبة ، كما قال تعالى على لسان هرون عليه السلام : ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾[1]. حيث أمر باتباعه وطاعة أمره ، والعطفُ يقتضي المغايرة ، والله تعالى أعلم[2].

دفع المحب له ﷺ أهلَه وماله في رؤية واحدة له :

لقد جعل النبي المصطفى الكريم ﷺ صفةَ المؤمنين المحبين ، بعد وفاته ﷺ -

(١) سورة طه (٩٠).

(٢) لقد توسعت في بيان الاتباع في (محبة النبيِّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد) فانظره .

سواء كانوا من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أم من غيرهم ـ أن أحدَهم يدفع أهلَه ومالَه في سبيل أن يراه مرةً واحدة، ثم لا يراه بعدها أبداً، وهذا غاية المحبة والتعظيم والتوقير.

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليأتينَّ على أحدكم يومٌ ولا يراني، ثم لأن يراني أحبُّ إليه من أهله وماله معهم». رواه مسلم(1).

وعنه رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مِن أشدِّ أمتي لي حبّاً؛ ناسٌ يكونون بعدي، يودُّ أحدُهم لو رآني بأهله وماله». رواه مسلم(2).

وإذا كان الحديث الأول جاء في الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ كما هو واضح من لفظه ـ فإن الحديث الثاني جاء فيمن يأتي بعدهم من الأمة. وكلهم يشتركون في كون أحدهم يدفع أهلَه وماله كلَّه في سبيل أن يرى رسول الله ﷺ مرةً واحدة، ثم لا يراه بعدها أبداً،...

فإذا كان هذا المحبُّ له ﷺ يدفع ذلك كلّه في رؤية واحدة؛ فكيف تكون طاعته له ﷺ، واتّباعه له، وحرصه على مجالسته على الدوام؟

جعله ﷺ أفضل الخلق:

لقد جعل الله تعالى رسولَه الكريم ﷺ أفضل الخلق جميعاً، وأنه تعالى انتقاه من جميع الخلق، وذلك:

ـ لقد أخبرنا الله تعالى بتفضيل بني آدم، فقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ

(1) صحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب فضل النظر إليه ﷺ، رقم (١٤٢).

(2) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها: باب فيمن يود رؤية النبيّ ﷺ بأهله وماله، رقم (١٢).

﴿خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

ـ وأنه تعالى اصطفى من البشر الأنبياء عليهم السلام ، وفضّلهم على سائر البشر ، فقال تعالى ـ بعد ذكره لثمانية عشر نبياً ـ : ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[2].

ـ وأنه تعالى فاضل بين الأنبياء عليهم السلام فيما بينهم ، فقال عز شأنه : ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[3].

ـ وأنه تعالى يصطفي الرسلَ من الأنبياء ، فقال تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾[4].

ـ كما أنه تعالى فاضل بين الرسل عليهم السلام فيما بينهم ، فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[5].

ـ ثم فضَّل نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين .

ـ وما امتاز به ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام ، من صفات الجمال والكمال ، في ذاته وصفاته ، فهو كثير جدّاً ، وقد كنت تتبعت ذلك في كتاب الله تعالى وفي سنة النبي المصطفى الكريم ﷺ ، فزادت على الثلاثمائة خصلة ، لا يشاركه في واحدة منها أحد[6].

---

(١) سورة الإسراء (٧٠).

(٢) سورة الأنعام (٨٦).

(٣) سورة الإسراء (٥٥).

(٤) سورة الحج (٧٥).

(٥) سورة البقرة (٢٥٣).

(٦) انظر : الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام ، وعظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، والأمانة العظمى ونبيها ﷺ ، ومكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام ، وفضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم ، وغيرها .

ـ ولو نظرنا إلى حال الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم مع نبيهم الكريم ﷺ لرأينا العجب، إنهم يحرصون على ألّا تقع شعرةٌ من شعراته ﷺ الكريمة على الأرض[1]، وألّا تقع قطرةُ ماء توضأ بها ومست جسده الشريف على الأرض[2]، بل كانوا يرون غزوَ بني الأصفر ـ الروم ـ أدنى بكثير من انشغال ذهن رسول الله ﷺ في قضية في بيته[3]، ثم تبيَّن بطلانُها فيما بعد،... إلخ. فما الذي حملهم على ذلك؟ إنما هو الحب لا غير.

وقد توسعت في بيان حال الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم مع رسول الله ﷺ في (الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان) وفي غيره، وذكرت مظاهر حالهم رضي الله تعالى عنهم معه ﷺ، ابتداء من تبركهم بآثاره، وانتهاء بالاستماتة في الدفاع عنه ونصرته ﷺ.

إن وجوب تقديم محبة النبي الكريم ﷺ على محبة جميع المخلوقات، ووجوب تقديم نفسه الشريفة على نفوسهم، ووجوب تقديم هواه ورغباته على أهوائهم ورغباتهم، ووجوب توقيره وتعظيمه وتعزيره،... وكل ما مر وما لم أذكره، كلُّ ذلك يقتضي طاعتَه، واتباعَه، والاستماتةَ في الدفاع عنه، وعدم وصول العدو إليه، أو الإساءة إليه، وتقديم النفس والنفيس، والغالي والرخيص، والأهل

(١) انظر: صحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب قرب النبيِّ ﷺ من الناس وتبركهم به، رقم (٧٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب الصلاة في الثوب الأحمر، وفي غيرهما، كتاب الشروط: باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب،... وصحيح مسلم: كتاب الصلاة: باب سترة المصلي، رقم (٢٤٩ ـ ٢٥١).

(٣) انظر: صحيح البخاري: كتاب النكاح: باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الطلاق: باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن، رقم (٣١، ٣٤).

والمال والولد ،... في سبيل المحافظة عليه ، وسلامته ﷺ ،...إلخ، والله تعالى أعلم .

لقد ضرب الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أروعَ الأمثلة في محبتهم لرسول الله ﷺ ، وتوقيره ، واحترامه ، وتعظيمه ، وتبجيله ، وامتثال أمره ، وطاعته ، والنصح له ،... والتفاني في خدمته ، وموالاة من والاه ، ومعاداة من عاداه ، حتى لو كان أحبَّ وأعز الناس إليهم ، امتثالاً لأمر الله تعالى ، وأمرِ رسوله الكريم ﷺ ، ولِمِا أفرد به ﷺ من صفات الجمال والكمال في ذاته وصفاته ، ثم لحقِّه على الأُمة .

ولا يسعني ذكر أدلة ذلك ، وقد توسّعت في بيان ذلك في (الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان) لذا سأذكر مختصراً صغيراً أذكر فيه بعضَ النصوص في التدليل على مدى محبتهم وأدبهم رضي الله تعالى عنهم وتوقيرهم وتعظيمهم لحبيبهم ومصطفاهم ﷺ ، تكون نبراساً لنا معشر المسلمين المتأخرين ، لعلنا نقتفي أثرهم ، ونتبع آثارهم ، وإن كنا لن نصل إلى أحوالهم ، ولكن من باب :

إن لم تكونوا مثلهم فتشبّهوا ... إن التشبه بالكرام فلاح

فعن المسور بن مخرمة ومروان ـ يصدِّق كلُّ واحد منهما حديثَ صاحبه ـ قالا : خرج رسول الله ﷺ زمن الحُدَيْبِيَة ،... الحديث بطوله ، وفيه :

فقال عروة بنُ مسعود : أي محمد ؛ أرأيتَ إن استأصلتَ أمرَ قومك ، هل سمعتَ بأحد من العرب اجتاح أهلَه قبلك ؟ وإن تكن الأخرى ، فإني ـ والله ـ لا أرى وجوهاً ، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدعوك . فقال له أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ : امصُص بَظْرَ اللات ، أنحن نفر عنه وندعه ؟! فقال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسي بيده ، لولا يدٌ كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك .

قال : وجعل يكلم النبيَّ ﷺ ، فكلما تكلّم كلمةً أخذ بلحيته [أي : أخذ

بلحية النبي الكريم ﷺ ، كما هي عادتهم] والمغيرةُ بنُ شعبة [وهو ابنُ أخي عروة بن مسعود] قائم على رأس النبيِّ ﷺ ومعه السيف ، وعليه المِغفَر ، فكلما أهوى عروةُ بيده إلى لحية النبيِّ ﷺ ضرب يدَه بنعل السيف ، وقال له : أخِّر يدَك عن لحية رسول الله ﷺ ، فرفع عروةُ رأسَه ، فقال : من هذا ؟ قال : المغيرة بن شعبة ، فقال : أي غُدَر ، ألستُ أسعى في غدرتك ،...

ثم إن عروة جعل يرمق أصحابَ النبيِّ ﷺ بعينيه . قال : فوالله ما تنخّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم ، فدلك بها وجهَه وجلدَه ، وإذا أمرهم ابتدروا أمرَه ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له .

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أي قوم ؛ والله لقد وفدتُ على الملوك ، ووفدتُ على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت مليكاً يعظِّمه أصحابه ما يعظِّم أصحابُ محمد ـ ﷺ ـ محمداً ،... ثم ذكر لهم ما رآه . رواه البخاري[1] .

في هذا الحديث أمور كثيرة فيها بيان تفاني الصحابة رضي الله تعالى عنهم في محبتهم وأدبهم وتوقيرهم وتعظيمهم لرسول الله ﷺ ، وتنفيذ أمره

ـ حيث ردّ أبو بكر رضي الله تعالى عنه على عروةَ دعواه انهزام الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وما درى أن مودّة الإسلام أقوى من مودّة القرابة .

ـ وضرب المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه يدَ عمِّه عروة بن مسعود ـ مع أنه عمُّه ـ إذا مدَّها إلى لحية رسول الله ﷺ ، مع أنها كانت عادةً موجودة لهم .

ـ ثم ملاحظة عروة بن مسعود من تعظيم الصحابة رضي الله تعالى عنهم رسول الله ﷺ ، وتبركهم به ، وإجلالهم له ﷺ ، والإسراع في تنفيذ أمره .

(١) صحيح البخاري : كتاب الشروط : باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط .

وهذا كله صادر عن محبة وتعظيم لا يُدانى ـ والله تعالى أعلم ـ مثل التبرك بنخامته ، والاقتتال على وَضوئه ، وخفض الصوت بحضرته ﷺ ، وعدم حد النظر إليه ﷺ تعظيماً له ، ومبادرتهم أمره ﷺ .

وقد جاءت نصوص كثيرة في كل ذلك .

فعن أبي جُحيفة رضي الله تعالى عنه قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في قُبّة حمراء من أدم ، ورأيتُ بلالاً أخذ وَضوءَ رسول الله ﷺ ، ورأيتُ الناسَ يبتدرون ذاك الوَضوءَ ، فمن أصاب منه شيئاً تمسَّح به ، ومن لم يُصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[1]. وله طرق وروايات متعددة .

وهذا باب واسع ، والأحاديث فيه كثيرة جدّاً ، ويكفي ما ذكرته .

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسول الله ﷺ ،... الحديث بطوله ، رواه أحمد وابن أبي شيبة ، والترمذي وصححه ، والبخاري في الأدب المفرد ، في آخرين[2].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : لقد رأيتُ رسول الله ﷺ والحلّاقُ يحلقه ، وأطاف به أصحابه ، فما يريدون أن تقع شعرةٌ إلا في يد رجل . رواه مسلم[3].

فما الذي حملهم على هذا ؟ إنه الحبُّ المتناهي .

وعن جابر رضي الله تعالى عنه ـ في قصة وفاء دَين أبيه رضي الله تعالى عنه ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب الصلاة في الثوب الأحمر ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب سترة المصلي ، رقم (٢٤٩ ـ ٢٥١).

(٢) مسند أحمد (٣ : ١٣٢ ، ٢٥٠ ـ ٢٥١) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥٨٦) والأدب المفرد (٣١٦) وسنن الترمذي : كتاب الأدب : باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ، رقم (٢٧٥٤) والشمائل له (٢٧٦ رقم ٣٣٦) وشرح السنة (١٢ : ٢٩٤) والشمائل له (١ : ٣٠٢) ومسند أبي يعلى (٦ : ٤١٧ ـ ٤١٨) وأخلاق النبيّ ﷺ (٦٣) وشعب الإيمان (٦ : ٤٦٩).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب قرب النبيّ ﷺ من الناس وتبركهم به ، رقم (٧٥).

وفيه قوله : والله إن مجلس بني سلمة لينظرون إليه [أي إلى رسول الله ﷺ] هو أحبُّ إليهم من عيونهم ، ما يقربه رجلٌ منهم مخافة أن يؤذوه . رواه الدارمي وأحمد والحاكم برجال الصحيح ، وحسنه الحافظ[1].

وعن عَمْرِو بنِ العاص رضي الله تعالى عنه قال : ...وما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ ، ولا أجلَّ في عيني منه ، وما كنتُ أطيق أن أملأ عينيَّ منه ، إجلالاً له ، ولو سُئلتُ أن أصفه ما أطقتُ ، لأني لم أكن أملأ عينيَّ منه ،... الحديث ، رواه مسلم[2].

وليس هذا شأن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنه ، بل هو شأن عامة الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم . فإذا كانت هذه حالهم في محبتهم وتوقيرهم وتبركهم به ﷺ ، فكيف تكون طاعتهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ ؟

فداء الصحابة رضي الله تعالى عنهم له ﷺ بآبائهم وأمهاتهم :

ومن مظاهر محبتهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم للنبيِّ الكريم ﷺ : فداؤهم له ﷺ بآبائهم وأمهاتهم وأنفسهم ، ودفاعهم عنه ، والحيلولة دون وصول الأذى إليه ﷺ ، وأنهم يستهينون بكل غالٍ في سبيل إسعاده وهناءته ﷺ ، وهذا باب واسع جدّاً ، ذكرت جملة صالحة في (الشوق إلى رسول الله ﷺ ،...).

فإذا بلغ الأمر فيهم إلى حد الفداء بالأب والأم والنفس - والدافع لهم على ذلك هو الحب والتعظيم - فكيف يكون ما هو أدنى من ذلك ؛ من السمع والطاعة ؟

البدء به ﷺ لمن قدم من سفر ، قبل ذهابهم إلى أهليهم :

ومن مظاهر محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم للنبي الكريم

(١) سنن الدارمي (١ : ٢٨ - ٢٩) ومسند أحمد (٣ : ٣٩٧ - ٣٩٨) والمستدرك (٤ : ١١٠ - ١١١ ولم يكمله) ومجمع الزوائد (٤ : ١٣٥ - ١٣٦) وفتح الباري (٧ : ٣٩٨).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ، رقم (١٩٢).

ﷺ : أن إذا قدموا من سفر بدؤوا به ﷺ ، فنظروا إليه ، وسلَّموا عليه قبل أن يذهبوا إلى بيوتهم .

فعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما قال : بعث رسول الله ﷺ جيشاً ، واستعمل عليهم عليَّ بنَ أبي طالب ،... الحديث ، وفيه : وكان المسلمون إذا رجعوا من السفر بدؤوا برسول الله ﷺ ، فسلَّموا عليه ، ثم انصرفوا إلى رحالهم ،... الحديث بطوله ، رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة ، والترمذي وحسنه ، والنسائي ، وابن حبان والحاكم وصححاه ، في آخرين[1].

فإذا كانوا كذلك ، فكيف تكون طاعتهم واتّباعهم له ﷺ ؟

تكريم ما مسه ﷺ بيده الشريفة أو أي عضو من أعضائه :

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : تكريمهم ما مس يده ﷺ ، أو فمه ، أو أي عضو من أعضائه .

فعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال : ما تغنَّيتُ ، ولا تمنَّيتُ ، ولا مسستُ ذكري بيميني منذ بايعتُ بها رسول الله ﷺ . رواه ابن ماجه وابن أبي عمر[2].

وعن عمران بن حُصين رضي الله تعالى عنهما قال : ما مسست فرجي بيميني منذ بايعتُ بها رسولَ الله ﷺ . رواه أحمد وابن سعد ، والحاكم وصححه

(١) مسند أحمد (٤ : ٤٣٧ ـ ٤٣٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٧٩ ـ ٨٠) ومسند الطيالسي (١١١ رقم ٨٢٩) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، رقم (٣٧١٢) وخصائص علي رضي الله تعالى عنه (رقم ٨٩) ومسند أبي يعلى (١ : ٢٩٣) والمعجم الكبير (١٨ : ١٢٨ ـ ١٢٩) ومسند الروياني (١ : ١٢٤ ـ ١٢٥) وحلية الأولياء (٦ : ٢٩٤) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٣٧٣ ـ ٣٧٤) والمستدرك (٣ : ١١٠ ـ ١١١) في آخرين .

(٢) سنن ابن ماجه : كتاب الطهارة : باب كراهة مس الذكر باليمين ، رقم (٣١١) ومصباح الزجاجة (١ : ٤٥).

وأقره الذهبي[1].

وعن كبشة رضي الله تعالى عنها ، أن النبيَّ ﷺ دخل عليها ، فشرب من فمِ القِربة ـ وهو قائمٌ ـ فقامت إليه فقطعته ، فأمسكته ـ زاد في رواية : تبتغي بركةَ موضع فِي رسول الله ﷺ ـ رواه الحُميدي وأحمد وابن ماجه ـ وصححه الترمذي وابن حبان[2].

وقد ورد مثله من حديث غيرها أيضاً[3].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى[4]: قَطعُها لفم القِربة فعَلَتْه لوجهين :

ـ أحدهما : أن تصون موضعاً أصابه فمُ رسول الله ﷺ عن أن يُبتذل ، ويمسّه كلُّ أحد .

ـ والثاني : أن تحفظه للتبرك به ، والاستشفاء ، والله تعالى أعلم.اهـ.

قلت : ولا يبعد الأمران . فالأول واضح ، ولذا ذكرت الحديثَ هنا ، والزيادة في رواية ابن ماجه والطبراني والبغوي ـ ومثله رواية أنس ـ تدل على الثاني ، والله

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٤٣٩) والزهد له (١٤٩) والطبقات الكبرى (٤ : ٢٨٧) والمعجم الكبير (١٨ : ١٠٤ ، ٢٠٣) والمستدرك (٣ : ٤٧٢) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٨١).

(٢) مسند الحميدي (١ : ١٧٢) ومسند أحمد (٦ : ٤٣٤) وسنن الترمذي : كتاب الأشربة : باب ما جاء في الرخصة في ذلك ، رقم (١٨٩٢) والشمائل المحمدية (٣٤٦ـ٣٤٧ رقم ٢١٢) وسنن ابن ماجه : كتاب الأشربة : باب الشرب قائماً ، رقم (٣٤٢٣) وصحيح ابن حبان (١٢ : ١٣٨ ـ ١٣٩) والمعجم الكبير (٢٥ : ١٥) ومسند الشاميين (١ رقم ٦٣٩) وشرح السنة (١١ : ٣٧٨ـ٣٧٩).

(٣) رواه أحمد والدارمي والترمذي في الشمائل والبغوي وأبو الشيخ في أخلاق النبيّ ﷺ في آخرين ، من حديث أنس رضي الله تعالى عنه ، وأن الذي قطع فمَ القربة : أمُّ سُليم رضي الله تعالى عنها ، من طرق هو بها حسن .

(٤) شرح صحيح مسلم (١٣ : ١٩٤).

تعالى أعلم . وعلى أي الحالتين ؛ فإذا كانت حريصةً على ما مسَّ جسدَه الشريف فكيف تكون طاعتها له ﷺ ؟

تعظيمهم لآثاره ﷺ ، ومحافظتهم عليها ، وتبركهم بها :

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : محافظتهم على آثاره ، وتبرّكهم بها ـ سواء في حياته أو بعد وفاته ﷺ ـ وهذا باب واسع جدّاً ، والنصوص في ذلك أكثر من أن تحصى ، لكني أقتصر على بعض ما ورد في الصحيحين ، وتبركهم بها بعد وفاة رسول الله ﷺ .

ـ عن عثمان بن عبد الله بن موهب رحمه الله تعالى قال : دخلتُ على أمِّ سلمة رضي الله تعالى عنها فأخرجت إلينا شَعراً من شَعر النبيّ ﷺ مخضوباً .

وفي لفظ قال : أرسلني أهلي إلى أمِّ سلمة ـ رضي الله تعالى عنها ـ بقدحٍ من ماءٍ ـ وقبض إسرائيلُ ثلاث أصابع ـ من قُصة فيها شَعرٌ من شعر النبيِّ ﷺ . وكان إذا أصاب الإنسانَ عينٌ أو شيءٌ بعث إليها مِخْضَبَه ، فاطَّلعتُ في الجلجل ، فرأيت فيه شعراتٍ حمر . رواه البخاري[1].

قلت : الذي يظهر أن في الرواية اختصاراً يوضحه رواية الحُميدي في الجمع بين الصحيحين[2]. ولفظه :

عن عثمان رحمه الله تعالى قال : أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء ، فجاءت بجلجل من فِضَّة ، فيه شَعرُ النبيِّ ﷺ ، وكان إذا أصاب الإنسانَ عينٌ ،... ثم ذكر مثله .

فقوله (من فضة) : هو صفة للجلجل الذي فيه شعرات النبيِّ ﷺ .

ـ وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما ـ في قصة الجونية ـ وفيه : فأقبل

(١) صحيح البخاري : كتاب اللباس : باب ما يذكر في الشيب .

(٢) الجمع بين الصحيحين للحميدي (٤ : ٢٣٣) وانظر فتح الباري (١٠ : ٣٥٣).

النبيُّ ﷺ يومئذٍ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه . ثم قال : «اسقِنا يا سهل» فأخرجتُ لهم هذا القدح ، فأسقيتُهم فيه .

[قال أبو حازم] : فأخرج لنا سهلٌ ذلك القدحَ ، فشربنا فيه ، قال : ثم استوهبه عُمرُ بنُ عبد العزيز بعد ذلك ، فوهبه له . متفق عليه[1].

ـ وعن عاصم الأحول قال : رأيت قدحَ النبيِّ ﷺ عند أنس بن مالك ـ وكان قد انصدع ، فسلْسله بفضة ، قال : وهو قدح جيِّدٌ عريضٌ من نُضّار ـ

قال : قال أنس : لقد سقيت رسولَ الله ﷺ في هذا القدح أكثر من كذا وكذا ـ زاد في رواية : قال عاصم : وشربتُ فيه ـ.

قال ابن سيرين : إنه كان فيه حلقة من حديد ، فأراد أنس أن يجعل مكانها حلقةً من ذهب أو فضة ، فقال له أبو طلحة : لا تُغيِّرنَّ شيئاً صنعه رسول الله ﷺ . فتركه . رواه البخاري

وفي رواية لمسلم[2]: عن أنس قال : سقيتُ رسولَ الله ﷺ بقدحي هذا الشرابَ كلّه ؛ العسلَ والنبيذَ والماءَ واللبنَ .

وذكر القرطبي ـ في مختصر البخاري ـ أنه رأى في بعض النسخ القديمة من صحيح البخاري : قال أبو عبد الله البخاري : رأيتُ هذا القدحَ بالبصرة وشربت منه ، وكان اشتُري من ميراث النضر بن أنس بثمانمائة ألف.اهـ من الفتح[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأشربة : باب الشرب من قدح النبيِّ ﷺ وآنيته . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب إباحة النبيذ الذي لم يشتد ولم يصر مسكراً ، رقم (٨٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : باب ما ذُكر من درع النبيِّ ﷺ وعصاه وسيفه وخاتمه ، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يُذكر قسمته ، ومن شعره ونعله وآنيته مما يتبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته ، وكتاب الأشربة : باب الشرب من قدح النبيّ ﷺ وآنيته . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : الباب السابق ، رقم (٨٩).

(٣) فتح الباري (١٠ : ١٠٠).

ـ وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنهما قال : قدمتُ المدينة ، فلقيني عبدُ الله بن سَلام فقال لي : انطلق إلى المنزل ، فأسقيك في قدحٍ شرب فيه رسولُ الله ﷺ ، وتصلي في مسجدٍ صلّى فيه النبيُّ ﷺ ، فانطلقتُ معه ، فأسقاني سويقاً ، وأطعمني تمراً ، وصلّيتُ في مسجده .

وفي رواية : ألا تجيء فأطعمك سويقاً وتمراً ، وتدخل في بيتٍ ؟ ،... رواه البخاري[1].

ووجه تعظيم البيت : أن النبي الكريم ﷺ دخل فيه ، أو صلّى فيه ، لذا سمّاه مسجداً ، والله تعالى أعلم .

ـ وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما قال : جاءت امرأةٌ إلى النبيّ ﷺ ببردة ،... فقالت : يا رسول الله ؛ أكسوكَ هذه ، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها ، فلبسها ، فرآها عليه رجلٌ من الصحابة ، فقال : يا رسول الله ؛ ما أحسن هذه ، فاكسنيها . فقال : «نعم» فلما قام النبيُّ ﷺ ، لامَه أصحابُه ، فقالوا : ما أحسنتَ حين رأيتَ النبيَّ ﷺ أخذها محتاجاً إليها ، ثم سألتَه إياها ، وقد عرفتَ أنه لا يُسأَلُ شيئاً فيَمنَعُه . فقال : رجوتُ بركتَها حين لبسَها النبيُّ ﷺ ، لعلّي أُكفَّنُ فيها . رواه البخاري[2].

ـ ويقال : إن الرجل الذي سألها هو عبد الرحمن بن عوف ، وقيل : هو سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهما ، والله تعالى أعلم[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب ما ذكر النبيّ ﷺ وحض على اتفاق أهل العلم ، وكتاب مناقب الأنصار : باب مناقب عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ، وفي غيرهما .

(٣) انظر : فتح الباري (٣ : ١٤٣ ـ ١٤٤).

ـ وعن عيسى بن طَهمان رحمه الله تعالى قال : أخرج إلينا أنس نعلين جرداوَين لهما قِبالان ، فحدَّثني ثابت البُناني بعدُ عن أنسٍ ؛ أنهما نعلا النبيّ ﷺ . رواه البخاري[(١)].

وعن عبد الله مولى أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله تعالى عنهما قالت ـ في معرض جوابها على عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما ـ : هذه جبَّةُ رسول الله ﷺ ، فأخرجت إليَّ جبةَ طيالسةٍ كِسروانِيَّةً ، لها لِبنةُ ديباجٍ ، وفَرجَيْها مكفوفَيْن بالدّيباج . فقالت : هذه كانت عند عائشة حتى قُبضت ، فلما قُبضت قبضتُها . وكان النبيُّ ﷺ يلبسها ، فنحن نغسلُها للمرضى يُستشفى بها . رواه مسلم[(٢)].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ـ في قصة بيع جمله وهم متوجهون إلى تبوك ، وفيه : فلما قدمنا المدينة قال ﷺ : «يا بلال ، اقضه حقَّه وزده» فأعطاه أربعةَ دنانير ، وزاده قيراطاً .

قال جابر : لا تفارقني زيادةُ رسول الله ﷺ ، فلم يكن القيراط يفارق جِراب جابر بن عبد الله . متفق عليه[(٣)].

زاد مسلم في رواية : فأخذه أهلُ الشام يومَ الحرة .

والنصوص في محافظة الصحابة رضي الله تعالى عنهم على الآثار النبوية كثيرةٌ جدّاً ، لكني اقتصرت على بعض ما في الصحيحين للاختصار ، وإلّا ففي

(١) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : باب ما ذُكر من درع النبيّ ﷺ وعصاه وسيفه وقدحه وخاتمه ،... وفي غيرهما .

(٢) صحيح مسلم : كتاب اللباس والزينة : باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء ،... رقم (١٠).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الوكالة : باب إذا وكّل رجلٌ رجلاً أن يُعطي شيئاً ولم يبين له كم يعطي ، فأعطى على ما تعارفه الناس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب بيع البعير واستثناء ركوبه ، رقم (١٠٩ ـ ١١٧).

السنن كثير جدّاً . والله تعالى هو الحافظ والمعين .

فإذا كانت هذه محافظتهم وعنايتهم رضي الله تعالى عنهم على أدوات أو آثار رسول الله ﷺ ، لأنها مست جسده الشريف ؛ فكيف تكون طاعتهم لصاحب هذه الآثار والأدوات ، واتّباعهم له ﷺ ؟

عدم ابتدائهم بالأكل قبله ﷺ إذا كانوا معه :

ومن مظاهر محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : عدم ابتدائهم بالأكل قبله ﷺ إذا كانوا معه .

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : كنا إذا حضرنا مع النبيِّ ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا ، حتى يبدأ رسول الله ﷺ ، فيضع يده ،... الحديث بطوله في قصة الجارية والأعرابي ، واستحلال الشيطان للطعام الذي لا يُذكر اسمُ الله عليه . رواه مسلم(١).

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : كنا إذا أكلنا مع رسول الله ﷺ طعاماً ؛ لا نبدأ حتى يكون رسول الله ﷺ هو يبدأ . رواه أحمد وأبو يعلى في آخرين ، وصحّحه الحاكم ، وأقره الذهبي(٢).

وورد نحوه من حديث رجل من الأنصار رضي الله تعالى عنه عند أحمد والطحاوي والبيهقي والدارقطني بأسانيد صحيحة .

فإذا كان هذا أدبهم معه ﷺ فكيف تكون طاعتهم له ﷺ ؟

عدم صبرهم عن البعد عنه ﷺ :

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ :

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب آداب الطعام والشراب وأحكامها ، رقم (١٠٢).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٣٥١ ، ٣٦٥) والمستدرك (٤ : ١٠٩ ، ٢٣٤ ـ ٢٣٥) ومسند أبي يعلى (٤ : ٩١) وأخلاق النبيّ ﷺ (٢٠٨) والشمائل للبغوي (٢ : ٦١٠).

أنهم لا يصبرون عن البعد عنه ، بل إن أحدهم إذا لم يره ﷺ في اليوم يخرج يبحث عنه حتى يراه ، بل بلغ ببعضهم حين سأله ﷺ هل له حاجة لم يسأل إلا قربَه ﷺ يوم القيامة ،...

والنصوص في ذلك كثيرة . أقتصر على ذكر بعضها .

ـ فعن جَبَلَة بن حارثة ـ أخي زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما ـ قال : قدمت على رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ؛ ابعث معي أخي زيداً . قال : «هو ذا ، قال : فإن انطلق معك لم أمنعه» قال زيد : يا رسول الله ؛ لا أختار عليك أحداً .

قال : فرأيتُ رأْيَ أخي أفضلَ من رأيي . رواه الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، ورواه آخرون[1].

وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ والله إنك لأحبُّ إليَّ من نفسي ، وإنك لأحبُّ إليَ من أهلي ، ومالي ، وأحبُّ إليَّ من ولدي ، وإني لأكون في البيت ، فأذكرك ، فما أصبر حتى آتيك ، فأنظرُ إليك . فإذا ذكرتُ موتي وموتَك ، عرفتُ أنك إذا دخلتَ الجنةَ رُفعتَ مع النبيِّين ، وإنّي إذا دخلتُ الجنة : خشيتُ أن لا أراك . فلم يردَّ عليه النبيُّ ﷺ شيئاً ، حتى نزل جبريلُ عليه السلامُ بهذه الآية ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾[2].

---

(١) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه ، رقم (٣٨١٥) والتاريخ الكبير (٢ : ٢١٧ ـ ٢١٨) والمعجم الكبير (٢ : ٣٢١ ـ ٣٢٢) والمستدرك (٣ : ٢١٤) ومعجم الصحابة لابن قانع (١ : ١٦١ ـ ١٦٢) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٢ : ٥٨٧) والإصابة (١ : ٤٥٦) وعزاه لأبي يعلى ، وكنز العمال (١٣ : ٣٩٧).

(٢) سورة النساء (٦٨).

الآية . رواه الطبراني بإسناد صحيح ، ونقل السيوطي عن الضياء تحسينه[١].

وورد نحوه من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، كما ورد عن عدد من التابعين مرسلاً ، فالحديث صحيح بطرقه[٢].

وعن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ أبيتُ مع رسول الله ﷺ ، فأتيتُه بوَضوئه وحاجته ، فقال لي : «سل» فقلتُ : أسألك مرافقَتَك في الجنة . قال : «أو غيرَ ذلك ؟» قلتُ : هو ذاك . قال : «فأعنّي على نفسك بكثرة السجود». رواه مسلم[٣].

وهذا ما كان من دعاء الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنه .

مر رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما بعبد الله بنِ مسعود رضي الله تعالى عنه ـ وهو يدعو ـ فقال ﷺ : «سل تعطه» فكان من دعائه رضي الله تعالى عنه الذي لا يتركه : اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ، ونعيماً لا ينفد ، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد . رواه الكثيرون ، وهو حديث صحيح[٤].

---

(١) المعجم الأوسط (١ : ١٥٢ ـ ١٥٣) والمعجم الصغير (١ : ٥٣ ـ ٥٤) ومجمع البحرين (٦ : ١٦) ومجمع الزوائد (٧ : ٧) وقال : رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة . والدر المنثور (٢ : ٥٨٨) وعزاه لأبي نعيم ، وحسنه الضياء في صفة الجنة .

(٢) انظر : المعجم الكبير (١٢ : ٨٦ ـ ٨٧) ومجمع الزوائد (٧ : ٦ ـ ٧) والدر المنثور (٢ : ٥٨٨ ـ ٥٩٠).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب فضل السجود والحث عليه ، رقم (٢٢٦).

(٤) انظر : مسند أحمد (١ : ٣٨٦ ، ٤٠٠ ، ٤٣٨ ، ٤٤٥ ـ ٤٤٦ ، ٤٥٤) والمعرفة والتاريخ (٢ : ٥٣٨) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠ : ٣٣٢) ومسند الطيالسي (٤٥ رقم ٣٤٠) وعمل اليوم والليلة للنسائي (رقم ٨٦٩) ومسند أبي يعلى (١ : ٢٦ ـ ٢٧) (٨ : ٤٧١ ـ ٤٧٣ من طريقين) والمعجم الكبير (٩ : ٦٠ ـ ٦١ ، ٦٢) وصحيح ابن حبان (٥ : ٣٠٣) (١٥ : ٥٤٣ ـ ٥٤٤) والمستدرك (١ : ٥٢٣ ، ٥٢٦) (٣ : ٣١٧) ورواه كثيرون مختصراً .

فإذا كانت هذه حالهم رضي الله تعالى عنهم معه ﷺ ، فكيف تكون طاعتهم له ﷺ ؟

تأنيب النساء أبناءهن إذا أبطأوا عن رؤيته ﷺ :

لم يقتصر الحب والتعظيم والتوقير لرسول الله ﷺ على الرجال ، بل شمل النساء أيضاً ، لذا فإن من مظاهر محبة النساء وتوقيرهن وتعظيمهن رضي الله تعالى عنهن له ﷺ : أنه إذا أبطأ أولادُهن عن رؤية رسول الله ﷺ يعاتبونهم ويؤنّبونهم .

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : سألتني أمي متى عهدُك ؟ ـ تعني بالنبي ﷺ ـ فقلت : مالي به عهدٌ منذ كذا وكذا . فنالت مني [وسبّتني] فقلت لها : دعيني آتي رسولَ الله ﷺ ، فأصلي معه المغربَ ، وأسأله أن يستغفر لي ولكِ ،... الحديث بطوله ، رواه أحمد ، والترمذي وحسّنه ، والنسائي ، وصححه ابن حبان[1].

فما الذي حملها على أن تسب ولدها وتنال منه ؟ إنه الحب والتعظيم ، فإذا كانت هذه حالهم رضي الله تعالى عنهم فكيف تكون طاعتهم له ﷺ ؟

عدم صعودهم بيتاً يكون رسول الله ﷺ فيه :

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : أن أحدَهم لا يرضى أن يعلو بيتاً ، يكون رسول الله ﷺ فيه ، أي لا يرضى أحدُهم أن يكون رسول الله ﷺ في الدور الأرضي ، وهو في الدور الذي هو أعلى منه .

فعن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه ، أن النبيَّ ﷺ نزل عليه ، فنزل النبيُّ ﷺ

---

(١) مسند أحمد (٥ : ٣٩١ ـ ٣٩٢) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما ، رقم (٣٧٨١) والسنن الكبرى (٥ : ٨٠ ـ ٨١ ، ٩٥ رقم ٨٢٩٨ ، ٨٣٦٥) وفضائل الصحابة له (١٧٢ ، ٢٠٠) وصحيح ابن حبان (١٦ : ٦٨ ـ ٦٩).

في السّفل وأبو أيوب في العلو . قال : فانتبه أبو أيوب ليلةً ، فقال : نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ ! فتنحّوا ، فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي ﷺ . فقال النبيُّ ﷺ : «السّفلُ أرفق» فقال : لا أعلو سقيفةً أنت تحتها . فتحوَّل النبيُّ ﷺ في العلو ، وأبو أيوب في السّفل .

فكان يصنع للنبي ﷺ طعاماً ، فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه ، فيتتبَّع موضعَ أصابعه ، فصنع له طعاماً فيه ثوم . فلما رُدَّ إليه سأل عن موضع أصابع النبيِّ ﷺ . فقيل له : لم يأكل . ففزع ، وصعد إليه ، فقال : أحرامٌ هو ؟ فقال النبيُّ ﷺ «لا ، ولكني أكرهه» قال : فإني أكره ما تكره ـ أو ما كرهتَ ـ قال : وكان النبيُّ ﷺ يُؤتى . رواه مسلم(١).

ففي الحديث أمور مهمة دالة على مدى المحبة والتوقير ، من إبائه أن يبقى في الدور الأعلى ، ومبيته في جانب الغرفة حتى الصباح ، ومن تبركه بآثار أصابع النبي المصطفى الكريم ﷺ ، وتركه الثوم وكراهته له بعد أن علم كراهة النبيّ الكريم ﷺ له ،... فإذا كانت هذه حاله رضي الله تعالى عنه فكيف تكون طاعته له ﷺ ؟

تعظيم أجزائه وأدواته ﷺ :

ومن مظاهر محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : تعظيم أجزائه وأدواته حتى لا يمسها مشرك .

ـ كما فعل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه بقلنسوته لما سقطت من فوق رأسه ـ في معركة اليرموك ، وغيرها ـ وكيف غامر وألقى نفسه بين العدو ، حتى لا تطأها قدمُ كافر ، لأن فيها شعرات من ناصية رسول الله ﷺ(٢).

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب إباحة أكل الثوم وأنه ينبغي لمن أراد خطاب الكبار تركه ،... رقم (١٧١).

(٢) انظر : المعجم الكبير (٤ : ١٢٢) ومسند أبي يعلى (٦ : ٣٥٩) والمستدرك (٣ : ٢٩٩) =

ـ وكيف فعلت أمُّ حبيبة رضي الله تعالى عنها مع أبيها أبي سفيان عندما دخل عليها ـ قبل إسلامه ـ وطوت فراش رسول الله ﷺ حتى لا يجلس عليه ، لأنه كافر . كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما(١).

ـ وكيف فعل أبو دجانة رضي الله تعالى عنه بسيف رسول الله ﷺ ، فلم يقتل به هنداً زوج أبي سفيان عندما ولولت وعرف أنها امرأة ، إكراماً لسيف رسول الله ﷺ أن يقتل به امرأة . كما في حديث الزبير بن العوّام رضي الله تعالى عنه ، عند البزار والحاكم وصححه والبيهقي(٢).

إذا كان هذا تعظيمهم وتكريمهم لأجزائه وأدواته ﷺ فكيف تكون طاعتهم وامتثالهم ومتابعتهم له ﷺ ؟

استمرارهم على ما كان تركهم عليه رسول الله ﷺ :

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : أن يستمروا على ما كان رسول الله ﷺ قد تركهم عليه ، أو نحو ذلك . وقد ذكرت في (نشأة علوم الحديث) نماذج كثيرة في ذلك .

فعن عبد الله بن عَمْرِو بنِ العاص رضي الله تعالى عنهما قال : أَنْكَحَني أبي امرأةً ذاتَ حَسَب ، فكان يتعاهد كَنَّتَه ، فيسألها عن بعلها ، فتقول : نِعم الرجلُ من رجل ، لم يطأ لنا فراشاً ، ولم يفتِّش لنا كَنَفَاً منذ أتيناه ، فلما طال ذلك عليه ؛

= ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٥٧٣) وللبيهقي (٦ : ٢٤٩) وإتحاف الخيرة المهرة (٩ : ١١١ ، ٣٦١) ومجمع الزوائد (٩ : ٣٥٢) والمطالب العالية (٤ : ٩٠) والإصابة (٢ : ٢٥٣ ـ ٢٥٤) وفتح الباري (٧ : ١٠١) وسير أعلام النبلاء (١ : ٣٧٥) وصححه البوصيري والحافظ الهيثمي .

(١) انظر سيرة ابن هشام (٤ : ٥٥) ودلائل النبوة للبيهقي (٥ : ٨) وهو عند غيرهما .

(٢) البحر الزخار (٣ : ١٩٣ ـ ١٩٤) وكشف الأستار (٢ : ٣٢٢ ـ ٣٢٣) والمستدرك (٣ : ٢٣٠ ـ ٢٣١) وأقره الذهبي ، ودلائل النبوة (٣ : ٢٣٢ ـ ٢٣٣) ومجمع الزوائد (٦ : ١٠٩) وقال : رجاله ثقات .

ذكر للنبي ﷺ ، فقال : «الْقَني به» فلقيته بعدُ ، فقال : «كيف تصوم ؟» قلت : أصوم كلَّ يوم ، قال : «وكيف تختم ؟» قلت : كلَّ ليلة ، قال : «صُم في كل شهر ثلاثةً ، واقرأ القرآن في كل شهر» قال : قلت : أُطيق أكثر من ذلك ، قال : «صُم ثلاثةَ أيام في الجمعة» قال : قلت : أُطيق أكثر من ذلك ، قال : «أفطر يومين وصُم يوماً» قال : قلت : أُطيق أكثر من ذلك ، قال : «صُم أفضل الصوم ؛ صوم داود ؛ صيام يومٍ وإفطار يومٍ ، واقرأ في كل سبع ليالٍ مرةً».

فليتني قبلتُ رخصةَ رسول الله ﷺ ، وذاك أني كبرت وضعفت .

فكان عبد الله يقرأ على بعض أهله السُّبعَ من القرآن بالنهار ، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخفَّ عليه بالليل ، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى ، وصام مثلهن ، كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي ﷺ عليه . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وفي لفظ لمسلم : فلما كبرتُ وددت أني كنت قبلتُ رخصةَ نبي الله ﷺ .

وفي لفظ لأحمد ـ وبنحوه عند ابن خزيمة[2]ـ: لأن أكون قبلتُ رخصةَ رسول الله ﷺ أحبّ إلي مما عُدل به أو عَدَل ، لكني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره.اهـ.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى[3]: معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على ما التزمه ووظَّفه على نفسه عند رسول الله ﷺ ، فشق عليه فعله [لعجزه] ولا

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب في كم يقرأ القرآن ، وكتاب الصوم : باب حق الجسم في الصوم . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به ،... رقم (١٨١ ـ ١٨٢).

(٢) مسند أحمد (٢ : ١٥٨) وصحيح ابن خزيمة (٣ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤).

(٣) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٨ : ٤٣).

يمكنه تركه ، لأن النبي ﷺ قال له : «يا عبد الله ؛ لا تكن مثل فلان ، كان يقوم الليل فترك قيامَ الليل».اهـ.

فلم يعجبه رضي الله تعالى عنه أن يتركه لالتزامه له ، فتمنى أن لو قَبِل الرخصة ، فأخذ بالأخف .

ومع عجزه رضي الله تعالى عنه وتمنيه بالأخذ بالرخصة ؛ لم يترك العمل بما التزمه أمام النبي ﷺ ، بل صار يتعاطى فيه نوعَ تخفيف ، كما قال الحافظ رحمه الله تعالى[1]. والنصوص في هذا كثيرة .

مثل : **عدم سؤالهم شيئاً لأنهم بايعوه ﷺ على ذلك** ، حتى قال الراوي : فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم ، فما يسألُ أحداً يناوله إياه .

ـ **ووصايته ﷺ لبعضهم** بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وبصلاة الضحى ، والتسبيح عند النوم ، والوتر قبل النوم ، وأنهم ما تركوه . كما سيأتي .

ـ ومن ذلك **إبقاء بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم ناصيته** ، فلم يجزها ، لأن رسول الله ﷺ مسّها . كما في قصة أبي محذورة رضي الله تعالى عنه[2].

ـ ومما يدخل في ذلك : **إرسال أبي بكر رضي الله تعالى عنه جيشَ أسامة** رضي الله تعالى عنه ، ورفضه حلّ لواءٍ عقده رسول الله ﷺ[3].

ـ ومما يدخل في ذلك : اختيارُ أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن اللهَ

---

(١) فتح الباري (٤ : ٢٢٠).

(٢) انظر : مصنف عبد الرزاق (١ : ٤٥٧ ـ ٤٥٩) ومسند أحمد (٣ : ٤٠٨) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب كيف الأذان ، رقم (٥٠١) والمعجم الكبير (٧ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، ٢١٠ ـ ٢١١) وسنن الدارقطني (١ : ٢٣٥) والمستدرك (٣ : ٥١٤) والسنن الكبرى للبيهقي (١ : ٣٩٣) وأصل الحديث رواه الكثيرون .

(٣) الطبقات الكبرى (٤ : ٦٦ ، ٦٧) ومختصر تاريخ دمشق (٤ : ٢٥١) وسير أعلام النبلاء (٢ : ٥٠٣).

تعالى ورسولَه الكريمَ ﷺ والدارَ الآخرة ـ مع شظف العيش ، وقلة ذات اليد ـ عندما خيرهن رسول الله ﷺ . كما في حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها المتفق عليه ، وحديث جابر رضي الله تعالى عنه عند مسلم(١).

وغير ذلك كثير مما ذكرته في الكتاب المذكور .

وكل هذا يدل على منتهى الطاعة منهم لرسول الله ﷺ ، مع تعظيمهم وتوقيرهم له ﷺ حتى في حال غيبته ﷺ عنهم .

عدم إزعاجه ﷺ برفع صوت أو إحداد نظر أو رفع رأس :

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم للنبيِّ الكريم ﷺ : عدم إزعاجه ، سواء برفع صوت ، أو إحداد نظر ، أو رفع رأس ، أو إحداد بصر ،...إلخ.

أ ـ فمن محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : أن كبارهم كأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم كانوا إذا حدّثوه ﷺ حدّثوه كأخي السِّرار ، لم يُسمعوه حتى يستفهمهم ، كما عند البخاري لفعل عمر ، والحاكم لفعل أبي بكر رضي الله تعالى عنهما(٢).

ب ـ كان ﷺ إذا دخل عليهم رضي الله تعالى عنهم لم يرفعوا إليه رؤوسهم ، إعظاماً له ﷺ ، كما في حديث بُريدة رضي الله تعالى عنه عند الحاكم وصححه(٣).

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الأحزاب : باب ﴿ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطلاق : باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية ، رقم (٢٢ ـ ٢٩).

(٢) انظر : صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الحجرات : باب قوله تعالى : ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ ، وفي غيرهما . والمستدرك (٢ : ٤٦٢) وانظر الدر المنثور (٧ : ٥٤٨) والمطالب العالية (٤ : ٢٢٠) لرواية أخرى .

(٣) المستدرك (١ : ١٢٠ ـ ١٢١).

ج ـ وإذا جلسوا معه ﷺ كأن على رؤوسهم الطير ، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عند البخاري ، وحديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما عند أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، وحديث أسامة بن شريك رضي الله تعالى عنه عند أحمد وأبي داود والطيالسي ، وصححه ابن حبان والحاكم ، في آخرين[1].

د ـ وكانوا لا يرفعون أصواتهم عنده ﷺ ، وإذا رفع أحدٌ صوتَه عنده زجروه ، وأمروه بخفض صوته ، كما في حديث صفوان بن عسّال رضي الله تعالى عنه[2].

كما قد مر حديثا جابر وعَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما في عدم إزعاجه ﷺ بإحداد النظر إليه ، وعدم رفع الصوت مخافة إيذائه ﷺ .

تقديم قرابته ﷺ على قراباتهم :

ومن محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : تقديم

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب فضل النفقة في سبيل الله ، ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ١ : ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٨٨) (١٠ : ٣١٠) ومسند أحمد (٤ : ٢٧٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩٥) ومسند الطيالسي (١٧١ رقم ١٢٣٢) وسنن أبي داود : كتاب الطب : باب في الرجل يتداوى ، رقم (٣٨٥٥) وسنن النسائي : كتاب الجنائز : باب الوقوف للجنائز (٤ : ٧٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الجنائز : باب ما جاء في الجلوس في المقابر ، رقم (١٥٤٩) وصحيح ابن حبان (٢ : ٢٣٦ ـ ٢٣٧) والموارد (٤٧٥) والمستدرك (١ : ١٢٠ ، ١٢١) (٤ : ٣٩٩ ـ ٤٠٠) والمعجم الكبير (١ : ١٤٤ ـ ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٢) والسنن الكبرى (٩ : ٣٤٣) والآداب (٤٥٠ رقم ٩٩٨) وشعب الإيمان (٢ : ٢٠٠) وغيرها .

(٢) مصنف عبد الرزاق (١ : ٢٠٥ ـ ٢٠٦) ومسند الطيالسي (١٦٠) ومسند الحميدي (٢ : ٣٨٨ ـ ٣٨٩) ومسند أحمد (٤ : ٢٤٠) وسنن الترمذي : كتاب الدعوات : باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده ، رقم (٣٥٣٥ ، ٣٥٣٦) وصحيح ابن حبان (٢ : ٣٢٢) (٤ : ١٤٩ ـ ١٥١) والمعجم الكبير (٨ : ٦٤ ـ ٦٥ ، ٦٨ ـ ٧٠ ، ٧٢) وهو مروي من طرق مختصراً ومطولاً عند كثير من المصنفات .

قرابته وأهله رضي الله تعالى عنهم على أقربائهم وأهليهم وذويهم ، وإن كانوا محتاجين ، فمن ذلك :

أ ـ فرحهم بإسلام عمّه العباس رضي الله تعالى عنه أكثر من فرحهم بإسلام آبائهم . كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، رواه إسحٰق وغيره بإسناد صحيح[(١)].

ب ـ وقال أبو بكر الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه قال : والذي نفسي بيده لقرابةُ رسول الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي .

ج ـ وقال رضي الله تعالى عنه : ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته . رواهما البخاري[(٢)].

قال الحافظ رحمه الله تعالى[(٣)]: المراقبة للشيء : المحافظة عليه ، يقول : احفظوه فيهم ، فلا تؤذوهم ، ولا تسيؤوا إليهم.اهـ.

د ـ وقدَّم عُمر رضي الله تعالى عنه أسامةَ بن زيدٍ رضي الله تعالى عنهما في العطاء على ولده عبدِ الله رضي الله تعالى عنه ، لأن أسامة : الحِبُّ ابنُ الحِبِّ رضي الله تعالى عنهما ، رواه الترمذي وحسنه وابن سعد[(٤)].

---

(١) سيرة ابن هشام (٤ : ٦٤) والمعجم الكبير (٨ : ١٠ ـ ١٥) ودلائل النبوة (٥ : ٣٢ ـ ٣٥) المطالب العالية (٤ : ٤١٨ ـ ٤٢٠) وإتحاف الخيرة المهرة (٦ : ٤٨٣ ـ ٤٨٦) ومجمع الزوائد (٦ : ١٦٤ ـ ١٦٧) وصححه الحافظ ابن حجر والبوصيري ، وقال الهيثمي : برجال الصحيح .

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ ، وفي غيرهما .

(٣) فتح الباري (٧ : ٧٩).

(٤) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه ، رقم (٣٨١٣) والطبقات الكبرى (٤ : ٧٠) ومختصر تاريخ دمشق (٤ : ٢٥٢) وتهذيب الكمال (٢ : ٣٤٤ ـ ٣٤٥).

فإذا كان هذا توقيرهم لقرابته ﷺ ـ وهو ناشئ عن تعظيمه وتوقيره هو ﷺ ـ فكيف تكون طاعتهم له ﷺ ؟

تمني أحدهم أن يقطّع أوصالاً ولا يصاب ﷺ بأدنى أذى :

ومن محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : أن أحدَهم يتمنّى أن يقطَّع أوصالاً بيد الأعداء ، ولا يصاب رسول الله ﷺ بشوكة ، وهو بين أهله وأصحابه ، كما في قصة خُبيب وزيد بن الدثنة رضي الله تعالى عنهما(١) .

لما رفع كفّار قريش خُبيباً رضي الله تعالى عنه على الخشبة ، ووضعوا فيه السلاحَ وهو مصلوب ، نادوه وناشدوه : أتحب أن محمداً مكانك ؟ قال : لا ، والله العظيم ، ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه .

وقال أبو سفيان لزيد ـ حين قُدِّم ليُقتل ـ : أنشدك الله يا زيد ؛ أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه ، وأنك في أهلك ؟ قال : والله ؛ ما أحبُّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه ، تصيبه شوكةٌ تؤذيه ، وإني جالس في أهلي .

قال أبو سفيان : ما رأيتُ من الناس أحداً يحبُّ أحداً كحبِّ أصحاب محمدٍ محمداً .

رحم الله تعالى زيداً وخُبيباً ورضي الله تعالى عنهما ، فقد أعطيا المؤمنين المحبّين

---

(١) انظر : صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب هل يستأسر الرجل ؟ ومن لم يستأسر ،... وكتاب المغازي : باب غزوة الرجيع ، ورعل وذكوان ،... وعاصم بن ثابت وخُبيب وأصحابه ، وفي غيرها . وسيرة ابن هشام (٣ : ٢٤١ ـ ٢٦٠) والطبقات الكبرى (٢ : ٥٥ ـ ٥٦) وتاريخ الطبري (٢ : ٥٣٨ ـ ٥٤١) ودلائل النبوة (٣ : ٣٢٣ ـ ٣٢٥) والسيرة النبوية لابن كثير (٣ : ١٢٣ وما بعد) وسبل الهدى والرشاد (٦ : ٤٢ وما بعد) لبيان تلك الواقعة ، وما قيل فيها من شعر ، وفتح الباري (٧ : ٣٨٤) وفي عامة كتب السير .

درساً في الفداء ، لن تصل إليه عقول الناس بعد . إن كلَّ واحدٍ منهما أبى أن يصاب رسولُ الله ﷺ بشوكة في قدمه ، وهو بين أصحابه ـ وما تفعل الشوكة ، وما إيذاؤها ـ ويكون هو متنعِّماً في بيته ، وبين أهله وذويه ، ولكنه الحب الذي غطى على كل شيء ، وملأ عليهم كل شيء .

كما كان لموقفهما أكبر الأثر في نفوس المشركين ؛ ساعة قتلهما ، وبقي بعدهما بزمن طويل ، كما كان ضربةً قاصمة لكبرياء قريش ، واعترافهم بمدى محبة الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل لرسول الله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

كما مر قول عروة بن مسعود : فوالله ما تنخّم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كفّ رجل منهم ، فدلك بها وجهَه وجلدَه ، وإذا أمرهم ابتدروا أمرَه ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ، وإذا تكلّموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدّون إليه النظر تعظيماً له ،... رواه البخاري .

قتلهم أقاربهم إذا كانوا أعداء لله تعالى ولرسوله ﷺ :

ومن محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : قتلُ أحدهم أباه أو أخاه أو زوجه أو قريبه ،... إذا كان عدوّاً لله تعالى ولنبيِّه الكريم ﷺ ، كما حصل مع أبي عُبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه حيث قتل أباه يوم بدر ، ومحاولة أبي بكر رضي الله تعالى عنه قتل ولده يوم بدر ، وطلب عبد الله بن عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول قتل أبيه ، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم[1] .

فإذا بلغ بهم الحب والتقدير إلى هذا الحد ، فالطاعة أولى من ذلك .

اشتياقهم إليه ﷺ عند الموت :

ومن مظاهر محبتهم وشوقهم لرسول الله ﷺ : قولهم عند الاحتضار : غداً

(١) انظر : واجب الأمة نحو نبيِّ الرحمة ﷺ ، الباب الثالث ، فقد ذكرت نماذج كثيرة .

ألقى الأحبة ؛ محمداً وحزبَه ، رضي الله تعالى عنهم .

امتناعهم عن القيام بعمل قبل فعله ﷺ :

ومن محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : امتناع عثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنه عن الطواف بالبيت ـ عندما طلب منه كفارُ قريش ذلك قُبيل وقوع صلح الحُدَيْبِيَة ـ لأن النبي الكريم ﷺ لم يطف به . وقال لهم : ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ(1) .

فإذا امتنع رضي الله تعالى عنه عن الطواف بالبيت ـ والكعبة أمامه ـ لا لشيء إلّا لأن رسول الله ﷺ لم يطف به قبله ـ تعظيماً وتوقيراً له ﷺ ـ فكيف يتصوّر وجود الطاعة لديه رضي الله تعالى عنه ؟

ذكر ما حصل لهم رضي الله تعالى عنهم يوم وفاته ﷺ :

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : ما حصل معهم يومَ وفاته ﷺ ، فمنهم من صُعق ، ومنهم من أُقعد ، ومنهم من ذهل ، ومنهم من كف بصره ،... بل منهم من مات ، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، حتى قام الصِّدّيق رضي الله تعالى عنه ذلك المقام ، الذي حمده عليه الأولون والآخِرون .

بكاؤهم إذا ذكروه ﷺ :

ومن فرط محبتهم وتعظيمهم وتوقيرهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ بعد وفاته : أن أحدَهم إذا ذكره بكى ، ويصعب عليه الكلام ، بل منهم من إذا مرّ بجوار داره ﷺ أشاح بوجهه ، لعدم صبرهم على الفراق ، كما أن كثيراً منهم

---

(1) انظر مسند أحمد (٤ : ٣٢٤ ـ ٣٢٥) وسيرة ابن هشام (٣ : ٤٣٧) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٤٤٢ ـ ٤٤٣) والطبقات الكبرى (٢ : ٩٧) وتاريخ الطبري (٢ : ٦٣١) وأغلب طرقه صحيح .

خرج من المدينة للجهاد حرصاً على الشهادة للحاق به ﷺ ، وقولُ عمر رضي الله تعالى عنه في سبب جمع القرآن دليل صريح في ذلك .

ـ جاء من طرق كثيرة عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قام على المنبر ـ وفي رواية بجانب المنبر ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ بقليل ، فذكر رسول الله ﷺ فقال : قد علمتم ما قام به رسول الله ﷺ وبكى ، ثم أعادها ثم بكى ، ثم أعادها ثم بكى ، ثم قال : إن الناس لم يُعطَوا في هذه الدنيا شيئاً أفضل من العفو والعافية ، فسلوهما الله عز وجل ، الحديث برواياته ، رواه أحمد والحُميدي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد ، والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في آخرين[1].

ـ وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ ـ لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها ، كما كان رسول الله ﷺ يزورها . فلما انتهيا إليها بكت . فقالا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ . فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ ، ولكن أبكي أن الوحيَ قد انقطع من السماء . فهيّجتهما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها . رواه مسلم[2].

(١) مسند أحمد (١ : ٣ ـ ١١) ومسند الحميدي (١ : ٥ ـ ٦) ومسند الطيالسي (٣ رقم ٥) ومصنف ابن أبي شيبة (١٠ : ٢٠٥) وسنن الترمذي : كتاب الدعوات : باب (١٠٦) رقم (٣٥٥٨) وعمل اليوم والليلة (رقم ٨٧٩ ـ ٨٨٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الدعاء : باب الدعاء بالعفو والعافية ، رقم (٣٨٤٩) والأدب المفرد (٢٤٤ رقم ٧٢٥) ومسند أبي بكر للمروزي (٩٢ ـ ٩٥) ومسند أبي يعلى (١ : ٤٩ ، ٧٥ ـ ٧٧ ، ٨٦ ـ ٨٨ ، ١١٢ ، ١١٣) والبحر الزخار (١ : ٩٢ ، ١٤٦ ـ ١٤٨) والمستدرك (١ : ٥٢٩) وصحيح ابن حبان (٣ : ٢٣٠ ـ ٢٣١ ، ٢٣٢ ـ ٢٣٣) وشرح السنة (٥ : ١٧٨) ومجمع الزوائد (١٠ : ١٧٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أم أيمن رضي الله تعالى عنها ، =

إنها رضي الله تعالى عنها كانت مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته .

ـ وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كان لا يذكر النبيَّ ﷺ إلا بكى . رواه ابن سعد والدارمي[1].

والنصوص عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كثيرة جدّاً في شدة متابعته لرسول الله ﷺ ، سواء في الأماكن أو اللباس أو تتبع الآثار ،... ولا يسعها مثل هذا المختصر .

ـ وعن عَمْرو بن ميمون رحمه الله تعالى قال : كنتُ لا تفوتني عشيةَ خميس إلا آتي فيها عبدَ الله بنَ مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ فما سمعتُه يقول لشيء قط : قال رسول الله ﷺ ، حتى كانت ذاتَ ليلة فقال : قال رسول الله ﷺ . قال : فاغرورقت عيناه ، وانتفخت أوداجُه ، فأنا رأيتُه محلولةً أزرارُه ،... رواه الدارمي وابن ماجه بإسناد صحيح ، وصححه الحاكم على شرطهما ، في آخرين[2].

إذا كان هذا حبهم وشوقهم وحنينهم له ﷺ ، فكيف تكون طاعتهم له ﷺ ، والطاعة مظهر المحبة ؟

رؤيتهم أن وفاة أمهات المؤمنين آية تستلزم السجود :

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : أن

= رقم (١٠٣).

(١) الطبقات الكبرى (٤ : ١٦٨) وسنن الدارمي (١ : ٤٠) وسير أعلام النبلاء (٣ : ٢١٤).

(٢) مسند أحمد (١ : ٤٥٢) ومسند الطيالسي (٤٣) وسنن الدارمي (١ : ٧٢) وسنن ابن ماجه : المقدمة : باب التوقي في حديث رسول الله ﷺ ، رقم (٢٣) والمستدرك (١ : ١١١) (٣ : ٣١٤) والمحدث الفاصل (٥٤٩ ـ ٥٥٠) والبحر الزخار (٥ : ٢٤٨ ـ ٢٤٩) والمعجم الكبير (٩ : ١٢٩ ـ ١٣٣ من طرق) ومسند الشاشي (٢ : ١٢٩ ـ ١٣١) والشفا (٢ : ٥٩٩ ـ ٦٠٠) وشرحه لملا علي القاري ، والإلماع (١٧٦ ـ ١٧٧) وجامع بيان العلم (١ : ٧٩) ومصباح الزجاجة (١ : ٧).

ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يرى أن موت زوجات النبي المصطفى الكريم ﷺ ورضي الله تعالى عنهن من الآيات التي تستلزم السجود .

لما قيل له رضي الله تعالى عنهما ـ بعد صلاة الصبح ـ : ماتت فلانة ـ لبعض أزواج النبيّ ﷺ ، سجد ، فقيل له : أتسجد هذه الساعة ؟ فقال : أليس قد قال رسول الله ﷺ : «إذا رأيتم آية فاسجدوا»؟ فأي آية أعظمُ من ذهاب أزواج النبيّ ﷺ؟ رواه أبو داود ، والترمذي والبغوي وحسّناه[1].

وسماها البغوي : صفية بنت حُيي رضي الله تعالى عنها .

إذا كان يرى أن فَقدَ واحدةٍ من أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن كارثة تستوجب السجود لله تعالى ، فكيف يكون اتّباعه وطاعته لقوله ﷺ وحاله هو ؟

محبتهم لما يحبه ﷺ وكراهيتهم لما يكرهه ﷺ :

ومن مظاهر محبة الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم لرسول الله ﷺ : محبتهم ما كان يحبه ، وكراهتهم ما كان يكرهه ، وفعلهم ما كان يفعله . وأقتصر على بعض النصوص في الحب ، وأُخرى في الكراهة .

ـ عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : إن خيّاطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه . قال أنس بنُ مالك : فذهبتُ مع رسول الله ﷺ إلى ذلك الطعام . فقرَّب إلى رسول الله ﷺ خبزاً من شعير ومرقاً فيه دُبّاء وقَديد .

قال أنس : فرأيت رسول الله ﷺ يتتبّع الدُّبّاءَ من حوالي الصحفة .[زاد في رواية : فلما رأيت ذلك جعلتُ أُلقيه إليه ولا أطعمه] قال : فلم أزل أحبُّ الدُّبّاءَ منذ يومئذ . متفق عليه[2]. وللحديث روايات أخرى .

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب السجود عند الآيات ، رقم (١١٨٥) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب فضل أزواج النبيّ ﷺ ، رقم (٣٨٩١) وشرح السنة (٤ : ٣٩٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب الخياط ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب =

زاد في رواية لمسلم : قال أنس رضي الله تعالى عنه : فما صُنع لي طعامٌ بعدُ - أقدر على أن يُصنع فيه دُبّاء إلا صُنع .

جاء في رواية أبي الشيخ - برجال ثقات - قال : فأنا أحبُّ القرعَ لحُبِّ رسول الله ﷺ إياه .

- وقد مر قولُ أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه لرسول الله ﷺ عندما أخبره أنه لم يأكل من الطعام لوجود الثوم فيه ، وأنه ﷺ يكرهه . قال أبو أيوب : فإني أكره ما تكره - أو ما كرهتَ . رواه مسلم .

- وعن كريمة بنت همّام رحمها الله تعالى ، أن امرأةً أتت عائشةَ رضي الله تعالى عنها فسألتها عن خضاب الحناء . فقالت : لا بأس به ، ولكني أكرهه . كان حبيبي رسولُ الله ﷺ يكره ريحَه . رواه أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي ، وسكت عنه أبو داود والمنذري رحمهما الله تعالى[1] .

- وعن معاوية بن قرة ، عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال : أتيتُ رسول الله ﷺ في رهطٍ من مُزَيْنَة ، فبايعناه ، وإن قميصَه لمطلقُ الأزرار . قال : فبايعتُه ، ثم أدخلتُ يدي في جيب قميصه ، فمسستُ الخاتم .

قال عروة [بن عبد الله ، الراوي عن معاوية] : فما رأيتُ معاوية ولا ابنَه قط إلا مطلقي أزرارهما في شتاء ولا حر ، ولا يزرِّران أزرارَهما أبداً . رواه أحمد

= الأشربة : باب جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين ، رقم (١٤٤ - ١٤٥) وأخلاق النبيّ ﷺ (٢٣٠).

(١) مسند أحمد (٦ : ٢١٠) وسنن أبي داود : كتاب الترجل : باب في الخضاب للنساء ، رقم (٤١٦٤) وسنن النسائي : كتاب الزينة : باب كراهية ريح الحناء (٨ : ١٤٢) وفي الكبرى (٥ : ٤١٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ٦١ - ٦٢) (٧ : ٣١١ - ٣١٢) والآداب له (٣٨٠) ومختصر سنن أبي داود (٦ : ٨٦) وكريمة ، قال الحافظ عنها في التقريب : مقبول .

وأبو داود وابن ماجه والطيالسي وابن أبي شيبة وابن الجعد وابن حبان في آخرين بسند صحيح[1].

ـ ولما سأل عُبيد بن جُريج رحمه الله تعالى عبدَ الله بن عُمَر رضي الله تعالى عنهما عن مس الركنين ، ولبس النعال السبتية ، والصبغ بالصفرة ، والإهلال يوم التروية .

قال عبدُ الله رضي الله تعالى عنه : أما الأركان ؛ فإني لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا اليمانيين . وأما النعال السبتية ؛ فإني رأيتُ رسول الله ﷺ يلبس النعال التي ليس فيها شعر ، ويتوضأ فيها . فأنا أحب أن ألبسها . وأما الصفرة ، فإني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها . فأنا أحب أن أصبغ بها ،... الحديث ، متفق عليه[2].

هكذا شأن الحب ؛ أورث طاعةً ، لذا لا يُتصوّر وجود محبٍّ غير مطيع ، وإلّا كان مُدَّعِياً .

المبالغة في توقيره ﷺ وتعظيمه وتفديته والدفاع عنه :

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : المبالغةُ في توقيره وتعظيمه ، وفداؤهم له ﷺ ، والدفاعُ عنه ، ومحاولةُ قتل من

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٣٤) (٤ : ١٩) (٥ : ٣٥) ومسند ابن الجعد (٣٩٢ ـ ٣٩٣) ومسند الطيالسي (١٤٤ رقم ١٠٧٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٣٨٥ ـ ٣٨٦) وسنن أبي داود : كتاب اللباس : باب حل الإزار ، رقم (٤٠٨٢) وسنن ابن ماجه : كتاب اللباس : باب حل الإزار ، رقم (٣٥٧٨) وشرح السنة (١٢ : ١٥) والشمائل المحمدية للترمذي (١٥٦ ـ ١٥٧ رقم ٥٨) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٢٦٦ ـ ٢٦٧) والمعجم الكبير (١٩ : ٢١ ـ ٢٢) وأخلاق النبيّ ﷺ (١٠٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب غسل الرجلين في النعلين ولا يمسح على النعلين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب الإهلال من حيث تنبعث الراحلة ، رقم (٢٥).

يؤذيه ـ وقد قتل بعضُهم من آذاه وعاداه ـ والاستهانةُ بكل شيء في سبيل المحافظة عليه ،... كما أوضحته في غير هذا الكتاب(١).

محافظتهم على سنته ﷺ والعمل بها ونشرها :

ومن مظاهر محبتهم وتوقيرهم وتعظيمهم رضي الله تعالى عنهم له ﷺ : حفظُهم لسنته ﷺ ، ومحافظتُهم عليها ، والعملُ بها ، وتطبيقها ، والاعتماد عليها ، والإنكارُ على من خالفها ـ ولو كانت المخالفة يسيرة ـ والاستدلال لحجِّيَّتها ، والعمل على نشرها ، وعقد المجالس لتذكّرها ،... وقد توسعت في بيان ذلك في غير هذا الكتاب(٢). كما سيأتي موسّعاً في الباب التاسع من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

اتباعه ﷺ في جميع الأمور ؛ في جلائلها وصغيرها :

إن من محبة النبي ﷺ اتباعَه ، وطاعةَ أمره ، ولهذا أمر الله تعالى باتباعه ، واتباع ما جاء به ، فمن سلك سبيله ، واقتفى أثره ، ونهج مسلكه ، وتعبَّد بطريقته ، نال الفلاح ، وحلَّت عليه محبةُ الله عز وجل ، وغَفر الله تعالى له ذنوبه ، ونال مرافقة نبيه وصفيِّه ﷺ ، ذلك لأن الاتباعَ ناشئٌ عن المحبة ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ

(١) انظر : (رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار) و (واجب الأمة نحو نبي الرحمة ﷺ).

(٢) انظر : نشأة علوم الحديث ، وفي الباب الثاني من (واجب الأمة نحو نبي الرحمة ﷺ .

وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1].

فقد بيَّن سبحانه وتعالى من ينال رحمتَه التي وسعت كل شيء ، إنما هي للمتقين المؤمنين ، الذين يتبعون الرسول الكريم ﷺ ، الموصوف في الكتب السابقة بأنه نبيٌّ ، رسولٌ ، أُمِّيٌّ ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحل الطيبات ، ويحرم الخبائث ، ويضع عنهم الشدة والضيق ،... فالذين عظَّموه ، ووقَّروه ، ونصروه ، واتبعوا ما جاء به : هؤلاء هم المفلحون في الدنيا وفي الآخرة .

ثم يأمر الله تعالى نبيَّه وصفيَّه ﷺ أن يُعلن عمومَ رسالته ؛ لأنه خاتم النبيين الذي عظَّمه الله تعالى وشرَّفه ، ثم يأمر الله تعالى الناس جميعاً بالإيمان به وبرسوله النبيِّ الأمي ﷺ ، وباتباعه واقتفاء أثره ، وسلوك طريقه ﷺ لعلهم يهتدون إلى الصراط المستقيم .

والاتباع يبدأ من الإيمان به ، ثم يستمر في الاقتداء به ، وسماع قوله ، واعتناق فكره ورأيه ، وسلوك طريقه ، والإقبال عليه بالكلية ، والتوغل في الاقتداء ؛ لأن هذا هو معنى الاتباع ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

لأن الله تعالى أخبرنا عن نبيه الكريم ﷺ أنه لا يتبع إلا ما يوحى إليه ، كما قال تعالى عنه : ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾[2] وَ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ﴾[3]. وليس متبعاً أهواء الناس ، مهما كانوا ، كما قال الله تعالى عنه : ﴿قُل لَّآ

(١) سورة الأعراف (١٥٦ ـ ١٥٨).

(٢) سورة الأنعام (٥٠) وسورة يونس (١٥) وسورة الأحقاف (٩).

(٣) سورة الأعراف (٢٠٣).

﴿أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾[1]. لهذا أمر الله تعالى جميع الناس باتباعه ﷺ ؛ لأن في اتباعه ﷺ تمام الامتثال لله تعالى الذي أوحى إليه ، وشهد له بذلك ، فمن اتبعه ﷺ كان غاية الطاعة لربه عز وجل ، ولهذا جعل وصايته في اتباعه ، وأثبت لهم الهداية والفلاح : ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

لقد جعل الله تعالى نبيَّه المصطفى الكريمَ ﷺ حادياً يحدو بقلوب أمته ، لاتباعه وطاعته والسير خلفه ، لأنه ﷺ دليلٌ يسلك بهذه الأمة في الدروب الصعبة المسالك ، وفي المتاهات التي لا يعلمها إلا من اتّبعه وسلك سبيله ، إذ كلُّ الطرق والسُّبل مهلِكةٌ إلا الطريق الذي يسلكه ، لأنه هو صراط الله تعالى المستقيم ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾[2].

فمن مشى خلفه ﷺ ، واتّبع سبيلَه ، وسلك مسلكَه ،... نجا وسعد ، ووصل شاطئ السلامة ، ومن اتّبع غير سبيله ، وسار غيرَ مسيره ،... ضل وهلك ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[3] فوحّد صراطَه ؛ لأنه واحد ، وطريقُ الحق واحدٌ ، وجمع السبل لأنها متشعِّبةٌ متفرقةٌ ، كالظلمات كثيرة ، وأسبابها متعددة ، والله تعالى يُخرج من الظلمات المتعددة إلى النور الواحد ، بينما الطاغوت فإنه يخرج من النور الواحد إلى الظلمات المتعددة ، كما قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام (٥٦).

(٢) سورة الشورى (٥٢ ـ ٥٣).

(٣) سورة الأنعام (١٥٣).

(٤) سورة البقرة (٢٥٧).

لقد جعل الله تعالى صوتَ نبيّه الكريم ﷺ ينادي في أعماق الكون دائماً ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ لتنالوا ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

وهذه سعادة لا تقابلها سعادة، في الدنيا والآخرة. حيث جعل تعالى السبيل إلى محبة الله جل شأنه هو اتّباع النبي الكريم ﷺ، واستحقّ المتَّبعُ هذا الاسم، ونال هذا اللقب (محب لله تعالى) بمتابعته ﷺ.

فمتّبع النبيِّ الكريم ﷺ هو حبيبٌ ومحبوبٌ.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾(١).

فبهذا الميزان الشرعي الدقيق ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ يُزان مدّعي الإيمان ومحبة الله تعالى، ولا ينجح فيه إلا المتَّبع؛ كاملُ الاتِّباع له ﷺ، في الأقوال والأفعال والأخلاق والأحوال،... فمن حاد فقد طف به الميزان.

وهذا الحال الذي ظهر به ﷺ بهذا المقياس، هو الذي كان قد طبقه عملياً مع أصحابه رضي الله تعالى عنهم، فهو إمامُهم وهم مأموموه، هو قدوتُهم وهم تابعوه، هو قائدُهم وهم جنوده، هو سيدُهم وهم مرافقوه، هو أسوتهم وهم متبعوه،... فهو القدوة والأسوة في كل شيء، لذا كان ﷺ يطلب منهم أن يقتدوا به، ويرقبوا فعله، حتى يفعلوا مثل ما فعل.

فعن أبي حازم [سلمة] بن دينار رحمه الله تعالى قال: سألوا سهلَ بنَ سعدٍ رضي الله تعالى عنهما: من أي شيء المنبر؟ فقال: ما بقي في الناس أعلم مني، هو من أَثْل الغابة، عمِلَه فلانٌ - مولى فلانة - لرسول الله ﷺ، وقام عليه رسول الله ﷺ - حين عمل ووضع - فاستقبل القبلة، كبَّر، وقام الناس خلفه، فقرأ، وركع،

(١) سورة آل عمران (٣١).

وركع الناس خلفه ، ثم رفع رأسه ، ثم رجع القهقرى ، فسجد على الأرض ، ثم عاد إلى المنبر ، ثم ركع ، ثم رفع رأسه ، ثم رجع القهقرى ، حتى سجد بالأرض ، ثم عاد ، حتى فرغ من آخر صلاته ، ثم أقبل على الناس فقال : «يا أيها الناس ؛ إني صنعت هذا لِتَأْتَمُّوا بي ، ولتعلموا صلاتي». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1] من موضعين .

وعن مالك بن الحويرث رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «...صلوا كما رأيتموني أصلي ،...». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2]، وهو جزء من حديث طويل .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ، ويقول : «لتأخذوا عني مناسككم ، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه». هذا لفظ مسلم[3].

وعند أهل السنن وأحمد «خذوا عني مناسككم».

والاتّباع[4]: من تَبع ، وهو التُّلُوّ والقَفْوُ ، يقال : تبعتُ فلاناً إذا تلوته ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب الصلاة على السطوح والمنبر والخشب ، وكتاب الجمعة : باب الخطبة على المنبر . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة ، رقم (٤٤ ـ ٤٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب من أحق بالإمامة ، رقم (٢٩٢ ـ ٢٩٣).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً . رقم (٣١٠).

(٤) معجم مقاييس اللغة (١ : ٣٦١ ـ ٣٦٢) ومجمل اللغة (١ : ١٥٣) والصحاح (١١٨٩ ـ ١١٩٠) ولسان العرب (٨ : ٢٧ ـ وما بعد) وغريب الحديث لأبي عبيد (٤ : ١٧٢ ـ ١٧٣) وكتاب الغريبين (١ : ٢٤٦) وتفسير أبي السعود (١ : ٢٢٣ ـ ٢٢٤) وروح المعاني (١ : ٣٣٧) وروح البيان (١ : ١٩٠).

واتّبعتُه وأتْبعتُه إذا لحقته . وقال أبو زيد : يقال تابع الرجلُ عملَه إذا أتقنه وأحكمه ، وتتبّعتُ الشيءَ تتبُّعاً إذا تطلَّبتُه متتبِّعاً له . وقال أبو حيّان : معنى اتَّبعوا ، أي اقتدوا به إماماً ، أو فضّلوا ـ لأن من اتّبع شيئاً فضَّله ـ أو قصدوا ويقال : تتابع المطر : إذا سقطت نقطة وراء نقطة ، وتتابعت الإبل : إذا جاء بعضُها إثرَ بعض .

فالاتِّباعُ إذاً : هو التوغل والتمحّضُ فيه ، والإقبالُ عليه بالكلِّيَّة . وهو التوغل في الاقتداء والقفو ، مع تفضيل المتَّبَع .

فهو : السيرُ وراءه ، وفعلُ أفعاله ، والاقتداءُ بكل تصرفاته ، وقُفُوُ أثره ، وإتقانُ أحواله ، وعدمُ الخروج عنه ، فيسير حيث سار ، ويقف حيث يقف ، ويفعل نفسَ الفعل ، ويتلفّظ نفس اللفظ ،... مع إتقان ذلك وإحكامه ، وعدم العنود عن الاتصاف بكل ما جاء به وعنه ،... وكل ذلك يدل على شدة الملازمة ، والتوغل بالاتصاف ، والإخلاص في الاقتداء ، ومنح الإرادة ، حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به المتبوع ،... وكل ذلك يكون في صغائر الأمور كما يكون في عظائمها ،... فمن خالف ذلك كان ناقص الاتباع .

ويوضِّح هذا المعنى قوله ﷺ ـ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ـ : «لتتبعن سنن من قبلكم شِبراً بشبرٍ ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا في جُحر ضَبٍّ لاتبعتموهم» ،... متفق عليه[1] .

فإنهم لشدة اقتفائهم آثارهم ، واتّباعهم طرائقهم ، ودقة اتصافهم بهم ، وتوغّلهم في ملازمتهم ،... لو دخلوا في مثل هذا الجُحر الضَّيِّق الرديء : لتبعوهم ، كما قال الحافظ رحمه الله تعالى .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب قول النبيّ ﷺ : «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب العلم : باب اتباع اليهود والنصارى ، رقم (٦).

والمراد بالشبر والذراع والجُحر : التمثيل لشدة الموافقة لهم ، كما قال الإمام النووي رحمه الله تعالى .

وبهذا يتضح معنى الاتباع ، حتى لو دخلوا في جُحْر ضيِّقٍ متعَرِّجٍ لتبعوهم ، ودخلوا خلفهم فيه ، بل لو نكح أحدُهم زوجَه ـ أو أمه ـ بالطريق لفعلموه ـ كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[1].

ومن هنا يتضح **الفرق بين الاتباع والطاعة ، فالطاعة** : مرتبطة بالأمر والنهي ، وقد يكون الحامل عليها الخوف من العقوبة ، وقد يكون المحبة . **أما الاتباع** : فلا حامل له إلا نفس المتَّبع محبةً ورغبةً وتقليداً ،... ويدل على التفريق بينهما قوله تعالى على لسان هرون عليه السلام : ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِي﴾[2]. حيث أمر باتباعه وطاعة أمره ، والعطف يقتضي المغايرة ، والله تعالى أعلم .

ولهذا أوجب الله عز وجل لمتَّبع نبيِّه الكريم ﷺ محبتَه تعالى للمتَّبع ، مع مغفرة ذنوبه ، ثم أردفها تعالى بالأمر بطاعته تعالى وطاعة رسوله الكريم ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ﴾ لذا لابد للمؤمن من الإثنين : الاتباع للنبي الكريم ﷺ ـ ويكون نابعاً من نفسه ؛ محبة ورغبة وتقليداً ـ والطاعة لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ ـ سواء عن محبة ورغبة ، أو خوفاً من العقاب الدنيوي أو الأخروي ـ والأول أولى وأنفع وأجدى ، والله تعالى أعلم .

ومَن أَوْلى من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بهذا الاتباع ؟ وهم الذين اختارهم الله تعالى ليكونوا صحابةَ رسوله الكريم ﷺ ، فكانوا حظَّه من

---

(١) المستدرك (٤ : ٤٥٥) وصححه وأقره الذهبي ، وكشف الأستار (٤ : ٩٨) برجال ثقات ، ومختصر زوائد البزار (٢ : ١٧٦ ـ ١٧٧) ومجمع الزوائد (٧ : ٢٦١).

(٢) سورة طه (٩٠).

الأمم ، كما كان ﷺ حظَّهم من الأنبياء عليهم السلام ، لذا كانوا أفضلَ الخلق ـ عدا الأنبياء عليهم السلام ـ منذ خلق آدم عليه السلام حتى قيام الساعة . كما أوضحته في غير هذا الكتاب[1] .

هذا مع حثه ﷺ لهم باتباعه ، والاقتفاء به ، والائتمام به ، كما بينته في غير هذا الموضع .

وقد نفّذ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ذلك بكل دقة ، خاصة بعد ما علموا أن الله تعالى قد جعل رسوله الكريم ﷺ : قدوتَهم وإمامَهم ومتبوعَهم وأُسوتَهم ، لذا وصل بهم الأمر بالاتباع والامتثال الحد الأقصى والأكمل ، الذي لا يدانيه أو يقاربه فعلُ أتباع نبيٍّ من الأنبياء السابقين عليهم السلام[2] .

لقد اتبعوه ﷺ ، ولو لم يَطلب ذلك منهم صراحة ، بل كان يكفيهم فعله ﷺ لا غير ، فإذا رأوه فعل شيئاً فعلوه ، لا لشيء إلا لأنه ﷺ فعله ، حتى لو لم يعرفوا علة ذلك ، ما لم يكن خاصّاً به ﷺ . وأذكر بعضَ الأمثلة للتقريب :

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه ، إذ خلع نعليه ، فوضعهما عن يساره ، فخلعوا نعالَهم . فلما قضى صلاتَه قال : «ما حملكم على إلقائكم نعالكم ؟» قالوا : رأيناك خلعتَ فخلعنا ،... الحديث ، رواه أحمد وعبد الرزاق والطيالسي وابن أبي شيبة وإسحٰق وابن سعد وأبو داود وأبو يعلى ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ،

---

(١) انظر : فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، ومناقب الأصحاب كما وردت في آي الكتاب ..

(٢) انظر ما كتبته في المقارنة بين الصحابة وبين أتباع الأنبياء عليهم السلام : مكانة النبيّ الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام ، وشوق الجمادات واستجابتها له ﷺ ، ومحبة النبيّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد .

في آخرين[1].

وعن الزبير بن عربي رحمه الله تعالى قال : سأل رجلٌ ابنَ عمر رضي الله تعالى عنهما عن استلام الحَجَر فقال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يستلمه ويقبله ، قال قلتُ : أرأيتَ إن زُحِمْتُ ، أرأيتَ إن غُلِبْتُ ؟ قال : اجعل أرأيتَ باليمن ، رأيت رسول الله ﷺ يستلمُه ويُقبِّلُه . رواه البخاري[2].

ولهذا كان رضي الله تعالى عنه يستلمه ، ثم يضع شفتيه عليه طويلاً ـ كما رواه الشافعي ـ وما تركه منذ رأى رسول الله ﷺ يفعله ، حتى في وقت الزحام ، وإن أدى ذلك إلى خروج الدم من أنفه رضي الله تعالى عنه ، وكأنه كان لا يرى الزحام عذراً في تركه ، رضي الله تعالى عنهما[3].

بل قد يفعلون شيئاً ـ وإن لم تظهر حكمته ـ إنما هو الاتباع والاقتداء ، وقول عمر رضي الله تعالى عنه يمثِّل هذا خير تمثيل .

فعن أسلم مولى عمر ، أن عمر بنَ الخطاب رضي الله تعالى عنه قال للركن [الحجر الأسود] : أما والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيتُ النبي ﷺ استلمَك ما استلمتُك ، فاستلمه .

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٢٠ ، ٩٢) ومصنف عبد الرزاق (١ : ٣٨٨) ومسند الطيالسي (٢٨٦ رقم ٢١٥٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٤١٧) ومسند عبد بن حُميد (٢٧٨ رقم ٨٨٠) وسنن الدارمي (١ : ٣٢٠) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب الصلاة في النعلين ، رقم (٦٥٠) ومسند أبي يعلى (٢ : ٤٠٩) والطبقات الكبرى (١ : ٤٨٠) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ١٠٧) وصحيح ابن حبان (٥ : ٥٦٠) والموارد ، رقم (٣٦٠) والمستدرك (١ : ٢٦٠) والسنن الكبرى (٢ : ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٣١) والعلل لابن أبي حاتم (١ : ١٢١) ونصب الراية (١ : ٢٠٨) والتلخيص الحبير (١ : ٢٧٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب تقبيل الحجر الأسود .

(٣) انظر : فتح الباري (٣ : ٤٧٥ ـ ٤٧٦).

[وفي رواية لهما : ولولا أني رأيتُ رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتُكَ].

ثم قال : ما لنا وللرَّمَلِ ؟ إنما كنا راءَيْنا به المشركين ، وقد أهلكهم الله ، ثم قال : شيءٌ صنعه النبي ﷺ ، فلا نحب أن نتركه . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1]. وله ألفاظ أخرى عندهم .

بل من اتباعهم رضي الله تعالى عنهم أنهم يقولون : إنما نفعل ما فعله ﷺ ، لأنهم كانوا ضُلّالاً فهداهم الله تعالى به ، وجهّالاً فعلّمهم الله تعالى به ، لذا فهم مُتَّبِعون وليسوا مبتدعين ، هم مُقتَفون وليسوا مخترعين ، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ، ويوضح هذا المعنى ما يلي :

عن أمية بن عبد الله بن خالد رحمه الله تعالى ، أنه قال لعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما : إنّا نجد صلاةَ الحضر وصلاة الخوف في القرآن ، ولا نجد صلاة السفر في القرآن ؟

فقال عبدُ الله بنُ عمر : يا ابن أخي ؛ إن الله عز وجل بعث إلينا محمداً ﷺ ، ولا نعلم شيئاً ، وإنما نفعل كما رأينا محمداً ﷺ يفعل . رواه أحمد والنسائي وابن ماجه ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، ورواه مالك وأحمد منقطعاً لكن يعضده الرواية الأولى[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب الرمل في الحج والعمرة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف ، رقم (٢٤٨ ـ ٢٥٠).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٦٥ ـ ٦٦ ، ٩٤ ، ١٤٨) وسنن النسائي : كتاب تقصير الصلاة : الباب الأول (٣ : ١١٧) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب تقصير الصلاة في السفر ، رقم (١٠٦٦) ومصنف عبد الرزاق (٢ : ٥١٧ ـ ٥١٨) والمعرفة والتاريخ (١ : ٣٧٢) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٧٢) وصحيح ابن حبان (٤ : ٣٠١) (٦ : ٤٤٤) والموارد (٥٦ رقم ١٠١) والمستدرك (١ : ٢٥٨) والموطأ (١ : ١٤٥ ـ ١٤٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٣ : ١٣٦) وانظر التقصي (١٥٠ رقم ٤٧٤) والتمهيد (١١ : ١٦١ ـ ١٦٤).

وفي رواية للنسائي[1]: أنه قال لابن عمر رضي الله تعالى عنهما : كيف تُقصر الصلاة ، وإنما قال الله عز وجل : ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾؟ فقال ابنُ عُمَر رضي الله تعالى عنهما : يا ابن أخي ؛ إن رسول الله ﷺ أتانا ونحن ضُلّال ، فعلَّمنا ، فكان فيما علَّمنا ؛ أن الله عز وجل أمرنا أن نصلّي ركعتين في السفر .اهـ.

ومما يدخل في هذا المعنى رواية الأحاديث المسلسلة ، والتي يرويها الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وعنهم من بعدهم ، كما صدر عن النبي ﷺ ؛ من تبسُّمٍ ، أو حركة ، أو فعل ، أو قول ، أو حالة ، أو قراءة ،... ونحو ذلك ، وقد اعتنى علماء الحديث بذكر المسلسلات ، وألفوا فيها كتباً[2]، وإن كان الصحيح المسلسل قليلاً ، والله تعالى أعلم .

والنصوص في هذا الباب كثيرة جدّاً ، وإلا فما يحمل من يبقى زرار قميصه مطلقاً ، وثوبه قصيراً ، وناصيته لا تقص ،... وكذا في الأكل والشرب ، واللباس ، والمحبة والكراهية ، والنوم ، والأذكار ، وغير ذلك ، إنما هو لشدة الاتباع ، والله تعالى أعلم .

وقد ذكرت كثيراً من هذه النصوص في «نشأة علوم الحديث» كما ذكرت حالهم رضي الله تعالى عنهم معه ﷺ في «الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان». والله تعالى الموفق والهادي إلى سواء الصراط .

تنبيه : لم يرد في كتاب الله تعالى إضافةُ الاتباع إلى الله تعالى ، إنما هو إلى رسول الله ﷺ ، وذلك لأن المتَّبِع لابد من رؤية متبوعه ، حتى يسير وراءه ،

---

(١) سنن النسائي : كتاب الصلاة : باب كيف فرضت الصلاة (١ : ٢٢٦).

(٢) انظر : المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة ، للشيخ محمد عبد الباقي الأنصاري رحمه الله تعالى فقد جمع (٢١٢) مسلسلاً .

وهذا غيرُ ممكن بالنسبة لله تعالى ، إنما هو للنبي الكريم ﷺ ، والله تعالى أعلم .

شدة اشتياقهم إلى رؤيته ﷺ :

إذا كان رسول الله ﷺ قد طلب من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم إدامة مجالسته ، وإدامة النظر إلى طلعته البهية ، لأنه سيأتي على أحدهم يوم ـ بعد وفاته ﷺ ـ يتمنّى أحدهم لو يرى فيه رسول الله ﷺ لحظة ، ثم لا يراه بعدها ، ويدفع مقابل ذلك أهلَه وماله جميعاً .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده ؛ ليأتين على أحدكم يومٌ ولا يراني ، ثم لأن يراني أحبُّ إليه من أهله وماله معهم». رواه مسلم[1].

فإنه ﷺ أخبر أن من سيأتي بعده ممن غلب عليه حبُّه ـ ولكن لم يسعد برؤياه ـ فإنه على استعداد أن يدفع أهلَه وماله في سبيل أن يرى رسول الله ﷺ مرةً واحدة ، ثم لا يراه بعدها أبداً .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «مِن أشدِّ أمتي لي حُبّاً ؛ ناسٌ يكونون بعدي ، يودُّ أحدُهم لو رآني بأهله وماله». رواه مسلم[2].

فما الذي حمل الفريقَيْن ـ من الصحابة فمن بعدهم رضي الله تعالى عنهم ـ على أن يدفع أحدُهم أهلَه ومالَه في رؤيةٍ واحدة ، يُمتِّع بها ناظرَه بالطلعة البهية ؟ إنما هو الحب الحقيقي الإيماني ، والشوق والهيام ، ومن كان كذلك كيف تكون طاعتُه وامتثالُه له ﷺ ؟

ولما كان ما جزاء من يُحِبُّ إلّا يُحَب ، وما جزاء من يَشتاق إلّا الاشتياق إليه ، فما جزاء هؤلاء ؟

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضل النظر إليه ﷺ ، وتمنّيه ، رقم (١٤٢).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الجنة : باب فيمن يود رؤية النبيِّ ﷺ بأهله وماله ، رقم (١٢).

لقد كان ﷺ يشتاق إلى رؤية هؤلاء المحبّين ، وسمّاهم إخوانه ، كيف وهم محبوه ومتّبعوه ومطيعوه ومؤمنون به ،... وسمّاهم إخواناً له ، وإن لم يدركوه ﷺ ، ولم يسعدوا برؤيته ، ولم تكتحل أعيُنهم بالنظر إلى وجهه المنير ، فحصل الاشتياق من الطرفين ، والحرص على الرؤية من الجانبين .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة ، فقال : «السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين ، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون . وددتُ أنّا قد رأينا إخوانَنا» قالوا : أَوَلسنا إخوانَك يا رسول الله ؟ قال : «أنتم أصحابي ، وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعد».

فقالوا : كيف تعرف من لم يأت بعدُ من أمّتِك يا رسول الله ؟ فقال : «أَرأيتَ لو أن رجلاً له خيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بين ظهرَي خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلا يعرف خيلَه ؟» قالوا : بلى يا رسول الله . قال : «فإنهم يأتون غُرّاً مُحَجَّلين من الوضوء ، وأنا فرطُهم على الحوض ،...». رواه مسلم[1].

وقوله ﷺ : «بل أنتم أصحابي» ليس نفياً لأُخوّتهم رضي الله تعالى عنهم ، ولكن ذكر مرتبتَهم الزائدة بالصحبة ، فهم أخوة صحابة ، والذين لم يأتوا أخوة ليسوا بصحابة ، لذا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم أفضل لجمعهم مَرتَبتَيْن ، وتميّزهم بالصحبة التي لا يلحقهم بها أحد[2]، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء ، رقم (٣٩).

(٢) انظر شرح الباجي على الموطأ (١ : ٦٩ ـ ٧٠) وشرح صحيح مسلم للإمام النووي (٣ : ١٣٨).

الباب الثالث
وجوب طاعته ﷺ لأنه رسول الله

إن الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الدّالة على وجوب طاعة النبي المصطفى الكريم ﷺ كثيرةٌ جدّاً ، لكني سأقتصر على ذكر الآيات القرآنية ـ لكثرتها ولله الحمد ـ وأجعلها هي المدار ، وأضيف إليها بعض الأحاديث الشريفة ، تكميلاً للموضوع .

جعله الله تعالى رسولاً له ، فطاعته ﷺ من طاعته تعالى :

إن مما يدل على وجوب طاعة رسول الله ﷺ : أن الله سبحانه وتعالى جعله رسوله ، وأوحى إليه ، وأيَّدَه ، وعصمه ، وحفظه ، وجعله الواسطة المبلغةَ عنه عز وجل ، وأباح له أن يشرِّعَ وفق ما يريده سبحانه وتعالى ، ثم إنه تعالى فرض على الناس طاعته .

وهذا هو شرط الإيمان ، لذا فمن آمن بالله تعالى ولم يؤمن برسوله ﷺ فليس بمؤمن ، وإن صلّى وصام وزعم أنه مسلم ، وكذلك من أطاع الله تعالى ولم يُطع رسولَه ﷺ فليس بمؤمن ، وإن زعم .

وقد جاءت نصوص كثيرة في القرآن الكريم فيها الشهادة لرسول الله ﷺ بالرسالة ، بل في بعضها حصر مهمته ﷺ بالرسالة .

قال الله جلت قدرته : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1].

لقد وصف الله تعالى رسوله الكريم ﷺ في هذه الآية بثلاث صفات : كونه ﷺ رسولاً ، وكونه ﷺ نبيّاً ، وكونه ﷺ خاتم النبيين والمرسلين . لأنه إذا ختم

---

(١) سورة الأحزاب (٤٠).

النبوة فقد ختم الرسالة أيضاً ، كما أوضحته في عدد من الكتب .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾(١).

وقال عز شأنه : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(٢).

فقد أرسله الله سبحانه وتعالى مبشِّراً ونذيراً ؛ ليؤمن الناس بالله تعالى وبه ﷺ ، ولكي يعظِّموه ويوقروه ،... ولا يكون ذلك إلا بطاعته ومحبته وامتثال أمره ﷺ ، فمن عصاه ﷺ ولم يطعه لم يوقِّرْه ولم يعزِّرْه ، ولم يسمع نذارته ﷺ ؛ لأنه من أطاع النذير سلم ، ومن عصاه هلك ، وما أرسله الله تعالى إلا ليطاع ، لا ليعصى ، وإلا لما جعله نذيراً ، والله تعالى أعلم .

ما أرسله الله تعالى إلا ليطاع بإذنه تعالى :

لقد بيَّن الله تعالى علة وجوب طاعة رسله على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ؛ أنهم رسله تعالى ، لا لكونهم بشراً أو رجالاً ، أو لأنهم بأشكال حسنة ، إنما لأنهم رسلٌ مصطَفَوْن ، مختارون من قبله تعالى ، صاروا واسطةً بينه وبين خلقه ، يتنزل عليهم الوحي ، بما جعل فيهم من استعداد وأهلية ، يرشدون العباد إليه ، ويهدونهم إلى صراطه المستقيم ، ويدلونهم عليه تعالى ، وينذرونهم عقابه وناره وسخطه ، ويبشرون المطيع منهم بالسعادة والجنة والرضا والرضوان .

لذا وجبت طاعتهم ، وامتثال أوامرهم ؛ لأنهم رسلٌ من قبله تعالى ، فلو لم يطاعوا لم يُطَع مرسِلهم ؛ لأن طاعة الرسول من طاعة مرسِله .

قال الله عز وجل : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ

(١) سورة آل عمران (١٤٤).

(٢) سورة الفتح (٨ـ٩).

﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(١).

فقد حصر الله عز وجل إرسال رسله بالطاعة ، فمن لم يطع الرسول لم يطع من أرسله ـ وهو الله تعالى ـ ثم نلاحظ أن طاعة الرسول إنما هي بإذن الله تعالى وأمره وقَدرِه ومشيئته ، فإذا كان الله تعالى لم يرسل رسولاً إلا وقد فرض طاعته على أمته التي أرسله إليها ، فكيف بسيد الرسل وإمامهم ﷺ ، وهو أحرص عليهم من أنفسهم ، وأولى بهم منهم ، لهذا علَّق اللهُ تعالى قبولَ توبة العصاة المذنبين ـ إذا استغفروا وتابوا ـ على استغفار رسول الله ﷺ لهم ، فإذا فعلوا وفعل ﷺ وجدوا الله تواباً رحيماً ، والله تعالى أعلم .

الطاعة نعمة من الله تعالى وتوفيق :

إن الموَفَّق من وفقه الله عز وجل ، والسعيدَ من أسعده الله تعالى وهو في بطن أمه ، والله سبحانه وتعالى هو الهادي والموفِّقُ للخير ، وإن من نعم الله عز وجل الكثيرة ـ ونعمُه سبحانه وتعالى لا تعد ولا تحصى ـ أن يُوفِّقَ عبادَه الصالحين لطاعته ، وطاعةِ رسوله الكريم ﷺ .

لقد أمر الله تعالى بطاعة رسولِه وصفيِّه ﷺ ، فمن أطاع رسول الله ﷺ في اتباع أوامره ونواهيه ـ فعلاً وانزجاراً ـ يكون قد نفَّذ أوامر الله تعالى في طاعة رسوله ﷺ ، وهذا توفيق من الله تعالى .

فالطاعة نعمةٌ من الله تعالى تحتاج إلى شكر ، وتحتاج إلى تقوى ؛ لأنها ميثاقٌ أخذه الله تعالى على الإنسان عند بدء خلقه .

ويكفي المطيع توفيقاً أنه ينفذ أوامر الله عز وجل وأوامر رسوله ﷺ في طاعة رسوله ﷺ واتباعه واقتفاء أثره ، في حين يوجد كثيرون تسلَّط عليهم الشيطان ، وأغوتهم الأهواء ، وجرفتهم النزوات ،... فضلّوا عن السبيل ، والعياذ

(١) سورة النساء (٦٤).

بالله تعالى .

لقد كان رسولُ الله ﷺ يبايع أصحابَه الكرام رضي الله تعالى عنهم على السمع والطاعة ، وعلى مناصرته ومؤازرته ، والقيام بهذا الدين ، وإبلاغِه ، فذكَّرَ الله تعالى عبادَه المؤمنين المبايعين بهذه النعمة ـ وهي البيعة على السمع والطاعة ـ وأن ذلك كله هو نعمة الله تعالى ، وتوفيق منه جل شأنه .

قال الله تعالى : ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(١).

فيذكِّرهم الله تعالى بهذه المنة العظمى عليهم ، وتلك النعمة الكبيرة ، حيث هداهم للإسلام ، وأرسل إليهم هذا الرسول الكريم ﷺ ، وما أخذ عليهم من العهود والمواثيق ، عندما بايعوه ﷺ على السمع والطاعة ، وعلى متابعته ونصرته ومؤازرته ،... فقالوا : سمعنا ما عاهدْنَا عليه ، وأطعناك فيما أمرتنا ونهيتنا .

ويلاحظ قوله عز وجل : ﴿وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ والرسول ﷺ هو المبايعُ ، وهو الذي يأخذ عليهم الميثاق ، وذلك لأنه ﷺ لا ينطق من عند نفسه ، وإنما هو الوحي الذي يوحى إليه ، وهم يقولون : سمعنا وأطعنا .

ولهذا اعتبر الله تعالى كلَّ ذلك نعمةً منه عز شأنه على عباده ، وهذا دالٌّ على أن طاعتَه ﷺ واجبةٌ لذاتها ، فرسوله ﷺ هو الذي يبايع ، وهو الذي يأخذ الميثاق ، والله تعالى يعتبر ذلك نعمةً منه عز وجل على عباده المؤمنين ، وسيأتي ذكر المبايعة ﷺ على السمع والطاعة ، في موضعه إن شاء الله تعالى .

أمر الله تعالى بطاعة نبيه الكريم ﷺ :

لقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله عز وجل ـ زادت على ثلاثين آية ـ يأمر الله تعالى بها الناس ـ وعلى الأخص من آمن بالله تعالى وبرسوله ﷺ ـ بطاعة

(١) سورة المائدة (٧).

رسوله وصفيِّه محمدٍ ﷺ . وقد جاءت تلك الآيات على ضربين :

الضرب الأول : عطف طاعة الرسول ﷺ على طاعة الله تعالى . وقد جاءت الآيات القرآنية في ذلك على **نوعين** :

أولاً ـ عطف لفظ الرسول على لفظ الجلالة ، وقد تنوعت هذه الآيات في سياقها .

أ ـ عطف لفظ الرسول ﷺ على لفظ الجلالة ، وجاء لفظ الطاعة بصيغة الأمر ، والآيات في ذلك كثيرة ، منها :

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(١).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٢).

وقال الله جل شأنه : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٣).

وقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾(٤).

وقال الله عز وجل : ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٥).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟

---

(١) سورة آل عمران (٣٢).

(٢) سورة آل عمران (١٣٢).

(٣) سورة الأنفال (١).

(٤) سورة الأنفال (٢٠).

(٥) سورة الأنفال (٤٦).

وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١).

بل وَرَدَ ـ بصيغة الأمر ـ مع عطف لفظ الرسول على لفظ الجلالة ، للنساء خاصة ، كما قال الله تعالى : ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾(٢).

فالطاعة في هذه الآيات في أمور مختلفة ؛ في العبادات ، والمعاملات ، والسلم ، والحرب ، والمصالح العامة للأمة ، ومناجاة الرسول ﷺ ، ثم في خاصية أهله من نسائه رضي الله تعالى عنهن .

ب ـ ما ورد فيه لفظ الطاعة بصيغة المضارع ، وهو يحمل معنى الأمر ، مع عطف لفظ الرسول على الفظ الجلالة :

قال عز وجل : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٣).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾(٤).

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾(٥).

---

(١) سورة المجادلة (١٣).

(٢) سورة الأحزاب (٣٣).

(٣) سورة النساء (١٣).

(٤) سورة النساء (٦٩).

(٥) سورة النور (٥٢).

وقال عز وجل : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(١).

وقال جل شأنه : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٢).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٣).

فمن صفات المؤمنين الصادقين المرحومين : الطاعةُ لله تعالى ولرسوله ﷺ ، وهذا الإخبار من الله تعالى يحمل في طياته معنى الأمر بهذه الصفات .

ج ـ ما ورد بصيغة الطلب مع عطف اسم الرسول على لفظ الجلالة :

قال الله عز وجل : ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٤).

فالطاعة هنا هي في الإيمان ، وإجابة أمر رسول الله ﷺ ، فإن استجابوا وأطاعوا رسول الله ﷺ ؛ لطلبه الإيمانَ بالله تعالى وبرسوله ﷺ ، فإن الله عز وجل لا يُنقِص من أعمالهم شيئاً ، بل سيفلحون في ذلك فلاحاً كبيراً ، حيث يغفر لهم ربهم جل شأنه ويرحمهم ، والله تعالى أعلم .

ففي جميع الآيات السابقات ـ وغيرها مما لم أذكره ـ عطَفَ اللهُ سبحانه

---

(١) سورة الأحزاب (٧١).

(٢) سورة الفتح (١٧).

(٣) سورة التوبة (٧١).

(٤) سورة الحجرات (١٤).

وتعالى لفظ الرسول على اسمه تعالى بجامع الأمر بالطاعة ، وهذا ـ وإن كان غاية التكريم لنبيه الكريم ﷺ ، إذ لا نعلم أنه تعالى قرن اسمه عز وجل مع اسم نبي من أنبيائه عليهم السلام ، سوى اسم نبيه الكريم ﷺ ، إلا أنه يدل على أهمية العناية والحرص من الله تعالى بطاعة نبيه المصطفى الكريم ﷺ .

كما يدل على أن طاعةَ رسوله ﷺ داخلةٌ في طاعة الله تعالى ، فهو الآمر بها سبحانه وتعالى ، كما سيأتي بيانه في الباب الثامن ، إن شاء الله تعالى .

ثانياً : عطف طاعة الرسول ﷺ على طاعة الله تعالى :

لقد جاءت آيات كثيرة فيها عطف طاعة رسول الله ﷺ على طاعة الله تعالى ، وهذا يعني عطف طاعة على طاعة ، وهو النوع الثالث من أقسام السنة مع القرآن كما سيأتي ، وقد جاءت نصوص متعددة ، أذكر بعضها :

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1] .

فقد عطف الله تعالى طاعة رسوله ﷺ على طاعته تعالى ، وأدخل طاعة أولي الأمر بطاعة رسول الله ﷺ ، فليس لهم طاعة استقلالية ، إنما هي فيما إذا جاءت وفق مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ ، ولهذا لم يجز رد الأمر إليهم عند المنازعة ، إنما يُرد إلى الله تعالى في كتابه الكريم ، وإلى رسوله ﷺ ـ في حياته ـ وإلى سنته ﷺ بعد وفاته .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ❁ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ

(١) سورة النساء (٥٩).

﴿ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(١).

وقال عز شأنه : ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٢).

فطاعتُه ﷺ هداية ، ومعصيتُه ضلال وغواية .

وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾(٣).

وقال الله عز وجل : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٤).

فهذا التحذير الشديد من المولى جل شأنه : ﴿وَٱحْذَرُواْ﴾ ، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ ، ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ ، ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ يدل على خطورة الإعراض والمخالفة ، وأن النبي المصطفى الكريم ﷺ لن يتضرر بإعراض من أعرض ، أو إدبار من تنكب ؛ لأنه ﷺ عليه البلاغ ، وقد بلَّغَ ، وَأَشْهَدَ على البلاغ ، إنما الذي يتضرر هو المعرِض المخالِف العاصي .

وإذا عرف العاقل المدرِكُ أن الذي يتوعَّدُ وَيُحَذِّرُ هو الله تعالى ، فكيف يكون تمسكُه بطاعة رسوله الكريم ﷺ ، وإقباله عليه ، وابتعاده عن مخالفته ومعصيته ؟ لذا عندما يدخل العصاة والكفار ـ الذين عصوا رسول الله ﷺ ـ في نار جنهم ، يتمنون لو أنهم أطاعوا الله تعالى ، وأطاعوا رسوله ﷺ ، حتى لا يروا

---

(١) سورة المائدة (٩١ ـ ٩٢).

(٢) سورة النور (٥٤).

(٣) سورة محمد (٣٣).

(٤) سورة التغابن (١٢).

ذلك العذاب الأليم .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ * وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ * رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾(١) .

ففي الآيات السابقة عطف طاعة على طاعة ، وهذا يدل على وجود طاعة استقلالية لرسول الله ﷺ ، وأعني بذلك وجوب طاعته ﷺ فيما سنَّ مما لم يرد في القرآن الكريم ، بل جاء زائداً على ما في القرآن الكريم ، وهذا هو سر إظهار لفظ (الطاعة) وعطف طاعة على طاعة ، كما سيأتي بيانه في الباب الثامن إن شاء الله تعالى .

فطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ متلازمتان لا تنفكان ، فمن جحد واحداً منهما ، فقد جحد الآخر وكفر به ، ولا يصح إيمانُ امرئ حتى يقول بهما جميعاً ، لهذا ربط الله تعالى في عدد من الآيات بين الإيمان والطاعة ـ كما مر ـ فيكون من لازم الإيمان الطاعة ، كما أن من لازم الإيمان المحبة ، وإذا كان الباعث على الطاعة المحبة كان أولى مما لو كان الباعث هو الخوف ، وإن كان لا بد من وجودهما معاً ، والله تعالى أعلم .

كما يتضح من هذه الآيات الكريمة أن طاعة رسول الله ﷺ مطلوبة لذاتها ، ولذا رتب عليها كثيراً من الفوائد والثمرات ، وعلى تركها كثيراً من العقوبات ، كما سيأتي بيانه أيضاً إن شاء الله تعالى في فقرات تالية .

كما يلاحظ أن الطاعة في هذه الآيات ليست خاصة بأمة الإسلام ، بل

---

(١) سورة الأحزاب (٦٤ ـ ٦٨).

لجميع الخلق ، وإلا لما لعنهم الله عز وجل ، وأخلدهم في النار ، والعذابِ الأليم ؛ لأنهم اتبعوا كبراءهم وساداتهم ، ولم يطيعوا الله تعالى ورسولَه ﷺ .

إضافة إلى وجوب طاعته ﷺ على أمته ، لكن غيرهم بالإيمان به ثم بطاعته ، وأما أمته ﷺ فباتّباعه وطاعته ، والله تعالى أعلم .

الضرب الثاني : ورود طاعة رسول الله ﷺ مفردة ، من غير عطف على لفظ الجلالة ، أو على طاعة الله تعالى ، وقد جاءت على نوعين :

أ ـ التصريح بلفظ الرسول :

قال الله عز وجل : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾(١).

ففي الآية الكريمة : إخبار من الله تعالى أن طاعة رسول الله ﷺ هي طاعة لله تعالى ، وأن الذي يطيع رسول الله ﷺ فإنه مطيع لله تعالى قبلُ .

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾(٢).

فقد جاء الفعل في هذه الآية بصيغة الأمر ، معطوفة على الأمر بالصلاة والزكاة ، وجاءت الآية مفردة ، دلالة على أن طاعة رسول الله ﷺ واجبةٌ ، ولو جاءت زائدة على ما في كتاب الله تعالى .

ب ـ بمجيء الضمير ، سواء ضمير المتكلم ، أو ضمير الغائب :

قال الله تعالى : ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾(٣).

---

(١) سورة النساء (٨٠).

(٢) سورة النور (٥٦).

(٣) سورة النور (٥٤).

يخبر المولى تعالى ـ بعد أمره في أول الآية بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله الكريم ﷺ ـ كما مر ـ أنهم إن أطاعوا رسوله الكريم سيدنا محمداً ﷺ فإنهم يهتدون ، لأنه ﷺ يدعو إلى صراط الله تعالى المستقيم .

أمر الجن بطاعته ﷺ :

في الآيات السابقة جاءت الأوامر الإلهية بطاعة رسول الله ﷺ عامة ـ وعلى أمته بالخصوص ـ ثم إن الأمر جاء أيضاً للجن ، ليشمل الأمرُ الإنسَ والجنَّ معاً .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾(١) .

في هذه الآيات بيان ثواب وجزاء المؤمن المطيع : هو غفران الذنوب ، والوقاية من العذاب الأليم . أما الذي لا يجيب فليس بمعجز في الأرض ، وليس له أولياء يحمونه من عذاب الله تعالى ؛ لأنه في ضلال مبين .

وبهذا يكونون قد دعوا قومهم بالترغيب والترهيب ، فأثَّر ذلك في كثير منهم ، فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ وفوداً وفوداً ، كما جاء في عدد من الأحاديث ، والله تعالى أعلم .

السمع له وطاعته ﷺ :

إن المؤمن إذا دعاه رسول الله ﷺ يقول : سمعنا وأطعنا ، وأما الكافر

---

(١) سورة الأحقاف (٢٩ ـ ٣٢).

فيقول : عصينا ، لذا يثاب المؤمن على سماعه السماعَ الباعث على الطاعة ، والناتج عن المحبة ، والدافع له الإيمان . وقد كثرت النصوص في ذلك ، سواء بالأمر به ، أو بالإخبار عن كون ذلك من صفات المؤمنين .

قال الله عز وجل : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(1) .

هكذا شأن المؤمن السماع والطاعة ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(2) . بعد أن ذكر حال المنافقين الذين في قلوبهم مرض ، المرتابين المشكّكين .

وقد شهد الله تعالى لصحابة رسوله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم - بعد الإيمان - بالتسليم الكامل ، والسماع والطاعة ، فقال تعالى : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾(3) .

وذلك كله نعمة من الله تعالى على هذه الأمة ، وإذا ما قُورن بما حصل للأمم السابقة من عصيانهم لرسلهم يظهر الفارق الكبير ، فمن ذلك :

قال الله تعالى عن اليهود : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ * وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ * وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ

(1) سورة التغابن (١٦).

(2) سورة النور (٥١).

(3) سورة البقرة (٢٨٥).

وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(١).

وقال الله تعالى : ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٢).

هكذا شأن الكافرين المعاندين ، يستحقون اللعن والطرد من رحمة الله تعالى ، أما المؤمنون فعلى العكس من ذلك ، وما سُمِّيَ الصحابةُ رضي الله تعالى عنهم ومن بعدهم من هذه الأمة بالمؤمنين إلا بقوة إيمانهم ، وكثرة تسليمهم لأمر الله تعالى ، ولو كان الأمر شاقّاً بالنسبة لما يبدو لهم ، ثم يخفِّف الله تعالى عنهم ، كما مر في آية سورة البقرة ، والله تعالى أعلم .

لذا حذر الله تعالى هذه الأمة أن تتشبه بالكافرين والمنافقين ، في تركهم طاعة نبيهم المصطفى الكريم ﷺ حيثما دعاهم ويدعوهم إلى الله تعالى ، لأن الكفار والمنافقين هم شرُّ الخلق والخليقة ، وعلى المؤمنين الطاعة والامتثال لأمر النبي المصطفى ﷺ .

قال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ

(١) سورة البقرة (٩١ ـ ٩٣).

(٢) سورة النساء (٤٦).

﴿وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾[1].

ولهذا كان ﷺ يبايع الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على السمع والطاعة، لكن لما كان ﷺ رحمةً رؤوفاً رحيماً؛ كان يلقِّنهم: قدرَ طاقتهم.

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: كنا إذا بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا: «فيما استطعتم». رواه البخاري[2].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال: بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة، فلقَّنني: «فيما استطعت،...». متفق عليه[3].

كان ﷺ يبايعهم على السمع والطاعة، في العسر واليسر،...إلخ.

فعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أَثَرَةٍ علينا. الحديث، متفق عليه[4].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليك السمع والطاعة، في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأَثَرَةٍ عليك». رواه مسلم[5].

وقد كانوا رضي الله تعالى عنهم يوفون بما بايعوا، فيمتثلون ويطيعون، ويسمعون وينفِّذون، وإن كان ذلك يخالف ما كانوا قد اعتادوا عليه.

ـ لما طلب الأنصار من رسول الله ﷺ أن يقسم بينهم وبين المهاجرين ـ رضي

---

(1) سورة الأنفال (20 ـ 23).

(2) صحيح البخاري: كتاب الأحكام: باب كيف يبايع الإمام الناس.

(3) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة، رقم (99).

(4) صحيح البخاري: في الكتاب والباب السابقين. وصحيح مسلم: كتاب الإمارة: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية،... رقم (41 ـ 42).

(5) صحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (35).

الله تعالى عنهم جميعاً ـ النخلَ ، فقال رسول الله ﷺ «لا» قالوا : سمعنا وأطعنا ،... الحديث ، رواه البخاري[1].

ـ لما طلب ﷺ من المسلمين الإحلال ـ في الحج ـ بعد طوافهم وسعيهم ، قبل عرفة بأربعة أيام أو خمسة ، قالوا : فحللنا ، وسمعنا وأطعنا . كما رواه مسلم[2]. من حديث جابر رضي الله تعالى عنه .

لهذا سيرى المؤمن المتَّبِعُ المطيعُ ثوابَ الطاعة والامتثال ابتداء من ساعة الموت ، وسؤال الملكين له في القبر ، وانتهاء بالرفقة الصالحة ورضوان الله تعالى في الجنة ، كما مر في الباب الأول ، وسيأتي بعد عدة فقرات أيضاً .

فالمطيع للنبي ﷺ في نجاةٍ ومأمنٍ وحرزٍ ،... في الدنيا والآخرة ، حتى ينال رضاء الله تعالى ورحمتَه ، وسعادتَه في الجنة ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الأمر بالأخذ بما جاء به ﷺ :

لقد أوجب الله سبحانه وتعالى على جميع المسلمين اتباع أمر رسوله ﷺ ، والانتهاء عند نهيه ﷺ ، وتوعد الله تعالى المخالفين بشدة العقاب .

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[3].

فقوله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ يشمل الأمر من قول أو فعل أو تقرير ، وكذا قوله تعالى : ﴿وَمَا نَهَىٰكُمْ﴾ سواء كان النهي فعلاً أو كان قولاً ، فعلى المسلم الاجتناب في حال النهي ، والاتباع والطاعة في حال الأمر ، وإلا كان عاصياً ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، وفي غيرهما ، من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب بيان وجوه الإحرام ،... رقم (١٤١).

(٣) سورة الحشر (٧).

ومن خالف وعصى ـ في الأمر والنهي ـ فليحذر عذاب الله تعالى فإنه شديد ، كما ختم الله تعالى الآية به .

كما أنه لا يشترط وجود ما يأمر به ﷺ أو ينهى عنه في القرآن الكريم ؛ لأن ما يأتي به وما ينهى عنه عام و (ما) شاملة لكل ذلك .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان ، فصام حتى بلغ كُراعَ الغَميم ، فصام الناس ، [فقيل له : إن الناس قد شقَّ عليهم الصيام ، وإنما ينظرون فيما فعلتَ ، فدعا بقدحٍ من ماءٍ بعد العصر] فرفعه ، حتى نظر الناس إليه ، ثم شرب ، فقيل له بعد ذلك : إن بعض الناس قد صام ، فقال : «أولئك العصاة ، أولئك العصاة ،...». رواه مسلم[1].

فهو ﷺ لم يأمرهم بالفطر لفظاً ، لكن لما قيل له : إن الناس قد شقَّ عليهم الصيام ،... أفطر ، فكان فعلُه ﷺ أبلغَ في الأمر من اللفظ ، فلهذا لما لم يفطر هؤلاء ـ شقَّ عليهم الصيام ـ قال ﷺ عنهم : «أولئك العصاة ،...» لأنهم خالفوا الأمر الذي صدر بالفعل ـ وهو فطره ـ حيث ما أفطر إلا لكونهم شقَّ عليهم ، فلما أفطر لم يفطروا .

وما أمر ﷺ به فقد طلب أن نأتي منه بقدر الطاقة ، أما النهي فيجب اجتنابه بالكلية ، لأن النهي كلَّه مقدورٌ عليه ، وهو محظور ، فلا يصح تجزئته ، أما الأمر فيُؤتى منه قدر الطاقة ، وهذا تخفيف .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن النبي ﷺ قال : «دعوني ما تركتكم ، فإنما أهلك من قبلكم سؤالُهم ، واختلافُهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الصيام : باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية ،... رقم (٩٠ ـ ٩١) وما بين المعقوفتين فهو من رقم (٩١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، وصحيح =

وهكذا استدل الصحابة رضي الله تعالى عنهم بهذه الآية ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ على حجية السنة .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : «لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات ، والمتفلِّجات للحسن ، المغيرات خَلْقَ الله».

قال : فبلغ امرأة من بني أسد يقال لها : أم يعقوب ، وكانت تقرأ القرآن ، فأتته ، فقالت : ما حديث بلغني عنك ؟ أنك لعنت الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات ، والمتفلِّجات للحسن ، المغيرات لخلق الله ؟

فقال عبد الله : ومالي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله ؟ فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته ، فقال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ، قال الله عز وجل : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1]. متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

إن الإنسان مهما بلغ من الكمال ، لن يصل إلى مستوى يسلِّم له الناسُ التسليمَ الكاملَ ، في أمره ونهيه ، وذلك لعدم العصمة ، وعدم تأييده بوحي السماء ، فلما خص الله تعالى نبيَّه ومجتباه ﷺ بذلك ، أوجب علينا طاعتَه التامة ، والتسليمَ الكاملَ ، والأخذَ بكل ما جاء ﷺ به ، واجتنابَ كل ما نهى عنه ، كما أباح له أن يشرِّع ما يريده الله تعالى ، ويوحيه إليه ، وما على الناس إلا الاتباع والامتثال ، وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

= مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب توقيره ﷺ ، وترك كثرة سؤاله ،... رقم (١٣٠ ـ ١٣١).

(١) سورة الحشر (٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الحشر : باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾. وصحيح مسلم : كتاب اللباس والزينة : باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة ، رقم (١٢٠).

لقد جعل الله تعالى نبيَّه الكريم ﷺ الحكَمَ الفَصْلَ ، والميزانَ الدقيقَ ، ما آتاكم به فخذوه ، وما نهاكم عنه فاجتنبوه ، وبهذا الميزان يَزِنُ المسلِمُ نفسَه .

إن الله تعالى حينما أمر الناس بطاعة رسوله وصفيه ﷺ والأخذ بما جاء به ، لم يحدِّد لنا المواطنَ التي تقع فيها الطاعة والامتثال ، والأخذ والالتزام ، وإنما من سياق الآيات الكريمات يتضح لنا أن الأمر بالطاعة عامٌّ في جميع الأمور ، والأحوال ، والأزمان ، والأماكن ، فهي في صغار الأمور وكبارها ، في التصرفات والأهواء ، في العقيدة والأحكام ، في العبادات والمعاملات ، في الأخلاق والرغبات ، في السلم والحرب ، في الأمر والنهي ، في الحسنة والسيئة ، في الطاعة والمعصية ، في أمور الدنيا والمعاش وأمور الآخرة والمعاد ، في الرضا والسخط ، والغضب والحلم ، والغنى والفقر ، في كل شيء ،... لأن الله تعالى جعله المثل الأعلى ، والقدوة المثلى ، والأسوة الحسنة ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

وجوب الرد إلى حكمه ﷺ عند التنازع :

ومن طاعته ﷺ : الرجوع إليه ﷺ ، إذا حصل نزاع بين المؤمنين الذين يؤمنون به ﷺ ، كما يؤمنون بالله تعالى واليوم الآخر .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[١].

فقد أمر الله تعالى المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ، وطاعتُه تعالى إنما باتباع كتابه الكريم ، واتباع نبيه ﷺ المبلِّغ عنه ، وطاعةُ رسوله ﷺ إنما باتباع أمره ونهيه في حال حياته ، ولِسُنته ﷺ بعد وفاته . كل ذلك شرط الإيمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) سورة النساء (٥٩).

ءَامَنُوٓاْ﴾ وَ ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ﴾ ولا جواب إلا ذلك ، ولا تأويل إلا هذا .

فإذا حصل نزاع بين المؤمنين ، أو بينهم وبين ولاة أمورهم ؛ فليردّوا ذلك إلى كتاب الله تعالى ، وإلى رسوله ﷺ ـ إذا كانوا عنده ـ ليقضي بينهم أما إذا كانوا غائبين عنه ولم يعرفوا الحكْمَ سألوا رسولَ الله ﷺ إذا رجعوا إليه ، أو إلى سنته ﷺ في حال حياته إذا عرفوها ، وكذا بعد وفاته ، ذلك لأن السنة موجودة ، حضر أم غاب ، كما أن الرجوع إلى الله تعالى هو الرجوع إلى كتابه الكريم ، وهذا هو الفرض الذي لا منازعة فيه ، والذي أحكمه الله تعالى . كما سيأتي بيانه في الفقرة التالية ، إن شاء الله تعالى .

ومن الملاحظ في هذه الآية أن الله تعالى عندما ذكر الطاعةَ ، أمر بطاعته تعالى وطاعة رسوله ﷺ ، فعطف الطاعةَ على الطاعة ، دلالة على أن طاعة رسوله ﷺ ليست مشروطة ؛ لأنه ﷺ مبلِّغٌ عن الله تعالى ما يريد ، فقوله حجة في دين الله .

ولكن لما ذكر طاعة أولي الأمر ، عطفها على طاعة رسوله الكريم ﷺ ؛ لأنها مشروطة بطاعتهم له ﷺ وعلى وفق ما يريد .

ولكن لما ذكر المولى عز وجل المنازعةَ ، وأنه لا بد من رجوعٍ إلى حكم ، لم يذكر «أولي الأمر» وإنما قال : ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ بواو العطف ، ولم يقل : «وإلى الرسول» لأن الذي يحكم هو رسوله ﷺ ، وهو حُكْم الله تعالى الموحى به إليه ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، وجعلنا جميعاً من أتباعه وأحبابه .

لا خيار مع قضائه ﷺ :

لقد جعل الله تعالى رسولَه الكريمَ ﷺ ـ عدا من كونه مبلِّغاً عنه تعالى ورسولاً له تعالى ـ قاضياً يقضي بينهم عند التنازع ، بما أراه الله تعالى . لذا نفى عز شأنه صفةَ الإيمان عمَّن لم يُسلِّم لأمر النبي ﷺ ، ويذعن لحكمه وقضائه ؛ لأن

معصيتَه ضلالٌ مبينٌ ، وخروجٌ ومروقٌ من الدين .

قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(١).

فليس لهم اختيارٌ خلافَ أمرِ رسول الله ﷺ ، وما ذاك إلا لأنه نبيُّ الله تعالى ورسولُه ، مؤَيَّدٌ بالوحي ، ومصدَّقٌ من قبل ربه تعالى ، ومسدَّد ، لا يحكم عن هوى ولا رغبة ، لذا لم يبح المولى جل شأنه لأحد من المؤمنين أن يخالف حكمَه أو أمرَه ﷺ ؛ لأن مخالفةَ أمره ﷺ معصيةٌ ، وضلالٌ مبين .

ولا يضر اختلاف العلماء في سبب نزول الآية المذكورة ؛ لأن العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب .

ولهذا استدل ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بهذه الآية على طاووس رحمه الله تعالى عندما رآه يصلي ركعتين بعد العصر ، فنهاه عنهما ، فقال طاووس : إنما كُرهت أن تُتخذ سُلَّماً ، فقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذه الآية ، ثم قال له : لا أدري تُعذَّب عليها أم تُؤجر ، كما رواه الشافعي وعبد الرزاق والدارمي والبيهقي والخطيب(٢).

فإذا حكم الله عز وجل ورسولُه ﷺ بشيء ، فليس لأحدٍ مخالفتُه ، ولا اختيار لأحد في ذلك ، ولا رأي ولا قول ، بل الخيار لله تعالى ولرسوله ﷺ فيما يقضي ويحكم ، وعلى المسلم التسليم الكامل ، والاتباع الكامل ، وإلّا كان عاصياً ، والعصيان ضلال مبين ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة الأحزاب (٣٦).

(٢) الرسالة (٤٤٣ رقم ١٢٢٠) ومصنف عبد الرزاق (٢ : ٤٣٣) وسنن الدارمي (١ : ٩٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ٤٥٣) والفقيه والمتفقه (١ : ١٤٦ ـ ١٤٧) وانظر الدر المنثور (٥ : ٢٠١) وتفسير ابن كثير .

وجوب التسليم لحكمه ﷺ :

وكما جعل الله تعالى نبيه ومصطفاه ﷺ قاضياً ، وألزم المسلمين بالأخذ بقضائه ،... كذلك جعله تعالى حاكماً يحكم بين الناس بما أراه الله عز وجل ، لذا نفى الله تعالى صفةَ الإيمان عمن لم يُحَكِّم رسولَه ﷺ ، وإذا حَكَّمه ﷺ فعليه أن يُسلِّم لحكمه ، ولا يجد في نفسه حرجاً فيما حكم ، ويُسلِّم التسليم الكامل له .

لأنه ﷺ رسولُ الله ، مؤيَّدٌ بالوحي ، ومُسدَّدٌ بالأمر الإلهي ، ومعصومٌ من الخطأ والزلل ، بينما الآخرون يخطئون ويصيبون ، ويطيعون ويعصون ، ويتمرَّدون ويُحفظون ، والحافظُ من حفظه الله تعالى وعصمه ، وسدَّدَهُ وأيَّدَهُ ، والله غفور رحيم .

وقد جعل تعالى من علامات الإيمان : السمع والطاعة لحكم رسوله ﷺ ، بخلاف غيره .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾(١).

فقد نفى صفة الإيمان عمَّن لم يُحكِّم رسولَه ﷺ ، وقد ورد القَسَمُ على ذلك مع التأكيد عليه ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ ﴾ وليس التحكيم فحسب ، بل رفع الحرج من النفوس عند سماع الحكم ، والتسليم الكامل لحكمه ﷺ ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ وذلك منتهى الرضا .

وإذا قارنا هذه الآية الكريمة التي نفى الله تعالى فيها الإيمان عمَّن لم يُحكِّم رسولَه ﷺ : ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ مع قوله عز وجل : ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾(٢). يتضح لنا أن الحكم لله

(١) سورة النساء (٦٥).

(٢) سورة الشورى (١٠).

تعالى ، وأن النبي ﷺ إنما يحكم بينهم بما أراه الله تعالى ، حيث يجريه تعالى على يد رسوله ﷺ ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾(١) فالحكم لله تعالى ، أراه لرسوله ﷺ وأجراه على يديه ، فيحكم به بين الناس ، فمن لم يُطعه فقد عصى الله تعالى ، ولهذا نفى عنه صفة الإيمان ، وسيأتي ذكر سبب نزول هذه الآية بعد قليل إن شاء الله تعالى .

لهذا جعل من صفة المؤمنين إذا دُعوا إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهم : هو السمع والطاعة ، بخلاف المنافقين الذين من علاماتهم الإعراض عن تحكيم رسول الله ﷺ .

قال الله تعالى عن الفريقين في حال دعوتهما إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهم : ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾(٢) .

فالمؤمنون مسلِّمون تسليماً مطلقاً ، ومطيعون طاعةً معتبرةً واضحةً ، مبنيةً على قواعد صحيحة سليمة ، هي كون الداعي لهم هو رسول الله ﷺ ، مبلِّغٌ عن الله تعالى ، مؤيَّدٌ بالوحي ، معصوم بعصمة الله تعالى ، حكمه هو حكم الله تعالى يريه إياه ، فينطق به ،... صلوات الله وسلامه عليه .

(١) سورة النساء (١٠٥).

(٢) سورة النور (٤٧ ـ ٥٢).

ويُلاحظ قوله تعالى : ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ في الحالتين ، فقد أفرد الضمير ولم يثنه ، بينما الحاكم بينهم رسول الله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

بينما المنافقون والذين في قلوبهم مرض يتحاكمون إلى الطاغوت ـ وقد أُمروا أن يكفروا به ـ ويصدون عن رسول الله ﷺ ، فهم في ضلال مبين ، فهؤلاء يعلم الله تعالى ما في نفوسهم ، وسيجزيهم على نفاقهم وإعراضهم .

قال الله تعالى : ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا * فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾[1] .

فإذا دُعوا إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهم ، فبدلاً من أن يقولوا سمعنا وأطعنا ـ كما هو حال المؤمنين المطيعين ـ يصدّون ويُعرضون إعراضاً شديداً كالمستكبرين عن ذلك .

وحال هؤلاء كحال المشركين الذين قال الله تعالى عنهم : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾[2] .

لذا أقسم الله تعالى بذاته الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحَكِّمَ رسولَه ﷺ في جميع الأمور ، وما حكَم به ﷺ هو الحق الذي يجب الانقيادُ إليه

(١) سورة النساء (٦٠ ـ ٦٣).

(٢) سورة لقمان (٢١) وانظر سورة البقرة (١٧٠).

باطناً وظاهراً ، ومن حَكَّمَهُ ﷺ فليطعه في باطنه ـ فضلاً عن ظاهره ـ ولا يجد في نفسه حرجاً مما حكم ﷺ به ، ويسلِّم له تسليماً كلِّيّاً ، وينقاد له ظاهراً وباطناً ، فإذا لم يكن كذلك ـ بأن مانَعَ أو نازع أو دافع ـ فإيمانُه ناقصٌ بقدر تلك المنازعة والمخالفة ، حتى تصل به إلى الكفر ، والعياذ بالله تعالى .

وإذا نظرنا إلى سبب نزول آية النساء : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ،...﴾ الآية ، عرفنا ذلك .

فعن عروة [عن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما[١]] أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبيرَ عند النبي ﷺ في شِراج الحرة التي يسقون بها النخل ، فقال الأنصاري : سَرِّح الماءَ يمر ، فأبى عليه ، فاختصما عند النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ للزبير : «اسقِ يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك» فغضب الأنصاري فقال : أن كان ابنَ عمتك ، فتلوَّن وجه رسول الله ﷺ ، ثم قال : «اسقِ يا زبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجَدْرِ» فقال الزبير : والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ . متفق عليه[٢].

والمراد بشراج الحرة : مسيل الماء ، وأُضيفت إلى الحرة لكونها فيها . والحرة أرض ذات حجارة سود . موضع معروف بالمدينة ، وهما ثنتان .

وما صدر من هذا الأنصاري ، لو صدر مثلُه اليوم من أحد في حق النبي ﷺ ، أو في حق الشريعة لقُتل قِتْلَةَ زنديق ، كما قال القرطبي ، ونقل نحوَه النووي

---

(١) انظر : الاختلاف في الراوي هل هو عروة بن الزبير ، أم هو عروة عن أخيه عبد الله عن أبيهما الزبير رضي الله تعالى عنهم ، الفتح (٥ : ٣٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المساقاة : باب سَكَر الأنهار ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب وجوب اتباعه ﷺ ، رقم (١٢٩).

رحمه الله تعالى عن العلماء[1]؛ لأنه مرتد ، وتجري عليه أحكام المرتدين ، فيجب قتله بشرطه . قالوا : وإنما تركه ﷺ فلم يقتله ، لأنه كان في أول الإسلام يتآلف الناس ، ويدفع بالتي هي أحسن ، ويصبر على أذى المنافقين ،... ويقول : «لا يُتحدث أن محمداً ـ ﷺ ـ يقتل أصحابه»[2].

قال الإمام الداوودي رحمه الله تعالى : إن هذا الرجل كان منافقاً .

وقوله في الحديث : إنه أنصاري لا يخالف هذا ؛ لأنه كان من قبيلتهم ، لا من الأنصار المسلمين ، والله تعالى أعلم .

فإذا كان الله تعالى قد أقسم على نفي الإيمان عمن لم يحكِّم رسولَه ﷺ ، ويرضى بحكمه ظاهراً وباطناً ، ولا يجد حرجاً في نفسه ، ويسلِّم تسليماً كاملاً : فإن هذا دالٌّ على وجوب طاعته ﷺ ، والامتثال لأمره ، والاقتفاء لأثره والاقتداء بفعله ﷺ ، ومن لم يفعل فقد ضل وخسر ، والله تعالى أعلم .

وجوب الاستجابة لدعوته ﷺ :

لقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالاستجابة لرسوله الكريم ﷺ ، وعدم العنود عنه ؛ لأن في الاستجابة له ﷺ حياة للمستجيب .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[3].

فالمنادي هو رسول الله ﷺ ، والمجاب هو الله تعالى .

---

(١) انظر : المفهم (٦ : ١٥٦ ـ ١٥٧) وشرح مسلم للنووي (١٥ : ١٠٨) وفتح الباري (٥ : ٤٠).

(٢) انظر : رحمة النبيِّ الكريم ﷺ بالكفار ، فقد ذكرت نماذج كثيرة ، من عدم قتله ﷺ للكفار والمنافقين ، الذين أساؤوا إليه ، أو حاولوا الاعتداء عليه ، أو اغتياله ، أو سمه ، أو قتله ﷺ .

(٣) سورة الأنفال (٢٤).

وانظر كيف أفرد تعالى الضمير ، ولم يثنه ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ ليعلم أن المراد هو الاستجابة الواحدة ، فمن استجاب لرسول الله ﷺ كان مجيباً لله تعالى ـ قبلاً وحقيقة ـ لأنه ﷺ مبلِّغٌ عن الله تعالى ، فمن أطاعه ﷺ كان مطيعاً لمن أرسله ، ومن استجاب له ﷺ كان مجيباً لمن أرسله ،...

ولهذا كان ﷺ يُنبِّه أصحابَه رضي الله تعالى عنهم إذا أبطأوا بالإجابة لدعوته ﷺ بأنه ما كان لهم الإبطاء ، وعليهم الإسراع ، حتى لو كانوا في الصلاة ؛ لأن طاعتَه واستجابةَ أمره ،... ﷺ واجبةٌ على الفور ، أما الصلاة مثلاً فوقتها موسَّع ، وهي خاضعة لطاعته وامتثال أمره ﷺ .

فعن أبي سعيد بن المعلى رضي الله تعالى عنه قال : كنت أصلي [في المسجد] فمر بي رسول الله ﷺ ، فدعاني ، فلم آته حتى صليت ، ثم أتيته ، فقال : «ما منعك أن تأتي ؟» [فقلت : يا رسول الله ؛ إني كنت أصلي ، فقال] : «ألم يقل الله ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾» ثم قال : «لأعلمنك أعظمَ سورة في القرآن قبل أن أخرج» فذهب رسول الله ﷺ ليخرج ، فذكرت له ، فقال : «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ ، السبعُ المثاني».

رواه البخاري[1]. وله رواية أخرى فيها زيادة .

ورواه أحمد والنسائي وأبو يعلى والبيهقي ، وصححه الترمذي والحاكم ، وأقره الذهبي[2]ـ ورواه بعضهم مختصراً ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وأن

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : باب ما جاء في فاتحة الكتاب . وسورة الأنفال : باب ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ،...﴾ ، وسورة الحجر : باب ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ ، وفي غيرهما أيضاً .

(٢) مسند أحمد (٢ : ٤١٢ ـ ٤١٣) وسنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن : باب ومن سورة الحجر ، رقم (٢٨٧٥) والسنن الكبرى للنسائي (٦ : ٣٥١) وكتاب التفسير (١ : ٥٢٣ ـ ٥٢٤) =

الذي كان يصلي هو أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه .

كما رواه آخرون وجعلوه من مسند أُبي بن كعب رضي الله تعالى عنه ، لا من مسند أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، والله تعالى أعلم .

فيتضح من هذين النصين ، والله تعالى أعلم[1]:

١ ـ أن إجابة النبي ﷺ : يجب أن تكون على الفور . فلو لم تكن على الفور لما عاتب هذين الصحابيين رضي الله تعالى عنهما على تأخير إجابته ﷺ .

٢ ـ كما يتضح أن إجابة النبي الكريم ﷺ لمن كان في الصلاة فرض أيضاً ، يعصي المرء بتركه ، وإلا لما قرأ عليهم النبي ﷺ الآية عندما أبطأوا أو تأخروا عن الاستجابة فوراً . نعم هذا الحكم خاص به ﷺ ، ويلحق به ﷺ وجوب إجابة الأم إذا دعت ولدها وهو في صلاة النافلة ، كما في قصة جريج العابد عندما دعته أمه في ثلاثة أيام ، وتوافقه في الصلاة ، فيختار صلاته على إجابة أمه ، حتى دعت عليه ، كما في صحيح مسلم[2].

٣ ـ لقد صرَّح عدد من العلماء ؛ من الشافعية وغيرهم من مختلف المذاهب ، أن إجابة النبي ﷺ ممن هو في الصلاة لا تبطلها ، وإن كان يؤخذ من غير هذين النصين .

٤ ـ إذا كانت الإجابة واجبة ممن هو في الصلاة ـ وهي عبادة قائمة برأسها ـ فكيف بمن هو في غير الصلاة ؟ وكيف بمن يُطلب منه الطاعة عموماً ؟ فهذا النص ، سواء الآية القرآنية أو الأحاديث الشريفة ، تدل على مدى وجوب طاعة

= والمستدرك (١ : ٥٥٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ٣٧٥ ـ ٣٧٦) ومسند أبي يعلى (١١ : ٣٦٧ ـ ٣٦٨) بنحوه .

(١) انظر : فتح الباري (٨ : ١٥٧ ـ ١٥٨).

(٢) انظر : بر الوالدين ، فقد ذكرت ذلك مفصّلاً ، وهل يلحقها الوالد ؟ فيه خلاف .

النبي ﷺ ، وأنه لا يجوز أن يُقدَّمَ عليها غيرها ـ حتى لو كانت عبادة أخرى ـ لأن طاعتَه ﷺ مقدمةٌ ، والاستجابةَ لأمره ﷺ مقدمةٌ ، وأن طاعتَه ﷺ والاستجابةَ لأمره هي أعلى درجات العبادة ، كما أن عدم الاستجابة له ﷺ معصيةٌ . لذا عاتب رسول الله ﷺ هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم حتى لا يقعوا في المعصية ، والله تعالى أعلم .

جعل طاعته ﷺ عبادة محضة :

لما جعل الله سبحانه وتعالى الاستجابة لنبيه وصفيه الكريم ﷺ ، سببَ الحياة الأبدية ؛ لأنها أمرُ الله تعالى ، الذي يحول بين المرء وقلبه ،... كذلك جعل الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ الحق فيما يُصدر بما يوحيه تعالى إليه ، وألزم الناسَ طاعتَه في الحلال والحرام ، في السلم والحرب ، في العقيدة والعبادة ، في الأخلاق والمعاملات ،... حتى صارت الهجرة تُشَدُّ إليه ، ومن هاجر إليه ﷺ فقد وقع أجره على الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(1) .

فلو لم تكن طاعته ﷺ عبادةً محضةً ، يُؤجر عليها المهاجِرُ : لما جازت الهجرة إليه . وإذا نظرنا إلى قوله تعالى : ﴿مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ اتضح لنا المعنى ، حيث أوجب الله تعالى أجر المهاجر ـ فيما إذا مات في الطريق ، قبل وصوله إلى نبيه ﷺ في المدينة ـ على الله تعالى .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات ـ بالنية ـ وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله

---

(1) سورة النساء (100).

ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه». متفق عليه(١).

فالأمر مرتبط بالنية ، فمن كانت هجرتُه خالصةً لله تعالى وإلى رسوله ﷺ صدقاً ، فقد وقع أجره على الله عز وجل ، وغفر الله تعالى ذنوبه مقابل هجرته ، لهذا كان ﷺ يبايع الناسَ عليها . أما إذا كانت هجرته لدنيا ـ وليس للدين ـ فليس له أجر ولا ثواب ، حتى لو شاركت الأولى في الظاهر .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه ، أن الطُّفَيلَ بنَ عَمْرٍو الدوسيَّ أتى النبيَّ ﷺ ، فقال : يا رسول الله ؛ هل لك في حصن حصين ومَنَعَة [قال : حصن كان لدوسٍ في الجاهلية] فأبى ذلك النبي ﷺ ، للذي ادَّخر الله للأنصار ، فلما هاجر النبيُّ ﷺ إلى المدينة ، هاجر إليه الطُّفيلُ بنُ عَمْرٍو ، وهاجر معه رجلٌ من قومه ، فاجْتَوَوا المدينة ، فمرض ، فجزع ، فأخذ مشاقص له فقطع بها براجمه ، فشخبت يداه ، حتى مات ، فرآه الطُّفيلُ بنُ عَمْرٍو في منامه ، وهيئته حسنة ، ورآه مغطِّياً يديه ، فقال له : ما صنع بك ربك ؟ فقال : غفر لي بهجرتي إلى نبيه ﷺ ، فقال : مالي أراك مغطِّياً يديك ؟ قال : قيل لي : لن نُصلح منك ما أفسدتَ . فقصَّها الطُّفيلُ على رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «اللهم ولِيَدَيْهِ فاغفر». رواه مسلم(٢).

فقد غفر الله تعالى لهذا الرجل بهجرته إلى رسوله وصفيه ﷺ ، فما عِظَم مكانة الهجرة ، كما تدل على أنها من أعلى درجات العبادة حتى كانت سبباً في غفران ذنب ذلك الرجل رضي الله تعالى عنه(٣).

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب قوله ﷺ : «إنما الأعمال بالنية»، رقم (١٥٥).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن قاتل نفسه لا يكفر ، رقم (١٨٤).

(٣) لقد توسعت في بيان الهجرة ومكانتها ،... في «فضائل المدينة المنورة» فانظره إن شئت .

ومن المعلوم أن الناس في أثناء الفتن ينشغلون عن أنفسهم ، ويتلهون بحوادث الفتن ، فيُعرِضون عن العبادة ، فتذهل عقولُهم عن مولاهم ، وقلوبُهم عما يقربهم إلى ربهم ،... فمن تفرغ في تلك الحالة إلى عبادة الله عز وجل ، وأقبل عليه تعالى ، ولم تشغله الفتن ،... كان له من الأجر والثواب من الله تعالى ما لا يعدله إلا الهجرة إلى النبي الكريم ﷺ .

فعن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «العبادةُ في الهرج كهجرة إليَّ». رواه مسلم(١).

ففي هذا الحديث الشريف بيانُ فضل الهجرة ، وبيانُ ثواب العبادة في الفتن ، بحيث إن فضلها وثوابها كمثل هجرةٍ إلى النبي الكريم ﷺ .

لقد كانت الهجرة إلى النبي الكريم ﷺ ـ قبل الفتح ـ واجبة ، لذا نهى الله تعالى عن اتخاذ من لم يهاجر وليّاً حتى يهاجر ، كما قال عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾(٢). مما يدل على مكانةَ الهجرة إلى رسول الله ﷺ ، وأنها من أعظم القربات ، والعبادات ، وعلمنا عِظم طاعةِ النبي ﷺ ، وأنها مطلوبة لذاتها ، والله تعالى أعلم .

جعله الله تعالى مشرعاً :

لقد جعل الله تعالى من جملة صفات رسوله وصفيه الكريم ﷺ ومن جملة مهامِّه الكبار : أنه يحلِّل ويحرِّم ، وأن هذا وصفُه ﷺ في الكتب السماوية السابقة .

(١) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب فضل العبادة في الهرج ، رقم (١٣٠).

(٢) سورة الأنفال (٧٢).

لكنه ﷺ لا يشرِّعُ من عند نفسه ، إنما يُشَرِّعُ حسب ما يريه الله عز وجل ويوحيه إليه ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى ، ولهذا وَكَلَ سبحانه وتعالى إليه بيان ما أنزل في كتابه مجملاً ، مع أنه تعالى تكفل ببيان ذلك .

قال الله تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾(١) .

وأما إيكال الله تعالى البيانَ لنبيه ﷺ ، فيوضحه :

قوله سبحانه وتعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢) .

وقوله عز شأنه : ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٣) .

فهو ﷺ لا يبيِّن ولا يحكم إلا بما أراه الله تعالى وأوحاه إليه .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ﴾(٤) .

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ﴾(٥) و ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾(٦) .

---

(١) سورة القيامة (١٦ ـ ١٩).

(٢) سورة النحل (٤٤).

(٣) سورة النحل (٦٤).

(٤) سورة النساء (١٠٥).

(٥) سورة الأعراف (٢٠٣).

(٦) سورة الأنعام (٥٠) وسورة يونس (٥١) وسورة الأحقاف (٩).

فالله تعالى المتكفِّلُ بالبيان ، والنبي الكريم ﷺ هو المبيِّنُ عنه ، حسب ما يوحيه إليه ، وما يُريه تعالى ، ولم يجعله ينطق من عند نفسه ، حاشاه ﷺ .

فهو ﷺ يُحِلُّ الطيبات ويُحَرِّمُ الخبائث ، ويُخَفِّف عن أمته ما كان عليه أهل الديانات السابقة من الإصر والأغلال ،... فدينُه دينُ السماحة واليسر .

قال الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[2]. فقد ساق التحريم مساقاً واحداً من الله تعالى ورسوله ﷺ بواو العطف ، دلالة على أن الحكم واحد .

وإذا كانت السنة النبوية بيَّنت مجملَ القرآن الكريم في أحكامه ، فإنها حدِّدت أو قيِّدت أو خصَّصت ،... ما كان مطلقاً أو عاماً ، كما حرَّمت أموراً كثيرةً ، وأباحت أموراً كثيرةً ، وشرعت أموراً كثيرةً وخفَّفت أحكاماً قاسيةً مما كان موجوداً في الديانات السابقة ، في العبادات والمعاملات ،... وأمور كثيرة ، يأتي بيانُها في الباب الثامن إن شاء الله تعالى .

فالله تعالى جعل نبيه الكريم ﷺ مبيِّناً عنه عز وجل ، ومشرِّعاً في دينه ، حسب ما يُوحيه إليه ، ويُريه إياه ، فلا ينطق عن الهوى ، لهذا أوجب الله عز وجل

---

(١) سورة الأعراف (١٥٧).

(٢) سورة التوبة (٢٩).

طاعته ، فمن لم يطعه : يكون قد عصى الله تعالى ، وإلّا ماذا يعمل بهذه النصوص المجملة أو العامة في القرآن ؟ كيف يصلي ، كيف يصوم ، كيف يزكي ، كيف يحج ، كيف يتعامل مع نفسه ، ومع الآخرين ؟ فعلى النبيِّ ﷺ البيان ، وعلينا التسليم والطاعة والامتثال ، والله تعالى هو المعين .

وقد قال الله تعالى في آية الأعراف : ﴿وَيُحِلُّ﴾ ، ﴿وَيُحَرِّمُ﴾ ، ﴿وَيَضَعُ﴾ وهذه من خصائص المشرِّع الحقيقي ، لكنه ﷺ لا يفعل من عند نفسه ـ كما قلت ـ إنما يُوحي الله تعالى إليه فينطق به . وسيأتي بيان ذلك كله إن شاء الله تعالى في الباب الثامن .

جعله الله تعالى هادياً إلى صراطه المستقيم :

إن الطرقَ كثيرةٌ ، والسبلَ متشعبةٌ ، وكلها تأخذ بسالكيها إلى الهاوية ، إلا طريقاً واحداً ، يأخذ بسالكه إلى الجنة ، وإلى رضوان الله تعالى ، وأقرب الطرق وأقصرها الصراط المستقيم ، وقد أغلق الله تعالى جميع الأبواب ، إلا باب رسول الله ﷺ ، جعله الله تعالى هادياً ، يأخذ بيد من اتبعه ، فيوصله إلى باب الله تعالى ، هو باب الهداية ، فمن أراد الهداية أطاع رسول الله ﷺ ، ومن أعرض عنه وتنكب ، ضل وغوى ، وأخذت به المسالك المعوجة إلى سبل الضلال ، وألقته في الهاوية .

قال الله تعالى ـ في وصية نبيه ﷺ ـ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1] .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : خطَّ رسول الله ﷺ يوماً خطّاً ، ثم قال : «هذا سبيل الله» ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : «هذه سبل ، وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم تلا : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى

(١) سورة الأنعام (١٥٣).

﴿مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾. رواه أحمد والنسائي والطيالسي والدارمي والبغوي والبزار وابن أبي عاصم[1]، من طرق، فالحديث صحيح، لذا صحّحه الحاكم وابن حبان، وأقره الذهبي.

كما رَوى هذا الحديثَ كلٌّ من أحمد وابن ماجه وعبد بن حُميد والبزار من حديث جابر رضي الله تعالى عنه[2]، وفي إسنادهم: مجالد بن سعيد، وهو حسن الحديث في الشواهد، وشاهده ما سبق، والله تعالى أعلم.

وقد جعل الله تعالى نبيه وصفيَّه ﷺ هادياً إلى صراط الله المستقيم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ * ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) مسند أحمد (١ : ٤٣٥، ٤٦٥) والتفسير للنسائي (١ : ٤٨٥ ـ ٤٨٧ رقم ١٩٤ ـ ١٩٥) وسنن الدارمي : المقدمة : رقم (٢٠٨) ومسند الطيالسي (٣٣ رقم ٢٤٤) والمستدرك (٢ : ٢٣٩ ـ ٣١٨) وصحيح ابن حبان (١ : ١٠٥ رقم : ٦ ـ ٧) والموارد (٤٣٠ ـ ٤٣١) وكشف الأستار (٣ : ٤٩ رقم ٢٢١٠ ـ ٢٢١٢ من ثلاث طرق) وشرح السنة (١ : ١٩٦ ـ ١٩٧) والسنة لابن أبي عاصم (١ : ١٣ رقم : ١٧) وتحفة الأشراف (٧ : ٢٥) ومجمع الزوائد (٧ : ٢٢) وعزاه لأحمد والبزار، وقال البزار : وقد رُوي عن عبد الله نحوه أو قريباً منه من وجوه.اهـ. بعد ذكره له من ثلاث طرق.

(٢) مسند أحمد (٣ : ٣٩٧) وسنن ابن ماجه : المقدمة : باب اتباع سنة رسول الله ﷺ، رقم (١١) ومسند عبد بن حميد (٣٤٥ ـ ٣٤٦، رقم ١١٤١) والسنة (١ : ١٣ رقم ١٦) وتفسير ابن كثير (٢ : ١٩٠).

(٣) سورة الشورى (٥٢ ـ ٥٣).

﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

وقد شهد الله عز وجل لرسوله الكريم ﷺ بأنه على الصراط المستقيم .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿يسٓ * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3].

لهذا أغلق الله سبحانه وتعالى جميع الأبواب ، إلا باب رسول الله ﷺ ، فمن أراد الهداية أطاع رسول الله ﷺ ، يهده الله تعالى سبيل المُنْعَم عليهم ، ومن أراد الوصول إلى سبيل الله ، فليستجب لرسوله ﷺ ، يدخله الله تعالى دينه ، ثم جنته ، ومن سلك غير سبيله وولج غير بابه ضل وغوى وهلك .

قال الله تعالى : ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[4].

وقد بيَّن النبي ﷺ ذلك بأنه الدَّاعي ، فمن استجاب له ، دخل الجنة ، ومن عصاه فقد هلك ، لأنه عصى الله تعالى بعصيانه نبيه الكريم ﷺ .

فعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ ـ وهو نائم ـ فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العينَ نائمةٌ ، والقلبَ يقظان ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً ، قال : فاضربوا له مثلاً ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العينَ نائمةٌ ، والقلبَ يقظان ، فقالوا : مثله كمثل رجل بنى داراً ، وجعل فيها مأدبةً ، وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعي دخل الدار ، وأكل من

(١) سورة إبراهيم (١ ـ ٢).

(٢) سورة المؤمنون (٧٣).

(٣) سورة يس (١ ـ ٤).

(٤) سورة النور (٥٤).

المأدبة ، ومن لم يُجب الداعي لم يدخل الدارَ ، ولم يأكل من المأدبة ، فقالوا : أوِّلوها له يفقهها ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العينَ نائمةٌ ، والقلبَ يقظان ، فقالوا : الدارُ الجنةُ ، والداعي محمدٌ ﷺ ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله ، ومحمد ـ ﷺ ـ فَرق بين الناس . رواه البخاري[1].

وفي رواية الترمذي والحاكم[2]: «فالله هو المَلِكُ ، والدارُ الإسلامُ ، والبيتُ الجنةُ ، وأنت يا محمد رسولٌ ، من أجابك دخل الإسلامَ ، ومن دخل الإسلامَ دخل الجنةَ ، ومن دخل الجنةَ أكل منها».

وقد ورد عن عبد الله بن مسعود[3] وربيعة الجرشي وابن عباس رضي الله تعالى عنهم بنحوه[4].

تنبيه : ضُبط لفظ (فرق) بثلاث صيغ : بفتح الفاء والراء المشدّدة ، وبفتح الفاء وسكون الراء وضمتين على القاف ، وبفتح الفاء والراء والقاف

فمن أطاعه ﷺ واستجاب له دخل الجنة ، ومن عصاه وأعرض عنه دخل

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

(٢) سنن الترمذي : كتاب الأمثال : باب ما جاء في مثل الله لعباده ، رقم (٢٨٦٠) وقال : رُوي هذا الحديث من غير وجه عن النبي ﷺ بإسناد أصح من هذا . هذا حديث مرسل ، سعيد بن هلال لم يدرك جابر بن عبد الله.اهـ. قلت : ورواه الحاكم في المستدرك (٤ : ٣٩٣) وأدخل بين سعيدٍ وجابرٍ : عطاءَ بن أبي رباح ، وصححه وأقره الذهبي .

(٣) مسند أحمد (١ : ٣٩٩) وسنن الترمذي : كتاب الأمثال : باب ما جاء في مثل الله لعباده ، رقم (٢٨٦١) وسنن الدارمي (المقدمة ، رقم ١٢) وفتح الباري (١٣ : ٢٥٥ ، ٢٥٦).

(٤) انظر : مسند أحمد (١ : ٢٦٧) ونسخة أحمد شاكر (٤ : ١٢٩) وسنن الدارمي (المقدمة ، رقم ١١) والمعجم الكبير (١٢ : ٢١٩) وكشف الأستار (٣ : ١٣١ ـ ١٣٢) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٦٠ ـ ٢٦١) وفتح الباري (١٣ : ٢٥٦).

النار ، وهذا هو الذي شَرَدَ شُرودَ الجَمَل على أهله .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا : يا رسول الله ؛ ومن يأبى ؟ قال : «من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى». رواه البخاري[1].

فالذين يأبون الدخول هم الذين يتقحمون النار ، ويعصون أمره ﷺ .

فعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مَثَلي كمَثَل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حولها ، جعل الفراش وهذه الدواب التي [تقع] في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحَّمْنَ فيها» قال : «فذلكم مَثَلي ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار ، هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني ، تقحَّمون فيها». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

ورواه مسلم[3] بنحوه من جابر رضي الله تعالى عنه .

فالذي يتفلت ؛ إما عاص فلا يدخل مع أول الداخلين ، وإما هالك فيهلك مع الهالكين ، والعياذ بالله تعالى ، أما المستجيب فهو الناجي ، وسيأتي مزيد بيان في الفقرة التالية ، إن شاء الله تعالى .

جعله الله تعالى بشيراً ونذيراً ، فمن أطاعه ﷺ فقد نجا :

لقد جاءت عشرات الآيات في كتاب الله تعالى تبين مهمة رسول الله ﷺ ، وأنه منذر للبشرية ، ومُخوِّفها من سوء عاقبتها إذا هي عصت ، وبقيت متنكبةً عن الصراط السوي ، ومبتعدةً عن ربها تعالى ، وبعيدةً عن الإيمان به تعالى ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة : باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب الانتهاء عن المعاصي ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب شفقته ﷺ على أمته ،... رقم (١٧ ـ ١٨).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ،... رقم (١٩).

وتُخوِّف هذه الأمةَ إذا عصت ، وتُنذِرُها العذابَ الأليم ؛ إذا كفرت ولم تطع ، كما تُبين بأي وسيلة ينذر ، ومراحل إنذاره ﷺ .

كما تبشر المؤمنين المتقين المخبتين الصادقين الصابرين الصالحين ،... بالنعيم المقيم ، والجنات التي تجري تحتها الأنهار ، وما لهم من أجرٍ وثواب .

كما تبشر المنافقين والكافرين ،... بالعذاب الأليم الشديد يوم القيامة .

لذا فمن أطاعه ﷺ نجا وسلم وسعد ، ومن عصاه فقد هلك . وأذكر بعض الآيات الكريمة في هذا الباب للتنبيه على مهمته ﷺ .

قال الله تعالى في أول سورة في بدء الرسالة : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ * قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾[1] .

وقال عز وجل : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾[2] .

بل حصر الله عز وجل مهمة نبيه وصفيه الكريم ﷺ في رسالته لجميع الناس بالبشارة والنذارة والشهادة عليهم .

قال الله عز وجل : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا * وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴾[4] .

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا * لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ

(١) سورة المدثر (١ ـ ٢).

(٢) سورة البقرة (١١٩). وانظر : سورة فاطر (٢٤).

(٣) سورة سبأ (٢٨). وانظر : سورة الإسراء (١٠٥) وسورة الفرقان (٥٦).

(٤) سورة الأحزاب (٤٥ ـ ٤٧).

وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[1].

ولهذا يبيِّن ﷺ أنه بشير ونذير مبين ، يُنذر من عصى ، ويُبشر من أطاع .

قال الله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[2].

وقد أنزل الله سبحانه وتعالى الوحي على رسوله وصفيه ﷺ لينذر به ، ومن يَبْلُغْه ذلك ممن يأتي بعده أو بَعُدَ عنه ﷺ .

قال الله عز وجل : ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ ﴾[3].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾[4].

وقد كثرت الأحاديث النبوية الشريفة عن النبي الكريم ﷺ في بيان كونه نذيراً ينذر الناس ، وأنه ﷺ النذيرُ العريان ؛ الصادقُ مع قومه ؛ لأنه الرائد لهم فلا يَكْذِبُهم ، لذا فعليهم طاعته ، وعدم مخالفته ، فمن أطاعه نجا وسعد في الدنيا والآخرة ، ومن عصاه وخالفه فقد هلك .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : لما نزلت : ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[5] صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي : «يا بني فهر ؛ يا بني

---

(١) سورة الفتح (٨ ـ ٩).

(٢) سورة الأعراف (١٨٨).

(٣) سورة الأنعام (١٩).

(٤) سورة الأنبياء (٤٥).

(٥) سورة الشعراء (٢١٤).

عدي» لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يَخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش ، فقال : «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدِّقي ؟» قالوا : نعم ؛ ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال : «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت : ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾[1]. متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

ورواه الشيخان[3] بنحوه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، كما رواه مسلم[4] بنحوه من حديث قبيصة بن المخارق وزهير بن عمرو رضي الله تعالى عنهما .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً [وعند مسلم : قومه] فقال : يا قوم ؛ إني رأيت الجيش بعينيَّ ، وإني أنا النذير العريان ، فالنجاء ، فأطاعه طائفة من قومه ، فأدلجوا ، فانطلقوا على مَهَلِهِم فنجوا ، وكذَّبت طائفةٌ منهم ، فأصبحوا مكانهم ، فصبَّحهم الجيشُ ، فأهلكهم ، فذلك مَثَلُ من أطاعني ، فاتَّبع ما جئتُ به ، ومَثَلُ من عصاني وكذَّب بما جئت به من الحق». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[5].

---

(١) سورة المسد (١ ـ ٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الشعراء : باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب في قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ، رقم (٣٥٥ ـ ٣٥٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سور الشعراء ، باب ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ ، وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٤٨ ـ ٣٤٩ ، ٣٥١ ـ ٣٥٢).

(٤) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٥٣ ـ ٣٥٤).

(٥) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، وفي غيرهما . =

وقد سبق ذكرُ حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ـ في قصة مجيء الملائكة ، وضرب المثل له ﷺ ، في الفقرة السابقة فانظره .

فمن أطاع رسول الله ﷺ نجا من النار ، ومن لم يطعه ﷺ هلك ووقع في النار ؛ كوقوع الفراش والجنادب فيها ، وهو ﷺ يحذر أمته : «هلم عن النار»، والله تعالى أعلم .

فقد عبَّر في الفرقة الأولى بالطاعة ، وفي الثانية بالتكذيب ، ليؤذن بأن الطاعة مسبوقة بالتصديق ، ويشعر بأن التكذيب مستتبع للعصيان . كما قال الإمام الطيبي رحمه الله تعالى[1].

فمن أراد السلامة والتخلص من العدو ـ بنوعيه الظاهري والباطني ـ فليطع النذير ، فإن أطاعه سعد السعادتين ، وهكذا رسول الله ﷺ ، هو أصدق نذير لأمته ، إذ لا يوجد أشفق منه ﷺ على أمته ، بل لا يوجد له نظير في ذلك ، لذا حذَّر ﷺ أمتَه من كل معصية ، ورغَّبهم في كل طاعة .

التسليم الكامل لوعده ﷺ :

لقد ضرب الله تعالى لنا في كتابه مَثَلَ المؤمنين والمنافقين بالنسبة لوعد رسول الله ﷺ ، فبقدر ما كان عليه المنافقون من التكذيب ،... كان المؤمنون على نقيض ذلك ، حيث زادهم ما وعدهم ﷺ به إيماناً بالله تعالى ، وتسليماً ، وانقياداً لأوامره ، وطاعةً لرسوله ﷺ .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَت

= وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب شفقته ﷺ على أمته ،... رقم (١٦).

وانظر : فتح الباري (١١ : ٣١٦ـ٣١٧) لبيان معنى «النذير العريان».

(١) انظر : شرح الطيبي (١ : ٣٠٥) وذكره الحافظ في فتح الباري (١١ : ٣١٧) مختصراً .

﴿طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ إلى قوله تعالى : ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ۝ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

فيُكرمُ الله تعالى الصادقين بما وفوا ما عاهدوا عليه ، ويعذِّبُ المنافقين الناكثين إن شاء الله سبحانه وتعالى .

فإذا كان التسليم بما وعد به ﷺ من صفات المؤمنين ، وأنهم إذا رأوا ما يوعدون به ازدادوا إيماناً وتسليماً ، فإن ذلك من مظاهر طاعته ﷺ والإيمان به ومحبته ، إذ لا يصدِّق بالوعد ـ خاصة في مثل تلك الأحوال ـ إلا كامل الإيمان ، كامل الطاعة ، تام المحبة ، المستسلِم الصادق ، والله تعالى أعلم .

وهكذا كان شأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم حيث كانوا يصدِّقون بكل ما يخبرهم ﷺ به ، ومن جملة ما يخبرهم به ما يعدهم به ، فيسلِّمون ويطيعون ، فعندما أخبرهم ووعدهم بفتح فارس والشام والعراق واليمن وغزو الهند ،... أخذوه مأخذ الجد والتسليم ، ولم يتطرق إليهم الشك .

فعن عَدِيِّ بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال : بينا أنا عند النبي ﷺ ، إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ،... فقال : «يا عديُّ ، هل رأيت الحِيرَةَ ؟» قلت : لم أرها ، وقد أُنبِئْتُ عنها ، قال : «فإن طالت بك حياة لَتَرَيَنَّ الظعينةَ ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف إلا الله» قلت فيما بيني وبين نفسي : فأين دُعَّارُ طيءٍ الذين قد سعَّروا البلاد ؟ ـ «ولئن طالت بك حياة لَتُفْتَحنَّ كنوزُ كسرى» ـ قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال : «كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بك حياة لَتَرَيَنَّ

(١) سورة الأحزاب (١١ ـ ٢٤). وانظر : دلائل النبوة في غزوة الخندق .

الرجل يُخرج ملءَ كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه ، فلا يجد أحداً يقبله منه ،...»

قال عدي : فرأيتُ الظعينةَ ترتحل من الحِيرة حتى تطوفَ بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنتُ فيمن افتتح كنوزَ كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لَتَرَوُنَّ ما قال النبيُّ أبو القاسم ﷺ يُخرج ملء كفه . رواه البخاري(١).

هكذا جزم رضي الله تعالى عنه بالخبر الثالث أنه سيقع كما أخبر ﷺ .

ولما وعدهم ﷺ وأخبرهم بدخول مكة ـ وهي رؤيا رآها ﷺ في المنام ـ أنزل الله عز وجل تصديق الرؤيا ، وكان الدخول ، وفيه البشارات والوعود الأخرى ، وكلها تحققت .

قال الله تعالى : ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا * هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾(٢).

فدخلوا مكة آمنين ، لا يخافون ، محلقين رؤوسَهم أو مقصرين ، وقد جعل قبل هذا الدخول الصلحَ الذي هو فتح قريب عظيم ، ثم كان الوعد والبشارة بالظهور على الدين كله ، وشهادة الله تعالى على ذلك .

وقد وعدنا ﷺ الحوض ، ونرجو أن نكون من أهل هذا الوعد فنلقاه .

فعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال : صلى رسول الله ﷺ على قتلى أُحُدٍ بعد ثماني سنين ، كالمودِّع للأحياء والأموات ، ثم طلع على المنبر فقال : «إني بين أيديكم فَرط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدَكم الحوض ، وإني لأنظر إليه

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب علامات النبوة في الإسلام .

(٢) سورة الفتح (٢٧ ـ ٢٨).

من مقامي ،...» الحديث ، متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

فقد أخبرنا ﷺ أنه فَرَطٌ ، فرحل ﷺ قبلنا ، وإن الموعد هو الحوض ، وكلنا أمل أن يلقاه ﷺ ، فيسقيه من يده الشريفة شربةً هنيئةً ، لا نظمأ بعدها أبداً . اللهم حقق لنا ذلك وجميع المسلمين ، اللهم آمين .

جعله الله تعالى أسوةً حسنة :

لقد أكمل الله تعالى نبيَّه وصفيَّه الكريمَ ﷺ ، وجمَّله وخصَّه بخصائص لا توجد عند غيره من البشر بما فيهم الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وأدَّبه فأحسن تأديبه ، وجعله بالمرتبة العليا التي يكون الأنبياء عليهم السلام تحت لوائه يوم القيامة ، المعصوم بعصمته تعالى ، لذا رضيه الله تعالى أن يكون المثال الأعلى لجميع الناس ، والأسوة الحسنة لهم ، القدوة العليا ،... فأوجب اتباعه وطاعته ، لأنه كامل في كل شيء .

والإنسان مجبول على التقليد ، والاتباع ، ومن محبة الله تعالى لهذه الأمة ورحمته ورأفته تعالى بها : أن جعل لها أسوةً تقتدي بها ، وقدوةً تأتسي بها ، حتى لا تضل ، ولا تتيه ، في غياهب البحث ، لتجد لنفسها من تقتدي به ، فأراحها تعالى ، ودلَّها على من تقتدي به .

قال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

فهذا النص الكريم يعتبر أساساً كبيراً ، وأصلاً عظيماً في وجوب التأسي برسول الله ﷺ ؛ في أقواله وأحواله وأفعاله وأخلاقه ،... لكن الله سبحانه وتعالى

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة أحد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ، رقم (٣٠ـ ٣١).

(٢) سورة الأحزاب (٢١).

قيَّد من يتأسى برسول الله ﷺ بأوصاف ، فمن تحقق بها كانت عنده الصلاحية للتأسي ، وهي لمن كان يرجو الله تعالى واليوم الآخر وذكر الله تعالى ذكراً كثيراً .

فإذا كان الله تعالى قد اختار لنا نبيَّه وصفيَّه الكريم ﷺ قدوةً وأسوةً ، فما على عَبيد الله تعالى ومُدَّعي محبّته وطاعته إلّا الامتثال والاقتداء ، والتأسي بهذا الرسول ﷺ الذي اختاره الله تعالى . والذي لا يقتدي ولا يتأسّى ، ولا يمتثل يكون قد عصى الله تعالى ، وردّ عليه أمرَه ، والله تعالى أعلم

وهذه الأسوة تكون ، في البيت ، في السوق ، في المسجد ، في الشارع ، في السلم ، في الحرب ، في الإقبال والإدبار ، في الفعل والترك ، في المنشط والمكره ، في الخُلق ، في الصلة بالله تعالى ، في اللباس ،... في كل شيء هو ﷺ أسوة ، لكن لمن اتصف بما ذكر .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ـ عند تفسير هذه الآية ، ما لفظه[1] ـ : هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ ، في أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذا أَمَرَ تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب ، في صبره ومصابرته ، ومرابطته ومجاهدته ، وانتظاره الفرج من ربه عز وجل ، صلوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين.اهـ.

وقد طبَّق الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم هذا المنهج ، وساروا على هذا المنوال ، والتزموا هذا الميزان ،... أدَقَّ ما يمكن أن يكون .

ـ لبسوا خواتيم الذهب حين لبس ﷺ ، وخلعوها عندما خلع ﷺ .

ـ خلعوا نعالهم في الصلاة عندما خلع ﷺ نعليه في الصلاة ، فقالوا : رأيناك خلعت فخلعنا .

ـ واصلوا في الصيام حين رأوه ﷺ يواصل ، حتى أخبرهم ﷺ أنه ليس

(١) تفسير ابن كثير (٣ : ٤٧٤).

كهيأتهم ، يبيت يطعمه ربه عز وجل ويسقيه .

ـ صاموا في السفر لما رأوه ﷺ صائماً ـ وقد شَقَّ عليهم ـ فلما أفطر ﷺ أفطروا .

ـ رآه بعضهم مطلق أزرار القميص ، فما زال قميصُه مطلقَ الأزرار .

ـ رآه بعضهم لا يلمس ﷺ إلا الركنين ، فلا يلمس سواهما .

ـ رآه يلبس النعال السبتية ، فلا يلبس غيرها ،...

والأمثلة على ذلك كثيرة(١).

جعل الله تعالى طاعة رسوله ﷺ طاعةً له تعالى :

لقد بلغ الأمر ذورته ، عندما أعلن الله تعالى أن طاعة رسوله وصفيه الكريم ﷺ هي طاعة لله تعالى ؛ لأنه تعالى هو الذي أرسله ، وأمر بطاعته وامتثال أمره ، وحرَّم معصيتَه ومخالفةَ أمره ، وأنه ﷺ المبلِّغ عنه تعالى ما أراد ، وهو الواسطةُ بينه تعالى وبين خلقه ، ينقل للناس شرع الله تعالى ، ويشرحه ويفصله ، وهو الهادي إليه تعالى ، والمبشِّر والمنذِر ، فمن أطاعه كان مطيعاً لمن أرسله ، ومن عصاه فهو عاصٍ لمن أرسله .

قال الله عز وجل : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾(٢).

فقد عبَّر بالمضارع ﴿يُطِعِ﴾ الذي يقتضي الحال والمستقبل ، وعبَّر بالماضي

(١) انظر : محبة النبيِّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجهاد : فقد ذكرت مثالين ، تأخُّر الصحابة رضي الله تعالى عنهم عن الإجابة عندما أمرهم ﷺ ، فلما فعل ما أمرهم به أو بيَّن العذرَ ، بادروا ولم يتخلف أحدٌ منهم رضي الله تعالى عنهم . والمثالان هما : الأمر بالتحلل يوم الحديبية بعد كتابة الصلح ، والثاني : ما حصل من الأمر بالتحلل في حجة الوداع .

(٢) سورة النساء (٨٠).

﴿أَطَاعَ﴾ الذي يدل على الوقوع والتحقُّق . فمن أطاع رسولَه ﷺ حالاً ، فقد وقعت طاعتُه قبل ذلك طاعةً لله تعالى ؛ لأن الله تعالى هو الذي أرسله ، وأمر بطاعته ، لذا فمن أطاعه ﷺ كان ـ في الحقيقة ـ مطيعاً لمرسِلِه قبل أن يطيعه ﷺ ، ومن عصاه ﷺ كان ـ في الحقيقة ـ عاصياً لمرسِلِه قبل أن يعصيه ﷺ ، لأنه مرسِلُه ، وأوجب طاعتَه ، وحرَّم معصيتَه .

علماً بأن الناقل لأمر الطاعة لله تعالى هو رسولُ الله ﷺ ، والله تعالى هو الآمر بطاعة رسوله ﷺ ، فالذي لا يطيع رسولَ الله ﷺ في نقله لأمر الله عز وجل طاعةَ رسوله ﷺ كالذي لا يطيع رسول الله ﷺ في نقله لطاعة الله تعالى ، فمن لم يطع رسول الله ﷺ ، فهو لم يطع الله تعالى أيضاً .

ذلك أن الله تعالى لم يكن ليرسل إلى كل مخلوق رسولاً ـ مع أنه تعالى قادر على ذلك ـ ولكن أرسله ﷺ لكل الخليقة من زمنه فما بعده ، وأمرهم بطاعته وامتثال أمره .

قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى[1]: هذا إعذار من الله تعالى إلى خلقه في نبيه محمدٍ ﷺ ، يقول الله تعالى ذكره لهم : ﴿مَّن يُطِعِ﴾ منكم أيها الناس محمداً ﷺ فقد أطاعني ، بطاعته إياه ، فاسمعوا قوله ، وأطيعوا أمره ، فإنه مهما يأمركم به من شيء فمن أمري يأمركم ، وما نهاكم عنه من شيء فمن نهيي ، فلا يقولن أحدكم : إنما محمد بشر مثلنا ، يريد أن يتفضل علينا .

ثم قال جل ثناؤه لنبيه : ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ عن طاعتك يا محمد ، فأعرض عنك ، فإنا لم نرسلك عليهم ﴿حَفِيظًا﴾ يعني : حافظاً لما يعملون ، محاسباً ، إنما أرسلناك لتبين لهم ما نزل إليهم وكفى بنا حافظين لأعمالهم ، ولهم عليها محاسبين.اهـ.

---

(١) تفسير الطبري (٨ : ٥٦١ ـ ٥٦٢).

وقد جاءت عدة نصوص عن النبي ﷺ تصرح بنفس المعنى .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ،...». متفق عليه(١).

وقد مرَّ حديثُ جابر رضي الله تعالى عنه بنحوه ، رواه البخاري .

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، أنه كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ مع نفر من أصحابه ، فأقبل عليهم رسول الله ﷺ فقال : «يا هؤلاء ؛ ألستم تعلمون أني رسول الله إليكم ؟» قالوا : بلى ، نشهد أنك رسول الله . قال : «ألستم تعلمون أن الله أنزل في كتابه : من أطاعني فقد أطاع الله ؟» قالوا : بلى ، نشهد أنه من أطاعك فقد أطاع الله ، وأن مِن طاعة الله طاعتَك ، قال : «فإنَّ مِن طاعة الله أن تطيعوني ، وإنَّ مِن طاعتي أن تطيعوا أئمتكم ، أطيعوا أئمتكم ، فإن صلُّوا قعوداً فصلوا قعوداً». رواه أحمد والطحاوي وأبو يعلى والطبراني في الكبير وابن حبان برجال ثقات(٢).

قال الحافظ رحمه الله تعالى(٣): قوله : «من أطاعني فقد أطاع الله» هذه الجملة منتزعة من قوله تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ أي : لأني لا آمر إلا بما أمر الله به ، فمن فعل ما آمره به ؛ فإنما أطاع من أمرني أن آمره .

ويحتمل أن يكون المعنى : لأن الله تعالى أمر بطاعتي ، فمن أطاعني فقد أطاع أمر الله له بطاعتي ، وفي المعصية كذلك .

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب يقاتل من وراء الإمام ويُتَّقى به ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، رقم (٣٢-٣٣).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٩٣) والمعجم الكبير (١٢ : ٣٢١ رقم ١٣٢٣٨) ومسند أبي يعلى (٩ : ٣٤٠) وشرح معاني الآثار (١ : ٤٠٤) وصحيح ابن حبان (٣ : ٢٧٢) ومجمع الزوائد (٢ : ٦٧) (٥ : ٢٢٢) وفتح الباري (١٣ : ١١٢).

(٣) فتح الباري (١٣ : ١١٢).

والطاعة : هي الإتيان بالمأمور به ، والانتهاء عن المنهي عنه ، والعصيان بخلافه.اهـ.

فمن يطيع رسول الله ﷺ كان مطيعاً لله تعالى ، ومن لم يطعه لم يطع ربه تعالى ، ومن أطاعه ولم يطع ربه فهو لم يطعه ، ومن يطيع الله تعالى يلزمه أن يطيع رسوله ﷺ ؛ لأنه المبلِّغُ عنه ، والهادي إلى سبيله ، والله تعالى أعلم .

جعل الله تعالى مبايعة رسوله ﷺ مبايعة له تعالى :

وكما جعل الله تعالى طاعةَ رسوله ﷺ طاعتَه تعالى ، كذلك جعل تعالى مبايعةَ رسوله ﷺ مبايعةً له تعالى .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

الذي يباشر البيعةَ رسولُ الله ﷺ ، والله تعالى يقول : ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ ويقول : ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ وفي ذلك من الحكم والأسرار ، ما لا يخفى على المؤمن العاقل ، صاحب القلب الواعي ، والفهم الثاقب ، والعقل النيِّر ، فيقف بإجلال واحترام وتسليم .

وقد كان رسول الله ﷺ يبايع المسلمين ، وقد تنوعت الصيغ التي بايع عليها ، وقد ثبت في الصحيحين أو أحدهما أحوال كثيرة .

فقد كان ﷺ يبايع على الإسلام ، وعلى عدم الشرك بالله تعالى ، وعلى الإيمان ، وعلى الهجرة ، وبايع الأنصار رضي الله تعالى عنهم بيعة العقبة ، وبايع على فروع الإسلام ؛ على إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم ، وعلى عدم السرقة والزنا ،... وبايع ﷺ على الصبر ، وعلى السمع والطاعة ، وعلى شهادة أن لا إله إلا الله ،... وبايع على الإسلام والجهاد ، وعلى عدم الفرار ،

(١) سورة الفتح (١٠).

وعلى الموت ،... وبايع النساء كما بايع الرجال ،...إلخ.

وكل ذلك ينطبق على المبايعة ، ويلزمهم الوفاء ، وعدم النكث . لذا أثنى الله عز وجل على الذين بايعوا رسوله ﷺ بيعة الرضوان ، وأخبر ﷺ أن كل من بايع تلك البيعة هو من أهل الجنة ، وهو داخلها بإذن الله تعالى .

قال الله تعالى : ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[1] .

لقد أكرمهم الله تعالى بالرضا ، وأنزل عليهم السكينة ، وأثابهم الفتح القريب ـ خيبر أو مكة ، أو ما فُتح ويُفتح ـ وأثابهم مغانمَ كثيرةً ستكون ، مع العز والنصر والرفعة ، وكف أيديَ الكفار عنهم ، مع إخباره تعالى عما في قلوب هؤلاء المؤمنين من الصدق والوفاء والسمع والطاعة .

وكل ذلك ناله هؤلاء الكرام رضي الله تعالى عنهم لأنهم استجابوا لرسوله ﷺ عندما دعاهم للبيعة ، فسمعوا وأطاعوا ، وهكذا شأن السامع المطيع الصادق الوفي أن يكرمه الله عز وجل ، ولن تتخلف سنة الله تعالى في خلقه ، والله تعالى أعلم .

المطيع يحبه الله عز وجل :

لقد أكرم الله تعالى متَّبعَ نبيه الكريم ﷺ بإكرامات كثيرة ، ومن أهم تلك الإكرامات : محبةُ الله عز وجل لذلك المطيع ، الذي آثر محبةَ الله تعالى ومحبةَ رسوله ﷺ على محبة أي مخلوق ، فقدَّم طاعةَ الله تعالى وطاعةَ رسوله ﷺ على طاعة أي مخلوق ، لذا استحق محبة الله عز وجل .

فقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] .

---

(١) سورة الفتح (١٨).

(٢) سورة آل عمران (٣١).

لهذا لم يقبل الله تعالى من عباده أن يتعبَّدوا إلّا على نهج رسول الله ﷺ وطريقته وخطته وسنته ،... ﷺ .

ولهذا كثرت الآيات التي خُتمت بمحبة الله عز وجل لمطيعيه ومطيعي رسوله ﷺ ، وقد تنوعت مظاهر تلك الطاعة ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ وقال تعالى : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ وقال جل شأنه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ وقال الله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وقال الله عز وجل : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وقال سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ ،...إلخ.

وكل هذه مظاهر للطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ .

وكما أحب الله تعالى من عباده أن يطيعوه ويطيعوا رسوله ﷺ ، فإنه عز وجل حبَّب الإيمان ، وزيَّنه في قلوب عباده الصالحين ، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، فمن تحقق بذلك كان محبوباً إلى الله عز وجل .

فقال تعالى : ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾[1].

لأن من آمن بالله تعالى وكفر بالطاغوت فهو المتمسك بالعروة الوثقى .

قال الله تعالى : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

---

(١) سورة الحجرات (٧).

(٢) سورة البقرة (٢٥٦).

المتولي رسول الله ﷺ هو من حزب الله تعالى :

لقد جعل الله تعالى الخلق حزبين ؛ حزب الله تعالى ، وحزب الشيطان ، وبيّن تعالى حزبه : وهم المؤمنون به تعالى وبرسوله ﷺ والمطيعون الممتثلون لأمره تعالى وأمر رسوله ﷺ ، والمتولون الله تعالى ورسوله ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾(١) .

لذا من خالف الله تعالى ورسوله ﷺ وحادّهما فهو ذليل عند الله تعالى .

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ * كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ * لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٢) .

فالمؤمنون لا يتولون أعداءَ الله تعالى وأعداءَ رسوله ﷺ ، ومخالفَ أمرِه تعالى وأمرِ رسوله ﷺ ، ولو كانوا أقربَ المقربين إليهم ، لذا كتب الله تعالى الإيمان في قلوبهم ، وأيّدهم بروح منه ، ورضي عنهم ورضوا عنه ، وجعلهم من حزبه المفلحين ، وكان مصيرهم الخلود في الجنة ، والله تعالى أعلم .

المطيع لا ينقص من عمله الخيري شيء :

إن من فضل الله تعالى على مطيعيه ومطيعي رسوله ﷺ ، أن لا يُنقص

---

(١) سورة المائدة (٥٥ ـ ٥٦).

(٢) سورة المجادلة (٢٠ ـ ٢٢).

سبحانه وتعالى من أجورهم شيئاً إذا ما أطاعوا واتبعوا وصدقوا .

قال الله عز وجل : ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١) .

فبعد أن ردَّ تعالى عليهم دعواهم تمام الإيمان ، وأنهم لم يتمكن الإيمان في قلوبهم ، أخبرهم عز شأنه أنهم إذا أطاعوا الله تعالى ورسوله ﷺ فإنه لن يَنقص من أجورهم شيء ، بل سينالونها كاملة تامة .

إعطاء المطيعين الأجر الحسن :

كما أن الله عز وجل لا يُنقص من مطيعيه ومطيعي رسوله ﷺ شيئاً من أجورهم ، فإنه سبحانه وتعالى يعطيهم الأجر الحسن ، بل أحسن مما كانوا يعملون ، بل يضاعف لهم الأجور والحسنات .

قال الله تعالى : ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٢) .

وأما مضاعفة الحسنات فالنصوص في القرآن الكريم وفي السنة النبوية كثيرة ، أذكر بعضاً منها(٣) .

قال الله عز وجل : ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾(٤) .

---

(١) سورة الحجرات (١٤).

(٢) سورة الفتح (١٦).

(٣) لقد ذكرت في (فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم) وفي (الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن جميع الأنبياء عليهم السلام) وفي (عظيم قدره ﷺ ...) كثيراً من ذلك .

(٤) سورة القصص (٨٤) وسورة النمل (٨٩).

وقال جل شأنه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[1].

وأما مقدار المضاعفة ، فقد قال الله تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

في هذا النص الشريف تكون الحسنةُ مضاعفةً إلى سبع ، ثم إلى سبعمائة ، ثم يضاعف فوق ذلك لمن يشاء .

وأما الأحاديث فكثيرة هي الأخرى ، فمن ذلك :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «إذا أحسن أحدُكم إسلامَه ، فكلُّ حسنة يعملها تُكتب له بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ،...». متفق عليه[3]. وجاء من حديث غيره أيضاً .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال : «إن الله كتب الحسنات والسيئات» الحديث ، وفيه : «وإن همَّ بها فعملها ، كتبها الله عز وجل له عنده عشر حسنات ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ،...» الحديث ، متفق عليه[4].

وكل ذلك فضل الله سبحانه وتعالى يعطيه لمن أطاعه وأطاع رسوله ﷺ

---

(١) سورة النساء (٤٠).

(٢) سورة البقرة (٢٦١).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب حسن إسلام المرء ، وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب إذا همَّ العبد بحسنة كتبت ،... رقم (٢٠٥ ـ ٢٠٦).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب من همَّ بحسنة أو بسيئة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٠٧ ـ ٢٠٨).

وعمل صالحاً ،...

المطيع هو المهتدي :

لما حلف المنافقون بأغلظ الأيمان وأشدِّها وأوثقها ، أنهم إذا أمرهم رسول الله ﷺ بالخروج إلى جهاد الأعداء فإنهم سيخرجون ، ولن يتأخروا : ردَّ الله تعالى عليهم بأن الجهاد طاعة ـ ولكنهم قوم يكذبون ـ وطلب الله عز وجل من رسوله وصفيه ﷺ أن يعلمهم بأن يطيعوا الله تعالى ويطيعوا رسوله ﷺ ، وأنهم إن أطاعوا رسوله ﷺ فيما يأمرهم به وينهاهم عنه : يهتدوا ، فيصيبوا الحق ويرشدوا .

قال الله عز وجل : ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾(١).

فالمؤمن المتبع على نور وهداية وبصيرة ، وإذا دعا أو عبدَ ربَّه ، أو عمل طاعة ، فهو على يقين وبرهان .

قال الله عز وجل : ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢).

فهو غير متخبط في عمله ودعوته ،... بل هو على يقين وهداية ؛ لأن الله تعالى هو الذي يسدِّده ، وهو على منوال رسوله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

الطاعة سبب الفلاح والظفر :

لقد جعل الله تعالى الإيمانَ بنبيِّه وصفيِّه ﷺ وطاعتَه ونصرتَه واتباعَه : سبباً

---

(١) سورة النور (٥٣ ـ ٥٤).

(٢) سورة يوسف (١٠٨).

لفلاح المؤمن ، وشمولِ رحمة الله تعالى له ، كيف لا ، وهو الذي وضع عنهم الإصر والأغلال التي كانت على من سبقهم ، وأحلَّ لهم الطيبات ، وحرَّم عليهم الخبائث . فما من خير إلا دلَّهم عليه وأمرهم به ، وما من شر وخبث ، إلا حذَّرهم منه ونهاهم عنه ، كل ذلك من حرصه ﷺ عليهم .

قال الله تعالى : ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(١).

وقال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾(٢).

فمن أطاع الله تعالى ورسولَه ﷺ فقد سعد وظفر وأفلح ،... وهكذا شأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم . وأقتصر على ثلاثة نصوص .

فعن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه ـ في قصة المحاقلة ، وكيف كانوا يتعاملون بها ـ قال رضي الله تعالى عنه : فنهانا رسول الله ﷺ عن أمر كان لنا

(١) سورة الأعراف (١٥٦ ـ ١٥٧).

(٢) سورة النور (٥١ ـ ٥٢).

نافعاً ، وطواعيةُ الله ورسوله ﷺ أنفعُ لنا ،... الحديث . لفظ مسلم[١] .

وعن فاطمة بنت قيس رضي الله تعالى عنها ـ في قصة طلاقها ، ثم خطبتها من معاوية وأبي جهم رضي الله تعالى عنهما ، وعَرضِ رسول الله ﷺ عليها الزواج من أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما ، وكراهيتها ذلك ـ قالت : فقال لها ﷺ : «طاعة الله وطاعةُ رسوله ﷺ خيرٌ لكِ» قالت : فتزوجتُه ، فاغتُبِطتُ به . رواه مسلم[٢] .

هذا الظفر والسعادة ، في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ ـ مع كونه هو الواقع ـ فإنه يعلمه غير المسلمين أيضاً .

وفي حديث الجساسة ـ عندما سأل الدّجّالُ تميماً الداريَّ ومن معه رضي الله تعالى عنهم عن النبي ﷺ قال : أخبروني عن نبي الأميين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب ، قال : أقاتَلَه العرب ؟ قلنا : نعم ، قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب ، وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم ، قال : أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه . الحديث بطوله ، رواه مسلم[٣]، والله تعالى أعلم .

المطيع مخلص لله تعالى :

لما حمل البغي والتحاسد والتباغض ،... أهلَ الكتاب ـ مع مجيء الرسل والكتب إليهم ـ على الاختلاف أخبر تعالى أنهم إن حاجوا رسول الله ﷺ فيما يعتقده ، فليخبرهم أنه ﷺ ـ ومن يقول بمقالته ، ويعتقد مذهبه ، ويسير على سنته ، ويتبعه في كل أموره ـ : مخلصون لله عز وجل في عبادتهم ، ولا يشركون به

---

(١) صحيح مسلم : كتاب البيوع : باب كراء الأرض بالطعام ، رقم (١١٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الطلاق : باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ، رقم (٤٧).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الفتن : باب قصة الجساسة ، رقم (١١٩).

شيئاً ، لذا عليه ﷺ أن يدعوَ أهل الكتاب والعربَ إلى شرعه وطريقه ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولَّوا عن ذلك فلم يسلموا فلا يضروه ؛ لأنه إنما عليه البلاغ ، وقد بلَّغ .

قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[1].

وقال تعالى ـ مبيناً حال المتَّبِعين من حال أهل الكتاب المشركين ـ: ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴾[2].

لذا كان ﷺ يُعَلِّم أصحابَه الكرام رضي الله تعالى عنهم أن يكرِّروا هذا التسليم لله تعالى ، ويتذكّروه دائماً .

فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : «إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم إني أسلمتُ وجهي إليك ، وفوَّضتُ أمري إليك ، وألجأتُ ظهري إليك ، رغبةً ورهبةً إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ ، وبنبيِّك الذي أرسلتَ . واجعلهن من آخر كلامك ، فإن متَّ من ليلتك متَّ وأنتَ على الفطرةِ». متفق عليه[3].

وقد كان رسول الله ﷺ يعلن عقب كل صلاة مفروضة هذا التسليم ،

---

(١) سورة آل عمران (٢٠).

(٢) سورة البقرة (١٣٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الدعوات ، باب إذا بات طاهراً ، وفي غيرهما ، وصحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، رقم (٥٦ ـ ٥٧).

فكان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يفعلون ذلك .

فعن أبي الزبير رحمه الله تعالى قال : كان ابنُ الزبير ـ رضي الله تعالى عنهما ـ يقول في دبر كل صلاة حين يسلِّم : «لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون».

وقال : كان رسول الله ﷺ يهلِّل بهن دبر كل صلاة . رواه مسلم[1].

فالمسلم : مستسلم لله تعالى ، منقادة نفسه إليه ، طائعة لحكمه ، خاضعة لجنابه ، وليست للشيطان أو الهوى ، مُخْلِصٌ دينَه لربه عز وجل ، مفوِّض أمورَه كلها لله تعالى ، رغبة ورهبة ،... وهذا شأن المؤمن المطيع .

أمان المطيع في القبر :

إن أهوال القبور تقطع الرقاب ، وتخيف الصادقين المخلصين ، ولكن الله سبحانه وتعالى يكرم الطائعين المخلصين بأن يكونوا في أمان من عذاب القبر ووحشته وجحيمه ، وكل ذلك فضل من الله عز وجل .

فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنهما ـ في قصة صلاة خسوف الشمس ـ قالت : فقال رسول الله ﷺ : «وإنه قد أُوحي إليَّ أنكم تُفتنون في القبور قريباً ـ أو مثلَ ـ فتنة المسيح الدجال ، فيُؤْتى أحدُكم فيقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن ـ أو الموقن ـ فيقول : هو محمد ، هو رسول الله ، جاءنا بالبيِّنات والهدى ، فأجبنا وأطعنا ـ ثلاث مرار ـ فيقال له : نم ، قد كنا نعلم إنك لتؤمن به ، فنم صالحاً ،...» الحديث بطوله ، رواه مسلم[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، رقم (١٣٩ ـ ١٤١).

(٢) صحيح مسلم : كتاب صلاة الكسوف : باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف =

فالمؤمن المتبع المطيع يرى ثواب تلك الطاعة وذلك الامتثال ؛ ابتداء من ساعة الموت وسؤال الملكين له في القبر ، وانتهاء بالرفقة الصالحة في الجنة ، ورضوان الله عز وجل ، كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى .

توبة الله تعالى على المطيع المتَّبع :

إن من سعادة المسلم أن يتوب الله تعالى عليه ، وأن يقبل الله عز وجل توبتَه إذا تاب ، وهذا شأن المتَّبع المطيع .

قال الله عز وجل : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(1) .

فقد تاب الله سبحانه وتعالى على المهاجرين والأنصار بسبب اتباعهم رسوله ﷺ في غزوة تبوك ، مع وجود الضيق في النفقة والظهر والزاد والماء ، وهذا كله فضل من الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى أعلم .

غفران ذنب المطيع :

لقد أخبر الله تعالى أنه يغفر الذنوب إلا الشرك به ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾(2) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(3) .

= من أمر الجنة والنار ، رقم (١١).

(١) سورة التوبة (١١٧).

(٢) سورة النساء (٤٨).

(٣) سورة الزمر (٥٣).

فالمؤمن المطيع يغفر الله عز وجل له كل ذنب ارتكبه إذا تاب واستغفر ، وقد يمتحنه الله تعالى فيصبر فيغفر له ، وقد يغفر سيئاته لفعله الحسنات ،... لهذا جاءت الآيات القرآنية في غفران الذنوب لمتبع هذا النبي الكريم ﷺ ، ولمطيعه ، بخلاف غيره ممن أشرك بالله تعالى ، وعاند رسوله ﷺ ، بل إن الله تعالى سيضع ذنوب المطيعين من هذه الأمة على اليهود والنصارى ، ويجعلهم فكاكاً لهم من النار .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) .

فثواب الاتباع وثمرته : محبةُ الله تعالى للمتَّبع ، وغفرانُ ذنوبه ، ورحمتُه ؛ لأن الله تعالى غفور رحيم .

وقال عز وجل : ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢) .

فالمطيع ؛ لا ينقص من عمله شيء ، ويغفر الله تعالى ذنبه ، ويرحمه .

ولما علمت الجن بأن مطيع النبي ﷺ ومجيبَه إلى دعوته - بعد الإيمان به - يغفر الله تعالى له ذنوبَه ، رجعوا منذِرين ، ومبشِّرين بذلك .

قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ

(١) سورة آل عمران (٣١).

(٢) سورة الحجرات (١٤).

أَلِيمٍ ﴾[1].

لذا يخبر المولى تعالى عن المؤمنين الذين استجابوا لرسوله ﷺ فآمنوا به واتبعوه ، وسألوا الله تعالى المغفرة وتكفير السيئات ، والوفاة مع الأبرار ، ويعطيهم ولا يخزيهم : أنه تعالى قد استجاب لهم ، فأعطاهم أكثر مما أملوا .

فقال تعالى على لسانهم : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ * فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾[2].

إلى آخر الآيات في هذا الموضوع .

أما إذا جاء يوم القيامة ؛ فإن الله تعالى يضع ما كان على المسلمين من ذنوب على اليهود والنصارى ؛ الذين كفروا برسله وأنبيائه عليهم السلام ، وعصوهم ، فاستحقوا العقوبة في النار ، ويغفر لهذه الأمة الذين أطاعوا رسوله ﷺ ، فآمنوا به واتبعوه ، ولكنهم قد غفلوا فعصوا .

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : «يجيء يومَ القيامة ناسٌ من المسلمين ، بذنوبٍ أمثالِ الجبال ، فيغفرها الله لهم ، ويضعُها على اليهود والنصارى». رواه مسلم[3].

ويكون اليهود والنصارى فكاكَ المسلمين من النار ، ويدخلون النار مكانهم ، كما في الروايتين الأخريين عند مسلم[4]، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة الأحقاف (٢٩ ـ ٣١).

(٢) سورة آل عمران (١٩٣ ـ ١٩٥).

(٣) صحيح مسلم : كتاب التوبة : باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، رقم (٥١).

(٤) انظر : صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٩ ، ٥٠).

فوز المطيع لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ :

إن توبة الله تعالى على المطيع ، وعدم نقصانه الأجر ، وزيادته في الأجر والثواب ، ونجاته في الدنيا والآخرة ، كل ذلك فوز عظيم للمطيع ، فكيف إذا أضيف إلى ذلك صلاح العمل ، وغفران الذنوب ، والخلود في الجنة بعد دخولها ، ورحمة الله تعالى ، والفلاح التام ، مع أنه من صفات المؤمنين ،...

قال الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[1].

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[2].

وقال عز وجل : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

فمن أطاع رسول الله ﷺ فيما أمر ونهى : فقد فاز بكل خير ، وأمن من كل شر ؛ في الدنيا والآخرة ،...

رحمة الله تعالى مطيع رسوله الكريم ﷺ :

إن من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين المتَّبعين لرسوله وصفيه الكريم ﷺ : أنه عز وجل سيرحمهم في الدنيا والآخرة ، والنصوص في هذا كثيرة .

---

(١) سورة الأحزاب (٧٠ ـ ٧١).

(٢) سورة النور (٥١ ـ ٥٢).

(٣) سورة النساء (١٣).

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ * وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ * وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾(١).

فقد جعل الله تعالى من أسباب رحمته للمؤمنين : طاعته تعالى وطاعة رسوله ﷺ .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾(٢).

فالله عز وجل سيرحم من اتصف بهذه الصفات من : إيمان ، وتولية للمؤمنين ، وأمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، وإقامة للصلاة ، وإيتاء للزكاة ، وطاعة لله تعالى ، وطاعة لرسوله ﷺ ، والله يعز من أطاعه ؛ لأن العزة لله عز وجل ولرسوله ﷺ وللمؤمنين ، بعز الله تعالى لهم .

ولما وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين العاملين الصالحين بالاستخلاف في الأرض ، وتمكين الدِّين لهم ، وحصول الأمن : طلب تعالى منهم أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً ، وأن يقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويطيعوا رسولَه ﷺ ، فإذا فعلوا ذلك فإن الله تعالى يرحمهم .

فقال جل شأنه : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ

(١) سورة آل عمران (١٣٠ ـ ١٣٢).

(٢) سورة التوبة (٧١).

﴿ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ * وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1].

رضاه تعالى عن مطيعي رسوله الكريم ﷺ :

لقد بلغ الأمر ذروته عندما أعلن الله عز وجل رضاه عن عباده الذين أطاعوا رسوله ﷺ ، واستجابوا لدعوته ، يوم دعاهم ﷺ إلى البيعة يوم الحديبية ، وكذا رضاه عن المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان .

قال الله تعالى : ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[2].

وقال الله تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[3].

فإذا كان الله تعالى قد رضي عن السابقين من المهاجرين والأنصار ، فما عقوبة من يبغضهم أو يسبهم ـ أو بعضَهم ـ لا سيما أوائلهم رضي الله تعالى عنهم جميعاً ، سوى الويل والثبور ، والعار والشنار .

إذا كان الله سبحانه وتعالى أكرم متَّبِعي سابقي الصحابة رضي الله تعالى عنهم بإحسان : بالرضى والجنات مع الخلود فيها ، وقد يكونون بعدهم بمئات السنين أو أكثر ، فإن اتباعهم للنبي الكريم ﷺ من باب أولى ؛ لأن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ما نالوا هذا الفضل وهذه الدرجة إلا لاتباعهم رسول الله

---

(١) سورة النور (٥٥ ـ ٥٦).

(٢) سورة الفتح (١٨).

(٣) سورة التوبة (١٠٠).

ﷺ ، والله تعالى أعلم .

ولما أَرسَل رسولُ الله ﷺ القرّاءَ ـ وكانوا سبعين رجلاً ـ رضي الله تعالى عنهم ، وغدر بهم رِعْل وذكوان وعصية ، فقتلوهم عن آخرهم ، أنزل الله تعالى فيهم قرآناً على رسوله ﷺ ـ كما في حديثي أنس وعائشة رضي الله تعالى عنهما ـ ولفظه : «بلِّغوا عنا قومَنا أنّا قد لقينا ربَّنا فرضي عنا ورضينا عنه» ثم نسخ ذلك ، كما في الصحيحين[1].

فإذا كان يوم القيامة ، أحلَّ الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة رضوانه ، بعد إكرامه تعالى لهم بالجنة ونعيمها .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أن النبي ﷺ قال : «إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ؛ فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا رب ؟ وقد أعطيتنا ما لم تعطِ أحداً من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب ؛ وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً». متفق عليه[2].

فأهل الجنة هم المطيعون لقوله ﷺ : «من أطاعني دخل الجنة» كما مرَّ ، لذا نالوا هذا الفضل ، وهذا الثواب ، وهذا التكريم ؛ لأن الجنة دار تكريم وجزاء وثواب ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب فضل قوله تعالى : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ ، وباب العون بالمدد ، وكتاب المغازي : باب غزوة الرجيع : ورعل ، وذكوان ، وبئر معونة . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب استحباب القنوت في جميع الصلاة ،... رقم (٢٩٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنة : باب إحلال الرضوان على أهل الجنة ،... رقم (٩).

دخول المطيع الجنة :

لقد جعل الله تعالى ثوابَ المطيعين لله تعالى ولرسوله ﷺ والعاملين الصالحات ، جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ، وهذه نعمة كبرى ، إذا عرفنا ـ بالمقابل ـ عذابَ العصاة ـ والعياذ بالله تعالى ـ في نار جهنم .

قال الله عز وجل : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1].

وأما بذكر العمل الصالح مجملاً ؛ فكثير ، أذكر بعضَها للتنبيه .

قال الله عز وجل : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[2].

وقال تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ۞ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[3].

وقال عز وجل : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ۞ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن

(١) سورة الفتح (١٧).

(٢) سورة النساء (١٢٤).

(٣) سورة النحل (٣٠ـ ٣١).

(٤) سورة مريم (٥٩ـ ٦١).

ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ﴾(٣). إلى غير ذلك من الآيات .

ولا يكون عمل صالح إلّا بشرعه ﷺ ، وحسب ما سَنَّه ورسمه وبيَّنه ، فهو طاعة له ، إضافة إلى كونه طاعة لله عز وجل ، مع وجود الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ ، إذ هما متلازمان ، والله تعالى أعلم .

أما الأحاديث الشريفة ، فقد مرت أحاديث أبي هريرة وجابر وعبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنهم ، وفيها :

- «كل أمتي يدخلون الجنةَ إلا من أبى» قالوا : يا رسول الله ﷺ ؛ ومن يأبى ؟ قال : «من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى». رواه البخاري .

- ورواه ابن حبان والطبراني برجال الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه . ورواه أحمد والطبراني برجال الصحيح ، وصححه الحاكم ، وسند الطبراني حسن أيضاً(٤) من حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه ، وجاء

---

(١) سورة غافر (٤٠).

(٢) سورة آل عمران (١٩٣ - ١٩٥).

(٣) سورة الحج (١٤ ، ٢٣) وسورة محمد (١٢).

(٤) صحيح ابن حبان (١ : ١٩٦ - ١٩٧) موارد الظمآن (رقم ٢٣٠٦) ومسند أحمد (٥ : =

من حديث غيره وصححه الحاكم ، والله تعالى أعلم .

ـ وَ «فالله هو الملِك ، والدار الإسلام ، والبيت الجنة ، وأنت يا محمد رسول الله ، من أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام دخل الجنة».

ـ وَ «أما السيد فهو رب العالمين ، وأما البنيان فهو الإسلام ، والطعام الجنة ، ومحمد ـ ﷺ ـ الداعي ، فمن اتبعه كان في الجنة ، ومن لم يتبعه عُذِّب».

خلود المطيع في الجنة :

إن من تمام فضل الله تعالى على هذه الأمة : أن من أدخله الجنة فإنه لا يخرجه منها ، لذا أكرم الله تعالى المطيعين لله عز وجل ولرسوله ﷺ بالخلود في الجنة ، سواء يدخلونها بدون حساب ، أو يحاسبون حساباً يسيراً ، أو يُخرجون من النار بالشفاعات ، فنهاية الأمر الدخول في الجنة ، والخلود فيها ، بخلاف غيرها من الأمم ، كما مر بيانه في فقرة سابقة .

قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ﴾(1).

وأما ما جاء في الإيمان والعمل الصالح فكثير ، فالإيمان إنما هو بالله عز وجل وبرسوله ﷺ ، والعمل الصالح على وفق ما جاء به رسول الله ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾(2).

= ٢٥٨) والمستدرك (١ : ٥٥ ـ ٥٦) (٤ : ٢٤٧) والمعجم الأوسط (١ : ٢٤٦) والمعجم الكبير (٨ : ٢٠٦) ومجمع البحرين (١ : ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٣٥) ومجمع الزوائد (١٠ : ٧٠ ـ ٧١) وفتح الباري (١٣ : ٢٥٤) حيث صحح حديث أبي هريرة ، وجوَّد حديث أبي أمامة ، رضي الله تعالى عنهما .

(١) سورة النساء (١٣).

(٢) سورة إبراهيم (٢٣).

وقال تعالى : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾(١).

فمن مهامه ﷺ : تلاوة الآيات الواضحات البينات ؛ لإخراج المؤمنين الصالحين المطيعين... من الظلمات إلى النور ، فإن آمنوا وأطاعوا وعملوا صالحاً أدخلهم الله تعالى جنات خالدين فيها ، والله تعالى أعلم .

وقال الله تعالى : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٢).

وقال سبحانه وتعالى مبيناً حال الفريقين ، المحادّين لله عز وجل ولرسوله ﷺ ، والمؤمنين الصالحين : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ * كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٣).

فالمؤمن الصادق لا يوادد أحداً من الكفار ممن غضب الله تعالى عليه ،

---

(١) سورة الطلاق (١٠ ـ ١١).

(٢) سورة التغابن (٩).

(٣) سورة المجادلة (٢٠ ـ ٢٢).

ويسألون الله تعالى ألّا يجعل لكافر ولا فاجر ولا فاسق نعمة عليهم ولا يداً عندهم ، حتى لا يدخلوا في هذا الوصف المذموم .

وهكذا كان الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم قد تخلّوا عن أقاربهم وعشائرهم في الله تعالى ، فعوَّضهم الله تعالى رضاه ، وأرضاهم بدخول الجنة والخلود فيها والفلاح العميم ، والفضل المقيم . أسأله تعالى أن يكرمنا معهم بفضله وكرمه ، وألّا يجعل لكافر أو فاسق أو فاجر له يداً أو نعمة ، وألّا تميل قلوبُنا إلى هؤلاء طرفة عين أو أقل من ذلك .

رفقاء المطيعين في الجنة :

من فطرة الله تعالى التي فطر عليها خلقَه : محبتُهم للجليس والأنيس ، وكلما كان الجليس محبوباً إلى النفس ؛ كان المجلسُ أحبَّ إليها ـ والعكس كذلك ـ وكلما كان الجليسُ عظيماً ، مُفخَّماً ، رفيعاً ، صالحاً ، رفيعاً ، كاملاً ،... كان المجلس أحلى وأغلى ،... فكيف إذا كان عُمّاره من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ؟ هؤلاء هم رفقاء المطيعين لله تعالى ولرسوله ﷺ في الجنة ، مع خلودهم في ذلك .

قال الله تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا * ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾(1) .

من أطاع الله تعالى ، وأطاع رسوله الكريم ﷺ ، فعمل بما أمره الله تعالى ورسوله ﷺ به ، واجتنب ما نهى عنه ، فإن الله تعالى يسكنه في دار كرامته ، ويجعله مرافقاً لمن أنعم الله تعالى عليهم ـ حسب مراتبهم ـ الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، ثم الصديقين ، ثم الشهداء ، ثم الصالحين من هذه الأمة ، ثم أثنى

(١) سورة النساء (٦٩ ـ ٧٠).

عليهم بقوله تعالى : ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ وهل أحسن من هؤلاء ؟ لا ،... وذلك كله فضل من الله تعالى .

ولهذا كان النبي ﷺ عندما خُيِّر في آخر حياته ، اختار الرفيق الأعلى .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من نبيٍّ يمرض ألا خُيِّر بين الدنيا والآخرة» وكان ـ ﷺ ـ في شكواه الذي قبض فيه أخذته بُحَّة شديدة ، فسمعتُه يقول : ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ ﴾ فعلمت أنه خُيِّر . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وفي رواية لهما[2] عنها رضي الله تعالى عنها قالت : كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح : «إنه لم يُقبض نبيٌّ حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يُخَيَّر» فلما نزل به ، ورأسُه على فخذي ، غُشي عليه ، ثم أفاق ، فأشخص بصره إلى سقف البيت ، ثم قال : «اللهم الرفيق الأعلى» فقلت : إذاً لا يختارُنا ،... الحديث بطوله .

وما فهمته السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ؛ من أن رسول الله ﷺ هو المخيَّر ، هو نفس الفهم الذي فهمه أبوها الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، عندما خطب ﷺ في المسجد .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر ، فقال : «عبدٌ خيَّره الله بين أن يُؤتيه زهرةَ الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة النساء : باب : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضل عائشة رضي الله تعالى عنها ، رقم (٨٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب آخر ما تكلم به النبي ﷺ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٨٧).

عنده» فبكى أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ وبكى ، فقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا ، قال : فكان رسول الله ﷺ هو المخير ، وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه أعلَمنا به ،... متفق عليه[1].

ولهذا إذا حشرج الصدر ، وشخص البصر ، واقشعر الجلد ، ودمعت العين ، وتشنجت الأصابع ، وبُشِّر المؤمنُ برحمة الله تعالى وجنته ورضوانه : أحب لقاءَ الله تعالى ، فأحب الله لقاءه . وأما الكافر فإنه يُبشَّر بعذاب الله تعالى وسخطه وناره ، فيكره لقاء الله عز وجل .

قال ﷺ : «من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءَه ، ومن كره لقاءَ الله كره الله لقاءَه». متفق عليه ، من حديث عبادة بن الصامت وأبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنهما ، ورواه مسلم من حديث السيدة عائشة وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما ، ورواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ ، عن ربه تعالى ، فهو حديث قدسي[2]، والله تعالى أعلم .

فالمؤمن المطيع مصيره الجنة ، خالداً فيها ، يتنعم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

الطاعة من صفات المؤمنين :

لقد جاءت آياتٌ قرآنية وأحاديثُ نبوية شريفة كثيرة ، تبيِّن أن من صفات

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب : فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، رقم (٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب من أحب لقاء الله أحب لقاءه ، وكتاب التوحيد : باب قوله الله تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ،... رقم (١٤ ـ ١٨).

المؤمنين الطاعةَ لله تعالى ولرسوله ﷺ ، لذا من أطاع رسول الله ﷺ حقَّ الطاعة فهو مؤمن بإذن الله عز وجل .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

وقال جل شأنه : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4].

فالمؤمن بالله تعالى وبرسوله ﷺ مطيع لهما ، وكلما قوي الإيمان في نفس صاحبه ازداد طاعة ، حتى يكون الشكر ، ولهذا كان ﷺ يكثر من العبادة حتى تتورم قدماه الشريفتان ، وإذا سُئِل ـ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ـ يقول : «أفلا أكون عبداً شكوراً» حيث جاء في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

---

(١) سورة التوبة (٧١).

(٢) سورة البقرة (٢٨٥).

(٣) سورة الأنفال (١).

(٤) سورة النور (٥١).

وسيأتي ذكرُ المقارنة بين مؤمني هذه الأمة حيث قالوا : ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بين اليهود حيث قالوا : ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ لذا استحقوا اللعن بكفرهم . بينما استحق مؤمنو هذه الأمة الخلودَ في الجنة والنعيم المقيم ، كما مر بيانه .

وكما جعل الله تعالى طاعةَ رسوله ﷺ من علامات المؤمن المستقيم ، جعل أيضاً من علامات المؤمن إرضاءَ الله تعالى وإرضاءَ رسوله ﷺ .

قال الله تعالى عن المنافقين : ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[1]. انظر كيف أفرد تعالى الضمير في قوله : ﴿يُرْضُوهُ﴾ ولم يقل : (يرضوهما)، ففي ذلك سرٌّ لطيف ، ذكرته في غير هذا الكتاب ، وكيف يكون الرضا إذا لم تكن طاعة واتّباع ومحبة وتوقير وتكريم ، وبعد عن المعاصي والمخالفات والمنهيات ...؟ والله تعالى أعلم .

أسأل الله تعالى أن يكرمنا جميعاً بذلك ، إنه جواد كريم .

☆☆☆☆☆

(١) سورة التوبة (٦٢).

الباب الرابع

وجوب طاعته ﷺ بعد وفاته لأنه رسول الله

لقد جعل الله عز وجل الإسلام دينَه المختار ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(١) ولن يقبل الله تعالى من أحدٍ ـ بعد بعثة النبي الكريم ﷺ أيَّ دين سوى الإسلام ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(٢).

ولهذا أكمل الله تعالى هذا الدين ببعثته ﷺ ، ورضيه تعالى لهذه الأمة ، فتمت النعمة على خلقه ، كما قال جل شأنه : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٣).

وقد ختم الله تعالى بنبيِّه الكريم ﷺ باب النبوة ، فكان خاتم الأنبياء والمرسَلين ، فلا نبيَّ بعده ﷺ ، ولا رسول ، كما قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(٤). فإذا كان خاتماً للأنبياء كان خاتماً للرسل عليهم السلام أيضاً .

ثم إنه تعالى قد جعل هذا الدين ـ الذي بعث به رسولَه الكريم ﷺ ـ ناسخاً لجميع الديانات ، ومُنْهياً مهمةَ الرسالات ، ومهيمناً عليها كلها ، وظاهراً عليها . كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

(١) سورة آل عمران (١٩).

(٢) سورة آل عمران (٨٥).

(٣) سورة المائدة (٣).

(٤) سورة الأحزاب (٤٠).

ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ ﴾[1].

وقال الله جل شأنه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[2]. ومعنى هذا أنه لم يبق بعد رسول الله ﷺ إلّا الإسلام ، ولن يَقبل الله تعالى من أحدٍ سواه ، وعلى جميع الخلائق التحاكم إليه ، وطاعة واتّباع رسوله الكريم ﷺ خاتم الأنبياء والرسل عليهم السلام .

والإسلام كتابٌ وسنةٌ ـ وما يتفرّع عنهما ـ لأن الله تعالى جعل سنَّةَ نبيِّه الكريم ﷺ وحياً ـ كما سيأتي في الباب السادس إن شاء الله تعالى ـ كما أن القرآن الكريم وحي ، وأن رسوله الكريم ﷺ لا ينطق عن هوى ، إنما بوحي الله تعالى ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[3].

وأنه تعالى جعل نبيَّه الكريم ﷺ مشرِّعاً ؛ يحلِّل ، ويحرِّم ، ويخصِّص ، ويقيِّد ، ويضيف ـ وكل ذلك بما أراه الله تعالى وأوحاه إليه ، وليس من عند نفسه ـ فهو ﷺ لا يتبع إلا ما يوحيه الله تعالى إليه ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ﴾[4].

وقد كتب الله تعالى الفناء على جميع المخلوقات في هذه الدنيا ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾[5] ومعنى هذا أن حبيبَه وصفيَّه الكريم ﷺ سيموت ، ومات فعلاً ، وانتقل إلى الرفيق الأعلى .

---

(١) سورة المائدة (٤٨).

(٢) سورة التوبة (٣٣) والصف (٩) وانظر سورة الفتح (٢٨).

(٣) سورة النجم (٣ ـ ٤).

(٤) سورة الأعراف (٢٠٣).

(٥) سورة الرحمن (٢٦ ـ ٢٧).

لكن الإسلام الذي نزل عليه ـ وهو الكتاب والسنة ، وما تفرّع عنهما ـ باقٍ ما بقيت الدنيا .

فكما أن الله عز وجل أمر الخلقَ بطاعته تعالى ـ في كتابه الكريم ـ وطاعة رسوله الكريم ﷺ ـ في حياته أمراً وانزجاراً ـ في سنتُه ـ فإن طاعتَه ﷺباقية فيما سن ، لأنها من وحي الله تعالى الذي أنزله عليه .

ومعنى هذا : أن طاعة رسول الله ﷺ ـ بعد وفاته ـ هي نفسها كطاعته في حياته ، لا فرق في ذلك ، لأن المشرِّعَ الحقيقي موجود ـ وهو الله تعالى ـ الذي أوحى إلى نبيِّه الكريم ﷺ ما أوحى . ومع هذا فقد ظهر في عصرنا من ينكر حجّيَّة السنة النبوية ، ولا يراها حجّةَ في دِين الله تعالى بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وهؤلاء على أصناف ـ والله تعالى أعلم بنياتهم ـ لذا فإني في هذا الباب أذكر بيان حجِّيتها بعد وفاته ﷺ ، لكن باختصار شديد ، لأن الجوابَ المطوَّلَ لا يكفيه مثلُ هذا المختصر ، والله تعالى الموفِّق والمعين .

أولاً : ما ورد في كتاب الله تعالى من الأمر بطاعة رسول الله ﷺ وتحريم معصيته ومخالفته ، وسبق ذكرُ هذه الآيات في الباب الثالث ، وهذه الآيات مطلقة ، ليست مقيدةً بزمن ، بل هي في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته ، كما أن الإيمان به ﷺ مستمرٌ في حياته وبعد وفاته ﷺ ، والعلة في وجوب طاعته ﷺ في حال حياته ؛ هي نفسها في وجوب طاعته بعد وفاته ، لأن أمره ﷺ باق ، وهو مطلق غير مقيد بزمن ، فطالما أن أمره موجود ، فطاعته موجودة وواجبة أيضاً وجود هذا الأمر ، لأن أمره ﷺ لا تعلق له بوجوده وعدمه .

وكذا الحال في معصيته ﷺ ، فهي مطلقة ، غير مقيدة بزمن ، والعلة في اجتنابها في حال حياته هي نفسها بعد وفاته ، لا فرق . لأن طاعته ومعصيته هي طاعة الله عز وجل ومعصية له ، كما سيأتي أيضاً .

إذ لا يصح عقلاً أن يطاع آمر بطاعة ـ في زمن ـ ويعصى في زمن قريب أو بعيد، ونفس الأمر موجود، والله تعالى أعلم.

ثانياً: إن منكري طاعة النبي الكريم ﷺ بعد وفاته: يتعارضون مع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[1]. وقوله جل شأنه: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[2] وقوله عز وجل: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[3] حيث ألغى الله جل شأنه جميع الديانات، ونسخها بالإسلام، فمن اعتنق سواه فهو غير مقبول منه في الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين. لأنه الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لنفسه، وهو دينه الذي بعث به نبيه وصفيه محمداً ﷺ.

والإسلام: كتابٌ من الله تعالى؛ بيَّنه وشرحه، وقيَّد مطلقه، وفصَّل مجمله، وبيَّن أحكامه،... رسولُ الله ﷺ في سنته التي أوجب الله تعالى في كتابه، فكيف يُتَّبع هذا الإسلام ـ الذي تم وكمل، ولا يَقبل اللهُ تعالى غيره ـ ولا يُطاع مبيِّنُه ومفصِّلُه ومبيِّنُ مراد الله تعالى فيه !!!.

إن عامة أحكام القرآن الكريم جاءت مجملة أو مطلقة أو عامة،... مثل الأمر بالصلاة والزكاة والصيام والحج، والقطع في السرقة،... وكثير من المعاملات، وقد بينتها أو قيدتها أو خصصتها السنةُ النبوية الشريفةُ، ومنكر الطاعة للسنة النبوية الشريفة يلزمه الأخذ بالمجمل دون التفصيل، وهذا كفر بإجماع المسلمين، لأنه يلزمه أن يصلي ركعة واحدة في الصباح، وأخرى في المساء، وهو أقل ما تقع عليه اسم الصلاة، وهذا كفر لا شك فيه، بل جنون وخبل.

---

(١) سورة آل عمران (١٩).

(٢) سورة آل عمران (٨٥).

(٣) سورة المائدة (٣).

إن الإسلام قد تم وكمل بالكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وكلاهما يلزم الطاعة فيهما ، وليست هذه الطاعة مخصوصة بزمن دون آخر ، وإنما تبقى ما بقي الكتاب والسنة في هذه الأرض .

لكن ماذا يقال : إذا كان اعتناق الإسلام هدايةً من الله تعالى ، ومعتقده على نور من ربه تعالى : ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ﴾(١) ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾(٢) .

ومشروح الصدر لا يعصي ، بل يُطيع ، لأن المسلمَ مستسلمٌ لأمر الله تعالى ، وأمرُ الله عز وجل في طاعة نبيه ﷺ ، ومنكرُ الطاعة ليس مسلماً ، بل مكذِّب لربه عز وجل .

ثالثاً : إن الله جل شأنه جعل الإسلام ظاهراً على جميع الأديان ، وذلك بإظهار رسول الله ﷺ ، وهكذا أرسله خالقه سبحانه وتعالى .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(٣) .

فقد أرسل رسوله وصفيَّه سيدنا محمداً ﷺ بالهداية التامة ودين الحق ـ وهو الإسلام ـ ليُعلي الله تعالى دينَه الإسلامَ على جميع الأديان كلها ، ولو كره المشركون ذلك الظهور والعلو . وكفى بالله تعالى شهيداً .

وكيف يُظهر الله تعالى هذا الدين ـ وهو الدين الحق ـ على جميع الأديان ؛ إذا لم يكن مستمرّاً باقياً مستعلياً ، إلى ما شاء الله تعالى من الزمان ، حتى لا يبقى بيت حجر ولا مدر ،... إلا ويدخله هذا الدين ، بعز عزيز ، أو ذل ذليل ، ولا يقبلُ

---

(١) سورة الأنعام (١٢٥).

(٢) سورة الزمر (٢٢).

(٣) سورة التوبة (٣٣) والصف (٩) وانظر سورة الفتح (٢٨).

الله تعالى من أحد سواه . فهذا كله دالٌّ على بقاء هذا الدين ، وبقاء الكتاب والسنة ، التي تتضمن الطاعة والتسليم لهما . وإلا لما كان علو ولا ظهور ، والله تعالى أعلم .

رابعاً : لقد طلب الله سبحانه وتعالى من نبيه وصفيه سيدنا محمد ﷺ أن يقتدي بمن سبقه من الأنبياء والرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام .

فقال الله تعالى ـ بعد ذكره لعدد كبير من الأنبياء والرسل ـ : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[1] فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد طلب من نبيه ﷺ أن يقتدي بمنهج من سبقه من الرسل[2]؛ وبينه وبينهم من مئات ، إلى ألوف السنين ، فكيف لا تقتدي به أمته ، وهي مأمورة بذلك ، وصلتها به أوثق ، والزمن أقرب ، والاتصال أتم ؟

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[3]. حيث أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يقتدي بمشاهير وقادة الرسل ـ وهم أولو العزم ـ حيث صبروا على المحن الشديدة ، والمكاره العظيمة ،... فأمته ﷺ أولى بالاقتداء به أيضاً ، لأنه مطلوب منها ذلك .

وهذا دالٌّ على وجوب طاعته ﷺ ، واتباعه بعد وفاته ، لأن الله تعالى طلب منه في الآيتين الاقتداء برسلٍ قد تُوفُّوا قبل مئات وألوف السنين . فنحن أولى بذلك ، والله تعالى أعلم .

خامساً : إن النبي ﷺ لم يكن رسولاً خاصاً بالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ؛ وإنما هو رسول لهم ، ولجميع من يأتي بعدهم إلى يوم القيامة ، حيث

---

(١) سورة الأنعام (٩٠).

(٢) انظر ما كتبته في (مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام).

(٣) سورة الأحقاف (٣٥).

نسخ الله تعالى بدينه الإسلامِ جميعَ الديانات السابقة ، وختم بصفيه وحبيبه محمدٍ رسولِ الله ﷺ جميعَ النبوات ، كما سيأتي .

ولما كان النبي ﷺ عاماً في رسالته لكل من يأتي بعده ، لزم طاعته جميع أمته ـ كما أمر الله سبحانه وتعالى بذلك في كتابه ـ ولا يصح أن يقال : إن طاعتَه خاصّةٌ بالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، لأن وفاتَه ﷺ كانت قبل وفاة أغلب الصحابة .

بل يقال لمنكري السنة النبوية الشريفة : كيف يجوز أن يقال إن أبا بكر وعمرَ وعثمان وعلياً وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ؛ تلزمهم الطاعة يوم الأحد ، وتسقط عنهم الطاعةُ يوم الإثنين ؟.

فهل يقول ذلك عاقل يحترم قولَه ، أم هذا مجنون ليس عنده ذرة عقل ؟

إن حكمَ الأمة بعد رسول الله ﷺ هو حكمُ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم يوم الإثنين ، والأمةُ بما فيها الصحابةُ رضي الله تعالى عنهم جميعاً قبل وبعد وفاته ﷺ حكمهم واحد لا فرق ، بل حكمهم كحكم من كان في عصره ﷺ وهو بعيد عنه ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ـ إذ النبوة ليست منصباً دنيوياً ، فبمجرد الانقلاب العسكري أو الاطاحة بالحكم ؛ تسقط طاعتُه ، وتزول محبتُه . إن طاعة النبي ﷺ أمرٌ ديني ، يحتمه ربُّ العباد على العباد ، لا تنقص إلا بالبعد نتيجة المعصية ، وتزيد بالقرب بالطاعات .

كما أن الإسلام ليس خاصاً بعصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، ولا بهم فحسب ، بل هو دين كل هذه الأمة المتبعة لهذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، لأن الدين كله لله عز وجل ، والخلقَ عبادُ الله تعالى ، وطلب منهم أن يعبدوه ويوحدوه ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

سادساً : لقد أخبرنا الله جل شأنه أن مؤمني هذه الأمة هم أولى الناس

بإبراهيم عليه السلام ، وعلى رأسهم نبيه وصفيه سيدنا محمد ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] .

بعد أن وبَّخَ الله عز وجل اليهود والنصارى عندما ادعى كلٌّ منهما أن إبراهيم عليه السلام منهم وعلى معتقدهم ، أخبر الله تعالى بأنه عليه السلام كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين ، الذين يعبدون الأوثان والأصنام ، وأن أحقَّ الناس بالانتساب إليه عليه السلام هم الذين سلكوا سبيله واتبعوا منهاجه وكانوا حنفاء مسلمين ، وهذا النبيُّ الكريمُ ﷺ ، والذين صدقوا برسالته ﷺ .

فإذا كان بين إبراهيم وموسى عليهما السلام ألف عام مثلاً ، وبينه وبين عيسى عليه السلام ألفي عام أيضاً ، وليس بين هذه الأمة وبين نبيها ﷺ هذا المقدار من الزمن ، فمن هو الأولى بالاتباع والانتساب إليه ؟ لا شك القريب هو أولى ، خاصة والله تعالى أخبرنا عن نبيه ﷺ أنه خاتم الأنبياء ، ونحن خاتمة الأمم ، وهو نبي المسلمين . وأنه ﷺ ـ كما هو أولى بإبراهيم عليه السلام ـ هو أولى بكل مؤمن من نفسه .

فقال الله جل شأنه عنه : ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾[2] .

فطالما أنه ﷺ هو أولى بكل مؤمن من نفسه ، وأن أزواجه رضي الله تعالى عنهن أمهات المؤمنين ، ويجب لهن من التعظيم والتوقير والتقدير والاحترام

(١) سورة آل عمران (٦٧ ـ ٦٨).

(٢) سورة الأحزاب (٦).

والتجلة ما يناسب مقامهن ،... لذا حرَّم الله تعالى نكاحهن من بعده ، كما قال جل جلاله : ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾[1].

فلو كان الأمر ينقطع بعد الوفاة ، لكان زواج نسائه ﷺ بعد فراقه لهن حلالاً ، سواء كان ذلك في حال حياته ﷺ أو بعد وفاته ، ولكن الله جلت قدرته حرَّم ذلك ، لأنهن أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن .

ولفظ ﴿مِن بَعْدِهِ﴾ أي بعد تركه ﷺ لهن ، وأشد ذلك إذا كان بالوفاة . وعرف ذلك من سبب النزول ؛ فلما حرَّم الله تعالى ذلك بعد وفاة رسوله ﷺ دل على استمرار الحكم بعد وفاته ﷺ ، والله تعالى أعلم .

فهذه النصوص تدل على بقاء طاعته ﷺ بعد وفاته ، كما تدل على صحة انتساب المتأخر للمتقدم ، والله تعالى أعلم .

سابعاً : واستناداً إلى الجواب الثالث أقول : لو كان النبيُّ ﷺ لا تجب طاعته بعد وفاته ؛ للزم بعثُ نبيٍّ بعد وفاته مباشرة ، حتى يطاعَ بإذن الله تعالى ، وينفذَ أمر الله عز وجل ، كما يلزم في كل جيل أن يُبعث نبي ،... وهكذا إلى يومنا هذا ، بل إلى قيام الساعة ، وهذا مستحيل . لأن الله تعالى جعل رسولَه وصفيه ﷺ خاتمَ النبيين ـ كما سيأتي ـ ونسخ بشرعه الديانات السابقةَ كلها ، وألزم جميعَ الناس بطاعته .

فكيف يختم النبوةَ والرسالةَ إذا لم تصح طاعته بعد وفاته ، وقد كتب الله تعالى الموتَ على الجميع ، وبيَّن تعالى أنه لا يُعذِّبُ إلّا بعد بعثة الرسل ، وجعل الإسلامَ هو الحاكم ، سواء في حياة رسوله ﷺ أو بعد وفاته ، لا فرق ، لأن الوحيَ ـ وهو الكتاب والسنة ـ موجود ، وهو الذي ينذر به .

---

(١) سورة الأحزاب (٥٣).

لذا طالما أن دينَه ـ الإسلامَ ـ موجودٌ ومستمر ، كذلك طاعتُه ﷺ لازمةٌ مستمرة ، ولا تزول طاعتُه ﷺ حتى يزول الإسلام ، أو ينسخ ، وكلاهما مستحيل شرعاً ، لأن الله عز وجل ختم النبوة به ﷺ ، وختم الديانات كلها بدينه الإسلام ، فلا نبي بعده ، ولا دين بعد دينه ، كما يأتي في الفقرة التالية .

خاصة والله تعالى يقول : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولًا﴾(1) .

ثامناً : كما تتعارض هذه الدعوى مع ختم النبوة ، فإنها تتعارض مع عموم رسالته ﷺ .

إن الله تعالى جعل رسالة نبيه وصفيه ﷺ لجميع الناس ، وجعل دينَه الإسلام الدينَ العالَمِيَّ الوحيد . فقال جلت قدرته : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾(2) .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(3) .

وقال عز شأنه : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(4) .

وقال الله تعالى : ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾(5) .

فإذا كان الله تعالى قد جعل دعوة نبيه وصفيه ﷺ عامةً شاملةً لجميع الناس ، وجعله جل شأنه رحمةً لجميع العالمين ، كما قال جل وعز : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(6) . وهذا يعني نبوته ورسالته ﷺ عامةٌ شاملةٌ لجميع الناس من

---

(1) سورة الإسراء (15).

(2) سورة الأعراف (158).

(3) سورة سبأ (28).

(4) سورة الحج (49).

(5) سورة النساء (79).

(6) سورة الأنبياء (107).

أولهم إلى آخرهم ، أي من زمانه إلى قيام الساعة ، لأن كلمةَ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ شاملةٌ لكل من كان في زمانه ﷺ حتى قيام الساعة وليست قاصرة على من كان في زمانه ﷺ فقط ، والله تعالى أعلم .

لأنه ﷺ بشير ونذير ورحمة لجميع الخلق ، ولم يكن أحد من الخلق رحمةً للعالمين بنص القرآن الكريم ، إلا هو ﷺ ، فهل يعقل أن يكون ﷺ بشيراً ونذيراً لمن كان في زمانه ﷺ فقط ولا يشمل ذلك من بعده ؟ وهل يعقل أن يدعي عاقل أنه ﷺ رحمةٌ لأهل زمانه فقط ، ولا يشمل من بعده ؟ اللهم إلا أن يقال : إن منكري طاعته بعد وفاته لا تشملهم هذه الرحمة ، أما سواهم فنعم ، والله تعالى أعلم .

تاسعاً : إن الأنبياء والرسل عليهم السلام قد بَشَّروا به ﷺ ، وأُخذ عليهم العهد أن يؤمنوا به ويتبعوه ؛ فيما إذا بُعث وأحدٌ منهم على قيد الحياة .

فإذا كان الأنبياء السابقون عليه وعليهم الصلاة والسلام يبشِّرون به أقوامَهم ، وأُخذ عليهم العهدُ بالإيمان به على أنه رسول الله ، فهل يُعقل أن السابقين يؤمنون به ، واللاحقون لا يؤمنون به ولا يطيعونه ! إن اللاحقين هم أولى بالطاعة والامتثال من السابقين عليه قبل بعثه .

قال الله عز وجل على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١) .

والضمير في قوله : ﴿مِّنْهُمْ﴾ يعود على ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام التي أسكنها مكة المكرمة ، كما في الآية السابقة على هذه ، وهي قوله تعالى على لسانهما عليهما السلام : ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً

---

(١) سورة البقرة (١٢٩).

﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا ،...﴾(1). أي في تلك الأمة .

وقال الله تعالى على لسان المسيح عليه السلام : ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾(2).

كما أمر الله عز وجل أهلَ الكتاب بالإيمان به ﷺ ، وجعل الله جل شأنه علاماته موجودةً في التوراة والإنجيل حتى لا تكون حجة لهم .

فقال الله عز وجل : ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾(3).

وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾(4).

وقال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ...﴾(5).

وقال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ

(1) سورة البقرة (١٢٨).

(2) سورة الصف (٦).

(3) سورة الإسراء (١٠٧ ـ ١٠٩).

(4) سورة النساء (٤٧).

(5) سورة المائدة (١٥).

﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ،...﴾ إلى قوله عز وجل : ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

إلى غير ذلك من النصوص .

وهكذا شهد له الأنبياء والرسل عليهم السلام يوم الإسراء والمعراج بالنبوة والرسالة ، حيث خاطبوه ﷺ بذلك ، معترفين به ، فإذا كان الأنبياء عليهم السلام يشهدون له ، فأمته من بعده من باب أولى ، أَمَّا أن يوجد في الأمة من لا يشهد فهذا يثير العجب ، ولكن لا عجب إذا ترجب المترجب

فإذا أُلزم السابقون بالإيمان به ﷺ ، وطاعته ، واتِّباعه ونصرته ـ وهو لم يبعث بعد ـ فاللاحقون من باب أولى .

قال الله تعالى في أخذ الميثاق : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ۞ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾[2].

ولهذا بقي هذا الميثاق يتناقل من رسول إلى رسول حتى بشَّر به عيسى عليه السلام ، كما مر .

فإذا كان الله تعالى قد أخذ العهد والميثاق على الأنبياء السابقين أن إذا جاءهم رسول الله ﷺ وأَحَدٌ منهم حي يلزمهم وأممُهم الذين أدركوه : أن يؤمنوا به ، وأن ينصروه ، وأخذ عليهم المولى تعالى الإقرارَ والعهدَ والميثاق والشهادةَ

---

(١) سورة الأعراف (١٥٧).

(٢) سورة آل عمران (٨١ ـ ٨٢).

على ذلك ، وأشهدوه تعالى على ذلك . ثم جاء التهديد من الله عز وجل لمن لم يتبعه ﷺ ممن يدركه من تلك الأمم ، بأنهم خارجون عن أمره تعالى وطاعته ، لذا لهم العذاب الشديد .

إذا كان هذا في الأمم السابقة ؛ ممن سيدركه بعد أنبيائهم عليهم السلام فما عسى أن يقول منكرو طاعته ﷺ بعد وفاته ، وهم أولى بذلك الاتباع ؟

عاشراً : إن دعوة النبي الكريم ﷺ شاملة لكل من كان حاضراً في زمانه ولكل من يأتي بعده ، لأن الله تعالى قد جعله نذيراً وبشيراً ، لمن كان في زمانه ولكل من تبلغه الدعوة ، سواء كان في عصره ، أو الذين يأتون بعده ، وهذا واضح من كتاب الله تعالى ، حيث جعله الله عز وجل كذلك . فهل يعقل أن تقتصر البشارة على عصره فقط ، ولا تشمل من بعدهم ، ولا نبيَّ بعده ﷺ !

قال الله تعالى : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾(١) .

فقوله تعالى : ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ أي ـ والله تعالى أعلم ـ وأنذر به ـ أي بالقرآن الكريم ـ كلَّ من بلغه من الإنس والجن ، وهذا شامل لكل من لم يره ، سواء كان في عصره أم كان بعده ، والله تعالى أعلم .

كما أنه دالٌّ على عموم رسالته ﷺ ، وبقائها واستمرارها . كما فيه إشارة واضحة إلى أن أقواماً يُسلِمون بعده ﷺ ، والله تعالى أعلم .

الحادي عشر : إن لازم دعوة منكري طاعته ﷺ بعد وفاته هي إبطال العمل بالكتاب الكريم نفسه ، وذلك لأن القرآن الكريم نزل في غالبه عامّاً ومجملاً ،

---

(١) سورة الأنعام (١٩).

ولم يأت مفصّلاً لكل الجزئيات ، وكان الله تعالى قد تكفَّل لرسوله الحبيب ﷺ بيانه ، كما قال الله تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[1].

ثم إن الله جلت قدرته وكَلَ هذا البيان إلى رسوله ﷺ ، ليبيِّن للناس ما كان قد أنزله الله عز وجل عليه مجملاً . وهذا البيان من رسوله ﷺ إنما هو حسب ما يُريه الله عز وجل ، لذا فمن أطاعه ﷺ كان مطيعاً لله تعالى الذي أوحى إليه هذا البيان ، والله تعالى أعلم .

قال الله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2].

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾[3].

وقال الله جل وعز : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[4].

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[5].

فالله تعالى أنزل على رسوله ﷺ الآيات مجملات ، وأوحى إليه البيان الذي

---

(١) سورة القيامة (١٦ ـ ١٩).

(٢) سورة النحل (٤٤).

(٣) سورة النحل (٦٤).

(٤) سورة النساء (١٠٥).

(٥) سورة يونس (١٥). وانظر سورة الأعراف (٢٠٣) وسورة الأنعام (٥٠) وسورة الأحقاف (٩).

تكفَّله له ، ثم بيَّن ﷺ بوحي الله عز شأنه ما يريده تعالى ، وليس من عنده هو ، حيث يلاحظ قوله : ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ وَ ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ .

وقد بَيَّن النبي ﷺ كلَّ شيء ، وما خرج من الدنيا حتى بيَّن كل حاجة يحتاج إليها المسلم ، وأوضحها أوضح بيان .

ومنكرو طاعة النبيِّ الكريم ﷺ بعد وفاته بين أمرين : إما أن يتركوا بيان النبي ﷺ ، الذي هو بيان الله تعالى له ﷺ ، أو يأخذوا به ، فإن أخذوا به ؛ لزمهم طاعته وامتثال أمره ﷺ بعد موته ، ويكونون بذلك قد ناقضوا فكرهم ومذهبهم ومعتقدهم . وإن تركوه : فهم بين أمرين :

إما أن يأخذوا بإجمال القرآن الكريم وعمومه ، كما هو . وهذا مستحيل ، لأنهم يكفرون بتغييرهم لدين الله تعالى ، كما سيأتي في الفقرة التالية ، إذ لا يعرفون صلاة ، ولا صياماً ، ولا زكاة ، ولا حجاً ،... الخ

وإما أن يفسروا القرآن حسب أهوائهم ورغباتهم وبيانهم ؛ وهذا كفر أيضاً ، لأنه تقديم بين يدي الله تعالى ، وتقوُّل عليه ، وتشريعٌ لما لم يأذن به .

إن رسول الله ﷺ لم يقل في بيانه لآيات القرآن الكريم ، وأحكام الله تعالى من عند نفسه ، وإنما هو بيان الله تعالى الذي تكفَّل له به ، والوحي الذي يتنزل عليه ، وعليه اتباعه ، كما مر في الآيات ، مع كثرتها في ذلك .

أما إذا فسَّروا وبيَّنوا واخترعوا عبادات ومعاملات ،... فهذا لا شك تقوُّل على الله تعالى ، وافتراء عليه سبحانه وتعالى .

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

---

(١) سورة الحجرات (١).

فعملهم تقوُّلٌ على الله تعالى ، وتقدمٌ بين يديه ، وهذا ضلال ، والعياذ بالله تعالى . كما هو افتراء عليه . لأن المحلِّل والمحرِّم هو الله تعالى .

قال الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾(1) .

فالذين يُشرِّعون من عند أنفسهم يكذبون على الله تعالى ، شأنهم في ذلك شأنُ أهل الكتاب الذين يكتبون الكتب ثم ينسبونها إلى الله عز وجل ، كما أن فعلهم هذا لم يأذن الله تعالى به ، إنما هو افتراء عليه .

قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾(2) .

لا شك هم يفترون على الله تعالى ، بنسبة الحكم إليه من غير علم ولا وحي . والرسل عليهم السلام - بما فيهم رسول الله ﷺ - لا يأتون من عند أنفسهم بشيء ، إنما هو بإذن الله تعالى لهم .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾(3) .

بل إن رسول الله ﷺ ؛ وهو سيد الوجود ، وفخر الكائنات ، وسيد السادات ، وأفضل الخلق على الإطلاق : لا يقول شيئاً لم يقل الله تعالى به ، ولم يأذن به ، وهو مَنْ هو في علو مقامه ورفعة قدره ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ

---

(1) سورة النحل (116).

(2) سورة يونس (59).

(3) سورة الرعد (38).

﴿ٱلۡوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾(١).

فإذا كان سيد الوجود ﷺ ، وهذا التهديد الذي يقصم الظهور ، فكيف بهؤلاء المساكين ! فإذا لم يأخذوا ببيانه ، يضطرون إلى تبيانه ، وتبيانُهم تَقَوُّلٌ على الله تعالى ، وتشريعٌ لما لم يأذن الله تعالى به ، وافتراء عليه تعالى ، وهذا ما يدلل على وجوب طاعتِه ﷺ ، حتى بعد وفاته أيضاً ، والله تعالى أعلم .

فمثلاً عندما يقول الله عز شأنه : ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وَ ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾. فهذان نصّان عامّان وحُكمان مُجملان ، جاءت السنةُ النبوية ببيان الصلاة ؛ أوقاتِها ، ركعاتِها ، كيفيتِها ، مبطلاتِها ، وأركانِها ،... وجاءت ببيان الزكاة ؛ أنواعِها ، نصابِها ، وقتِها ، والكميةِ التي تؤخذ ،... فإن أبطلوا البيان فقد أبطلوا الكتابَ كذلك ، وإن أخذوا بالبيان فقد لزمتهم طاعته ﷺ . لأنه ﷺ هو المبيِّن له . لكن كيف يأخذون بما بَيَّنَه ﷺ ، ويزعمون أنه لا تصح طاعته ﷺ بعد وفاته ، وهو الذي بيَّن ، وهم يزعمون أنهم مسلمون ، ويأخذون بالبيان ! اللهم إلا أن يقال : يجب إلغاء كل ما بيَّنه ﷺ ، وهم يبيِّنون من عند أنفسهم ، وهذا ضلال مبين .

يضاف إلى هذا ؛ أن القرآن الكريم قد جاء به رسول الله ﷺ ، وقال : إنه من عند الله عز وجل ، وبيَّن ذلك للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، ونقلوه بالتواتركذلك ، فالصحابة رضي الله تعالى عنهم أخذوا ذلك عنه ﷺ امتثالاً وطاعة ، فإذا سقطت الطاعةُ : يكون من باب أولى تركُ القرآن الكريم أيضاً ، لأنه ﷺ هو الذي جاء به ، ونقله عن ربه تعالى إلينا ، فالأخذ بالكتاب يلزم منه طاعةُ النبي ﷺ بعد وفاته ، كحاله في حياته ، وعدمُ طاعته ﷺ يلزم منه تركُ كلِّ ما جاء به ، وهذا كفر والعياذ بالله تعالى .

---

(١) سورة الحاقة (٤٤ ـ ٤٧).

الثاني عشر : لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بعقوبة الذين يأتون بعد الأنبياء فيجدون كتب الأنبياء عليهم السلام وهديَهم ؛ فلم يتمسكوا بها ، ويزعمون أنهم على خير وهداية ، وهم على خلاف ذلك ؛ من أكل الحرام ، واتباع الشهوات ، وترك الصلوات ، والعبادات ،... فلو لم يكن هؤلاء مطالَبون بما جاءهم أنبياؤهم المتقدمون ، لما شنَّع الله تعالى عليهم . ولو لم يكن الذي أخذه الله تعالى على المعاصرين للأنبياء عليهم السلام من عهود ومواثيق منجرّاً على من جاء بعدهم لما كان هذا التهديد والوعيد .

قال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ * وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾[1].

ففي هاتين الآيتين دلائل على اتباع الخلف للسلف . حيث أخبر الله تعالى وجود الخلف ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ ﴾ وهؤلاء الخلف قسمان :

الأول : الفسقة الفجرة ، الذين يقولون على الله تعالى ما لا يعلمون ، يأكلون الحرام ، ويزعمون أنهم سيغفر لهم ، ثم ينبههم الله تعالى : ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وهذا الميثاق إنما نزل على معاصري رسلهم ، ومع هذا فالخطاب منجر على المتأخرين ، أي (الخلف) حيث خاطبهم الله تعالى به مباشرة ، مع أنه قد أُخذ على من سبقهم ؛ دلالة على انجراره عليهم .

الثاني : الذين يعتصمون بما في الكتاب الكريم ويقيمون الصلاة ، فلن يضيع الله تعالى أجورهم ، فهم وجدوا كتاباً فعملوا بمحتواه ، ومن جملة أحكامه

(١) سورة الأعراف (١٦٩ ـ ١٧٠).

الصلاة ، فهؤلاء لن يضيع الله تعالى أجورهم ، لأنهم مصلحون .

فمن هو أولى بذلك التمسك والطاعة والاتباع ؛ ذلك الخلف ، أم نحن الخلف ؟ وليس في التوراة والإنجيل نصٌّ واحدٌ ثابتٌ نسبته ، بخلاف ما في ديننا من كتاب وسنة . والحمد لله تعالى .

ويقول الله عز وجل : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا * إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾[1].

فقد أخبر الله عز وجل عن هذا الخلف الذين تركوا الصلاة ، ولم يؤدّوا الزكاة ، واتبعوا الشهوات ، وآثروها على أنفسهم ، فهم خلف سوء ، وذكر عذابهم في غي . ثم استثنى تعالى مِنْ هؤلاء مَن تاب وعمل صالحاً واتبع الرسول وأطاعه في أمره ونهيه ، وآمن بالله ورسوله ؛ فهؤلاء لهم الجنة ، ولا يظلمون شيئاً .

فمن أولى بالمسلمين من هؤلاء الذين تابعوا رسول الله ﷺ وأطاعوه ، فيكونون خيرَ خَلَف لخير سلف . وإلا كانوا شرَّ خلف لخير سلف .

لقد عنّف الله تعالى خَلَفَ السوء لنَحْذَرهم ولا نكون منهم ، واستثنى خيرَ الخلف لنكون منهم . والخلفُ الخَيِّرُ : الذين يتبعون السلف الصالح ؛ وعلى رأسهم رسول الله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

علماً بأن الله تعالى جعل خلقه خلائف ، لينظر كيف يعملون .

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾[2] فهل تحذون حذو الكفار فتستحقّون العذابَ والهلاكَ ، أم تتبعون

---

(١) سورة مريم (٥٩ ـ ٦٠).

(٢) سورة يونس (١٤).

سبيلَ رسول الله ﷺ ومن معه فتستحقون الثوابَ الجزيل ؟

إذا كان الله تعالى قد خاطب الناس في عصر رسوله ﷺ بهذا الخطاب ، أيكونون على منهج الكفار ، أم يكونون على منهج المؤمنين ، فكيف بمن يأتي بعد رسول الله ﷺ ، فهل هو متبعٌ رسولَ الله ﷺ فيسعد ويثاب ، أم هو متَّبعٌ الكفارَ فيخسر ويعاقب ؟ والله تعالى أعلم .

الثالث عشر : لقد أخبر رسول الله ﷺ بكثرة أمته من بعده ، وبيّن كثرتها في الجنة ، كما بيّن نسبتَها بالنسبة لأتباع الرسل الآخرين ،... مع أن أصحابه رضي الله تعالى عنهم لا يبلغون جزءاً بسيطاً مما عليه عدد الأمة ، والنصوص في ذلك كثيرة . أقتصر على ذكر بعضها .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : «أنا أكثرُ الأنبياء تَبَعاً يوم القيامة ، وأنا أولُ من يقرع بابَ الجنة» .

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا أولُ شفيع في الجنة ، لم يُصدَّق نبيٌّ من الأنبياء ما صُدِّقتُ ، وإنَّ من الأنبياء نبيّاً ما يُصدِّقُهُ من أمته إلّا رجلٌ واحد» . رواهما مسلم[1] .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي ﷺ قال : «عُرِضَتْ عليَّ الأممُ ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرُّهَيْطُ ، والنبيَّ ومعه الرجلُ والرجلان ، والنبيَّ وليس معه أحد ، إذ رُفع لي سوادٌ عظيم ، فظننتُ أنهم أُمَّتي ، فقيل لي : هذا موسى ﷺ وقومُه ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سوادٌ عظيمٌ ، فقيل لي : انظر إلى الأفق الآخر ، فإذا سوادٌ عظيمٌ [زاد البخاري : «يملأ الأفقَ ، ثم قيل لي : انظر ههنا وههنا ـ في آفاق السماء ـ فإذا سوادٌ قد ملأ الأفقَ»] فقيل لي : هذه أمتُك ، ومعهم سبعون ألفاً ، يدخلون الجنةَ بغير حساب ولا عذاب ،...» الحديث

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، رقم (٣٣٠ ـ ٣٣٢) .

بطوله ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : خطبنا رسولُ الله ﷺ ، فأسند ظهره على قبَّةِ أَدم فقال : «ألا لا يدخل الجنةَ إلا نفسٌ مسلمةٌ . اللهم هل بلغت ؟ اللهم اشهد . ألا تُحبّون أنكم ربعُ أهل الجنة ؟» قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : «أتحبون أن تكونوا ثلثَ أهل الجنة ؟» قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : «إني لأرجو أن تكونوا شَطْرَ أهلِ الجنة ، ما أنتم في سواكم من الأمم إلا كالشعرةِ السوداء في الثور الأبيض ، أو كالشعرةِ البيضاء في الثور الأسود». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : «والذي نفسي بيده إني لأطمعُ أن تكونوا ثُلُثَ أهل الجنة» قال : فحمدنا الله وكبَّرنا . ثم قال : «والذي نفسي بيده إني لأطمعُ في أن تكونوا شَطْرَ أهل الجنة ،...» ثم ساق بنحوه ، متفق عليه[3]. وقد ورد عن عدد من الصحابة ، انظر الخصائص ، وعظيم قدره ﷺ .

بل جاء في عدد من الأحاديث ما هو أكثر من النصف : إنما هو الثلثان .

فعن بُريدةَ بن الحُصَيْب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أهلُ الجنة عشرون ومائةُ صفٍّ : ثمانون منها من هذه الأمة ، وأربعون من سائر

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الطب : باب من اكتوى أو كوى غيرَه ، وفضل من لم يكتو ، وباب من لم يرق ، وفي كتاب الرقاق . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، رقم (٣٧٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب الحشر . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة . رقم (٣٧٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب قوله تعالى : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : الباب السابق ، رقم (٣٧٩).

الأمم» أخرجه ابن أبي شيبة والدارمي وأحمد ، والترمذي وحسنه - وفي بعضها وصححه - وابن ماجه والطحاوي ، وصحّحه الحاكم وابن حبان[1] وقال ابن القيم : إسناده على شرط الصحيح .

فلو لم يكونوا مطيعين ما كانوا يعدون ثلثي أهل الجنة ، بينما باقي الأمم من زمن آدم حتى عيسى عليهم السلام فيعدون الثلث الباقي ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله ﷺ أتى المقبرةَ ، فقال : «السلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين ، وإنّا إنْ شاء الله بكم لاحقون ، وددتُ أنّا قد رأينا إخوانَنا» قالوا : أولسنا إخوانَك يا رسول الله ؟ قال : «أنتم أصحابي ، وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعد» فقالوا : كيف تعرفُ من لم يأتِ بعدُ مِنْ أمتك يا رسول الله ؟ فقال : «أرأيتَ لو أن رجلاً له خيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلةٌ ، بين ظَهْري خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ[2]، ألا يعرفُ خيلَه ؟» قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : «فإنهم يأتون غُرّاً محجَّلين من الوضوء ، وأنا فَرَطُهم على الحوض ،...» الحديث ، رواه مسلم[3].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٤٧٠ - ٤٧١) وسنن الدارمي (٢ : ٢٤٣ رقم ٢٨٣٨) ومسند أحمد (٥ : ٣٤٧ ، ٣٥٥ ، ٣٦١) وسنن الترمذي : كتاب صفة الجنة : باب ما جاء في وصف أهل الجنة ، رقم (٢٥٤٦) وقال : حديث حسن . لكن قال الحافظ في الفتح : (١١ : ٣٨٨) وصححه ، ولعله اختلاف نسخ . وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب صفة أمة محمد ﷺ ، رقم (٤٢٨٩) وشرح مشكل الآثار (١ : ١٥٦ - ١٥٧) والمعجم الأوسط (٢ : ٧٧ ، ١٦٨) (٨ : ٢٣٢) والمستدرك (١ : ٨١ - ٨٢ ، ٨٢) وصحيح ابن حبان (٩ : ٢٧٤ - ٢٧٥) وموارد الظمآن ، رقم (٢١٥٥) وزيادات الزهد لابن المبارك (رقم ١٥٧٢) وأخبار أصبهان (١ : ٢٧٥) وحسن الظن بالله (رقم ٧٤) وحادي الأرواح (٨٤).

(٢) قوله : «خيل دهم بهم» أي سود لم يخالط لونَها لونٌ آخر . بخلاف الغُرِّ المحجَّلين ، فالغرُ ما كان فيه بياض في الجبهة ، والمحجَّل : ما كان فيه بياض في الأيدي والأرجل .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب استحباب إطالة الغُرة والتحجيل في الوضوء ، =

ومجيء هذه الأمة يوم القيامة غرّاً محجَّلين ـ وهو حديث متواتر ـ فيه دلالة على طاعتها له ﷺ بعده ، لأنها متبعة لما حثَّ عليه من إطالة الغُرَّة والتحجيل ، والوضوء ، والصلاة ،...إلخ .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : «لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ ، فتعجَّل كلُّ نبيٍّ دعوتَه ، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات من أمتي لا يشركُ بالله شيئاً». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1]. وقد ورد عن عدد من الصحابة .

وعنه رضي الله تعالى عنه ، في حديث الشفاعة الطويل ، وفيه قوله ﷺ : «فأنطلقُ ، فآتي العرشَ ، فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتحُ الله عَلَيَّ ، ويُلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحْهُ لأحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تُعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأقول : يا ربِّ أُمتي أُمتي . فيقال : يا محمد ؛ أدخل الجنةَ من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن ، من أبواب الجنة ، وهم شركاءُ الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ،...» الحديث ، متفق عليه[2].

فلو لم تكن هذه الأمة بعده ﷺ مطيعة له : هل يشتاق لرؤيتها ؟ وهل تدخل الجنة ؟ ـ والجنة لا يدخلها إلّا نفس مؤمنة ـ وهل يباهي بهم الأنبياء ؟ وهل يسأل الله تعالى لها النجاة ؟ وهل يسأل الحق تعالى أن يبدأ حسابها قبل غيرها ؟ وهل ، وهل ، وهل ؟... كل ذلك دلالة على وجوب طاعته ﷺ بعد وفاته ، وأنه

= رقم (٣٩).

(١) صحيح البخاري : كتاب الدعوات : باب لكل نبي دعوة مستجابة . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ، رقم (٣٣٤ ـ ٣٤٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم (٣٢٧).

واقع منها ، والله تعالى أعلم .

الرابع عشر : إن السنة النبوية الشريفة هي المبيِّنَةُ لناسخ القرآن الكريم من منسوخه ، والمقيِّدةُ لمطلَقِه ، والمفصِّلةُ لمجمله ، والمفسِّرةُ لمبهمه ، والمخصِّصة لعامِّه ، فإذا لم يُطع رسولُ الله ﷺ ؛ سقط الاستدلالُ بالكتاب أيضاً ، لأنه عام ، أو مطلق ، أو مجمل ،...

فالسرقة مثلاً ،... جاءت السنة النبوية ببيانها .

يقول تعالى : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا ﴾[1] .

فجاءت السُّنَّةُ النبوية الشريفة مبيِّنةً الذي يُقطع من اليد ـ لأنها تشمل من الأصابع حتى الإبط ـ وهو الكف إلى الرسغ فقط ، ولا يجر إلى الكتف .

وكذلك بيَّنت في أي شيء يقطع ، فهل يقطع من سرق قِرشاً ، وإذا كان جائعاً ، وإذا كان المسروق في غير حِرْز ،...إلخ. كل ذلك جاء مبيَّناً في السنة النبوية الشريفة .

ومثل ذلك في الزنا فقد جاءت السنة النبوية الشريفة ببيانها .

قال الله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ﴾[2] .

فجاءت السنة النبوية لتبين أن هذه العقوبةَ إنما هي لغير المحصَن ، أما المحصن فعقوبته الرجم .

إلى غير ذلك من الأحكام الشرعية ؛ سواء في العبادات أو المعاملات أو غير ذلك ، فإنه يأتي تفصيله في الباب الثامن ، وما ذكرته كاف للدلالة .

الخامس عشر : لقد أمر الله جل شأنه المؤمنين إذا حصل بينهم تنازع أن يرجعوا إلى الله عز وجل ، وإلى رسوله ﷺ . ورجوعُهم إلى رسول الله ﷺ هو

---

(١) سورة المائدة (٣٨).

(٢) سورة النور (٢).

تنفيذ أمره ونهيه وقوله وفعله . فلما تَوَفّى الله تعالى رسولَه الكريم ﷺ وحصل نزاع ، فكيف يكون الرجوع ؟

يكون الرجوع إلى الله تعالى في كتابه ـ ولا يوجد سواه ـ وأما بالنسبة لرسول الله ﷺ فقد تُوفِّيَ ، فكيف يكون الرجوع إليه ؟ إنما يكون بالرجوع إلى سنته الشريفة ﷺ ، لأنها هي أوامره ونواهيه وأفعاله وأقواله ،... ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1] .

لقد أمر الله تعالى بوجوب طاعتِه ـ وطاعتُه تعالى إنما هي باتباع كتابه الكريم ـ وطاعةِ رسوله ﷺ ـ وطاعتُه هي باتباع سنته ﷺ ، وكل هذا شرط المؤمن . فإن حصل نزاع بين المسلمين وولاةِ أمورهم فعليهم أن يردّوا ذلك إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة رسوله ﷺ . من غير تفريق بين حياته أو بعد وفاته ﷺ ، لأن السنةَ موجودةٌ ؛ حضرأم غاب ، كما أن الرجوع إلى الله تعالى هو الرجوع إلى كتابه الكريم ، وكل ذلك شرط الإيمان ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ ...﴾ هذا فعل المؤمنين . أما الذين لا يؤمنون فلهم حساب آخر .

فهذا النص الكريم هو من أصرح الأدلة على طاعته ﷺ بعد وفاته ، والله تعالى أعلم .

السادس عشر : وردت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى جاء الخطاب فيها موجهاً إلى رسول الله ﷺ ؛ في تحقيق العبادات والمعاملات . فهل وفاته ﷺ مانعةٌ من قيام تلك العبادات والمعاملات ،... أم تستمر ؟ إن الإجماع منعقد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم إلى يومنا هذا على وجوب قيام ذلك . ولا عبرة

---

(١) سورة النساء (٥٩).

بوفاته ﷺ وتأثيرها على ذلك . مثال ذلك :

قال تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(١). وقد احتج منكرو الزكاة بهذه الآية . فقاتلهم الصديق بالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم حتى رجعوا فدفعوا الزكاة .

وقال الله تعالى : ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾(٢) الآية . فهل تسقط صلاة القتال لأن النبيَّ ﷺ تُوُفِّيَ ، وهو المخاطَب في هذه الآية ؟ لا ، بل التشريع ثابتٌ دائمٌ باقٍ ما بقي هذا الدين . والبشرُ يموتون ، وربُّ البشر لا يموت . ولا يمكن إرسال كل البشر ـ مع أنه تعالى قادر ـ واقتضت حكمته جل شأنه أن يرسل رسولاً واحداً لهذه الأمة حتى قيام الساعة ليبتلينا ، فمن أطاع فقد سعد ، ومن عصى فقد هلك . ولا فرق من حيث الطاعة بين حياته ووفاته ﷺ . فقد اشترك من كان حاضراً ومن غاب عنه ، أو بعد زمانه ، بأمر الطاعة والامتثال ، وإن كان انفرد الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالصحبة والرؤية ؛ وفازوا بذلك . لكن الطاعة واحدة بيننا وبينهم . والجميعُ مخاطَبٌ بذلك . وسيأتي مزيد بيان في الفقرة التالية ، والله تعالى أعلم .

السابع عشر : إن دعوةَ منكري طاعة النبيِّ الكريم ﷺ بعد وفاته : تتعارض مع أمر الله عز وجل باتباع نبيِّه وصفيه ﷺ ، وجعلِه أسوةً حسنةً . ذلك لأن المتَّبعَ متأخرٌ عن المتبوع ، وهذا يقتضي سبقَ المتبوع ، كما أن الأسوةَ الحسنة تكون سابقةً ومتقدمةً على الذي يلزمه تقليدها واتباعها ، وكل هذا يقتضي طاعتَه ﷺ

---

(١) سورة التوبة (١٠٣).

(٢) سورة النساء (١٠٢).

بعد وفاته ممن يأتي بعده ، لأنه ﷺ متقدِّمٌ عليهم ، ومتبوعٌ لهم . كما أن المتبعَ يلزمه طاعةُ متبوعه ، وأن المحب تلزمه طاعة محبوبه ، وإن ابتعد عنه ، لأنه لا يشترط ـ عند العقلاء ـ حضور المتبوع حتى تلزم طاعتُه ومحبته ، بل المفروض طاعتُه وإن غاب ، وسواء كان غيابُه بعيداً أم قريباً .

أرأيت من كان ـ في زمان رسول الله ﷺ ـ يسكن قباء ، أو العوالي ، أو بني سلمة ـ مسجد القبلتين ـ أو مكة أو اليمن أو الشام : أيلزمهم أن يطيعوا رسول الله ﷺ أم لا ؟ فإن قيل : نعم يلزمهم ، فما الفرق بينهم وبين من كان بعيداً عنه ﷺ ، وكلهم لا يرونه ﷺ .

لذا من كان في زمانه ﷺ وهو بعيدٌ عنه ، شأنه شأن من كان بعيداً في الزمن عنه ﷺ ، لأنهم يشتركون جميعاً في عدم رؤيته ﷺ . وإن قال : لا يلزمهم ، يكون قد حصر الصحابة بمن في المسجد النبوي الشريف فقط ، والله تعالى أعدلُ من أن يعذبَ من كان بعيداً عن رسول الله ﷺ ـ ولو كان في زمانه أو بعد زمانه ، لقيام الحجة عليه . وهو تبليغه بما جاء به ﷺ عن الله تعالى بواسطة الصحابة رضي الله تعالى عنهم والناقلين عنهم .

وهذه نماذج مما حصل فيها التبليغ في زمانه ﷺ لمن كان بعيداً عنه(1):

ـ إرساله ﷺ رسلَه إلى الملوك ، فلو لم تقم الحجة بهم ما أرسلهم .

ـ إرساله ﷺ الأمراء والدعاة إلى البلاد المفتوحة ، كمعاذ بن جبل ، وأبي موسى الأشعري ، وعليٍّ ، وأبي عبيدة ،... رضي الله تعالى عنهم ، وقد قال ﷺ لمعاذ رضي الله تعالى عنه : «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ،...» الحديث بطوله ، متفق عليه .

ـ تحوّل أهل مسجد قباء في صلاة الصبح عندما أخبرهم واحد بتحويل

(1) انظر : خبر الواحد إفادته وحجيته ، ومختصر علوم الحديث ، ففيهما التفاصيل .

القبلة ، وكان قد صلى مع رسول الله ﷺ إلى الكعبة .

ـ إرساله ﷺ من ينادي بتحريم الخمر ، لذا أمر أبو طلحة ربيبَه أنس بن مالك رضي الله تعالى عنهما بكسر الدِّنان ، لما سمعوا من المنادي .

ـ أمره ﷺ لرجل بإقامة الحد على زانية : «اذهب يا أنيس إلى امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها» فقدم عليها ، فاعترفت فرجمها . وهو متفق عليه .

ـ إرساله ﷺ من ينادي بإتمام صوم يوم عاشوراء ، حيث قال ﷺ لرجل من أسلم : «أذِّن في قومك ،...» الحديث بطوله ، متفق عليه .

ـ سؤال ضمام بن ثعلبة رضي الله تعالى عنه عن شرائع الإسلام ، ليتأكد من تبليغ رسولِ رسول الله ﷺ ، الحديث بطوله ، متفق عليه .

ـ نهيه ﷺ عن الصيام أيام منى ، وقد أرسل الرسلَ لتبليغ ذلك .

ـ إرساله ﷺ عليّاً رضي الله تعالى عنه على ناقته ـ أيام التشريق ـ لتبليغ سورة براءة ، وعدم حج المشرك ، وعدم الطواف للعريان .

والنصوص في ذلك كثيرة ، ذكرتها في غير هذا الكتاب .

وهذا أمر متعارف عليه ، فالخليفة يُنفَّذ أمرُه وإن كان بعيداً . علماً بأن هناك فارق كبير بين الأمير وبين الرسول ، ومثل ذلك الدساتير والقوانين والنظم التي تسنها الدول ؛ تطبَّق بعد موت مشرعيها وواضعيها بسنين ، كما سيأتي ذكر ذلك إن شاء الله تعالى في فقرة مستقلة .

قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1].

فكما أن محبة الله تعالى غيرُ متوقفة على زمنٍ وعلى جيلٍ ، كذلك اتِّباعُ النبي الكريم ﷺ غير متوقف أيضاً . إذ قوله : ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ هو حادٍ يحدو باستمرار ؛

(١) سورة آل عمران (٣١).

أن امشوا خلفي ، واقتفوا أثري ، وانهجوا نهجي ، ولا تتقدَّموا بين يدي . ولازم هذا كله الطاعة ، لأن الخطابَ ليس لجيل الصحابة رضي الله تعالى عنهم فقط ـ كما مر ـ وإنما هو لجميع هذه الأمة إلى قيام الساعة . فكل من يدعي محبة الله تعالى ويرغب أن يحبه الله تعالى يلزمه ـ وجوباً ـ اتباع النبي الكريم ﷺ .

وكذا قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(١).

فهل هو ﷺ أسوةٌ حسنةٌ لمن كان في زمانه فقط ، أم هو أسوةٌ حسنةٌ لجميع الأمة ، حتى قيام الساعة ؟ وكيف يكون ﷺ أسوةً حسنةً لجيلنا إذا لم تجب طاعتُه ﷺ على أهل هذا الجيل ؟ لأنه أسوة في كل شيء .

الثامن عشر : لقد أخبرنا الله جلت قدرته أن قيام التابع بمتابعة المتبوع والاقتداء به ، والسير على نهجه ، والاقتفاء بسنته ؛... هو أمرٌ قائم ، نطق به خيار الخلق من الرسل عليهم السلام ، بل دعوا الله تعالى أن يلحق بهم من بعدهم ، وأن يكونوا على منهجهم وسيرتهم ، فيكونون منهم . وهذا الأمر على مختلف العصور ، وليس خاصاً بزمن أو مكان أو جماعة . والآيات في سؤال الأنبياء والصالحين في صلاح الذرية وإلحاقهم بهم ،... كثيرة .

قال الله تعالى : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢).

لما أخبره الله تعالى أنه جعله إماماً طلب أن يكون من ذريته كذلك .

وقال جل شأنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ

(١) سورة الأحزاب (٢١).

(٢) سورة البقرة (١٢٤).

عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

فبعد أن طلب من ربه عز وجل أن يجنبه وبَنيه عبادةَ الأصنام ، لأنها أضلت كثيراً من الناس قال : فمن تبعني من ذريتي ، وسار على نهجي ؛ فإنه مني . ومن عصاني ؛ فهو عائد إلى مشيئة الله تعالى ، أرجو أن يغفر له ذنوبه .

لهذا طلب عليه السلام أن يرسل الله تعالى في ذريته الذين أسكنهم مكة رسولاً منهم ، فكان المصطفى ﷺ .

فقال الله تعالى على لسانه : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٢).

وكيف يكون اتباع الخلف من ذريته عليه السلام له إذا لم تكن طاعة ؟ وكيف يكون تعليم بدون طاعة ؟ وكيف تكون تزكية بدون طاعة ؟

وقد جاءت الآيات عن عدد من الرسل أنهم يتبعون من سبقهم من الأموات والأحياء معاً ؛ في دينهم ومعتقدهم ، وعلى مذهبهم ونهجهم .

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(٣) فإذا كان إسحٰق حياً فإن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كانا قد ماتا ، ويحتمل كذلك إسحٰق .

وقال الله تعالى عن يوسف عليه السلام : ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ ﴾(٤) والحي منهم آنذاك هو يعقوب عليه السلام فقط ، ومع

(١) سورة إبراهيم (٣٥-٣٦).

(٢) سورة البقرة (١٢٩).

(٣) سورة البقرة (١٣٣).

(٤) سورة يوسف (٣٨).

ذلك فهو يتبع ملةَ من مات من أجداده ، فإذا كان هذا في يوسف عليه السلام فنحن المسلمين أولى بهذا الاتّباع لرسول الله ﷺ ، والله تعالى أعلم .

والاتّباعُ من الخلف للسلف دلالة على الطاعة . لأن الاتباع كما قلت : أدق من الطاعة .

لذا أخبر الله تعالى أنه يُلحق الذرية بالآباء إذا اتبعوهم ، وإن قصَّروا في عملهم عنهم ، شريطة وجود الإيمان من الذرية ، حتى تقرَّ بهم عيون الآباء . ولا يشترط في الذرية الأبناء مباشرة ، بل يشمل الأحفاد ومن نزلوا

قال الله عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ﴾(١) .

فلما اتبعت الذريةُ الآباءَ ؛ ألحقهم تعالى بهم ، والاتِّباع بالإيمان يقتضي العمل أيضاً . فكيف لا تتَّبع هذه الأمةُ نبيَّها الكريم ﷺ حتى تلحق به ، وتنالها شفاعتُه ، وشهادتُه ﷺ !!!.

التاسع عشر : إن الله تعالى خاطب أصحابَ نبيه ﷺ ومن يأتي بعدهم : أن إبراهيمَ عليه السلام ومن معه من المؤمنين ؛ أسوةٌ حسنة لهم ، فإذا صار عليه السلام أسوةً حسنةً لهم ، وبينهم وبينه ألوف السنين ، ولا يعلمون عنه شيئاً إلا ما ذكره الله تعالى عنه ورسولُه ﷺ ؛ فكيف لا يكون رسولُه ﷺ أسوةً لمن بعده من أمته ؟ بل هو الأولى بذلك ، إضافة لما يتصف به ، وهو إليهم أقرب ، وهم به أعرف ، ولأحواله أعلم ، والعلمُ به أجزمُ وأقطعُ ، ثم أمر الله عز وجل بذلك .

قال الله عز وجل : ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ

---

(١) سورة الطور (٢١).

﴿وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾(1) .

فقد جعلهم الله تعالى أسوةً وقدوةً حسنةً ، للتأسي بهم ؛ قولاً وفعلاً ، إلا قول إبراهيم عليه السلام مستغفراً لأبيه ، فإنه مستثنى من تلك الأسوة .

فإذا كان الله تعالى قد جعل لهذه الأمةَ أسوةً حسنةً فيمن يتقدمها ألوف السنين ، وهم أموات - إنما بقيت أخبارهم - فكيف لا يكون رسولُ الله ﷺ أسوةً واجبةَ الطاعةِ والامتثال لأمته ، وهو منها قريبٌ ، والعهدُ به أقرب ، ولا يوجد على سطح الأرض أحد ممن اعتُنِيَ بأقوالِه وأحوالِه ما عني به ﷺ ؟ فهو أولى وأوجب ، وأفرض من اتباعنا لمن سبقه ، والله تعالى أعلم .

العشرون : إذا لم تجب طاعتُه ﷺ بعد وفاته فيما أخبر به أو أمر به في حال حياته ﷺ ، فإنَّ هذا يعني عدم طاعتِه في حال حياته أيضاً ، لأن الأمر واحد ، والمأمورَ به واحد ، والعلة بين الأمرين واحدة ، وعدمُ طاعته بعد وفاته ﷺ يستدعي تكذيبَه بما أخبر به في حال حياته ، أو التشكيك ، وهذا كله كفر ، والعياذ بالله تعالى .

الحادي والعشرون : بعد أن أعلن الله تعالى أن الدين الذي لا يقبل غيره هو الإسلام ، وأن الذين أوتوا الكتاب ما اختلفوا إلا من بعد ما علموا الحق عن يقين منهم ، وإنما كان تعدياً وبغياً منهم : خاطب الله تعالى رسولَه وصفيَّه ﷺ : إن حاجوكَ وجادلوك فأعلن إسلامك ، وإسلام من اتبعك .

---

(1) سورة الممتحنة (٤ - ٦).

قال الله عز وجل : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾(١).

فقوله تعالى : ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ﴾ أي ـ والله تعالى أعلم ـ أَسْلم وجهُ من اتبعني لله عز وجل ، وذكر الوجه لأنه أشرف وأكرم الأعضاء ، و (مَنْ) من ألفاظ العموم ، فهو شامل لمن كان في زمانه ﷺ ولمن يأتي بعده أيضاً . كما مر في قوله تعالى ـ على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ﴾ .

وكيف يكون الاتباع ، إن لم يكن إيمان ثم طاعة وامتثال ، وهذا دالٌّ على وجوب طاعته ﷺ بعد وفاته ، كما هو في حياته ﷺ ، والله تعالى أعلم .

الثاني والعشرون : لقد أخبر الله تعالى أن بعثة رسوله الكريم ﷺ ليست خاصة بالذين كانوا في زمانه من العرب والعجم ، بل هي شاملة لمن يأتي بعدهم أيضاً . وكيف تكون شاملةً لمن يأتي بعدهم إذا لم تجب طاعتُه ﷺ على الذين يأتون بعده ؟ .

قال الله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(٢).

لقد أخبر الله تعالى عن مهمة رسوله الكريم ﷺ : أنه يتلو عليهم آيات الله تعالى المنزلة عليه ، وأنه يطهِّرهم ويزكيهم ، ويعلِّمُهم الكتابَ الكريم ، والحكمةَ ـ

---

(١) سورة آل عمران (٢٠).

(٢) سورة الجمعة (٢ ـ ٤).

وهي السنة ـ كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى في الباب السادس .

ثم بيَّن تعالى أن بعثة نبيِّه الكريم ﷺ ليست خاصة بمن كان في زمانه ؛ بل هي لمن يأتي بعدهم أيضاً ، كما هو منطوق قوله تعالى : ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ أي من الأميين وغيرهم ، الذين لـمّا يأتوا بعد ، ولـمّا يوجدوا في عصره ﷺ ، وإنما يأتون بعدهم سواء من العرب أو العجم ، وهذا دالٌّ على عموم رسالته ﷺ لجميع الناس ، ووجوب طاعتهم له ﷺ ، وكل ذلك من فضل الله تعالى ، يختص به من يشاء من عباده ، والله تعالى أعلم .

الثالث والعشرون : لقد أمر الله تعالى جميع الناس بعبادته تعالى . فقال الله جل شأنه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١) .

وأخبرنا تعالى أنه ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته جل شأنه ، فقال عز وجل : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٢) .

فطالما أن الناس مأمورون بالعبادة من قِبَل الله تعالى ، وما خُلقوا إلا ليُؤْمَروا بها ، وفُطروا يوم خُلقوا عليها . فكيف يعبدون ربهم تعالى ؟ هل هو حسب اختيارهم وما تشتهي أنفسهم ، أم حسب ما يريده الله تعالى ؟

وهل العبادة مختصة بالصحابة رضي الله عنهم أم تشمل مَن بعدهم ؟

إن الله عز وجل أنزل آيات العبادات مجملة ووكَل إلى نبيه وصفيه ﷺ البيان ، وأمرنا بطاعته واتباعه ، وليس للإنسان إلا الامتثال لأمره ﷺ فيما بيَّنه وشرَّعه ، لأنه مأمور بذلك من قبل الله تعالى ، فإن أطاعه فقد أطاع الله تعالى ،

(١) سورة البقرة (٢١).

(٢) سورة الذاريات (٥٦).

وإن عصاه فقد عصى الله تعالى ، وهذه العبادة باقية بعد وفاته ﷺ ، والذي لم يُدرك زمانَه ﷺ هو : بين أن يطيعه - واجباً - فيكون مطيعاً لله تعالى ولرسوله ﷺ بعد وفاته ، أو يختار لنفسه عبادةً من عنده ، فيكون عاصياً لله تعالى بمعصيته لرسوله ﷺ ، لأنه يشرع من عند نفسه . وهذا ضلال .

وهذا من أقوى الأدلة على وجوب طاعته ﷺ بعد وفاته أيضاً ، والله تعالى أعلم .

الرابع والعشرون : إن وجوبَ طاعتِه ﷺ بعد وفاته - كما هو في حياته - أمر مُجمَعٌ عليه ، من الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين لهم بإحسان رحمهم الله تعالى ومن بعدهم ، ولم يخالف في ذلك إنسان يعتد به ، أما ما ورد عن بعض الباطنية من إنكار العمل بالسنة النبوية فليس هو رداً لطاعته ﷺ ، وإنما لأن السنة النبوية الشريفة في نظرهم من رواية الآحاد ، ولأن القرآن الكريم جاء تبياناً لكل شيء . وهي وإن كانت شبهةً ، إلا أنها تختلف عما يقوله منكرو طاعة النبي الكريم ﷺ بعد وفاته في العصر الحاضر .

علماً بأن هؤلاء الباطنية أذهلهم السيفُ ، فغمضوا عنه ، ودخلوا في الإسلام - ظاهراً - ليخربوا من الداخل .

فمنكر طاعة النبي الكريم ﷺ بعد وفاته مخالف لإجماع المسلمين على مختلف المذاهب والنحل ، ومتول غير سبيل المؤمنين .

قال الله تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾[1] .

فقد بين جل شأنه أن الذي يخالف أمر رسول الله ﷺ ويعاديه ويخالف أمره ، من بعد ما تبين له أنه رسول الله ﷺ ، وظهر له الحق ، ثم يتبعُ طريقاً ومنهاجاً غير

---

(١) سورة النساء (١١٥).

طريق المؤمنين المتَّبعين لهذا الرسول الكريم ﷺ ؛ فمصيرهم عذاب الجحيم وبئس المصير ، والعياذ بالله تعالى ، فماذا يقول منكرو طاعة النبيِّ ﷺ بعد وفاته وهم يتبعون غير سبيل المؤمنين الصادقين المتبعين ؟.

كما يلاحظ أن اللفظ جاء عاماً ؛ لأن (مَنْ) من صيغ العموم ، شامل لمن كان في عصره ﷺ ولمن يجيء بعده ، كما أن النص ينص على الرسالة ، فمن خالف وعاند رسول الله ـ لأنه رسول الله ﷺ ـ وليس يخالف محمداً ـ لأنه ابن عبد الله ـ فمصيره جهنم يصلاها ، وساء ذلك المصير .

الخامس والعشرون : إن نقلَ الصحابةِ رضي الله تعالى عنهم لسنة النبي الكريم ﷺ قولاً وعملاً وسلوكاً وتطبيقاً ، وحفاظَهم عليها ، وتطبيقَهم لها ، ونشرَهم لها لمن جاء بعدهم ، وإنكارَهم على من تهاون أو خالف سنةً منها ، ومقاطعَتَه ، كل هذا وغيرُه كثير ـ وواضحٌ لمن اطلع على سيرتهم ونهجهم[1]ـ يدل على مدى تمسكهم بها ، واعتمادِهم عليها ، بعد وفاته ﷺ ، وهم خير قرون بني آدم على الإطلاق ، المجتبَوْن من الخلائق ؛ صحابةً لنبيِّه وصفيه الكريم ﷺ ، المرضِيُّ عنهم من قِبَلِ الله تعالى ، والذين ألزمهم كلمة التقوى ، وهم أهلها ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[2]. وأوائلُ من يدخل في خطاب الله تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[3] وقوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ

---

(١) انظر : نشأة علوم الحديث . فقد بينت في الباب الثالث (السنة زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم) وفي الباب الرابع (السنة زمن التابعين رحمهم الله تعالى) وَ «واجب الأمة نحو نبيِّ الرحمة ﷺ» فقد ذكرت عنايتَهم وتمسُّكَهم وحفاظَهم وإنكارَهم الشديد على من تهاون بأخذ شيء منها ،...

(٢) سورة الفتح (٢٦).

(٣) سورة آل عمران (١١٠).

عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[1]. وأنه تعالى يقبل شهادتَهم ،... فكل ذلك دالٌّ على صحة فعلهم ، ووجوب الاقتداء بهم .

والذي يأتي بعدهم أحد شخصين : إما مُتَّبعٌ لهم ، أو مُتَّبعٌ غيرَ سبيلهم ، والذي يتبعهم يكون معهم ، وإن كان بعدهم بمئات أو ألوف السنين ، لأنه فَعَل فعلَهم ، وسلك سبيلهم ، ورضي بأن يكون كذلك .

عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ متى الساعة ؟ قال : «وما أعددتَ للساعة ؟» قال : حبَّ الله ورسوله . قال : «فإنك مع من أحببت».

قال أنس : فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشدَّ من قول النبيِّ ﷺ : «فإنك مع من أحببتَ».

قال أنس : فأنا أحبُّ الله ورسولَه ، وأبا بكر وعمر ، فأرجو أن أكون معهم . وإن لم أعمل بأعمالهم . متفق عليه[2].

ورَوياه بنحوه[3] من حديث ابن مسعود وأبي موسى رضي الله تعالى عنهم .

قال الله تعالى في وصف الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، ومن سلك سبيلهم ونهج نهجهم ، ممن بعدهم ، فيُحشر معهم : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ * وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ

---

(١) سورة البقرة (١٤٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة : باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وصحيح مسلم : كتاب البر : باب المرء مع من أحب ، رقم (١٦١ ـ ١٦٤).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب علامة حب الله عز وجل ،... وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٦٥).

فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

فالذين جاءوا من بعدهم ـ ولو بفترة طويلة ـ يُشترط أن يكونوا متَّبعين لهم بإحسان . لينالوا رضاء الله عز وجل عنهم ، والفوز والخلود في الجنان ، كما قال الله تعالى : ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٢).

فإذا كان الله عز وجل رضي عن المتبعين للصحابة بإحسان ، وأكرمهم بالفوز بالجنان والخلود فيها ، لاتباعهم لهم ـ وقد يكونون بعدهم بألوف السنين ـ فوجوب اتباع المؤمنين للنبي الكريم ﷺ أولى ، لأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ما نالوا هذه الدرجة إلا لاتباعهم رسول الله ﷺ .

والاتباع : أدق من الطاعة ؛ لأنها قد تكون عن كراهية ، كما قال الله عز وجل : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾(٣). بينما الاتباع لا يكون إلّا عن محبة ورغبة .

فإذا كان منكرو طاعة النبي المصطفى الكريم ﷺ بعد وفاته غير متَّبعين بإحسان ، فلا شك أنهم متبعون غيرَ سبيلِ المؤمنين ، لذا سيَصْلون عذاب جهنم

---

(١) سورة الحشر (٨ـ١٠).

(٢) سورة التوبة (١٠٠).

(٣) سورة فصلت (١١).

وسيء المصير . كما مر في الفقرة السابقة .

وإذا كان الله تعالى رضي عن الصحابة وطهَّرهم واصطفاهم ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ﴾ وأمرَ الناسَ بالاقتداء بهم واقتفاء آثارهم ـ وقد بذلوا غاية الجهد ، في سبيل الحفاظِ على السنة النبوية الشريفة ، ونشرِها ، وتعليمها ، وتطبيقها ،... ـ فذاك دلالة على عصمة إجماعهم ، لأن الأمة المحمدية لا تجتمع على ضلالة ولا على خطأ ، كما أن مفهوم قوله تعالى : ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يؤخذ منه وجوب اتباع سبيل المؤمنين ، فإذا كان اتباعهم واجباً ـ وقد ماتوا ـ فاتباع رسول الله ﷺ أوجب وأولى ، للأمر به ، والأجر في الاتباع ، والعقوبة في المعصية والعنود ، والله تعالى أعلم .

إن ما يقوله منكرو طاعة النبيِّ الكريم ﷺ بعد وفاته ، وهم يتبعون غير سبيل المؤمنين هو الضلال المبين ، والعمى المشين ، الذي طهَّر اللهُ عز وجل قلوبَ أهل القرون المفضلة منه ، واصطفاهم ، ليكونوا من أهل الخيرية ، ورزقهم حبَّ الدفاع عن هذا الدين ـ الذي هو كتاب وسنة ـ وحبَّ نبيهم ﷺ ، وهذا الحبُّ وحده كاف في الدلالة على مدى الطاعة[1] التي كانت عندهم لنبيهم ﷺ ، بينما أصحابُ هذه الدعاوى وقفوا وأعداءُ الإسلام في خندق واحد ، وتتلمذوا عليهم ، ورموا بقوسهم ، وقالوا بقولهم ، واحتجوا بحجتهم ،... فهل يعقل أن يكون هؤلاء والصحابة رضي الله تعالى عنهم وأتباعهم سواء ؟ لا ـ والله ـ فريق في الجنة ، وفريق في السعير .

السادس والعشرون : إن طاعة النبي ﷺ ليست خاصةً ومفروضةً على الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم فحسب ، بل هي عليهم وعلى جميع من

---

(١) انظر : محبة النبيّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجهاد ، وواجب الأمة نحو نبيِّ الرحمة ﷺ ، والشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان .

يأتي بعدهم أيضاً ، وذلك ـ كما مر ـ لأن الإسلام ليس وقفاً على جيل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، بل هو شاملٌ لكل من يأتي بعدهم أيضاً ، ولهذا ختم الله تعالى به الأديان ، ونسخها به ، وختم بالنبي الكريم ﷺ الأنبياء والرسلَ عليهم السلام ، وجعله هو المقبولَ والمعتبرَ ، فمن جاء بغيره فهو خاسرٌ ونادم .

ومقتضى العموم : يقتضي الامتثالَ لما جاء به هذا النبي الكريم ﷺ ، فمن أنكر طاعَتَه ﷺ بعد وفاته يكون قد حصر الإسلامَ في الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، ولزمه إخراجُ جميعِ الناس من الإسلام ، وإبطال الإسلام ، وهذا كفر لاشك فيه ، بل هو جنون وحماقة ، والعياذ بالله تعالى .

وإذا كان العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا ؛ هل بعثته ﷺ شاملة للملائكة ، فإنهم لم يختلفوا في شمولها للإنس والجن .

قال الله تعالى بالنسبة للإنس : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(1) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(2) .

ولفظ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ شامل لكل بني آدم ؛ من قبل عصره ﷺ ، حتى قيام الساعة ، فهي من ألفاظ العموم ، ولا يصح حصرها في زمن معين ، فكل من يشمله لفظ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ فهو مشمول برسالته له ، ولهذا أكد الله تعالى ذلك بقوله : ﴿جَمِيعًا﴾ زيادة في تأكيد ذلك العموم ، والله تعالى أعلم .

وأما **ما ورد بالنسبة للجن** فإني أقتصر على نصين كريمين :

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا

---

(1) سورة الأعراف (١٥٨).

(2) سورة سبأ (٢٨).

حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ * يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ * وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[1].

فالداعي هو رسول الله ﷺ ؛ فمن استجاب له وآمن به ، غفر الله تعالى له من ذنبه ، وأجاره من عذاب أليم ، ومن لم يؤمن به ولم يستجب له ؛ فقد ضل وهلك ، وليس له ولي ينقذه من عذاب الله تعالى

وقال الله تعالى مخاطباً نبيه المصطفى الكريم ﷺ : ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا * يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا * وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ وَمِنَّا ٱلۡقَٰسِطُونَۖ فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدٗا * وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾[2].

وأما **بالنسبة للملائكة الكرام** :

لقد أرسله تعالى رحمةً للعالمين ، فهو شامل للإنس والجن والملائكة ،...

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[3] ولفظ ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ شامل لكل المخلوقات كما مر بيانه .

لقد شهد الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ بالرسالة لكل الناس ، وكفى بها

---

(١) سورة الأحقاف (٢٩ ـ ٣٢).

(٢) سورة الجن (١ ـ ١٥).

(٣) سورة الأنبياء (١٠٧).

شهادة ، كما أرسله للعالمين رحمة ، وليس للناس فقط .

ومما يدل على شمول الناس لمن يأتي بعده ﷺ :

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾(١) .

فهل هو للصحابة فقط أم يشملهم ويشمل غيرهم ممن بعدهم ؟

وقال الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾(٢) .

فهل هو للصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم فقط ؛ أم يشملهم ويشمل غيرهم ممن بعدهم إلى يوم القيامة ؟

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(٣) .

فهل فضله تعالى خاص بالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم فقط ؛ أم يشملهم ويشمل غيرَهم من الناس إلى يوم القيامة ؟

وقال الله جل شأنه : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾(٤) .

فهل الذين يحشرهم الله عز وجل هم الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم فقط ؛ أم يحشرُهم ومَن قبلهم ومَن بعدهم من المخلوقات ؟

وهل يُعقل أن يطالب الله تعالى من كان في عصر نبيه وصفيه ﷺ فقط ؛ أم يطالب الجميعَ وكلَّ من يدخل تحت مسمى ﴿ٱلنَّاسِ﴾ ؟

وقال الله عز وجل : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٥) .

(١) سورة البقرة (١٢٥).

(٢) سورة البقرة (١٨٥).

(٣) سورة البقرة (٢٤٣).

(٤) سورة آل عمران (٩).

(٥) سورة آل عمران (١١٠).

وقال الله عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾[1].

فهل هذه الخيريةُ خاصّة بعصر الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ومن كان في زمنهم ؛ أم شاملةٌ لكل الأمةِ حتى مدى الدهر ؟

وقال الله تعالى : ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ ﴾[2].

فهل تشهد على من كان في زمن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم أم تشمل غيرَهم مِن بدء الخليقة إلى قيام الساعة ؟ فلو كانوا يشهدون على أنفسهم فقط لما حازوا هذه المزية ، لأنها حاصلة للجميع ، والله تعالى أعلم .

وهل يشهد رسول الله ﷺ على الصحابة فقط أم يشهد على جميع الأمة كما يشهد على جميع الأنبياء عليهم السلام كما هو منطوق الآيات ؟

هذا هو الذي جاءت به النصوص الشريفة في أمر الشفاعة والشهادة للأنبياء عليهم السلام على أممهم ، ولفظُ القرآن الكريم صريح في ذلك .

كل هذا دالٌّ على عموم رسالته ﷺ وبقائها ، وشمولها ، واستمرارها ، وامتدادها ،... وكل هذا يقتضي طاعته ﷺ وامتثال أمره ،... ممن جاء بعده إلى قيام الساعة ، والله تعالى أعلم .

إن منكري طاعة النبي الكريم ﷺ بعد وفاته إن كانوا من الناس فهم داخلون ضمن قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ ولفظُ ﴿جَمِيعًا ﴾ تأكيد كل ما يشمله لفظ ﴿ٱلنَّاسُ ﴾ كما قلت ، وإن لم يكونوا

---

(١) سورةالبقرة (١٤٣).

(٢) سورة الحج (٧٨).

من الناس فهم داخلون في لفظ ﴿لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ وهو ﷺ مرسَلٌ إليهم أيضاً ، فهم مطالبون بالإيمان به واتباعه وطاعته ﷺ ، والله تعالى أعلم .

السابع والعشرون : إن الإيمانَ بهذا النبيِّ الكريمِ ﷺ على أنه رسولٌ من قِبل الله تعالى ؛ جاء لإنقاذ البشرية ، وإسعادها وهدايتها ، وإخراجها من الظلمات إلى النور ، نزل عليه وحيٌّ من الله تعالى ،... لم يكن هذا خاصاً بالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، ولا بالأجيال المتلاحقة لجيلهم فقط ، إنما هو لجميع الأمة حتى تقوم الساعة .

ومنكرُ طاعةِ النبي ﷺ بعد وفاته يقصر الإيمانَ برسول الله ﷺ على جيل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم فقط ، وهذا حمق ، إذ ما يفعل بمئات الآيات التي يأمر الله تعالى فيها بالإيمان برسوله ، وطاعته ﷺ !!!

ثم ماذا يقول في عموم رسالة الإسلام ، ونسخها للشرائع السابقة ! لو كان الأمر كما يقول ؛ لبطلت جميع الشرائع والأديان ، لأن الإسلام نسخها ، وهؤلاء المنكرون يقولون بعدم الطاعة بعد الوفاة ، ولو كان كما قالوا لما كان ما كان من الصحابة رضوان الله عليهم ؛ من تعب وجهاد وبذل ،... وترك للأهل والأولاد من أجل نشر الإسلام بعده ﷺ ، كما سيأتي .

علماً بأن منطوق الشهادتين (أشهد أن لاإله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله) يقتضي مع الإيمان به أنه نبي ورسول ، طاعتَه واتباعَه ، وامتثالَ أمره ﷺ ، لأن الله تعالى ورسولَه ﷺ قد أمر بذلك . وهذا دائم ومستمر ، سواء كان في حياته أم بعد وفاته ﷺ . طالما أن الدخول في الإسلام حتى قيام الساعة لا يكون إلا بالشهادتين نطقاً ، واعتقاداً لله تعالى بالوحدانية والألوهية ، ولمحمد ﷺ بالنبوة والرسالة ، ولا يكون العبد مسلماً إلا بالإيمان والطاعة والامتثال ، كذلك فإن الطاعة له تعالى ولرسوله ﷺ هي نفسها في حال حياته وبعد وفاته

ﷺ ، والله تعالى أعلم .

الثامن والعشرون : إن أمةَ النبي الكريم ﷺ ليست خاصة بالصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ؛ الذين رأوه وآمنوا به ، وجاهدوا معه ، بل هي مستمرة شاملة لكل من آمن به وصدقه ؛ ولو لم يره حتى تقوم الساعة ، وقد اتفق أرباب العقول وأهل النقل على ذلك . بل مما تواطأت عليه كلمة جميع أهل الأرض ، فالآن نجد الشرق والغرب يقولون عن المسلمين : إنهم أمة محمد ﷺ . ولا ينكر هذا أحد من الناس ؛ اللهم إلا مكابر ينكر الشمس وهي طالعة في رابعة النهار .

قال الله تعالى : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾(١).

هكذا سمى الله تعالى هذه الأمة ، وكلُّ من اعتنق الإسلام : فهو مسلم ، داخل في هذه الأمة ، وهذا ليس محصوراً في زمن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، بل حتى قيام الساعة .

فكل من آمن به واتبعه ﷺ فمن أمته ، ويوضح هذا ما قاله الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ﴾(٢) فهو شامل لكل من تبعه ، مع أنه عليه السلام قال هذا الدعاء وليس أحدٌ من ذريته موجوداً سوى إسماعيل عليه السلام ، وهو صغير ، فكيف بذريته ولم يوجد أحد . وهكذا يقال عن أمة النبي الكريم ﷺ ، بل هم أقرب ، والله تعالى أعلم .

وكون هذه الأمة هي أمة النبي الكريم ﷺ ؛ فإن هذا يستدعي التزامها بطاعته ﷺ ، لأنها ما كانت بهذا الحجم وهذه الكثرة ، وهذا الاتساع إلا بعد وفاته ﷺ ،

---

(١) سورة الحج (٧٨).

(٢) سورة إبراهيم (٣٦).

ومع هذا بقيت مطيعةً متَّبعةً ملتزمةً مُحِبَّةً له ﷺ .

ومنكر طاعة النبي الكريم ﷺ بعد وفاته هو أحد شخصين : إما هو خارج عن هذه الأمة ، أو يعارض جميع الخلق بقصر الأمة على الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وكلاهما غير صحيح ، والعياذ بالله تعالى .

التاسع والعشرون : لقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم أن الأنبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام هم شهداء على أممهم ، وأن هذه الأمة شهداء للأنبياء والرسل السابقين عليهم السلام على أممهم ، وأن النبي الكريم ﷺ هو شهيد على الأنبياء والرسل السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، كما أنه شهيد على أمته ، وشاهد لها ، لأنه لا أمة بعد أمته ، وما أراد الله تعالى أن يفضحها أمام الأمم ، ولهذا يجعلها السابقة ، إكراماً لنبيها الكريم ﷺ . والنصوص في ذلك كثيرة ، أقتصر على بعضها :

قال الله عز وجل : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[1].

فكيف تكون هذه الأمة شهيدةً للأنبياء السابقين عليهم السلام على أممهم ، ثم كيف يكون الرسول الكريم ﷺ شهيداً على هذه الأمة إذا لم تكن مطيعةً له ، ملتزمةً بسنته ، متأدبةً بآدابه ؟ لأن الشهادة إما أن تكون بالخير فتنجو تلك الأمة ؛ كما هو الحال في هذه الأمة . أو بانحرافها فتهلك . كما هو الحال في شهادته وشهادة أمته للأنبياء السابقين عليهم السلام على أممهم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أن رسولَ الله ﷺ قال : «يُدعى نوحٌ يوم القيامة ، فيقول : لبيك وسعديك يا رب . فيقول : هل بلَّغتَ ؟ فيقول : نعم . فيقال لأمته : هل بلَّغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، فيقول : من يشهدُ

---

(١) سورة النساء (٤١) وانظر : سورة النحل (٨٩) وسورة البقرة (١٤٣) وسورة الحج (٧٨).

لك ؟ فيقول : محمدٌ وأُمَّتُه ، فيشهدون أنه قد بلغ [وفي لفظ : فيُجاء بكم فتشهدون] ويكون الرسول عليكم شهيداً . فذلك قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ . رواه البخاري[1]. وله طرق أخرى .

فلو لم يكن عند الجميع من العلم بحال المشهود عليهم كيف تكون الشهادة ؟ فكونه ﷺ شاهداً لهذه الأمة وشهيداً عليها يقتضي اتباعه وطاعته ﷺ ، لأن شهادته ﷺ ليست خاصة بأصحابه رضي الله تعالى عنهم ، بل هي لكل أمته ؛ مَن حضر عصره ومن بَعُد عنه ، فهو شهيد على الجميع ، فكيف يشهد لهم إذا لم يكونوا مطيعين له مؤمنين به ، ومتبعين ؟. أسأل الله تعالى السلامة والتوفيق .

الثلاثون : ما ثبت عن النبي المصطفى الكريم ﷺ بالتواتر المعنوي من الأمر بالتمسك بسنته ﷺ ، سواء في حال حياته ، أو بعد وفاته ، وذلك لأن العبرة بالأمر ، لا بالزمن الذي صدر فيه الأمر .

إن الدولَ شرقيةً أو غربيةً أو غيرهما ؛ حتى من عرب ومسلمين التي تُدار بقوانين وضعية ؛ يعتمدون على قوانين قديمة ، قد توفي أصحابها ، فيقال : بناء على المادة كذا من القانون كذا ، والصادر بتاريخ كذا ،...إلخ.

ويكون صاحب ذلك القانون قد توفي منذ سنين ، فلو كانت وفاتُه ملغيةً لقانونه لاحتاج الناس في أغلب بلاد العالم إلى تغيير جميع القوانين ، بمجرد زوال أصحابها أو كُتّابها ،... وهؤلاء غير ملتزمين الطاعة شرعاً ، إنما هو التواطؤ على ذلك ، ومع هذا تلزم أقوالهم الطاعة في جميع الأحكام ؛ من دماء وأموال ، وحقوق ، ولا يجوز الخروج عن هذه القوانين والأنظمة ؛ التي أصبحت متعددة ؛ من نظم

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة البقرة ، وكتاب الاعتصام : باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾ ، وكتاب الأنبياء : باب ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ .

العمال ، إلى المرور ، إلى الجمارك ،... بل صارت قوانين دولية حاكمة بين الأمم ؛ وقد مات أصحابها منذ عشرات السنين ، ولا زالت الدول تتحاكم بها ، ومن خرج عنها يقال : خارج عن القانون والنظام ، فكيف نطيع ونسمع ونلتزم بهذه الأنظمة ولم يأمر الله تعالى بها ؟ علماً بأن طاعة أولي الأمر مشروطةٌ بطاعتهم لله تعالى ولرسوله ﷺ ، ومع هذا فالناس ملزَمون بطاعة ما يصدرونه ، بينما النبي الكريم ﷺ قد أمر الله عز وجل بطاعته ، وحرّم عصيانه ومخالفتَه ، ورتب الثوابَ على الطاعة ، والعقابَ على المعصية ، ولم يجعل ذلك لأحد سواه ﷺ ، مما يدل على وجوب طاعته ولو بعد وفاته .

لأن الأخذ بسنته ﷺ ـ بعد وفاته ـ نابع من طاعة الله تعالى الذي أمر بطاعة رسوله ﷺ ، وهو يعلم أنه سيموت ، ومع هذا لم يفرِّق الله تعالى بين نوعي الطاعة ، ولم يخصصها بزمن ، والله تعالى أعلم .

الحادي والثلاثون : إن الذين يرون عدم طاعة النبي ﷺ بعد وفاته ؛ قد غفلوا عن أمر مهم جداً ، وهو أن المشرِّعَ الحقيقي هو الله عز وجل ، أوحى إلى رسوله الكريم ﷺ ما أراد ، وبيّن ذلك له ، فنطق به رسول الله ﷺ(1)، ولهذا كان ﷺ إذا سُئل عن أمرٍ لا علم له به انتظر حتى يأتيه الوحي به ، وكثيراً ما أخبر بمجيء الوحي إليه .

كما أن الذي أمر بطاعة رسول الله ﷺ هو الله عز وجل ، واستُمِدَّ ذلك من أمره تعالى في كتابه الكريم ، فالآمر هو الله تعالى ، وهو باق لا يموت ، وما زال كذلك آمراً ، ومن هنا نلاحظ أن الله تعالى عبَّر عن طاعة رسوله الكريم ﷺ بصيغة المضارع ، بينما عبَّر عن طاعته عز وجل بصيغة الماضي ، للدلالة على أن من يطيع رسول الله ﷺ فهو مطيع لله عز وجل قبل طاعته لرسوله ﷺ ، فقال

(1) انظر : السنة النبوية وحي ، ومختصره .

تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ وطاعةُ الله تعالى لا تتوقف على زمان أو مكان ، لأن الله تعالى خالق الزمان والمكان .

فالذي ينكر طاعة رسول الله ﷺ بعد وفاته يكون قد عصى الله تعالى فيما شرّعه على لسان رسوله ﷺ وفي أمره بطاعة نبيه الكريم ﷺ ، لأن الله تعالى باقٍ وآمرٍ وناهٍ ، كان وما زال ولا يزال كذلك .

فمنكر طاعة رسول الله ﷺ بعد وفاته إما أن يحكم بمعصية الله تعالى ، وهذا كفر ، وإما أن يفصل بين أوامره تعالى ، وهذا كفر أيضاً ، وإما أن يتهم ربه تعالى بأمره طاعة من يموت ، وهذا كفر أيضاً .

إن الله تعالى حكيم ، أرسل الرسل عليهم السلام من البشر أنفسهم ، وقد حكم عليهم بالموت ، ومع هذا فقد ألزم الناسَ طاعتَهَم ، فلا يصح الخروج عنهم ، ويستمدون طاعتهم من أمر الله تعالى خلقَه بذلك . فالآمر حقيقةً هو الله تعالى ، والمطاعُ حقيقةً هو الله عز وجل ، والذي لا يطيع ؛ إنما يعصي الله تعالى ، والعياذ بالله تعالى .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾(1).

إن الذي يؤمن بالله تعالى ولا يؤمن برسوله ﷺ ، أو يؤمن بالنبي ﷺ ولا يؤمن بالله تعالى ، أو يريد أن يفرِّق بين ذلك ؛ فهو الكافر حقّاً ؛ وله العذاب

---

(1) سورة النساء (١٥٠ ـ ١٥٢)

المهين ، بينما المؤمن حقّاً لا يفرِّق بين الله تعالى ورسله عليهم السلام ، وهذا يقتضي الطاعة والامتثال ، في حياة الرسل عليهم السلام أو بعد مماتهم ،... لأن معصيةَ الرسول بعد وفاته تفريق بين الأمر ، والله تعالى أعلم .

الثاني والثلاثون : إن نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية ـ بل حتى في مناطق منها ـ ودخول أهل تلك البلاد المفتوحة في الإسلام وإلى يومنا هذا ؛ إنما كان بعد وفاته ﷺ ، وأعداءُ الإسلام يغيرون على البلاد الإسلامية ، إنما قصدهم محو الإسلام الذي اعتنقه أهلُ تلك البلاد .

فلو كانت طاعته ﷺ لا تجب إلّا في حال حياته ﷺ فقط ، فلم احتاج الصحابةُ الكرامُ ـ الذين رضي الله تعالى عنهم ، وأحبهم ، وشهد لهم ،... ـ أن يهجروا أوطانَهم وأولادَهم ، وأن تُسفكَ دماؤهم خارج الحدود ،... وقبورُ بعضهم شاهدةٌ على ذلك إلى يومنا هذا !!!

إنهم إنما فعلوا ذلك لنشر الإسلام ـ الكتاب والسنة ، وما تفرع عنهما ـ وإخراجِ الناس من الظلمات إلى النور ، حتى يكون الدين كلُّه لله عز وجل ، فلو لم تكن السنةُ النبوية الشريفةُ مطاعةً لما خرجوا من ديارهم وأوطانهم ، وهجروا أزواجهم وذراريهم ، واسترخصوا سفكَ دمائهم .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[1].

فمن اتبع غير سبيلهم فهو مشاقق لله عز وجل ولرسوله الكريم ﷺ ، لذا كان عذابه جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ، وساءت مصيراً .

الثالث والثلاثون : إن مما تواتر عن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ـ بعد وفاة النبي ﷺ ـ أنهم إذا سئلوا عن مسألة فإن وجدوا في كتاب الله تعالى

(١) سورة النساء (١١٥).

أفتوا به ، ولم يتجاوزوه ، وإن لم يجدوا فيه نظروا في سنة رسول الله ﷺ ، فإن كانوا يعلمون منها ؛ قالوا به ولم يتجاوزوها أيضاً ، وإلا سألوا إخوانهم عن سنة النبي الكريم ﷺ ، وهذا ديدنُهم رضي الله تعالى عنهم .

يقف الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه مُذَكِّراً الناسَ في شأن الجَدَّة ، ويأتيه السائلُ ، فيقول له : لا أجد لك في كتاب الله تعالى شيئاً ، ولا أعلم سنةً لرسول الله ﷺ ، فارجع حتى أسأل أصحاب النبي ﷺ .

ومثله قد فعل عمر رضي الله تعالى عنه كثيراً ، وكذا فعل عثمان رضي الله تعالى عنه ،... وهكذا . كما بينتُه في عدد من الكتب .

لقد كانوا رضي الله تعالى عنهم يجيبون بالقرآن الكريم والسنةِ النبويةِ الشريفةِ ، ولا يتجاوزون ذلك إن علموا ، وإلا سألوا .

فلو كانت السنةُ النبويةُ الشريفة ـ زادها الله تعالى رفعةً ـ غيرَ ملزِمةٍ بعد النبي ﷺ لَمَا أفتوا ، وسفكوا الدماءَ ، واستباحوا الأموال والأعراض بها .

إن السنة النبوية الشريفةَ ملزِمةٌ كالقرآن الكريم ، لذا لم يجاوزوها إلى غيرها ، ولو أردتُ سردَ الحوادث لطال البحث[1].

إن الصحابةَ الكرام رضي الله تعالى عنهم أعرفُ الناس بمراد الشرع ؛ لأنه نزل فيهم ، وبلسانهم ، وعايشوه ،... فلما أفتوا بها ، وعملوا بها ، ودافعوا عنها ، وأنكروا على من خالفها ، وفعلوا ما يعرفون ويعلمون ـ وهم رضي الله تعالى عنهم خير البرية بعد الرسل عليهم السلام ـ كان المخالفُ لهم متَّبعاً غيرَ سبيل المؤمنين ، والله تعالى أعلم .

الرابع والثلاثون : إن منكر طاعة النبيِّ الكريم ﷺ بعد وفاته هو على غير ملة الإسلام ، وخارج عن دائرة المسلمين ، إذ لا يصح عنده طاعةُ نبي الإسلام

(١) انظر : نشأة علوم الحديث ، وخبر الواحد ، إفادته وحجِّيَّته .

ﷺ ، بل لا وجود عنده لنبي يتبعه ، ويطيعه ، ويمتثل أمره ، وهذا بخلاف كل المسلمين ؛ الذين يعتقدون باستمرارية طاعة النبي الكريم ﷺ ، المتمثلة باتباعه ، وطاعة سنته ﷺ .

إن من جملة الصحابةَ الكرام رضي الله تعالى عنهم أمرين :

الأول : مشاهدةُ النبي الكريم ﷺ ، لحكمة يريدها الله تعالى ، وهذا أمر طبيعي ، لأن الكون يتجدد ، والتوالد مستمر ، ولا يعيش الجميع في عصر واحد ثم يفنون ، لذا لابد لكل عصر من جيل .

والثاني : اتباعُه ﷺ ، وطاعةُ سنته في أمره ونهيه .

ومن جاء بعدهم إنما بقي لهم الاتباع والطاعة ، إذ فاتتهم المشاهدة والحضور .

إن جيل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم والأجيالِ التي أعقبتهم يشتركون في أمر واحد ، هو : الاتباع والطاعة في الأمور الجليلة والحقيرة[1].

فطالما أن الله تعالى لم يستثن أحداً من الموت ، وأن عجلةَ الزمن مستمرةٌ ، حتى يُنفخ في الصور ، لذا اقتضت حكمتُه تعالى أن يفارق نبيُّه وصفيُّه ﷺ هذه الدنيا ، كما هو الحال في أهل عصره ، ثم تأتي أجيال متعاقبة ، وهم مُلزمون بطاعته واتباعه ، والتدين بدينه ﷺ ، لأن دينه خاتم الأديان ، وهو باقٍ ، والذي أرسله ، وأمر بطاعته واتباعه ، وعدم العنود عنه حي لا يموت .

ولو كانت الطاعة لا تصح إلا في حال الحياة فقط ؛ لما أمات الله تعالى رسولَه الكريم ﷺ ، ولأبقاه حيّاً يُبلِّغ كل إنسان بنفسه ، أو خلقَ الله تعالى جميع الخلق في زمن نبيه الكريم ﷺ ، فيبلغهم جميعاً ثم يموتون معاً ، وهذا كله تعنتٌ ومكابرةٌ ، وخروج عن سنن الفطرة والقدرة ، والله تعالى أعلم .

الخامس والثلاثون : اتفقت كلمة علماء الأمة على اختلاف مدارسهم على

(١) انظر خاتمة (محبة النبيّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد).

أنه لا عبرة بأعيان الأشخاص المخاطَبين في قواعد الشرع الكلِّية ، ولا يختص بأعيانهم الحكم وإن اختص بهم خطاب المواجهة ، إنما العبرة بظاهر النص . فيشمل من كان مواجَهاً بالخطاب ، كما يشمل غيرهم ممن كان على شاكلتهم . ومن هنا يقال : العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب .

فعندما أخبر الله تعالى عن نبيه وصفيه الكريم ﷺ بأنه بشير للمؤمنين ؛ فإن هذه البشارة تشمل كلَّ مؤمن من أمته إلى قيام الساعة .

ولما أخبر الله عز شأنه عن نبيه الكريم ﷺ بقوله : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(١). فإنها تشمل كلَّ المنافقين إلى قيام الساعة .

ولما أخبر الله تعالى عن نبيه وصفيه الكريم ﷺ وعن بشارة الصادِّ المعرض المستكبر ، بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾(٢) فإنه يشمل كلَّ مُعرِضٍ عن الحق إلى يوم القيامة ،... وهكذا .

فكذلك عندما أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله الكريم ﷺ ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ فإنه شامل لكل من هو صالح للخِطاب ، سواء كان في زمانه ﷺ أو من يأتي بعده إلى يوم القيامة . وهكذا يقال في سائر الآيات التي ورد فيها الأمر بالطاعة والاتباع ، والله تعالى أعلم .

وبهذا تجب طاعته ﷺ مِن كلِّ مكلَّف ؛ ولو بعد وفاته ﷺ ، إلى يوم القيامة ، والله تعالى أعلم .

السادس والثلاثون : إن السنة النبوية الشريفة وحي من الله عز وجل ، أوحى

---

(١) سورة النساء (١٣٨).

(٢) سورة لقمان (٧).

بها إلى رسوله الكريم ﷺ ، بأنواع الوحي المختلفة ، وأمر الله تعالى بطاعتها ، فمطيعها مطيع لله تعالى ، ولا يتوقف ذلك على حياة رسول الله ﷺ أو وفاته ، كما لا يتوقف على حضوره ﷺ ـ في حال حياته ـ أو غيابه ، لأن الطاعة في الحقيقة هي لله سبحانه وتعالى .

وقد أمر الله تعالى نبيَّه الكريم ﷺ أن يُخبر الناسَ أنه ينذرهم بالوحي ، فقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾(١). والوحيُ : كتابٌ وسنّة . وسيأتي في الباب السادس إن شاء الله تعالى مزيد من البحث في كون السنة النبوية وحي .

السابع والثلاثون : لقد وردت في كتاب الله تعالى نحو من تسعين آية ؛ يخاطب الله تعالى هذه الأمة بالإيمان : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فهل المخاطبون بهذا الوصف يقتصر على الصحابة رضي الله تعالى عنهم أم يشمل غيرهم ؟ فإن قيل : يقتصر ، فماذا يقال لمن هم بعدهم ؟ وإن قيل : يشمل غيرهم ، وأن المتأخرين يشملهم لأنهم مؤمنون ومن هذه الأمة ، فإن الأمر بالطاعة يشملهم أيضاً ، لجامع الأمر ، وهم مأمورون بها من قِبَل الله تعالى أيضاً .

الثامن والثلاثون : إن الله تعالى جعل سبيل الهداية طاعةَ رسول الله ﷺ ، ولم يقصر ذلك على عصرٍ دون عصر ، بل خاطب بذلك الكفار . فقال عز شأنه : ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾(٢).

فإذا كان الخطاب قد جاء للكفار في زمان رسول الله ﷺ ، فلأن يشمل مَن بعده من باب أولى ، لأن كلَّ الخلق يحتاج إلى الهداية ، وليس قوم بأغنى عنها من

(١) سورة الأنبياء (٤٥).

(٢) سورة النور (٥٤).

قوم ، فكما أن الأولين يحتاجون إليها فالمتأخرون كذلك ، ثم إذا كان الكفار قد طولبوا بها ، فمن ينتسب إلى هذه الأمة فمن باب أولى

التاسع والثلاثون : إن أرباب الديانات السابقة ـ ملتزمون بما تركه لهم رسلهم عليهم السلام ، فهؤلاء اليهود نراهم حتى يومنا هذا يعملون بما تركه موسى عليه السلام والأحبار من التوراة والتلمود والأسفار ، وهؤلاء النصارى يعملون بما تركه عيسى عليه السلام والرهبان من الإناجيل ـ مع أنها مزوّرة ، وكثير مما فيها مكذوب . فما بال القوم يعملون بتراثهم من غير إنكار ، وتظهر في الأمة ناشزة تطالب بالإلغاء !

من هو الأولى بالاتباع والطاعة سنة رسول الله ﷺ وتراثه الذي تركه لنا صحيحاً مصدّقاً سليماً من كل شائبة أم المكذوب المحرّف عندهم ؟!

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾[1] .

الأربعون : لقد مر بيان حرص النبي المصطفى الكريم ﷺ على أمته في الدنيا والآخرة ، وكيف أنه ﷺ يسأل نجاة أمته فيقول : «اللهم أمتي...» ويفوِّض أمرَ نفسه لربه تعالى ، ولا يسأل عنها . لذا فإن القول بعدم طاعته ﷺ بعد وفاته هو من الجحود والإجحاف ، هو يحرص على نجاة المقصِّرين من النار ، ويُخرِج من فيها من المقصِّرين ، ممن في قلبه أقل من مثقال ذرة من الإيمان ، ويعاني نتيجة ذلك ما يعانيه ، ويقول المقصِّرُ : لا يطاع من يشفع له بعد وفاته ﷺ ويحرص عليه .

ثم ما فائدة نطقه بالشهادتين إذا لم تجب طاعته ﷺ بعد أن بيَّن أن من مات عليها دخل الجنة ؟

الحادي والأربعون : إن نشرالسلف الصالح ؛ من الصحابة والتابعين وأتباعهم رضي الله تعالى عنهم للسنة النبوية الشريفة ، وتدوينها ، والحفاظ عليها ،

(١) سورة الصف (٨).

وتأليف الكتب ، والرد على المنكرين ، والوضّاعين ، والمشكِّكين ، وعقدَ العلماء لمجالس التحديث ، والرحلات إلى البلاد البعيدة في طلبها ، والتفننَ في تدوينها ، والتمسك الشديد بها ، والاستدلال على حجيتها ،... ومناظرةَ الخصوم بشأنها ، كل هذا يدل على أن سلف الأمة كانوا يعتقدون بوجوب الأخذ بها ؛ لأنها هي الدين ، وطاعةُ النبي الكريم ﷺ لازمةٌ لهم ، ولو بعد وفاته ، فإذا حذفت السنة النبوية الشريفة ماذا يبقى ؟

إن صاحب هذه الفكرة ـ مع الأسف ـ قد نفَّذ مخططاً عجزت عن تنفيذه جميع الإرساليات التنصيرية مجتمعة في القارة الهندية ، وإن كان شرها قد غزا بعض الأقطار الإسلامية الأخرى .

إن هذه الفكرة تقطع حبال الوصل بين الأرض والسماء ، وتُلغي النبوة والرسالةَ من الأرض ، وتفسح المجالَ لأدعياء النبوة ، في كل زمان ومكان ، وتُلغي الإسلامَ بكامله . لهذا اخترع مؤسس هذه الفرقة الكافرة في القارة الهندية عبادةً جديدةً ، وأبطل كثيراً من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة ، ومَن نظر في ترجمته في كتاب (نزهة الخواطر)[1] رأى العجب العجاب .

إن المسلمين مجمعون على وجوب طاعة النبي الكريم ﷺ ؛ في حياته وبعد وفاته ، وأن ذلك فرض عليهم بأمر الله تعالى ، ولا يجوز لهم الخروج عنه ، أو التهاون فيه ، ومن خالف في ذلك فقد سلب صفةَ النبوة والرسالة ، وعطَّل أمرَ الله عز وجل ، وأبطل الإسلامَ ، ونقض عرى الإيمان ، ورد آيَ القرآن الكريم ، وكلُّ هذا كفرٌ ، والعياذ بالله تعالى .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[2]: لم أسمع أحداً ؛ نسبه الناس أو نسب

(١) نزهة الخواطر (٨ : ٢٨٩) واسمه : عبدالله الجكرالوي .

(٢) الأم (٧ : ٢٥) أو جماع العلم .

نفسه إلى علم يخالف في أن فرضَ الله عز وجل اتباعُ أَمْر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه ، بأن الله عز وجل لم يجعل لمن بعده إلا اتِّباعه ، وأنه لا يلزم قولٌ بكل حال إلا بكتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ، وأن ما سواهما تبعٌ لهما ، وأن فرضَ الله تعالى علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبرعن رسول الله ﷺ واحد ، لا يختلف في أن الفرض والواجب قبولُ الخبر عن رسول الله ﷺ ،... الخ .

وقال الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله تعالى[1]: صح لنا أن الوحي ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله ﷺ على قسمين :

أحدهما : وحي متلو ؛ مؤلَّفٌ تأليفاً ، معجزُ النظام ، وهو القرآن .

والثاني : وحيٌ مرويٌّ منقولٌ غيرُ مؤلَّف ولا معجز النظام ، ولا متلو ، لكنه مقروء ، وهو الخبرُ عن رسول الله ﷺ ، وهو المبيِّنُ عن الله عز وجل مرادَه منا ، قال الله تعالى : ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2].

ووجدناه تعالى قد أوجب طاعةَ هذا القسم الثاني كما أوجب طاعة القسم الأول ؛ الذي هو القرآن ، ولا فرق ، فقال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[3]،...

وصح لنا بنص القرآن أن الأخبار هي أحدُ الأصلَين المرجوعِ إليهما عند التنازع ، قال تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾[4].

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام (١ : ٩٧ ـ ٩٨).

(٢) سورة النحل (٤٤).

(٣) سورة المائدة (٩٢) وسورة التغابن (١٢).

(٤) سورة النساء (٥٩).

قال علي [أي ابن حزم] : والبرهان على أن المرادَ بهذا الرد إنما هو إلى القرآن والخبرِ إلى رسول الله ﷺ ، لأن الأمةَ مجمعةٌ على أن هذا الخطابَ متوجِّهٌ إلينا وإلى كل من يُخلَقُ ويُركَّب روحُه في جسده إلى يوم القيامة من الجِنَّةِ والناس ، كتوجهه إلى من كان على عهد رسول الله ﷺ ، وكلٍّ من أتى بعده عليه السلام وقبله ، ولا فرق .

وقد علمنا ضرورة ؛ أنه لا سبيل لنا إلى رسول الله ﷺ ، وحتى لو شغَّب مشغِّبٌ بأن هذا الخطاب إنما هو متوجهٌ إلى من يمكنه لقاءَ رسول الله ﷺ لما أمكنه هذا الشغب في الله عز وجل ، إذ لا سبيل لأحد إلى مكالمته تعالى ، فبطل هذا الظن ، وصح أن المرادَ بالردِّ المذكور في الآية التي نصّينا : إنما هو إلى كلام الله تعالى - وهو القرآن - وإلى كلام نبيه ﷺ المنقول على مرور الدهر إلينا جيلاً بعد جيل .

قال علي [ابن حزم]: وأيضاً فليس في الآية المذكورة ذكرٌ للقاء ولا مشافهةٍ أصلاً ، ولا دليل عليه ، وإنما فيه الأمرُ بالردِّ فقط ، ومعلومٌ بالضرورة أن هذا الردَّ إنما هو تحكيمٌ ، وأوامرُ الله تعالى وأوامرُ رسوله ﷺ موجودةٌ عندنا ، منقول كلُّ ذلك إلينا ، فهي التي جاء نص الآية بالردِّ إليها ؛ دون تكلُّفِ تأويلٍ ، ولا مخالفة ظاهر .

قال علي [ابن حزم رحمه الله تعالى]: والقرآن والخبرُ الصحيحُ بعضها يضاف إلى بعض ، وهما شيء واحدٌ في أنهما من عند الله تعالى ، وحكمهما حكم واحدٌ في وجوب الطاعة لهما ،...إلخ.

فكما أنه من غير الممكن مشافهة الله تعالى ولقاؤه عند المنازعة ، لعدم طاقة العبد وقدرته في هذه الدنيا ، وإنما هو بالرجوع إلى كلام الله عز وجل في كتابه الكريم ؛ كذلك الحال بالنسبة للنبي الكريم ﷺ بعد وفاته ، إنما هو بالرجوع إلى

أوامره ونواهيه ، وأحكامه المنقولة إلينا ، ومن أنكر أحدَهما فقد أنكرهما معاً ؛ لأنهما سيقا مساقاً واحداً ، كما قال تعالى : ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ ثم إنه لم يرد في أي نص من القرآن الكريم تقييدُ طاعته ﷺ بحياته ، بل الموجود هو عكس ذلك وهو العموم .

ثم إن قوله عز وجل : ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يقتضي عدم التفريق في جنب الله تعالى وجنب رسوله ﷺ ، لأن الطاعة سيقت مساقاً واحداً . وهو الرد إلى الكتاب والسنة ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

الباب الخامس

تحريم معصيته ﷺ لأنه رسول الله

كما أمر الله تعالى بطاعة رسوله الكريم ﷺ ، فإنه تعالى حرَّم معصيته ، وكما تنوّعت مظاهر الطاعة ، كذلك تنوّعت مظاهر المعصية ، وكلها قد جاءت بها آيات كريمات ، وأحاديث نبوية شريفة .

وهذه المعصية المحرَّمة ليست خاصة في أمر معين ؛ كالعقائد مثلاً ، بل هي في جلائل الأمور كما هي في صغارها ، وقد تصل إلى حدِّ الكفر ، والخلودِ في نار جهنم ، وسأبيِّن ذلك كلّه إن شاء الله تعالى ، لكنني أقتصر على ذكر بعض النصوص القرآنية والنبوية ؛ الدّالة على تحريم معصية رسول الله ﷺ ، مع بيان مظاهر ذلك ـ كما فعلت في عامة الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

وليس الذي أذكره خاصّاً بنوع معين ، إنما هو من جهة العموم ، وإلا فهنالك فارق كبير بين جزاء العاصي من هذه الأمة ، وجزاء الكافر المعاند ، وكذا المرتد من هذه الأمة ، فتنبه ، والله تعالى هو المعين .

وأما جزاء العاصي فلا أعني به الجزاء الأخروي فحسب ، بل كل ما يذم المعصية ، ويتصف بها العاصي ، وما يناله من سلبيات في الحياتين . والعقوبات التي ينالها العاصي كثيرة منها الدنيوية ، ومنها الأخروية ، ومنها العقائدية ، ومنها المادية ،... لكنني أقتصر على ذكر بعضها دون الاستقصاء ، كما أني سأقتصر في بيانها ، وأشير إلى موطن الشاهد وذكر الدليل من غير تطويل ولا إسهاب للاختصار في ذلك .

تحريم التقدم بين يديه ﷺ :

لقد أدَّب الله تعالى عباده المؤمنين في تعاملهم مع رسوله وصفيه الكريم ﷺ ،

وقد تنوعت مظاهر هذه الآداب الربانية ، وسورة الحجرات كلها آداب ، أدَّب الله تعالى بها عباده .

ومن ذلك ألا يتقدموا بين يديه ، فلا يقولوا قولاً قبل أن يصدر منه ﷺ ، بل يكونون تبعاً له في جميع الأمور ، ولا يفتاتوا عليه ﷺ بشيء ، حتى يقضي الله تعالى على لسان رسوله ﷺ ما يشاء .

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾(١).

فقد خاطب الله تعالى المؤمنين محذِّراً أن يتكلموا بين يدي كلامه ، أو يتسرعوا بإصدار الفتوى قبله ﷺ ، فكل ذلك إيذاء ، وإيذاؤُه حرام ، ذلك لأن المتَّبعَ يكون وراء متبوعه ، ولا يكون أمامه ، ونحن مأمورون باتباعه ﷺ ، والسير على منهاجه ، والمشي خلفه ، والسعي وراءه ، بينما التقدمُ بين يديه يكون أمامه ، وهذا معارض للاتباع . وسيأتي مزيد بحث في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى .

فإذا كان التقدم بين يديه ﷺ حراماً ، فعدمُ طاعته ومخالفتُه من باب أولى ، والله تعالى أعلم .

التحذير من رفع الصوت فوق صوته ﷺ :

وكما أدَّب الله سبحانه وتعالى المؤمنين بعدم التقدم بين يدي رسوله ﷺ ، فإنه تعالى أدَّبهم أيضاً بعدم رفع الصوت فوق صوته ﷺ ، والجهر له .

ولهذا حذَّر الله تعالى قوماً من رفع الصوت ، كما شنَّع على قوم رَفْعَهُم أصواتهم فوق صوته ﷺ ، وعابهم عليه ، ثم أثنى تعالى على آخرين غضَّهُم أصواتهم عنده ﷺ .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ

(١) سورة الحجرات (١).

لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

ففي الآية الأولى : النهي عن رفع الصوت فوق صوت النبي المصطفى الكريم ﷺ ، وعن الجهر له بالقول كما يجهر بعضنا لبعض ، ومن يفعل ذلك يُحبط عمله وهو لا يشعر .

وفي الآية الثانية : ندب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده ﷺ ، وحثَّ عليه ، وأرشد إليه ، ورغَّب فيه ، وهؤلاء الذين يغضون أصواتهم عنده ﷺ أخلص الله تعالى قلوبهم للتقوى ، وجعلهم أهلاً ومحلاً لها ، وغفر لهم ، وأعطاهم الأجر العظيم .

وفي الآية الثالثة : يذم الله تعالى هؤلاء الذين قدموا إلى المدينة ، فوافقوا رسول الله ﷺ في بيته ، فصاروا ينادونه بأعلى أصواتهم ، فذمَّهم الله تعالى ، وأخبر أن أكثرهم لا يعقلون .

وأرشد **في الآية الرابعة** : لو أن هؤلاء صبروا حتى يخرج النبي ﷺ من بيته ، ثم يكلمونه بما يريدون ، لكان خيراً لهم ، ولكنهم من الأعراب الجفاة

وقد جاءت عدة أحاديث عن حال الصحابة رضي الله تعالى عنهم ؛ سواء في سبب نزول الآية الأولى ، أو حالهم بعد نزولها .

فعن ابن أبي مُليكة رحمه الله تعالى قال : كاد الخيِّران أن يهلكا ـ أبو بكر وعمر ـ رضي الله تعالى عنهما ، لما قدم على النبي ﷺ وفدُ بني تميم ، أشار أحدُهما

---

(١) سورة الحجرات (٢ ـ ٥).

بالأقرع بن حابس التميمي الحنظلي أخي بني مجاشع ، وأشار الآخرُ بغيره ، فقال أبو بكر لعمر : إنما أردت خلافي ، قال عمر : ما أردت خلافك ، فارتفعت أصواتُهما عند النبي ﷺ . فنزلت : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ...﴾ إلى قوله : ﴿عَظِيمٌ﴾.

قال ابن أبي مُليكة : قال ابن الزبير : فكان عمر بعدُ ـ ولم يذكر ذلك عن أبيه : يعني أبا بكر ـ إذا حدَّث النبيَّ ﷺ بحديث حدَّثه كأخي السِّرار ، لم يُسمعه حتى يستفهمه . رواه البخاري[1] وأخرج رواية أخرى[2]. من طريق عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : لما نزلت : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ...﴾ قال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه : والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله ؛ لا أكلمك إلا كأخي السِّرار ، حتى ألقى الله عز وجل . رواه الحاكم ، وصححه على شرط مسلم ، وأقره الذهبي[3].

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس ، فقال رجل : يا رسول الله ؛ أنا أعلم لك علمه ، فأتاه ، فوجده جالساً في بيته منكِّساً رأسه ، فقال له : ما شأنك ؟ فقال : شر ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ ، فقد حبط عمله ، وهو من أهل النار ، فأتى الرجلُ النبيَّ ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا ،...

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة عيينة بن حصن ، وكتاب التفسير : سورة الحجرات : باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

(٣) المستدرك (٢ : ٤٦٢) وانظر الدر المنثور (٧ : ٥٤٨) والمطالب العالية (٤ : ٢٢٠) لرواية أخرى .

فقال موسى [بن أنس]: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: «اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة».

وفي رواية مسلم: وزاد - يعني أنس -: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا رجل من أهل الجنة.

وفي رواية أخرى له: فذكر ذلك سعدٌ للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة». متفق عليه(١).

وقد أدرك الصحابة رضي الله تعالى عنهم عظمةَ مكانة نبيهم ﷺ عند ربه تعالى، وما يلزمهم، وما يجب عليهم من التوقير والتبجيل والاحترام والإعظام،... تجاهه ﷺ، ومن ذلك عدم رفع الصوت عنده، بل حتى في مسجده ﷺ، بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وأعطوه ﷺ حقَّه من الأدب والتعظيم؛ لأن المتَّبع لا يعلو صوتُه صوتَ متبوعِه، بل يكون أخفض منه.

فعن السائب بن يزيد رضي الله تعالى عنه قال: كنت قائماً في المسجد، فحصبني رجل، فنظرت، فإذا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: مَنْ أنتما - أو مِنْ أين - أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ. رواه البخاري(٢)(٣).

---

(١) صحيح البخاري: كتاب المناقب: باب دلائل النبوة في الإسلام، وكتاب التفسير: سورة الحجرات: باب ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾. وصحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، رقم (١٨٧ - ١٨٨).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الصلاة: باب رفع الصوت في المسجد.

(٣) لقد توسعت في بيان حكم رفع الصوت في المسجد النبوي في «فضائل المدينة المنورة» وكيف رفع الله تعالى تعيين ليلة القدر لتلاحي صحابيين رضي الله تعالى عنهما فيه، كما هو في الصحيحين، فانظره إن شئت.

لو رفع أعرابيٌّ صوتَه أمام النبي الكريم ﷺ فإن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم يطالبونه بإخفاض صوته ، تأدباً معه ، حتى لا يُحبط عملُه .

فعن صفوان بن عسّال رضي الله تعالى عنه قال : بينا نحن مع رسول الله ﷺ في مسير له ، إذ ناداه أعرابيٌّ بصوت له جهوريٍّ : يا محمد ، فأجابه النبيُّ ﷺ بنحوٍ من صوته : «هاؤم» فقلنا له : اغضض من صوتك ، فإنك نُهيتَ عن هذا . فقال : لا ، والله لا أغضض من صوتي . فقال : يا رسول الله ؛ المرءُ يحبُّ القومَ ولـمّا يلحق بهم . قال : «المرءُ مع من أحبَّ» الحديث بطوله ، رواه عبد الرزاق والحميدي والطيالسي وأحمد ، وصححه الترمذي وابن حبان[1].

لقد طلب الصحابة رضي الله تعالى عنهم من هذا الأعرابي أن يخفض صوته ، لأنه نُهي عن ذلك ، هذا هو واجبهم رضي الله تعالى عنهم ، ولكن النبي المصطفى الكريم ﷺ عامله بمثل فعله ، ولم يعنِّفه ، ولاطفه استمالةً له ، فيكون ﷺ قد أسقط حقَّه ، والمسلمون قد قاموا بواجبهم .

إذا كان رفعُ الصوت أمامه ﷺ حراماً يُحبط العمل ، ويُدخل صاحبَه النار . فكيف بوجوب طاعته وامتثال أمره ، وتحريم معصيته وإيذائه ﷺ .

تحريم مخالفته ﷺ :

إن الطاعة تقتضي عدم المخالفة ، ولما أمر الله تعالى بطاعة رسوله ﷺ ، وحرَّم معصيتَه : فإن ذلك يقتضي ـ من باب أولى ـ عدم مخالفته . لذا حذَّر الله عز

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١ : ٢٠٥ ـ ٢٠٦) ومسند الطيالسي (١٦٠) ومسند الحميدي (٢ : ٣٨٨ ـ ٣٨٩) ومسند أحمد (٤ : ٢٤٠) وسنن الترمذي : كتاب الدعوات : باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده ، رقم (٣٥٣٥ ، ٣٥٣٦) وصحيح ابن حبان (٢ : ٣٢٢) (٤ : ١٤٩ ـ ١٥١) والمعجم الكبير (٨ : ٦٤ ـ ٦٥ ، ٦٨ ـ ٧٠ ، ٧٢) وهو مروي من طرق مختصراً ومطولاً عند كثير من المصنفات .

وجل من مخالفته ، وتوعَّد مخالفَه بإصابته بفتنة أو عذاب أليم .

قال الله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] .

فبعد ما ذكر الله تعالى حالَ المؤمنين إذا كانوا معه ﷺ لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، وإذا استأذنوه أذن لمن شاء منهم ، ويستغفر لهم ، لما يفوتهم من الخير الكثير في حال غيابهم عنه ﷺ : حذَّر الله تعالى المؤمنين وغيرَهم ألّا يخاطبوه بما يخاطبون به أنفسهم ، فلا يقولوا : يا محمد ، يا ابن عبد الله ، بل عليهم تبجيله وتعظيمه وتسويده ، فيقولون : يا نبي الله ، يا رسول الله ،... وهذا كله أدب ، علَّم الله تعالى المؤمنين كيف يعاملون رسوله الكريم ﷺ .

ثم تحدثت الآية الكريمة عن حال المنافقين الذين يثقل عليهم الحديث ، فيلوذون بغيرهم حتى يخرجوا من مجلسه ﷺ ففضحهم الله تعالى .

ثم حذَّر الله تعالى هؤلاء الذين يخالفون عن أمر رسوله ﷺ ومنهجه وطريقه وسبيله ،... : أن تصيبهم فتنةٌ من جراء ذلك ، أو يصيبهم العذابُ الأليم في الدنيا ، كالقتل أو الحد أو الحبس ،... أو في الآخرة في نار جهنم .

لذا فليحذر من يخالف أمر النبي الكريم ﷺ ونهجه وشرعَه ظاهراً أو باطناً أن يصاب بفتنة في قلبه في الدنيا ، أو بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة

وقد مرَّ حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وفيه قوله ﷺ : «...أنا آخذٌ بحجزكم عن النار ، هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني ، تقحَّمون فيها». متفق عليه . ونحوه من حديث جابر رضي الله تعالى عنه عند مسلم .

لذا فليحذر هؤلاء المخالفون أن يصابوا بهذا البلاء ، لأن من عاش على

---

(١) سورة النور (٦٣).

شيء مات عليه ، ثم بُعث عليه . والله تعالى الموفق والمعين .

تحريم منازعته ومشاقته ﷺ :

إن الطاعةَ تقتضي التسليمَ ، وعدمَ المخالفة ، والاتباعَ يقتضي أن يكون المتَّبعُ وراء متبوعه ، والسمعَ يقتضي التسليمَ ، والقدوةَ تقتضي عدمَ المنازعة ، لذا يحرم منازعةُ الرسول ﷺ فيما يقضي به ، أو يأمر ، أو ينهى عنه ،... كما يحرم سلوكُ غير طريقه إذا كان عن عمد وتصميم ، ومخالفتُه عن قصد ، ومشاقتُه والصدودُ عنه ، لإنه يحبط العمل .

لأن هذا يتنافى مع واجب الطاعة والامتثال لمن أُرسل منقِذاً هادياً ، ومرشداً ناصحاً ، ودليلاً أميناً ، فكيف إذا كان سيد المرسلين ، وإمام المتقين

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ‌* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾[1] .

فهؤلاء الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله تعالى ، وخالفوا رسوله ﷺ وشاقّوه ، وارتدوا عن الإيمان ، فإنهم لن يضروا الله تعالى شيئاً ، إنما يضرون أنفسهم يوم القيامة ، وسيُحبط الله تعالى أعمالهم ، ولن يثيبهم على سالف ما عملوه ، بل يمحقه بالكلية ، لذا عليكم يا معشر المؤمنين بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ ، وإياكم ومعصيته ومخالفته ، وكونوا على حذر أن يُبطل الله أعمالَكم ، كما فعل مع من شاقَّ الرسول ﷺ وخالفه .

وهؤلاء الذين يشاقّون الرسول ﷺ ويسلكون غيرَ طريقه ، وينهجون غيرَ منهجه ، ويتبعون غيرَ سبيله ـ الذي جاء به من ربه تعالى ـ ولا يأخذون بسنته ،

(١) سورة محمد (٣٢ ـ ٣٣).

واتبعوا غير سبيل المؤمنين الصادقين ؛ الذين سلكوا منهجه ﷺ ـ سواء فيما اجتمعوا عليه ، أو خالف نص الشرع ـ فإن هؤلاء يُوَلِّيهمُ الله تعالى ما تَوَلَّوا ، ويُصليهم جهنمَ ، وساءت مصيراً .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾(١).

وقال الله عز وجل ـ بعد ذكره لغزوة بدر وحال الكفار ، وأمر الله تعالى الملائكة بتثبيت المؤمنين ـ : ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ * ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(٢).

وقال الله تعالى ـ عن قصة جلاء يهود بني النضير ـ : ﴿ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾(٣).

فعقوبة المخالِف المشاقِق لأمر رسول الله ﷺ جهنمُ ، يصلاها مذموماً مدحوراً ، مع إحباط العمل ، والعذاب الأليم في الآخرة ، ذلك أن المشاقِق الحقيقي هم الكفار واليهود ، لذا نالوا جزاءهم في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذابٌ أشد ، فعلى المسلم ألّا يكون مثلَهم ، حتى لا ينال العقوبة التي نزلت وتنزل بهم ، والله تعالى أعلم .

(١) سورة النساء (١١٥).

(٢) سورة الأنفال (١٢ ـ ١٤).

(٣) سورة الحشر (٣ ـ ٤).

تحريم محادَّتِهِ ﷺ :

ومما يدخل في هذا الموضوع : تحريم محادَّته ﷺ ، والمحادةُ : المشاقة ، والمحاربة ، والمخالفة ، والمجانبة للحق ،... وهذا كله من صفات المنافقين والكفّار ، وليس من صفات المؤمنين المسلمين .

وعطف لفظ الرسول على لفظ الجلالة ، وجعل المحادّةُ للإثنين : زيادةٌ في بيان تقبيح فعل المحادد ، لذا كان المحاددُ ذليلاً كما حصل لأمثاله .

قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(١).

فهم أُهِينوا ولُعِنوا وأُخْزوا كما حصل لمن سبقهم ممن هم على شاكلتهم .

وقال الله عز وجل ـ مبيناً حال المحادد ، وأنه ذليل حقير مُبْعَدٌ في الدنيا والآخرة ، شقيٌّ ؛ لأنه عاند الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ عندما صار من المحادِّين لله ولرسوله ﷺ ـ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ﴾(٢).

كما بيَّن الله تعالى عقوبةَ هذا المحادد في الآخرة ـ وهي الخلود في النار ، إضافةً إلى الخزي والشقاء ـ فقال الله تعالى عن المنافقين : ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ * أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ﴾(٣).

ويلاحظ إفراد الضمير بعد ذكر لفظ الجلالة ولفظ الرسول ﷺ ﴿وَٱللَّهُ

---

(١) سورة المجادلة (٥).

(٢) سورة المجادلة (٢٠).

(٣) سورة التوبة (٦٢ ـ ٦٣).

﴿وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ ولم يقل : (يرضوهما)، ثم ذكر عقوبة المحادِد ؛ وهي الخلود في نار جهنم ، وهو الخزي العظيم . مع أن الآيات السابقة تتعلق بإيذاء المنافقين لرسول الله ﷺ . لذا رد الله تعالى عليهم بأن محمداً ﷺ رسولُه ، وهو أحق أن يرضوه لو كانوا صادقين ، وأن مخالفتهم ومخاصمتهم له ، ترديهم في نارِ جهنم ، والخلود فيها مع الخزي العظيم ، وكل هذا يدل على وجوب طاعته ﷺ ، وتحريم معصيته ، والله تعالى أعلم .

لذا حذَّر الله تعالى المؤمنين أن يوادّوا من حادَّ الله تعالى ورسولَه ﷺ ، ولو كانوا أقربَ المقرَّبين إليهم .

قال الله تعالى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾(١).

فقد قَتل أبو عبيدة بنُ الجراح رضي الله تعالى عنه والدَه المشركَ .

وهمَّ أبو بكر رضي الله تعالى عنه قَتْلَ ولده عبد الرحمن وكان كافراً .

وقتل مصعبُ بن عُمير رضي الله تعالى عنه أخاه عُبَيْدَ بن عُمير كافراً .

وقتل عمرُ بنُ الخطاب رضي الله تعالى عنه قريباً له ، وكلهم يوم بدر .

كما قتل علي وحمزة وعُبيدةُ بنُ الحارث رضي الله تعالى عنهم عتبةَ وشيبةَ ابْنَيْ ربيعة والوليدَ بنَ عتبة يوم بدر مبارزة أيضاً .

فهذا شأن المؤمنين الصادقين الذين أيدهم الله تعالى ، ويدخلهم جنات

---

(١) سورة المجادلة (٢٢).

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، مع إحلال رضوانه عليهم ، فأفلحوا لأنهم حزب الله تعالى ، بينما الذين قُتِلوا كفاراً كانوا حزب الشيطان .

فإذا كان المحادُّون في الأصل هم من الكفار والمنافقين ، فلا يجوز أن يَتَّصِف بصفاتهم المؤمنون ، والله تعالى أعلم .

تحريم إيذائه ﷺ :

إن معصيةَ المطاع إيذاءٌ له ، لذا حرَّم الله تعالى إيذاءَ نبيه وصفيه ﷺ بكل أنواع الإيذاء ، من قول أو فعل أو إشارة ،... وما كان للمؤمنين أن يؤذوا رسولهم ﷺ ؛ لأن مؤذيه ﷺ ملعون مطرود من رحمة الله تعالى . وكان الواجبُ عليه توقيرَه واحترامَه وتبجيلَه ،... ﷺ لا إيذاءه .

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾(1) .

فقد حظر الله تعالى على المؤمنين دخولَ بيوت النبي الكريم ﷺ ، إلا إذا أذن لهم ، وإذا طعمتم فخفِّفوا عن أهل البيت ، ولا تجلسوا يتمادى بكم الحديث ، فإن هذا مما يؤذي رسوله ﷺ . ولا ينهاكم عن ذلك لشدة حيائه ﷺ . ولا يجوز لكم أن تؤذوه ﷺ ، ولا تتزوجوا نساءه من بعده ﷺ ؛ لأنهن زوجاته في الدنيا والآخرة ، وأمهات المؤمنين ، وعلى ذلك انعقد الإجماع . لذا شدَّدَ الله تعالى فيه ،

---

(1) سورة الأحزاب (٥٣).

وتوعد عليه فقال : ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ .

وقد أخبر الله تعالى عما يفعله المنافقون من إيذائهم لرسوله الكريم ﷺ ، ثم عمَّمَ الله تعالى الحكمَ ، ليشملهم وغيرَهم ، فكل من يؤذي رسولَ الله ﷺ فله عذاب أليم .

قال الله عز وجل : ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(1) .

لذا هدَّدَ الله تعالى وتوعَّدَ من آذاه وآذى رسوله ﷺ ـ سواء بمخالفة أمره أو ارتكاب ما زجر عنه ، أو عابَ رسولَه الكريم ﷺ بنقصٍ أو عيبٍ ، أو طعنٍ فيه ،... أو أي شيء فيه إيذاء ـ فقد لعنه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وله العذاب المهين ؛ لأن إيذاءَ رسول الله ﷺ إيذاءٌ لله تعالى ، كما أن طاعتَه ﷺ طاعةٌ لله تعالى ، ومبايعتَه ﷺ مبايعةٌ لله تعالى ، لأنه مرسِلُه .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾(2) .

لذا حذَّر ﷺ من إيذاء أحد من أهل بيته ، أو أصحابه رضي الله تعالى عنهم جميعاً ؛ لأن في ذلك إيذاءاً له ، وإيذاؤه ﷺ إيذاء لله تعالى ، ومن آذى الله تعالى أو رسوله ﷺ ، فهو ملعون ، وله العذاب المهين يوم القيامة(3) .

---

(1) سورة التوبة (٦١).

(2) سورة الأحزاب (٥٧).

(3) انظر : فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، وساكن المدينة المنورة منزلته ومسؤوليته .

توعد المتثاقلين عن إجابته ﷺ :

لقد عاتب الله تعالى المتثاقلين عن إجابة رسوله وصفيِّه الكريم ﷺ ، والمتخلفين عنه ﷺ ، وأنهم لو سمعوا قوله ﷺ وأطاعوه واتبعوه لكان خيراً لهم ، وأنفع لهم ، وأكثر لهم أجراً .

قال الله تعالى ـ في توعد المتثاقلين والمتخلفين عنه ﷺ ـ : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١).

فهو تعالى يعاتب هؤلاء المتخلفين عن رسوله ﷺ والمتثاقلين عنه وعن طاعته ﷺ يوم غزوة تبوك ، فكم فاتهم من الأجر ، حيث إنهم لا يصيبهم عطش ولا تعب ولا مجاعة ،... ولا ينزلون منزلاً يُرهبون به العدوَّ ، ولا يظفرون بهم ، إلا كَتب لهم أعمالاً صالحة وثواباً جزيلاً ، بل لا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ، ولا يقطعون في سيرهم وادياً ليصلوا إلى عدو ، إلا كتب الله تعالى لهم أحسن ما كانوا يعملون ، وكلما ابتعدوا عن أهلهم اقتربوا من ربهم ، فكم فوَّت هؤلاء المتخلِّفون من أجرٍ وثوابٍ ، ولو أطاعوا رسول الله ﷺ ، وساروا معه حين ندبهم ؛ لنالوا كل هذه الأجور ، وحصل لهم كل ذلك الثواب ، وكتب لهم كل تلك الأعمال .

---

(١) سورة التوبة (١٢٠ ـ ١٢١).

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا...﴾ الآية(١).

كما أنه تعالى عاتبهم في تأخرهم عن نصرة نبيِّه الكريم ﷺ ، وأعلمهم أنهم إن لم ينصروا رسولَه ﷺ فإن الله تعالى ناصرُه وكافيه وحافظه ،... فإذا نصره الله تعالى يومَ لم يكن معه إلّا صاحبه الصِّدّيق الأكبر رضي الله تعالى عنه ، فكيف يتخلَّف عنه الألوف ولا ينصروه ، ثم كيف لا ينصره الله تعالى ، وهو ناصرُه ومؤيِّده وحافظه ، لذا من لم يفعل من أتباعه فهو النادم . ثم ذكر تعالى قصة الهجرة والدخول في الغار مع الصديق رضي الله تعالى عنه .

فإذا عاتب الله تعالى المتثاقلين عن إجابته ﷺ ، والمتخلفين عن اللحوق به ـ وأنهم ما كان لهم التخلف ـ فكيف بالذي يعصي جهاراً ، ويخالف عناداً ، ولا يطيع عمداً ،...؟ والعياذ بالله تعالى .

وجوب استئذانه ﷺ عند الانصراف :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى من لوازم الإيمان : ألّا يذهب من كان مع رسوله ﷺ لبعض شأنهم حتى يستأذنوه ، وجعل ذلك من صفات المؤمن الصادق مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ .

فإذا كان الاستئذان منه ﷺ واجباً ومطلوباً ممن يريد أن يذهب لبعض شأنه ، فأولى أن يكون ذلك من لوازم طاعته ﷺ ، وألّا يخالف قولَه ، وألّا ينتحل رأيَ غيره ،... حتى يستأذنه ﷺ ، وهيهات ذلك ، إذ لا يوجد رأيٌ ولا مذهبٌ ولا اعتقادٌ ،... أفضلَ من رأيه ﷺ ومذهبه ومعتقده .

---

(١) سورة التوبة (٤٠).

قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى[2]: فإذا جعل الله تعالى من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهباً إذا كانوا معه ﷺ إلا باستئذانه ، فأولى أن يكون من لوازمه ألّا يذهبوا إلى قولٍ ، ولا مذهبٍ علميٍّ إلا بعد استئذانه ، وإذْنُهُ ﷺ يُعرف بدلالة ما جاء به ، على أنه إذنٌ منه.اهـ.

إذا كان من لوازم الإيمان : الاستئذانُ بالذهاب لمن أراد منهم قضاءَ حاجة في شأن من شؤونه ، فكيف لا يكون من لوازم الإيمان : الطاعة والامتثال والتسليم الكامل ؟ - بل هو أولى - والله تعالى أثبت لهؤلاء الإيمانَ بالله تعالى وبرسوله ﷺ ، ثم علَّق الإجابة من رسوله ﷺ على إرادته ﴿لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ ثم طلب من رسوله ﷺ أن يستغفر للمستأذِنين الذين وافق وأن أذن لهم ، لما يفوتهم من الخير ، ولتقديمهم محابَّهم على محابِّ الله تعالى ومحابِّ رسوله الكريم ﷺ وقربه . والله غفور رحيم ، والله تعالى أعلم .

تحريم التولي عن طاعته ﷺ :

لقد أوجب الله تعالى على المؤمنين طاعته تعالى وطاعةَ رسوله ومجتباه ﷺ ، وحرَّم عليهم أن يتركوا طاعته تعالى وطاعةَ رسوله ﷺ ، كما حرَّم عليهم التولي عن رسوله ﷺ وتركه ؛ لأن التولي عنه ﷺ من صفات الكفار والملحدين ، ولهذا اعتبر المولى تعالى التولي عن رسول الله ﷺ كفراً ، علماً بأن الناس لو تولَّوا

---

(١) سورة النور (٦٢).

(٢) إعلام الموقعين (١ : ٥٨).

عن رسول الله ﷺ فإن توليهم عنه ليس بضاره شيئاً ؛ لأن عليه ﷺ البلاغ وقد بلَّغ ، إنما الذي يتضرر هو المتولي والمعانِد والمخالِف .

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۞إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ۞ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[1].

فيزجر الله تعالى عباده المؤمنين ـ بعد أمره بطاعته تعالى وطاعة رسوله ﷺ ـ عن مخالفته ، والتشبه بالكافرين المعاندين ، لهذا قال : ﴿وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ﴾ أي لا تتركوا طاعتَه ، وامتثالَ أوامره ، وترك زواجره ، ولا تتشبهوا بالكفار المشركين أو المنافقين ، فهم شر لا يعقلون .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾[2].

فهؤلاء المنافقون يقولون بألسنتهم إنهم آمنوا وأطاعوا ، ولكن يخالفون بأفعالهم أقوالَهم ، ويتولَّون ويعرضون ، لهذا قال الله تعالى عنهم : ﴿وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وإذا طلب إليهم اتباع النبي الكريم ﷺ فيما أنزل الله تعالى عليه ؛ أعرضوا وتنكبوا واستكبروا ، وما ذلك إلا لكفرهم وعنادهم .

ثم بيَّن الله تعالى عقوبةَ المتولّي عن رسوله الكريم ﷺ والمقبل على الدنيا ،

---

(١) سورة الأنفال (٢٠ ـ ٢٣).

(٢) سورة النور (٤٧ ـ ٤٨).

والتارك ما يأمر به رسول الله ﷺ ، فقال تعالى : ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(١).

فانظر إلى المقابلة : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ﴾ و ﴿وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ يكون ذلك في الدنيا والآخرة ، فشأن المؤمن : الطاعة والامتثال ، بينما المتولّي عن رسوله الكريم ﷺ : فله العذاب الأليم في نار الجحيم ، والعياذ بالله تعالى ، والله تعالى أعلم .

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٢).

فمن خالف أمره ﷺ ، فإن الله تعالى لا يحبه ، وهذا دالٌّ على أن مخالفته ﷺ في طريقه ومذهبه كفر ـ والعياذ بالله تعالى ـ وأن الله تعالى لا يحب من اتصف بذلك ، وإن ادَّعى المحبة ، وزعم التقرب ، حتى يتابع الرسول ﷺ ، ولا يسعه إلّا ذلك ، والله تعالى أعلم .

ومن تولى فإنما يضر نفسه ويهلكها ، ولا يضر رسول الله ﷺ ؛ لأن على رسول الله ﷺ البلاغ ، وقد بلَّغ .

قال الله عز وجل بعد ذكره لتحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام : ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٣).

---

(١) سورة الفتح (١٧).

(٢) سورة آل عمران (٣١ ـ ٣٢).

(٣) سورة المائدة (٩٢).

وقال الله عز وجل : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[1].

فمِن الله عز وجل الرسالة ، وعلى الرسول ﷺ البلاغ ، وعلينا التسليم والطاعة ، فمن نكل عن الطاعة والعمل : فعليه ما حُمِّل ، وأمره إلى الله تعالى ، يعذبه بما يشاء ؛ لأن رسول الله ﷺ قد بلَّغ ، والله تعالى أعلم .

تحريم معصيته ﷺ :

وكما أمر الله تعالى بطاعة رسوله وصفيه ﷺ واتِّباعه والاقتداء به ،... : فإنه تعالى حرَّم معصيتَه ﷺ ، وجعلها ضلالاً مبيناً ، وأعد للعاصي العذابَ الشديد ، وإذا كانت المعصية في العقيدة فله الخلود في نار الجحيم ، إضافة إلى العذاب الشديد فيها ، وهذا يدل على عظم ذنب العاصي .

لذا حرَّم الله تعالى على المؤمنين أن يتشبهوا بصفات الكفار والمنافقين فيتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول . كما سيأتي بيان تحريم المناجاة بمعصية الرسول ﷺ ، وأن من يفعل فحسبه جهنم وبئس المصير ، وأن ذلك من صفات اليهود والمنافقين .

ولما كان لا أعظم على المؤمن نعمةً من : نعمة الإيمان : ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾[2] ونعمةِ الرسول ﷺ : ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾[3] لذا حرَّم على المؤمنين معصيته ﷺ ، كما فعل فرعون مع رسوله موسى عليه السلام ، فاستحق فرعونُ العذابَ الشديدَ ، وكذا

---

(١) سورة التغابن (١٢).

(٢) سورة الحجرات (١٧).

(٣) سورة آل عمران (١٦٤).

يستحق كل من عصى رسول الله وصفيَّه الكريم ﷺ العذابَ الشديدَ

قال الله عز وجل : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا * فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾[1]، فاحذروا إن كذَّبتم رسوله وصفيه ﷺ أن يصيبكم ما أصاب فرعون ، حيث أخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر .

ومعصيةُ الرسول ﷺ لا يختص بها الرجال ، بل تشمل النساء ، وتقع منهن كما تقع من الرجال ، لذا أمر الله تعالى رسولَه ومصطفاه ﷺ ، إذا بايع النساء أن يشترط عليهن عدم معصيته ﷺ .

قال الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

وهكذا كان النبي ﷺ يبايع النساء على هذه الشروط .

عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية ، بقول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ : ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

قالت : فمن أقرَّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ : «قد بايعتك» كلاماً ، ولا والله ما مسَّت يدُه يدَ امرأة قط في المبايعة ، ما يبايعهن إلا بقوله : «قد بايعتك على ذلك». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[3].

---

(١) سورة المزمل (١٥ ـ ١٧).

(٢) سورة الممتحنة (١٢).

(٣) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الممتحنة ، باب : ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ =

وعن أُمَيْمَة بنت رُقَيْقَة رضي الله تعالى عنها قالت : أتيتُ رسولَ الله ﷺ في نسوة يبايعنه ، فقلن : نبايعك يا رسول الله على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيك في معروف ، فقال رسول الله ﷺ : «فيما استطعتن وأطقتن».

قالت فقلت : الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، هلمَّ نبايعك يا رسول الله ، فقال رسولُ الله ﷺ : «إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة ، أو مثل قولي لامرأة واحدة». رواه مالك والطيالسي وأحمد والحميدي والنسائي وابن ماجه ، وصحّحه الترمذي الحاكم وابن حبان وغيرهم[1]. والنصوص في هذا المعنى كثيرة.

وقد كان ﷺ يتعهد هذا المعنى الوارد في هذه البيعة ، ويكرِّر ما جاء فيها في كل مناسبة يجتمع فيها عدد كبير من النساء ، وبقي هذا الأمر حتى السنوات الأخيرة من حياته ﷺ .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : شهدت الصلاة يومَ الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالى عنهم ، فكلهم

= مُهَٰجِرَٰتٍ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب كيفية بيعة النساء ، رقم (٨٨ ـ ٨٩).

(١) الموطأ : كتاب البيعة : باب ما جاء في البيعة (٢ : ٩٨٢ ـ ٩٨٣ رقم ٢) ومسند أحمد (٦ : ٣٥٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٩) وسنن الترمذي : كتاب السير : باب ما جاء في بيعة النساء ، رقم (١٥٩٧) وسنن النسائي : كتاب البيعة : باب بيعة النساء (٧ : ١٤٩) والسنن الكبرى له : كتاب السير : باب بيعة النساء (٥ : ٢١٨) والتفسير له (٢ : ٤٢١ ـ ٤٢٢) وعشرة النساء له ـ مختصراً ـ (٣٠٥) وسنن ابن ماجه : كتاب الجهاد : باب بيعة النساء ، رقم (٢٨٧٤) ومسند الطيالسي (٢٢٥ رقم ١٦٢١) ومسند الحميدي (١ : ١٦٣ رقم ٣٤١) والمستدرك (٤ : ٧١) وصحيح ابن حبان (٧ : ٤١) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٤٦) والمعجم الكبير (٢٤ : ١٨٦ ـ ١٨٩ رقم ٤٧٠ ـ ٤٧٦).

كان يصليها قبل الخطبة ، ثم يخطب بعد . فنزل النبيُّ ﷺ فكأني أنظر إليه حين يُجلِّس الرجالَ بيده ، ثم أقبل يشقُّهم حتى أتى النساءَ مع بلال ، فقال : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ...﴾ حتى فرغ من الآية كلها ، ثم قال حين فرغ : «أنتن على ذلك ؟» وقالت امرأة واحدة ـ لم يجبه غيرها ـ : نعم يا رسول الله ، قال : «فتصدَّقن» فبسط بلال ثوبَه ، فجعلن يلقين الفَتْخَ والخواتيمَ في ثوب بلال . لفظ البخاري[1].

وهذا الحديث إنما وقع في آخر حياته ﷺ ؛ لأن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان قدومه المدينةَ المنورةَ بعد فتح مكة ، كما هو معلوم ، وهو يقول : شهدتُ الصلاةَ ،... مع رسول الله ﷺ .

وقد بايع النبيُّ الكريم ﷺ بعض الصحابة الكبار ممن شهدوا بدراً ، بل إن منهم نقباء ؛ من أهل بيعة العقبة . هذه البيعة أيضاً .

فعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال ـ وحوله عصابة من أصحابه ـ : «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا [في رواية الإسماعيلي : ولا تعصوني] في معروف ، فمن وفَّى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعُوقب في الدنيا فهو كفارةٌ له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه». فبايعناه على ذلك . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الممتحنة : باب ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ ، وفي غيرهما .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب (١١) حدثنا أبو اليمان ، وفي غيرهما . وصحيح =

والمعصية لرسول الله ﷺ ضلالٌ مبين ؛ لأن الأصل بالمسلم : الطاعة والتسليم .

قال الله عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(١). مع ملاحظة العطف .

وقد تكون عقوبةُ معصية رسول الله ﷺ ـ إذا كانت كفراً ، كأن يكذِّب رسول الله ﷺ ، ويجحد رسالته ، ولا يقبل قوله ـ: هي الخلود في نار جهنم .

قال الله عز وجل : ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۞ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾(٢).

فإذا ما دخلوا النار ووجدوا فيها ما وُعِدوا من العذاب الأليم ، علموا ضعفَ ناصرهم ، وقلةَ عددهم ، بخلاف المؤمنين الصادقين المطيعين ، لذا ذكر الله تعالى حال الفريقين : المؤمنين الصادقين المخلصين المطيعين ـ لهم جنات تجري تحتها الأنهار والخلود فيها ـ والعصاة المخالفين الكافرين ـ لهم العذاب المهين ، والخلود في نار الجحيم .

قال الله تعالى : ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا

= مسلم : كتاب الحدود : باب الحدود كفارات لأهلها ، رقم (٤١ ـ ٤٤).

(١) سورة الأحزاب (٣٦).

(٢) سورة الجن (٢٢ ـ ٢٤).

فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1].

فمكافأة المطيع : الخلودُ في الجنة ، والنعيم المقيم ، والفوز العظيم . وعقوبة العاصي ، والمتعدِّ لحدود الله : الخلودُ في النار ، والعذاب المهين .

فلو لم تكن طاعته ﷺ واجبةً مفروضةً لما استحق المطيع له : الخلودَ في الجنة والفوز العظيم ، كما لو لم تكن معصيتُه ﷺ كبيرة محرَّمةً ، لما استحق العاصي : الخلودَ في النار ، والعذابَ المهين ، والله تعالى أعلم .

وإذا ما حُشر الناس يوم القيامة ، ورأى العاصي عقوبتَه وسببَها ، ورأى ثوابَ المؤمنين الطائعين ،... فإنه يندم على ما كان قد فَرَط منه ، وتمنى لو فعل خلاف المعصية ، ولكن هيهات .

قال الله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾[2].

لقد قرن الله تعالى بين الكفر ومعصية الرسول ﷺ ، في ذلك الموقف الرهيب ـ يوم يرى العصاةُ مغفرةَ الله تعالى للمذنبين من المؤمنين ، وحلولَ الخزي والفضيحة على الكفار المعاندين ـ : يتمنون أن لو كانوا قد سويت بهم الأرض ، فينكرون ، ولكن جوارحهم تنطق بما فعلوا ، ولا يكتمون الله تعالى شيئاً ، ولهذا يقولون :

كما قال الله تعالى عنهم : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ

(١) سورة النساء (١٣ ـ ١٤).

(٢) سورة النساء (٤١ ـ ٤٢).

جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴾(1). ولكن هل ينفع الندم آنذاك ؟ لا .

لذا أمر الله تعالى رسولَه الكريمَ ﷺ أن يتبرأ مِن عمل مَن يعصيه .

قال الله عز وجل : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ * وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ * فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾(2).

ويلاحظ قوله تعالى : ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ فقد تبرأ من أعمالهم ، ولم يتبرأ من ذواتهم ، لاحتمال هدايتهم بعد حين .

لذا لا يسمع أحدٌ بالنبي ﷺ ؛ من يهوديٍّ أو نصرانيٍّ أو غيرهم : ثم لم يؤمن بالنبي ﷺ وبما جاء به ، ولم يتبعه ، إلا دخل النار ؛ لأنه كافر يستحقها .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم(3).

وفي رواية أحمد وأبي عوانة والبغوي بسند على شرطهما(4). وهو ضمن صحيفة همّام ، عنه رضي الله تعالى عنه بلفظ «ولا يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ» ـ بواو العطف ـ فيدخل في النص : العرب واليهود والنصارى .

لذا أمر ﷺ أمته أن تفعل ما أمرها به ـ حسب طاقتها ـ وأن تجتنب ما نهاها عنه ؛ لأنه يأمر بما هو مستطاع ، وهو باستطاعتها ، وقد سبق بيان ذلك

(1) سورة الفرقان (٢٧ ـ ٢٩).

(2) سورة الشعراء (٢١٤ ـ ٢١٦).

(3) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، رقم (٢٤٠).

(4) مسند أحمد (٢ : ٣١٧) ومسند أبي عوانة (١ : ٩٧ ، رقم ٣٠٧) وشرح السنة (١ : ١٠٤) وانظر صحيفة همّام (٤٠٩ ، رقم ٩١).

ولا يشترط بالمعصية أن تكون مخالفةً لقوله ﷺ ، بل قد تكون للفعل ، وقد يكون الفعل أبلغ من القول في النهي ، لذا كان المخالفُ عاصياً .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان ، فصام حتى بلغ كُراعَ الغميم ، فصام الناس ، [فقيل له : إن الناس قد شقَّ عليهم الصيام ، وإنما ينظرون فيما فعلتَ ، فدعا بقدحٍ من ماءٍ بعد العصر] فرفعه ، حتى نظر الناسُ إليه ، ثم شرب ، فقيل له : إن بعض الناس قد صام ، فقال : «أولئك العصاة ، أولئك العصاة». رواه مسلم[١].

فالفطر والصوم في السفر جائزان ، لكن لما قيل له ﷺ : إن الناس قد شقَّ عليهم الصيام . أَفْطَرَ ، فكان فعلُه ﷺ ـ وهو الفطرُ ـ أبلغَ من أمره لو أمرهم بالفطر ، فلما لم يفطر هؤلاء كانوا عصاةً ؛ لأنه ما أفطر إلا لما شقَّ عليهم ، فاستحقوا هذا الوصفَ .

وقد بيّن رسول الله ﷺ عقوبة من يعصيه ، وهي دخول النار ، وبيان سببها ، كما بيّن ﷺ ثواب من يطيعه ، وهو دخول الجنة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «كلُّ أمتي يدخلون الجنةَ إلا من أبى» قالوا : يا رسول الله ؛ ومن يأبى ؟ قال : «من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى». رواه البخاري[٢].

وقد جاء نحوُه عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم . وسيأتي مزيد بيان في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى .

لأن من عصى رسولَ الله ﷺ فهو عاصٍ لله تعالى الذي أرسله ، كما أن من

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الصيام : باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية ، رقم (٩٠ ـ ٩١) وما بين المعكوفتين فهو من رقم (٩١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

أطاعه ﷺ فقد أطاعَ الله تعالى الذي أرسله .

وقد سبق ذكر حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وفيه قوله ﷺ : «من أطاعني فقط أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ،...»[1]. متفق عليه. وروى البخاري نحوه من حديث جابر رضي الله تعالى عنه[2].

وهكذا كان الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في اتّباعهم لرسولهم وحبيبهم ﷺ وطاعتهم ، وعدم معصيتهم له ، ولو كان الأمر فوق طاقتهم ، حتى يخفف الله تعالى عنهم ، رحمةً بهم ، وشفقةً بهذه الأمة ،...

وإذا قارنا بين هذه الأمة ، وبين من سبقها اتضح لنا الفارق الكبير .

فقد قال الله تعالى عن اليهود : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ * وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

وقال الله تعالى عنهم أيضاً : ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، رقم (٣٢ـ٣٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ .

(٣) سورة البقرة (٩١ـ٩٣).

﴿أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

إلى غير ذلك من الآيات .

فأي إيمان يأمرهم بعدم الطاعة والامتثال ؟ وهم قد عصوا ، وعبدوا العجل ، وقتلوا الأنبياء ، وحرَّفوا الكتاب المنزل عليهم ، وكفروا بما جاءهم من الحق ،... وعصوا أمرَ ربهم ، وأمرَ رسولهم عليه السلام ، لذا لعنهم الله تعالى بكفرهم ، فلا يؤمنون إلا قليلاً .

بينما صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله تعالى عنهم على النقيض تماماً ـ والحمد لله تعالى ـ حيث ضربوا المثل الأعلى في الطاعة والامتثال ، والسمع والتسليم ، وقد شهد الله سبحانه وتعالى لهم بذلك .

لما نزل قول الله تعالى : ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، اشتدَّ ذلك عليهم رضي الله تعالى عنهم ، وخافوا منها ، ومن محاسبة الله عز وجل لهم على جليل الأعمال وحقيرها ، وذلك من شدة إيمانهم ، وصدق يقينهم ، وحسن توجههم رضي الله تعالى عنهم ، فأتوا رسول الله ﷺ ، فجثوا على الركب ،... حتى نسخها الله تعالى ، ويتضح هذا مما يلي :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : لما نزلت على رسول الله ﷺ : ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. قال : فاشتد

---

(١) سورة النساء (٤٦).

(٢) سورة البقرة (٢٨٤).

ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، فأَتَوْا رسولَ الله ﷺ ، ثم بركوا على الرُّكَب ، فقالوا : أي رسول الله ، كُلِّفنا من الأعمال ما نطيق : الصلاة والصيام والجهاد والصدقة ، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ، ولا نطيقها . قال رسول الله ﷺ : «أتريدون أن تقولوا كما قال أهلُ الكتابَيْن من قبلكم سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا وإليك المصير» قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، فلما اقترأها القوم ، ذَلَّت بها ألسنتُهم ، فأنزل الله في إثرها : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1]. فلما فعلوا ذلك ، نسخها الله تعالى ، فأنزل الله عز وجل : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ قال : نعم . ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرًا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ قال : نعم . ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ قال : نعم . ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[2] قال : نعم . رواه مسلم[3].

وروى مسلم[4] نحوَه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، بلفظ «قد فعلتُ».

---

(١) سورة البقرة (٢٨٥).

(٢) سورة البقرة (٢٨٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان أن الله سبحانه وتعالى لم يكلِّف إلا ما يطاق ، رقم (١٩٩).

(٤) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٠٠).

لهذا تجاوز الله تعالى عن حديث النفس رحمةً بهذه الأمة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله تجاوز لأمتي ما حدَّثَت به أنفسها ، ما لم يتكلَّموا أو يعملوا به». متفق عليه(١)، والنصوص كثيرة في ذلك(٢).

فلما سلَّموا وسمعوا وأطاعوا ، تجاوز الله سبحانه وتعالى لهم عما حدَّثوا به أنفسَهم ، رحمةً بهم ، وشفقةً عليهم ، بخلاف ما كان في الأمم السابقة حيث عصوا وتنكبوا وخالفوا .

لذا حثَّ ﷺ على قراءة هاتين الآيتين ، تذكاراً لهذه النعمة ، وشكراً على هذه المكرمة ، لذا من قرأهما في ليلةٍ كفتاه .

فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله تعالى عنه قال : قال النبي ﷺ : «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلةٍ كفتاه». متفق عليه(٣).

فيبقى المؤمن ـ في تكراره لهذه الآيات ـ متذكِّراً ما حصل للمُسَلِّم المطيع ، لينال ثوابَ الله تعالى الغفور الرحيم ، وعفوَه ومغفرتَه ، والله تعالى أعلم .

أخذ الله تعالى الميثاق له ﷺ من جميع الأنبياء عليهم السلام :

ومما يدل على وجوب طاعته ﷺ من قِبَلِ أمته وغيرِها حتى أخر الزمن : أخذُ الله تعالى الميثاق له ﷺ من جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ، هذا الميثاق

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الطلاق : باب الطلاق في الإغلاق والمكره والسكران ،... ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر ، رقم (٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٢) انظر : فضائل النبيِّ الكريم ﷺ ،... فقد توسعت في ذكر النصوص .

(٣) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب فضل سورة البقرة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ، رقم (٢٥٥ ـ ٢٥٦).

هو الإيمانُ به ﷺ ونصرتُه وتأييدُه واتباعُه ، كما أمر الله تعالى هؤلاء الرسل أن يأمروا أقوامَهم ـ ممن يدرك منهم زمانه ﷺ ـ أن يؤمن به وينصره ويتبعه ويطيعه ،... ﷺ .

قال الله عز وجل : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[(١)].

قال علي بن أبي طالب وعبد الله ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ، وقتادة والسدي ـ وقريب منه قول الحسن وطاووس ـ كما ذكر ذلك الطبري وابن كثير والسيوطي وغيرهم من أهل التفسير بالمأثور ، عند تفسير هذه الآية ـ : ما بعث الله نبيّاً من الأنبياء ـ من لدن نوح ـ إلّا أخذ ميثاقَه ، ليؤمنن بمحمد ﷺ ولينصرنه إن خرج وهم أحياء ،...اهـ.

تنبيه : يلاحظ في هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ليشمل كلَّ نبي ورسولٍ ، لأن النبيَّ من نزل عليه الوحيُ ولم يُؤْمر بتبليغه ، أما الرسولُ فهو من نزل عليه الوحي وأُمر بتبليغه ، فالنبيُّ أعَمُّ من الرسول . لذا ختم الله تعالى برسوله الكريم ﷺ النبوة والرسالة ، فقال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ ﴾[(٢)].

فهو ﷺ رسول الله ، وهو خاتمٌ لجميع الأنبياء ، ولجميع المرسلين ، فلو كان خاتمَ المرسلين لاحتُمل وجودُ نبيٍّ بعده ، فلما خَتم الأنبياءَ ؛ كان خاتماً لهم

---

(١) سورة آل عمران (٨١).

(٢) سورة الأحزاب (٤٠).

وللمرسلين أيضاً ، والله تعالى أعلم .

فالله جل شأنه أخذ هذا العهد والميثاق على الأنبياء عليهم والسلام ، وقرَّرهم : أن يؤمنوا بهذا النبي المصطفى ﷺ ، وينصروه ، فلما أقرّوا بذلك أشهدهم عليه ، والله تعالى خير الشاهدين .

وهذا العهد الذي أخذه الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ على جميع الأنبياء ، لم يكن إلّا له ، وذلك ـ والله تعالى أعلم ـ لعموم رسالته ، وعلو مكانته وتقدمه عليهم ، بخلاف غيره من الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام .

لهذا جعل الله عز وجل عند جميع الأنبياء العلمَ التامَّ به ﷺ ، وبمبعثه وزمانه ومهاجَره ،... وعلاماته وأوصافه ﷺ ، وبلَّغوا ذلك أُمَمَهُم[1].

وقد اتضح هذا الميثاق : في سلامهم عليهم السلام عليه ليلة الإسراء والمعراج ، اعترافاً منهم به وتقريراً لما أخذ عليهم[2]. وصلاته ﷺ إماماً بهم عليهم السلام[3]. إضافة لما يكون يوم القيامة .

وإذا علمنا مدى التزام المأموم بأوامر الإمام ، إذ لا يركع المأموم حتى يركع الإمام ، ولا يسجد حتى يسجد الإمام ،...«إنما جُعِل الإمام لِيُؤْتَمَّ به ، فإذا كبَّر فكبروا ، وإذا ركع فاركعوا ، وإذا سجد فاسجدوا ،...»[4]. عرفنا متابعة الأنبياء

(١) لقد توسعت في بيان ذلك في «فضائل النبي الكريم ﷺ...» وَ «الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن جميع الأنبياء عليهم السلام»، وفي غيرهما .

(٢) انظر : صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ...﴾ ، وكتاب الصلاة : باب كيف فرضت الصلاة . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الإسراء برسول الله ﷺ ، رقم (٢٦٣ ـ ٢٦٤).

(٣) انظر : الآيات البينات بما في الإسراء والمعراج من الخوارق والمكرمات .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب الصلاة على السطوح ،... وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب ائتمام المأموم بالإمام ، رقم (٧٧) من حديث أنس رضي الله =

عليهم السلام له ﷺ ، إضافة إلى أن الذي يتقدم في الإمامة ـ وخاصة في مثل هذا الموطن ـ إنما هو الأَخْيَرُ والأفضلُ والأكمل والأعلم ، ولهذا قدَّمه جبريل عليهما الصلاة والسلام .

ولو قُدِّر لواحد من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام الحياة ، وبُعث النبي الكريم ﷺ ، لما وسعه إلّا اتباعه ، كما هو واضح من العهد والميثاق في الآية الكريمة ، لهذا قال ﷺ : «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»(١).

وفي بعض الروايات إضافة «عيسى عليه السلام» وفي بعضها «يوسف عليه السلام».

وإذا كان الله تعالى قد أَخذ له العهدَ والميثاقَ على جميع الأنبياء عليهم السلام ، ومن ثم أخذه الأنبياءُ عليهم السلام على أممهم ، أن يؤمنوا به ﷺ ، وينصروه ويتبعوه ، فلزوم ذلك هو الطاعة والامتثال والاتباع ، وإلّا فلا إيمان ولا نصرة ، وإن لم يقع ذلك من أهل الكتاب ؛ لأن صدَّهم كان عناداً وكفراً ومكابرة ، لا نفياً للحقيقة التي يعرفونها ، ويوقنون بها ؛ كيف وهم يعرفونه ﷺ كما يعرفون أبناءهم ، كما أخبرنا الله تعالى(٢).

= تعالى عنه ، وورد عن غيره أيضاً .

(١) جاء عدد من الصحابة منهم : جابر ، وعبد الله بن ثابت ، وعمر ، وابن عباس ، وعقبة بن عامر وأبو الدرداء رضي الله تعالى عنهم . انظر : مسند أحمد (٣ : ٣٣٨ ، ٣٨٧ ، ٤٧٠ ـ ٤٧١) (٤ : ٢٦٥ ـ ٢٦٦) ومصنف عبد الرزاق (٦ : ١١٣) (١٠ : ٣١٣) ومسند أبي يعلى (٤ : ١٠٢) وسنن الدارمي (١ : ٩٥) وكشف الأستار (١ : ٧٨ ـ ٧٩) وشعب الإيمان (١ : ٢٠٠) والسنن الكبرى (٢ : ١١) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٥٠) ومجمع الزوائد (١ : ١٧٣ ـ ١٧٤) (٨ : ٢٦٢) وكنز العمال (١ : ١٨٣ ، ٢٠٠ ـ ٢٠١) وفتح الباري (١٣ : ٣٣٤) وتفسير ابن كثير (١ : ٣٨٧) (٢ : ٤٦٧).

(٢) انظر : الرحمة المهداة ﷺ ، فصل (رسول الله ﷺ في أعين أهل الكتاب).

فإذا كان هذا في الأنبياء عليهم السلام ، وهذا هو الواجب فيهم ، فماذا يكون في أمته وأَتْباعه ومن يدّعي محبته ،... ﷺ ؟ لا شك يجب أن يكونوا أشدَّ له طاعةً وامتثالاً واتِّباعاً ومحبةً ، وأبعد معصية وإدباراً ومخالفةً ومحادّة ومعاندة ومنازعة ومشاقّة وتولِّياً ،... والله تعالى أعلم .

العاصي مطيع لإبليس :

لـمّا خلق الله عز وجل آدم عليه السلام ـ في الجنة ـ وأمر الملائكةَ الكرامَ بالسجود له ، فسجدوا ، وامتنع إبليس ـ تكبراً واحتقاراً ـ فاستحق اللعن والطرد لمعصيته : قرر إغواءَ آدم الذي كان سببَ إخراجه من الجنة ، فدلَّه على أكل الشجرة ، وأقسم له أنه ناصح ، فأخرج الله تعالى الثلاثة (آدم وحواء وإبليس) من الجنة ، فقرر إبليس الانتقام من ذرية آدم ، وحلف ألّا يدع أحداً منهم مطيعاً تكون نهايته الجنة ، بل سيكونون من حزبه ، وطلب من الله تعالى ألّا يميتَه ، بل يُنْظِره إلى يوم الدين ، حتى يحتنك ذرية آدم ، فأَنْظَره الله تعالى ، وحذَّر الله تعالى بني آدم من عدوهم اللدود ، الذي قرَّرَ الانتقامَ منهم نكايةً في أبيهم آدم ،... وخَوَّفهم الله تعالى متابعتَه ، وبيَّن تعالى في كتابه وعلى ألسنة رسله ، أساليبَه ومنهاجَه ووسائلَه ، في إضلالهم ، كما حذَّرهم النتيجةَ النهائيةَ التي تنتظر إبليسَ وأعوانَه ، وهي العذاب الشديد في نار جهنم ، مع الخلود فيها .

لذا من أطاع إبليس واتبع سبيله ، وسار على نهجه ، ومشى وراءه ، كان عاصياً لله تعالى ولرسوله ﷺ .

العاصي للنبيِّ ﷺ هو عاصٍ لله تعالى :

إن العاصي للنبي الكريم ﷺ هو عاصٍ لله تعالى ، كما أن المطيعَ للنبي الكريم ﷺ هو مطيع لله تعالى ؛ لأن النبي الكريم ﷺ هو رسول الله ، وقد أمر الله تعالى بطاعته ، وحرَّم معصيتَه ، فمن عصاه فقد عصى مرسِلَه ، كما أن من

أطاعه فقد أطاعَ مرسِلَه .

وقد مرَّ حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من أطاعني فقد أطاعَ الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ،...». متفق عليه .

وحديثُ جابر رضي الله تعالى عنه ، والذي فيه : «...فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله ، ومحمد ﷺ فرق بين الناس». رواه البخاري .

والنصوص في هذا المعنى كثيرة ، سبق ذكر بعضها ، والله تعالى أعلم .

عاصي النبي المصطفى الكريم ﷺ هو من حزب الشيطان :

لقد بيَّن الله تعالى أن الناسَ حزبان ، حزب الله تعالى ، وهم : المؤمنون المتقون المطيعون ،... وحزب الشيطان ، وهم : الكفار والمنافقون والعصاة والفسقة ، فكل عاصٍ هو من حزب الشيطان ، وانتماؤه إليه بقدر ضخامة وعظم معصيته ، فالفاسق ليس كالكافر والمنافق ، وعلى كل حال فحزب الشيطان خاسر ، من أهل النار . لذا فليحذر المسلم أن يكون منهم .

قال الله عز وجل عن حزبه : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ۞ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾[1].

بينما قال تعالى عن حزب الشيطان : ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[2].

وقال تعالى في بيان عذاب ومصير حزب الشيطان : ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ

---

(١) سورة المائدة (٥٥ ـ ٥٦).

(٢) سورة المجادلة (١٩).

﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1]، والله تعالى أعلم .

العاصي للنبيِّ الكريم ﷺ غير موفق :

إذا أراد الله عز وجل بعبدٍ من عباده خيراً ألهمه رشدَه ، ووفَّقه للطاعة والعمل الصالح ، وجعله من عباده الصالحين ، وإذا لم يُرد به خيراً ، لم يوفِّقه للطاعة ، ولم يلهمه رشده ، ولم يوجهه للعمل الصالح ،... لأنه فَقَد توفيق الله تعالى .

بينما المؤمن المطيع يعرف أن توفيقه إنما هو من الله تعالى : ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾[2].

فالعاصي غير موفق ؛ لأن الله تعالى نزع عونه من العاصي ، فلم يُصب الحق ، بينما المطيع على العكس من ذلك .

ويكفي العاصي مذلةً وإهانةً وبعداً ، نزع الله تعالى العونَ منه ، وعدم توفيقه ، أعاذنا الله تعالى من ذلك .

العاصي للنبي الكريم ﷺ لا يحبه الله عز وجل :

إن الله تعالى يكره الكفر لعباده ، كما يكره الفسق والعصيان ، وإذا كان الفسقُ الذنوبَ الكبار ، فإن العصيان جميع المعاصي . لذا جاءت آيات كثيرة فيها كراهية الله تعالى لكثير من المعاصي ، كما فيها كراهيته الكفرَ والفسوقَ .

قال الله تعالى : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾[3].

(١) سورة فاطر (٦).

(٢) سورة هود (٨٨).

(٣) سورة الحجرات (٧).

فقد جعل الله تعالى العصيانَ مع الفسق والكفر في نفار في الكراهية .

وإذا كان الله تعالى زيَّن في قلوب المؤمنين الإيمان ، وحببَّه إليهم ، فعليهم أن يعظِّموا رسولَه ﷺ ويوقِّروه ، ويتأدبوا معه ، وينقادوا لأمره ،...إلخ.

وإذا كان الله تعالى لا يحب المعاصي ، وكرَّهها وبغَّضها لعباده المؤمنين ، فإنه جل شأنه لا يحب العصاة الذين يرتكبون هذه المعاصي ، ولهذا كثرت الآيات في عدم محبته تعالى لأنواع العصاة ، فقال جل شأنه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ ، ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ ، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ ، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ، ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ ،... إلى غير ذلك .

وكل أمر العاصي إلى الله عز وجل :

من ارتكب معصية ، فلا تخلو إما أن يكون لها عقوبة دنيوية ـ مادية أو جسدية ـ أو لا ، لكنها تحتاج إلى توبة خاصة بها ـ لعظم جرمها ـ أو تَدْخل تحت الاستغفار العام والتوبة العامة وفعل الخيرات : ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾(١).

فمن ارتكب معصية فعوقب عليها فهي كفارة لها ، وإذا لم يعاقب عليها : فأمره إلى الله تعالى ، إن شاء عذَّبه ، وإن شاء عفا عنه ، وكذا من عصى معصيةً تحتاج إلى توبة خاصة بها ، فهو تحت المشيئة أيضاً ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاءَ

(١) سورة هود (١١٤).

عذَّبه . وإن كنا نحسن الظن بالله تعالى أن يغفر الذنوب جميعاً .

قال الله تعالى عن آكل الربا ـ غير المتمادي فيه ـ : ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾(١) فأَمْرُ آكلِ الربا إلى الله عز وجل ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عذبه ، أمّا إذا تمادى في تعاطيه ، غير آبه بالتحريم ، مستحلٌّ لذلك ، فعقوبته الخلود في النار ، لقوله تعالى : ﴿وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ .

وقد سبق ذكر حديث عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه ، والذي فيه : «...ومن أصاب من ذلك شيئاً ؛ فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ، ثم ستره الله فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه». متفق عليه . والنصوص في هذا المعنى كثيرة .

عاصي النبيّ ﷺ هو ضالٌّ من الضالين :

إن ترك السنةِ ـ عمداً ـ ضلالٌ مبينٌ ، وغوايةٌ واضحة ،... وقد جاءت نصوص كثيرة تبيِّن أن ترك السنة ضلال ، وأن المنجاة من الضلال التمسك بالسنة ، وأن معصيته ﷺ ضلال وغواية . وأقتصر على ذكر بعضها .

قال الله عز وجل ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾(٢) .

وعن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه ، أن رجلاً خطب عند النبي ﷺ فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى . فقال رسول الله ﷺ : «بئس الخطيب أنت ، قل : ومن يعصِ الله ورسوله ،...». رواه مسلم(٣) .

---

(١) سورة البقرة (٢٧٥).

(٢) سورة الأحزاب (٣٦).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب تخفيف الصلاة والخطبة ، رقم (٤٨).

لأن معصية الله تعالى كافية لإضلاله ، وكذا معصية رسوله ﷺ كافية لإضلاله أيضاً ، ولا يشترط وجود المعصيتين ، بل الواحدة كافية في الإضلال ، والله تعالى أعلم .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : من سرَّه أن يلقى الله غداً مسلماً ؛ فليحافظ على هؤلاء الصلوات ، حيث يُنادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سُنَنَ الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صلَّيتُم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلِّف في بيته لتركتم سنةَ نبيكم ، ولو تركتم سُنّةَ نبيكم لضللتم ،... الحديث ، رواه مسلم[1].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه ـ في قصة سؤال النفر الثلاثة عن عبادته ﷺ ـ وفي آخره قال ﷺ : «فمن رغب عن سنتي فليس مني». متفق عليه[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ـ في صفة خُطَبِه ﷺ ـ وفيه : ويقول : «أما بعد ، فإن خيرَ الحديث كتابُ الله ، وخيرُ الهدي هدي محمد ـ ﷺ ـ وشرُّ الأمور محدثاتُها ، وكلُّ بدعة ضلالةٌ». رواه مسلم[3].

لهذا حذَّر ﷺ أُمَّتَه أن يرجعوا بعده ضُلّالاً ، فقال ﷺ في خطبة حجة الوداع ـ كما في حديث أبي بكرة رضي الله تعالى عنه ، المتفق عليه[4] ـ : «ألا فلا ترجعوا

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب صلاة الجماعة من سنن الهدى ، رقم (٢٥٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب الترغيب في النكاح . وصحيح مسلم : كتاب النكاح : باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ،... رقم (٥).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب تخفيف الصلاة والخطبة ، رقم (٤٣).

تنبيه : ضبط لفظ الهدى في قوله «خيرُ الهدى هدى» بوجهين : بضم الهاء وفتح الدال ـ في الموضعين ـ وبفتح الهاء وسكون الدّال ـ في الموضعين . وانظر شرح القاضي والنووي لمعناها .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الأضاحي : باب من قال الأضحى يوم النحر ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب القسامة : باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، رقم (٢٩).

بعدي ضُلّالاً ، يضرب بعضُكم رقابَ بعضٍ ، ألا ليبلغ الشاهدُ الغائبَ ،...». الحديث .

وقد بيَّن ﷺ لأمته الأمانَ من الضلال : هو التمسك بالكتاب والسنة .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس ؛ إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا ، كتاب الله وسنة نبيه ﷺ». رواه الحاكم وصححه ، وأقره الذهبي ، ورواه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أيضاً[1]. وقد أخرج البخاري بعضه .

وكيف لا يكون التمسك بالكتاب والسنة الأمان من الضلال ، وقد هَدَى الله سبحانه وتعالى هذه الأمة به ﷺ من الضلال ؟.

عن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ للأنصار يوم حنين : «ألم أجدكم ضُلّالاً فهداكم الله بي ،...». متفق عليه[2].

فإذا كان الله تعالى قد هدى الخلق به ﷺ من الضلال ابتداء ، فكيف لا يكون التمسك بسنته ﷺ أماناً من الضلال حالاً وانتهاءً ، والخروجُ عنه ﷺ وعدمُ طاعته وهجرُ سنته ضلالاً ؟ بل هو الضلال المبين ، والله تعالى أعلم .

عصيان النبي المصطفى الكريم ﷺ من النفاق :

لقد دعا الله تعالى الناسَ أن يأتوا إلى نبيه وصفيه الكريم ﷺ كما يأتون إلى كتابه الكريم ، ولكن المنافقين يصدّون ويعرضون ، فإذا أصابهم مصيبة نتيجة فعلهم ، جاؤوا يحلفون كذباً وزوراً على أنهم صالحون محسنون .

قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ

---

(١) المستدرك (١ : ٩٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبّر من قَوِيَ إيمانه ، رقم (١٣٩).

أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾[1].

وقد بيَّن الله تعالى حالَ هؤلاء بعد ذكره جل شأنه للأمر بطاعته وطاعة رسوله ﷺ ، فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[2].

فالمؤمنون مطيعون لله تعالى ولرسوله ﷺ ،... وإن حصل بينهم نزاع أو خصام ردّوا أمرَه إلى الله تعالى ـ في كتابه ـ وإلى رسوله ﷺ ـ في حياته ـ وإلى سنته بعد وفاته ﷺ ، هذا هو شأن المؤمنين .

أما المنافقون فلا يطيعون ، وإذا دُعوا أن هلمّوا إلى ما أنزل الله تعالى من كتابه على رسوله ﷺ ، وإلى حكم رسول الله ﷺ : أعرضوا ، ومنعوا غيرَهم من المجيء إليه ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[3].

---

(١) سورة النساء (٦٠ ـ ٦١).

(٢) سورة النساء (٥٩).

(٣) سورة النور (٤٧ ـ ٥١).

وحال هؤلاء المنافقين نظير حال الكفار ، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[1] حيث اشتركوا في الإعراض ، والاكتفاء بما عندهم من الباطل . لذا فليحذر المسلم من معصية رسول الله ﷺ وعدم الاستجابة لأمره ،... حتى لا يصل إلى حال أهل النفاق ، والعياذ بالله تعالى .

كفر مخالفه ﷺ :

وبلغ الأمر ذروته عندما أعلن الله تعالى أن من يعصي رسوله ﷺ ، أو يخالفه في طريقته ومذهبه ومنهجه وسلوكه : فهو كافر ، والعياذ بالله تعالى .

قال عز وجل : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2] .

قال العلامة ابن كثير رحمه الله تعالى[3]: دلَّ على أن مخالفته في الطريقة كفر ، والله لا يحب من اتصف بذلك ، وإن ادَّعى وزعم في نفسه أنه محب لله ، ويتقرب إليه ، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل ، ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس ، الذي لو كان الأنبياء ، بل المرسلون ، بل أولو العزم منهم في زمانه ، ما وسعهم إلا اتباعُه ، والدخولُ في طاعته ، واتباعُ شريعته ﷺ .اهـ.

فمن زعم أنه محب لله تعالى ، لزمه طاعة ومتابعة رسوله وصفيه ﷺ ، فإن أصر ورفض بقي كافراً ، والله تعالى لا يحب الكافرين .

وقد سبق ذكرُ حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، وفيه قوله ﷺ : «كلُّ

---

(١) سورة المائدة (١٠٤).

(٢) سورة آل عمران (٣١ ـ ٣٢).

(٣) تفسير ابن كثير (١ : ٣٥٨).

أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا : يا رسول الله ؛ ومن يأبى ؟ قال : «من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى». رواه البخاري .

وورد نحوه من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، رواه أحمد ، والترمذي وابن خزيمة وصححاه . والنصوص في هذا كثيرة ، مرَّ بعضها .

مقاتلة العاصي :

إن المعصية إذا كانت تقضي على شعيرة من شعائر الإسلام ؛ مثل اتفاق أهل بلد على ترك الأذان ، أو الامتناع عن دفع الزكاة مثلاً ، فإنهم يقاتَلون ، ولو أدى ذلك إلى قتلهم . وهذا ما أجمع الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم عليه بعد تردد ، بعد ما أقنعهم الصديق رضي الله تعالى عنه ، وما قتال مانعي الزكاة إلا جزء من قتال أهل الردة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : لما توفي رسول الله ﷺ ، واستخلف أبو بكر رضي الله تعالى عنه بعده ، وكَفَر من كَفَر من العرب ، قال عمر لأبي بكر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله عصم مني مالَه ونفسَه إلا بحقه ، وحسابُه على الله»؟ فقال : والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقال بعير [وفي رواية عَناقاً] كانوا يُؤدّونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتُهم على منعه .

قال عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق . متفق عليه[1].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ،... رقم (٣٢).

فالزكاة ركن من أركان الإسلام ، وهي فرضٌ واجبٌ على من مَلَكَ النصاب من الرجال والنساء من المسلمين ، وقد استباح أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قتالَ من تركها ، وامتنع عن دفعها ، ولما اعترض عليه بعضُ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، واحتجوا بالحديث ، حَجَّهم فخصمهم ، فعرفوا ـ من إصراره على قتالهم ـ أنه الحق ، وتركُ الزكاة معصيةٌ لله تعالى ولرسوله ﷺ للأمر بها ، والله تعالى أعلم .

قال الإمام الخطابي رحمه الله تعالى[1]: الأذان شعار الإسلام ، وأنه لا يجوز تركه ، ولو أن أهلَ بلدٍ اجتمعوا على تركه كان للسلطان قتالهم عليه.اهـ من الفتح .

فإذا كان يقاتل على ترك الزكاة والأذان... ـ وهما من فروع الإسلام ـ فكيف بترك السنة وهي أصل من أصول الدين ؟

بطلان عمل العاصي :

إن العاصي لله تعالى ولرسوله ﷺ مُعَرَّضٌ لغضب الله تعالى ، وعقوبته في الدنيا والآخرة ، كما يُحبط الله عز وجل جميعَ أعماله ، ولا يقبل له عملاً ، خاصة إذا كانت المعصيةُ كبيرةً في حقه تعالى أو في حق رسوله ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـًٔا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾[2].

لقد أمر الله تعالى عبادَه المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ﷺ وألّا يُبطِلوا أعمالَهم ؛ كحال من ارتدَّ ، وصدَّ عن سبيل الله تعالى ، وخالف رسوله ﷺ وشاقّه ، فأحبط الله تعالى عملَه السابق ، ولم يقبل منه شيئاً مما كان قد عمل ، وهو لم يضر

(١) فتح الباري (٢ : ٩٠).

(٢) سورة محمد (٣٢ـ ٣٣).

إلّا نفسه ، في مخالفته وصدِّه وردَّته ، والعياذ بالله تعالى .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾[1] .

فقد حذّر الله تعالى هذه الأمةَ أن ترفع صوتها فوق صوت نبيه وصفيه ﷺ ، لأنَّ رَفْع الصوت فوق صوته ﷺ معصيةٌ كبيرةٌ ، وكذا حذَّر من الجهر له ﷺ كما يجهر بعضُنا لبعض ، فإنه معصيةٌ كبيرةٌ ، وكلاهما مدعاة لإحباط عمل الإنسان وهو لا يشعر . وقد سبق ذكرُ الأحاديث في ذلك فانظرها .

استحقاق العاصي اللعن :

اللَّعْن هو الطرد من رحمة الله تعالى ، فمن عصى الله عز وجل وعصى رسوله ﷺ فقد ارتكب معصيةً كبيرةً ؛ يترتب عليها عقاب شديد ، وأبعد نفسه عن رحمة الله تعالى ، واستحق الطرد منها .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾[2] .

فمن خالف الله تعالى ، وترك أوامره ، وارتكب زواجره ، وآذى رسوله ﷺ بعيب أو نقص ،... أو أي شيء ـ ولو كان صغيراً ، وكلُّ ذلك معصيةٌ كبيرةٌ ـ : استحق اللعن في الدنيا والآخرة ، وله العذاب المهين يوم القيامة أيضاً ، والعياذ بالله تعالى .

لذا لعن النبيُّ ﷺ عُصَيَّة ؛ لأنهم عصوا الله تعالى ورسوله ﷺ ، كما في الحديث المتفق عليه[3] ، لأنهم عاهدوا فغدروا ، وعاقدوا فأخلفوا ، وكذا لعن

---

(١) سورة الحجرات (٢).

(٢) سورة الأحزاب (٥٧).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الرجيع . وصحيح مسلم : كتاب =

رِعْلاً وذَكْوان وبني لِحْيان ،... أيضاً ، والله تعالى أعلم .

تحسر العاصي يوم القيامة :

إذا قامت الساعة ، وجاء الكفار ـ ومن على شاكلتهم ـ الذين كانوا في الدنيا معاندين ، وعاصين مخالفين لأمر رسول الله ﷺ ، ولم يكن حصلت منهم الطاعة له ، جاؤوا نادمين على معصيتهم .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ * وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ * رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾[1] .

فإذا دخل الكفارُ النارَ ؛ تمنوا أن لو كانوا أطاعوا الله تعالى وأطاعوا رسوله ﷺ في الدنيا ، حتى لا يدخلوا النار ، ولا ينفعهم تحسرهم وتمنيهم ، بعد دخولهم ، والله تعالى أعلم .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴾[2] .

يخبر الله سبحانه وتعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريقَ رسول الله ﷺ وما

= المساجد : باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة ، رقم (٢٩٤ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨) وكتاب فضائل الصحابة : باب دعاء النبي ﷺ لغفار وأسلم ، رقم (١٨٦).

(١) سورة الأحزاب (٦٤ ـ ٦٨).

(٢) سورة الفرقان (٢٧ ـ ٢٩).

جاء به من عند الله تعالى من الحق المبين ، وسلك طريقاً غير سبيل رسول الله ﷺ ، لكنه لا ينفعه الندم ، ويعض يديه حسرة وأسفاً ، ولهذا لم يذكر الله تعالى لتحسر هذا الظالم سوى عدم اتخاذه سبيل رسول الله ﷺ ، مع سلوك من أضلَّه وحرَّفه .

وقال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾[1] .

فعندما يرون أهوالَ الموقف ، وما يحل بالكفار والعصاة ،... من الخزي والفضيحة والتوبيخ والعار ؛ يتمنى هؤلاء الكفار الذين عصوا رسولَ الله ﷺ ولم يطيعوه ويتبعوه : أن لو انشقت الأرض وبلعتهم ، ولكن هيهات .

والنفس غير الصالحة ـ عند موتها ومعاينتها ما ينالها ـ : تندم وتدعو على نفسها بالويل ، وتتمنى ألا تُقْبر ، فضلاً عن شهودها يوم القيامة .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «إذا وُضِعت الجنازةُ ، واحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحةً قالت : قدِّموني ، وإن كانت غير صالحة قالت : يا ويلها ، أين يذهبون بها ؟ يسمع صوتَها كلُّ شيء إلا الإنسان ، ولو سمعه لصعق» . رواه البخاري[2] .

وكل إنسان سيندم يوم القيامة ، لكن ندم الفاسق والفاجر والكافر غير ندم المؤمن الصالح[3] .

---

(١) سورة النساء (٤١ ـ ٤٢) .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب حمل الرجال الجنازة دون النساء ، وفي غيره .

(٣) انظر : سنن الترمذي : كتاب الزهد : باب (٥٨) رقم (٢٤٠٣) وشرح السنة (١٥ : ١١٧ ـ ١١٨) والزهد لابن المبارك ، رقم (٣٣) وحلية الأولياء (٨ : ١٧٨) (٥ : ٣٦١ ـ ٣٦٢) =

ومن أسماء يوم القيامة ، يوم الحسرة ، كما قال تعالى : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1] .

حيث يتحسَّر الكفار في نار جهنم ، ولكن لا ينفعهم تحسُّرهم .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يُؤْتَى بالموت كهيئة كبش أملح ، فينادي منادٍ : يا أهل الجنة ؛ فيشْرَئِبُّون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه . ثم ينادي : يا أهلَ النار ؛ فيَشْرَئِبُّون وينظرون ، فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم ، هذا الموت ، وكلهم قد رآه ، فيُذبح ، ثم يقول : يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت ، ويا أهل النار ، خلودٌ فلا موت» ثم قرأ [أي رسول الله ﷺ] : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ ـ وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ـ ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾» . متفق عليه[2] .

زاد في رواية ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ـ المتفق عليه[3] ـ : «فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم» .

= وعمل اليوم والليلة (رقم ٣) والمعجم الكبير (٢٠ : ٩٣ ـ ٩٤) وشعب الإيمان (١ : ٣٩٢) والترغيب والترهيب للأصبهاني (٢ : ١٧٧) والمعرفة والتاريخ (٢ : ٣١٢ ـ ٣١٣) والترغيب والترهيب للمنذري (٣ : ٢٠٨ ـ ٢٠٩) ومجمع البحرين (٧ : ٣٢٠) ومجمع الزوائد (١٠ : ٧٤ ، ٨٠) وينظر الجامع الصغير (٢ : ٤٦٨ ، ٥٠٦) وفيض القدير (٥ : ٢٩٠ ، ٤٦٨).

(١) سورة مريم (٣٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة مريم : باب ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ . وصحيح مسلم : كتاب الجنة : باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، رقم (٤٠).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٣).

أما هذا الحديث فإنما هو للكفار الذين يُخلَّدون في النار ، لا عصاة هذه الأمة ؛ لأن العصاة من هذه الأمة بعد تعذيبهم في النار ؛ يخرجون منها إلى الجنة[١]، لذا يزداد الكفار حزناً على حزنهم ، لعصيانهم لرسول الله ﷺ ؛ وعدم إيمانهم به وطاعتهم له ، لذا استحقوا الخلودَ في النار ، وهذا ما يأتي في الفقرة التالية ، إن شاء الله تعالى .

لا يدخل العاصي الجنة مع أول الداخلين :

إن المعصية نوعان : مُكَفِّرة ، وغير مُكَفِّرة ؛ أما المُكَفِّرةُ ؛ فإنها توجب لصاحبها النارَ ، والخلودَ فيها ، لأنهم كفار ـ كما سأذكره في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى ـ وأما المعصية غير المُكَفِّرة فإنها تُدخل صاحبَها النارَ ثم يخرج منها بعد الحساب اليسير ، أو بعد شفاعة المصطفى ﷺ ، أو أحد من هذه الأمة ، أو تشمله رحمة الله تعالى ، وقد ذكرت ذلك في غير ما كتاب[٢].

وإذا كان الفريق الأول لا يدخلون الجنة البتة لكفرهم ، فإن الفريق الثاني لا يدخلونها مع أول داخل ، بل يدخلون النارَ ، ويعذَّبون فيها على قدر معاصيهم ، ثم تدركهم الشفاعات ورحمة الله تعالى ،... فيخرجون منها فيدخلون الجنة ، حسب وعد الله تعالى لرسوله ﷺ ، فقد قال ﷺ : «كل أمتي يدخلون الجنة ، إلا من أبى» قالوا : يا رسول الله ؛ ومن يأبى ؟ قال : «من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى». رواه البخاري ، وقد مرَّ .

(١) انظر (الشفاعة) فقد ذكرتُ النصوصَ الكثيرةَ في خروج العصاة من هذه الأمة من النار بعد عذابهم فيها على قدر ذنوبهم .

(٢) لقد ذكرته في (الخصائص التي انفرد بها ﷺ ،...) وفي (عظيم قدره ﷺ ،...) لكن بشكل مختصر ، ثم أفردت كتاباً كبيراً في الشفاعة ، وذكرت ما يدل عليها من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية المتواترة ، كما ذكرت أقسامها ، سواء بالنسبة للنبي الكريم ﷺ ، أو بالنسبة للناجين من الأمة ، وشفاعتهم فيمن وقع في النار منها .

كما مرَّ قوله ﷺ : «...أنا آخذ بحجزكم عن النار ، هلّم عن النار ، هلّم عن النار ، فتغلبوني ، تقحمون فيها». متفق عليه .

وقد قال الله عز وجل : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(١).

والصراطُ مضروبٌ على متن جهنم ، ولا بد للخلق من العبور عليه ، وتكون سرعتُهم بقدر أعمالهم الصالحة ، فمنهم من يمر كالبرق الخاطف ، ثم كالريح المرسلة ، ثم كالجواد المضمَّر ،... ثم المكَرْدس في النار على حسب ذنوبه ، ثم يشفع النبي ﷺ والصالحون والمتقون والشهداء ،...إلخ.

فهؤلاء العصاة لا يدخلون الجنة في أوائل من يدخلها ، بل يدخلون النار حتى يتطهروا من ذنوبهم ، ثم يُنقلون إلى الجنة بإذن الله تعالى ، ولهذا كثر قوله ﷺ : «لا يدخل الجنةَ ،... عاقٌّ لوالديه» وَ «...مدمن خمر» وَ «...منَّان» وَ «...قاطع رحم» وَ «...قتَّات» وغيرها .

وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ في مسير له : «إنّا مدلجون ، فلا يدلجنَّ مصعبٌ ولا مضعف» فأدلج رجل على ناقة له صعبة ، فسقط ، فاندقت فخذه فمات ، فأمر رسولُ الله ﷺ بالصلاة ، ثم أمر منادياً ينادي في الناس : «إن الجنة لا تحل لعاصٍ» ثلاث مرات . رواه أحمد والطبراني في الكبير والحاكم ـ وصححه ـ وإسناد أحمد حسن . ورواه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه ، وفي إسناده : ليث بن أبي سليم ، وهو مدلس لكنه ثقة(٢).

---

(١) سورة مريم (٧١ ـ ٧٢).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٢٧٥) والمعجم الكبير (٢ : ٩٥ ـ ٩٦) (٨ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨) والمستدرك (٢ : ١٤٥) ومجمع الزوائد (٣ : ٤١) (٤ : ٤٠).

وقد مرَّ قوله ﷺ : «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». رواه البخاري .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «تُحشر هذه الأمة على ثلاثة أصناف : صنف يدخلون الجنةَ بغير حساب ، وصنف يحاسَبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة ، وصنف يجيئون على ظهورهم أمثال الجبال الراسيات ذنوباً ، فيسأل الله عنهم ـ وهو أعلم بهم ـ فيقول : ما هؤلاء ؟ فيقولون : هولاء عبيد من عبادك [وفي رواية مسلم[1] «يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين ،...»] فيقول : حطّوها عنهم ، واجعلوها على اليهود والنصارى ، وأدخلوهم برحمتي الجنة». رواه الحاكم وصححه على شرطهما ، وأقره الذهبي[2].

وإزاحةُ هذه الجبال من الذنوب عن المسلمين ،... إنما يكون بالشفاعة ، وقد ذكرتُ كثيراً من الأحاديث الواردة في الشفاعة في ذلك الكتاب .

عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : «يخرج قومٌ من النار بعد ما مسَّهم منها سَفْعٌ ، فيدخلون الجنة ، فيُسَمِّيهم أهلُ الجنة : الجهنَّمِيّين». رواه البخاري[3].

وفي رواية لهما[4] عنه رضي الله تعالى عنه : «...ثم أشفع ، فيحدُّ لي حدّاً ، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجداً مثله في الثالثة أو

(١) صحيح مسلم : كتاب التوبة : باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله ، رقم (٤٩ ـ ٥١).

وانظر العاقبة للإشبيلي (٣٢٦ وما بعد) والتذكرة للقرطبي (٤٠٩ وما بعد) لبيان الشفاعة للمذنبين .

(٢) المستدرك (١ : ٥٨).

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب صفة الجنة والنار ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، وباب آخر أهل النار خروجاً ، وباب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، رقم (٣٠٤ ـ ٣٠٥ ، ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ، ٣٢٢ ـ ٣٢٥).

الرابعة ، حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن».

ورويا نحوه من حديث أبي سعيد الخدري وعمران بن حصين وابن مسعود ،... رضي الله تعالى عنهم .

والأحاديث في هذا الموضوع كثيرةٌ جداً ذكرت كثيراً منها في غير هذا الكتاب .

والشفاعات التي أعطيها ﷺ وجاءت في الأحاديث كثيرة ، ذكرتُ في غير ما كتاب (١٣) ثلاث عشرة شفاعة[١]، مع ذكر أدلتها .

وقوله ﷺ في حديث أنس رضي الله تعالى عنه : «إلا من حبسه القرآن» أي وجب عليه الخلود ، كما هو موضح في الحديث عندهما .

وقوله ﷺ : «فيُحد لي حداً ثم أخرجهم من النار...» تفسره الروايات الأخرى عندهما ـ وعند غيرهما من حديث أنس وغيره رضي الله تعالى عنهم ـ فيقال : «انطلق ، فمن كان في قلبه مثقالُ حَبَّةٍ من بُرَّةٍ أو شَعيرةٍ من إيمان فأخرجه منها ،... فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه مثقالُ حَبَّةٍ من خردلٍ من إيمانٍ فأخرجه منها ،... فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقالِ حَبَّةٍ من خردل من إيمان فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل». متفق عليه[٢]. وهناك روايات كثيرة في هذا الباب .

وليس النبي ﷺ هو وحده الذي يشفع في أمته ، بل يشفع الصالحون المتقون... لإخوانهم الذين سقطوا في النار ، أقتصر على ذكر حديثين فقط .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ـ في قصة الرؤية والعرض

---

(١) انظر : فتح الباري (١١ : ٤٢٨ ـ ٤٢٩) وكتاب الشفاعة ، وعظيم قدره ﷺ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أدنى أهل الجنة منزلة ، رقم (٣٢٦).

والحساب ـ وفي آخره يقول ﷺ : «...ثم يُضرب الجسرُ على جهنم ، وتحل الشفاعة ، ويقولون : اللهم سلِّم سلِّم» قيل : يا رسول الله ؛ وما الجسر ؟ قال : «دحضٌ مَزلَّةٌ ، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك ـ تكون بنَجْدٍ فيها شُويكة ـ يقال له : السعدان . فيمر المؤمنون كطرف العين ، وكالبرق ، وكالريح ، وكالطير ، وكأجاويد الخيل ، والركاب ، فناج مسَلَّم ، ومخدوشٌ مرسَلٌ ، ومكدوسٌ في نار جنهم ـ حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشدَّ مناشدة لله في استقصاء الحق ، من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ، ويُصلُّون ، ويحجّون ، فيقال لهم : أَخرجوا من عرفتم ، فتُحَرَّم صورُهم على النار ، فيُخرِجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه ، وإلى ركبتيه ، ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به ، فيقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ دينار من خيرٍ [وعند البخاري : إيمان] فأَخرِجوه ، فيُخرِجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ، ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيُخرِجون خلقاً كثيراً . ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً . ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذَرَّةٍ من خيرٍ [وعند البخاري : إيمان] فأخرِجوه ، فيُخرِجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً ،...» الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ لمسلم(١).

فهذا الحديث يبيِّن حالَ هذه الأمة ، وأنها أقسام ثلاثة : سالمٌ لا يناله شيء أصلاً ، ومخدوشٌ يخلص بعد الخدش من الكلاليب والخطاطيف ،... والثالث ساقطٌ في جهنم ، فيشفع الأولون بعد تيقنهم نجاتهم ، فَيُشَفِّعُهم الله تعالى فيهم ،

(١) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب معرفة طريق الرؤية ، رقم (٣٠٢).

ثم تكون رحمة أرحم الراحمين ـ كما هي في نهاية الحديث عندهما . حيث يقبض قبضة من النار ، فيُخرج من قال : لا إله إلا الله ، ولم يعمل خيراً قط في حياته ، ويلقيهم في نهر الحياة ، فإذا خرجوا وخُتم في رقابهم ؛ يُعرفون بعتقاءِ الله تعالى .

عن عبد الله بن أبي الجدعاء رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يدخل الجنةَ بشفاعةِ رجل من أمتي أكثرُ من بني تميم» قلنا : سواك يا رسول الله ؟ قال : «نعم ، سواي». رواه أحمد ، والترمذي والحاكم وابن حبان ـ وصححوه ـ وابن ماجه وأبو يعلى والدارمي[1].

ففي هذه النصوص أمران :

١ ـ إن هؤلاء الذين يدخلون النار هم من أمة النبي ﷺ ، بدلالة كونهم يُصلّون ويصومون ،... ويؤمنون ،... والله تعالى لا يغفر لمن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

٢ ـ هؤلاء لا يدخلون الجنة مع أول داخل ، إنما يدخلون النار ، فيعذَّبون ، ثم تدركهم الشفاعات ، فيُخرَجون منها ، ثم يدخلون الجنة .

وإذا قيل : كيف يدخلون النار وقد عملوا أعمالاً صالحة ، من صيام ، وصلاة ،... مع وجود الإيمان عندهم ؟ والجواب على ذلك حديث المُفْلِس .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «أتدرون ما المفلس ؟» قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : «إن المفلس من أمتي ، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ،

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٦٩ ، ٤٧٠) (٥ : ٣٦٦) وسنن الترمذي : كتاب صفة القيامة : باب (١٢) منه ، رقم (٢٤٣٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب ذكر الشفاعة ، رقم (٤٣١٦) وسنن الدارمي (٢ : ٣٢٨) والمستدرك (١ : ٧٠ ، ٧١) (٣ : ٤٠٨) وصحيح ابن حبان (٩ : ٢٣٣ ـ ٢٣٤) ومسند أبي يعلى (١٢ : ٢٨٠) والتاريخ الكبير (٥ : ٢٦) وكتاب التوحيد (٣١٣).

وأكل مال هذا ، وسفك دمَ هذا ، وضرب هذا ، فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه ، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار». رواه مسلم(١).

فهم ؛ إما لم يعملوا من الصالحات ما يؤهلهم لدخول الجنة ، أو عملوا لكنهم عملوا فاسداً ، فأُخذت حسناتُهم ، فلم يبقَ عندهم ما يزيد على سيئاتهم ، فأُدخلوا النار ، حتى تلحقهم الشفاعات ، والله تعالى أعلم .

وعلى أي حال فإنهم يخرجون منها بشفاعة النبي ﷺ ، أو بشفاعة أحد من هذه الأمة ، فيدخلون الجنة ، ولا يدخلونها مع الفوج الأول ـ السالم والمتخلص ـ بل يتأخرون عنها بسبب عصيانهم ومخالفتهم ، وكم ينالهم من العذاب حتى يخرجوا منها بالشفاعة ؟ أسأل الله تعالى السلامة والتوفيق .

خلود العصاة في النار :

لقد ذكرت أن المعصية قسمان ؛ قسم : غير مُكَفِّر وصاحبه يدخل النار ، ويُعَذَّب فيها على قدر معاصيه ، ثم يخرج منها إلى الجنة ، والقسم الثاني : مُكَفِّر ، وهم نوعان ؛ الأول : لم يُسلم صاحبها ولم يؤمن أصلاً ، بل بقي على كفرهم ، فهم عصوا رسول الله ﷺ ، فاستحقوا الخلود في النار ، والثاني : كانوا مسلمين ثم ارتدوا ، والعياذ بالله تعالى ، بإحدى المحظورات المكفرة ـ سواء كانت اعتقادية أو عملية ، أو قولية ـ وحكمهم الخلود في النار أيضاً .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٢).

فمن يعصِ الله تعالى ورسوله ﷺ ، ويتعدَّ حدوده ، ويشاقق الرسول ﷺ

(١) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب تحريم الظلم ، رقم (٥٩).
(٢) سورة التوبة (٦٣).

ويحاربه ويخالفه : فله الخلود في نار جهنم ، مع الخزي العظيم ، والشقاء الكبير ، والإهانة العظمى .

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(١).

وقال الله تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾(٢).

فالكافرون المعاندون العصاة المتعدّون حدودَ الله تعالى ـ إذا رأوا ما يوعدون يوم القيامة ـ يرون أنه لا ناصر لهم بالكلية ، وهم أقل عدداً من جنود الله تعالى ؛ الذين لا يعلم عددَهم إلا الله عز وجل .

إلى غير ذلك من العقوبات والجزاءات التي ينالها العاصي ، سواء كانت معصيتُه غيرَ مُكَفِّرة ، أم كانت مُكَفِّرةً ، وعقوبةُ المعصية غير المُكَفِّرة ليست كعقوبة المعصية المُكَفِّرة ، وكلاهما خطرٌ على المؤمن ، لعدم علمه بالغيب ، ولا يدري ما هو مكتوب ، لذا فليكن وَجِلاً ، خائفاً ، غيرَ مغترٍّ بعمل ، أو اعتقاد ، حتى لا يُمْكَر به وهو لا يدري ، والله تعالى أعلم .

العاصي محقِّقٌ ومنفِّذٌ وسائل إبليس في إضلال الخلق :

إن اتّباعَ الرسل وطاعةَ الشيطان لا يلتقيان في قلبِ عبدٍ أبداً ، بل لا بد من وجود واحد : ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾(٣).

---

(١) سورة النساء (١٤).

(٢) سورة الجن (٢٣ ـ ٢٤).

(٣) سورة البقرة (٢٥٦).

وأذكر بعضَ الآيات القرآنية لبيان العداوة بين الإنسان والشيطان ، مع تحذير الله تعالى للإنسان ، وتزيين الشيطان له أعماله الباطلة ليضله بها[1].

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا * قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا * قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[2].

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3].

وقال الله جل شأنه : ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[5].

---

(١) انظر : العداوة بين الإنسان والشيطان وأثر ذلك على الجريمة . فقد أطلت النفس في بيان عداوته للإنسان ، وأساليب غوايته ، وكيفية الخلاص منه .

(٢) سورة الإسراء (٦١ ـ ٦٥).

(٣) سورة الأعراف (٢٧).

(٤) سورة الحشر (١٦ ـ ١٧).

(٥) سورة فاطر (٦).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[1].

وقال جل وعز : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[2].

ولهذا اعتبر الله عز وجل اتباعَ الشيطان عبادةً له ، وكيف يعبدُ الإنسانُ الشيطانَ وهو له عدوٌّ مبينٌ ، كما قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[3].

وللشيطان مداخل يدخل بها على الإنسان ، ويخضعه لرغباته ، ليكونوا من حزبه ؛ من أصحاب السعير ، كما قال تعالى : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[5].

أما مداخل الشيطان الرئيسية على الإنسان فهي ثلاثة ، حذَّره الله تعالى منها ، وهي : النفس ، والشهوات ، والهوى .

أولاً : النفس ، ولها مراتب ، والثلاثة الأولى للشيطان له سبيل عليها .

أمّارة بالسوء ، كما قال تعالى على لسان امرأة العزيز : ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[6].

---

(١) سورة المائدة (٩١).

(٢) سورة الأنفال (٤٨) النحل (٦٣) النمل (٢٤) العنكبوت (٣٨) وانظر سورة الأنعام (٤٣).

(٣) سورة يس (٦٠).

(٤) سورة المجادلة (١٩).

(٥) سورة فاطر (٦).

(٦) سورة يوسف (٥٣).

ثم تكون مُلْهَمة ، كما في قوله عز وجل : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾(١).

ثم تكون لوَّامة ، تلوم صاحبها على خطئه وتقصيره وعصيانه ، قال الله عزَّ وجل : ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾(٢).

ثم تكون مُطْمَئِنَّة ، ثم راضية [وهو اسم فاعل] **ثم مرضية** [وهو اسم مفعول] كما قال تعالى : ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾(٣).

فإذا صارت النفس في هذه المرتبة الكاملة ، ودخلت في هذه الإضافة التامة ﴿عِبَـٰدِى﴾ لن يكون للشيطان عليها سبيل ، وليس له عليها سلطان ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾(٤)، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(٥). أما غير المخلصين ، فإنه سيزيّن لهم في الأرض ، ويغويهم أجمعين ، إلّا من دخل في حصن الله تعالى .

وقال عز شأنه على لسان إبليس : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾(٦).

وقال تعالى على لسانه أيضاً : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ

---

(١) سورة الشمس (٧ ـ ١٠).

(٢) سورة القيامة (٢).

(٣) سورة الفجر (٢٧ ـ ٣٠).

(٤) سورة الإسراء (٦٥) الحجر (٤٢).

(٥) سورة النحل (٩٩).

(٦) سورة ص (٨٢ ـ ٨٣).

مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[١].

للشيطان سبيلٌ على النفوس الثلاثة الأولى ، وله عليهم تسلط ، فإذا صارت النفس مرضيةً كاملةً ؛ فلا تسلَّط عليها ؛ إلا إذا غفلت عن ربها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[٢].

لذا فإن كلَّ نفس تحاسَب بما تكسبه وبما تسعى به : ﴿ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾[٣]. ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾[٤].

فإذا رأت النفسُ ثوابَ الطائعين ، وعقوبتَها التي تحل بها : تتحسر على ما فعلت ، وتندم على تصرفها السيء ، وتود لو كانت غير مفرطة ، ولكن هيهات : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾[٥].

وما يصيب العاصي من نكبات وعقوبات ،... فإنما هي عقوبة من الله تعالى على ما اقترفت نفسه ، كما قال الله تعالى : ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾[٦]. وما يصيب المؤمن فهو كفارة ، أو رفع درجة .

---

(١) سورة الحجر (٣٦-٤٣).

(٢) سورة الأعراف (٢٠١).

(٣) سورة إبراهيم (٥١).

(٤) سورة طه (١٥).

(٥) سورة الزمر (٥٦).

(٦) سورة النساء (٧٩).

قال رسول الله ﷺ ـ كما في حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما ـ : «ما يصيب المسلمَ من نصَبٍ ، ولا وَصَبٍ ، ولا هَمٍّ ، ولا حزنٍ ، ولا أذىً ، ولا غمٍّ ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفَّر الله بها من خطاياه». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

ولما كانت الجنةُ تحتاج لمِلْئِها ، والنارُ تطالِب بملئِها : حق قوله عز وجل ، وإلا فإنه تعالى قادرٌ على إلهام النفس هداها ، ولكن أصحاب النفوس اللقيسة : ظلموا أنفسهم ؛ ليدخلوا النار يوم القيامة بذنوبهم .

لذا من نهى نفسَه عن الهوى ، وخاف مقامَ ربه تعالى ، فإن الجنة مأواه .

ثانياً : الشهوات ؛ فقد زُيِّنَ ذلك للإنسان بأصناف متاع الدنيا ، فإن استعملت في طاعة الله تعالى فهي خير ، وإن استعملت للخيلاء والفخر ، أو للإبعاد عن الله تعالى ولمعصيته فهي شر .

قال الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[2].

وقال الله تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المرضى : باب ما جاء في كفارة المرضى . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض ،... رقم (٥٢).

(٢) سورة آل عمران (١٤ ـ ١٥).

(٣) سورة مريم (٥٩).

واتّباعُ الشهوات : هي من أوامر الشيطان ؛ الذي لا يأمر إلا بالفحشاء والسوء والمنكر ، ولا يأمر بطاعةٍ ؛ إلا ليضيِّع على المسلم طاعةً أكبر منها ، فيُضَيِّع عليه الطاعَتَين .

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾(١) .

وقال عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾(٢) .

والآيات القرآنية كثيرةٌ في أمر الشيطان الإنسان بالفواحش والمنكرات ، وأن الله تعالى لا يأمر بذلك .

ثالثاً : الأهواء : فالآيات فيها كثيرة ، أقتصر على ذكر بعضها .

قال تعالى : ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾(٣) .

فاتِّباعُ الهوى هو من قِبَل ظالمي أنفسهم الضالين ، لذا حذَّر الله تعالى منه ، وأقبح شيء أن يتخذ هواه إلهه فيتبعه ولا يخالفه ، لذا لا يصح اتِّباعُهم ولا الاقتداءُ بفعلهم ، وبيَّن تعالى أن سبب عدم اتباعهم إنما هو الهوى .

قال عز وجل : ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ

(١) سورة النور (٢١).

(٢) سورة البقرة (١٦٨ ـ ١٦٩).

(٣) سورة محمد (١٤ ـ ١٦).

ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ...﴾(١).

وقال عز شأنه : ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾(٢).

وقال الله سبحانه وتعالى عن المشركين : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ﴾(٣).

لهذا نهى جل شأنه عن اتباع الهوى ، فقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(٤).

وقال تعالى مبيِّناً أن اتِّباعَ الهوى يُضِل : ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾(٥).

ويتمادى الهوى بالإنسان ، حتى يتخذه إلهه ، فلا يسمع إلا له ، ولا يطيع إلا إياه ، ولا يتَّبع إلّا هو ، لهذا أضله عن الحق ، وهذا أقبح الفعال .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ

(١) سورة الأعراف (١٧٥ ـ ١٧٦).

(٢) سورة الروم (٢٩).

(٣) سورة النجم (٢٣).

(٤) سورة النساء (١٣٥).

(٥) سورة ص (٢٦).

وَكِيلًا ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

فإذا وصل اتِّباعُ الهوى أن يكون هو المعبود ؛ فمن يَهدي من هذا شأنه من بعد الله تعالى ؟ لا أحد .

لذا حذَّر الله عز وجل من اتِّباع أصحاب الأهواء ؛ الذين ذهبت بهم مذاهب شتى ، وشتتهم حتى صاروا في كل وادٍ يهيمون ، فقال تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[3].

وقال الله تعالى على لسان نبيه وصفيه الكريم ﷺ : ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾[5]. في آيات كثيرة[6].

لذا بيَّن الله سبحانه وتعالى أن عدم اتِّباع الكفار للنبي الكريم ﷺ : إنما هو لاتِّباعهم أهواءهم ، ولهذا ضلوا باتباعهم لها .

---

(١) سورة الفرقان (٤٣).

(٢) سورة الجاثية (٢٣).

(٣) سورة المائدة (٧٧).

(٤) سورة الأنعام (٥٦).

(٥) سورة الأنعام (١٥٠).

(٦) انظر : سورة البقرة (١٢٠ ، ١٤٥) والمائدة (٤٨ ـ ٤٩) والرعد (٣٧) والمؤمنون (٧١) والشورى (١٥) والجاثية (١٨) وسورة القمر (٣).

قال الله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

وقال جل شأنه عنهم : ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

فسبب عدم الطاعة ، وارتكاب المعصية : أن الشيطان يُمنّي النفوس ؛ فتركب هواها ، فتضل ، وتمتنع عن الطاعة ، وترتكب المعصية ، حقداً منه على الإنسان ، وانتقاماً منه ؛ لأن أبا البشر كان سبب إخراجه من الجنة .

فهل يعي المسلمون عدوهم الأول ، وما يجلبه لهم من شرور بالأهواء والشهوات ، فيدخلون في حظيرة ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ وحصن ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ فيسلَمون من شروره ، ويأمنون مكره ، وينالون رضى الله تعالى وسعادة الدارين ، في طاعتهم له تعالى ، وطاعة رسوله ﷺ .

إن من يدخل في هذه الإضافة وفي ذلك الحصن : إنما هم المؤمنون المخبتون الصالحون المطيعون لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ ، مع تحقُّقهم بجميع صفات المؤمن الحق[3].

☆☆☆☆☆

---

(١) سورة القصص (٥٠).

(٢) سورة القصص (٥٧).

(٣) انظر : من صفات المؤمنين في السنة النبوية .

الباب السادس
السنة النبوية وحي من الله تعالى

لقد أعطى الله تعالى كلَّ نبيٍّ من أنبيائه عليهم السلام آيةً يُعرف بها ، وتدل على نبوته ، وصدقه ، ولكن كل تلك الآيات أو المعجزات كانت آنيَّةً وقتيَّةً ، زال أثرها بموت من حضرها ، وقد أَعطى الله تعالى نبيَّه الكريم ﷺ من تلكم المعجزات الشيءَ الكثير ، فهو أكثرهم معجزات ، ولكن معجزتَه ﷺ التي بقيت بعده ، وسيستمر عطاؤها إلى قيام الساعة : هي الوحي .

وقد بيَّن رسول الله ﷺ هذه الآيةَ العظيمةَ التي خصَّه الله تعالى بها دون سائر الأنبياء عليهم السلام .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ما مِن الأنبياء نبي إلا أُعطي مِن الآيات ما مثلُه آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُتيتُه وحياً أوحاه الله إليَّ ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تابعاً يوم القيامة». متفق عليه[1].

لهذا طلب الله تعالى منه ﷺ أن ينذر به .

قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾[2].

كما بيَّن ﷺ هذا الوحيَ الذي أُعطيه ، فقد أُعطي القرآنَ الكريمَ وآخرَ مثلَه ـ وهو السنة النبوية الشريفةَ ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

فقال ﷺ ـ كما في حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله تعالى عنه ـ : «ألا

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب كيف نزل الوحي ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ، رقم (٢٣٩).

(٢) سورة الأنبياء (٤٥).

إني أُعطيتُ القرآنَ ومثلَه معه ،...». رواه أحمد وأبو داود والطحاوي والآجري والدارقطني والبغوي وابن حبان في آخرين[1]. ورواه آخرون بلفظ قريب .

ومن خلال الآية الكريمة والحديثين الشريفين يتضح لنا أن رسول الله ﷺ قد أعطاه الله تعالى وحيين ، هما : وحي القرآن الكريم ، ووحي السنة النبوية الشريفة . لكن مع وجود الفارق بينهما ، فالقرآن الكريم : وحيٌ متلُوٌّ معجِزٌ متعبَّدٌ بتلاوته ،... أما السنة النبوية : فهي وحيٌ غيرُ متلُوٍّ ولا معجز ولا متعبَّد بتلاوته ،...إلخ الفوارق[2].

والقرآنُ الكريمُ خاتمةُ الكتب ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد تكفَّل الله عز وجل بذلك ، لأنه كلامه تعالى ، والنبيُّ المصطفى الكريمُ ﷺ هو رسول الله ﷺ - والرسولُ من مرسِله ، لأنه يبلِّغ عنه ما يريد - والرسالةُ التي يؤتاها قد تكون مختومةً ليس له إلا تبليغها بعبارتها ولفظها ، وقد تكون شفاهاً يبلغها بعبارته ، لأنه مؤتمن . لذا فما كان من القسم الأول فهو : وحيُ القرآن ، وما كان من القسم الثاني فهو : وحيُ السنة ، والله تعالى أعلم .

وما نطق به رسولُ الله ﷺ : هو وحيٌ أوحاه الله تعالى إليه ، وقد دلّت الآياتُ القرآنيةُ الكريمةُ ، والأحاديث النبويةُ ، ودلائلُ النبوة على ذلك ، واتفقت

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١٣٠ - ١٣١) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في لزوم السنة ، رقم (٤٦٠٤) وسنن الدارقطني (٤ : ٢٨٧) وصحيح ابن حبان (١ : ١٨٩ رقم ١٢) وشرح معاني الآثار (٤ : ٢٠٩) والشريعة (١ : ٤١٥-٤١٦) وشرح السنة (١ : ٢٠١) والمعجم الكبير (٢٠ : ٢٨٣) ومسند الشاميين (٢ : ١٣٧) (٣ : ١٠٣) والتمهيد (١ : ١٤٩ - ١٥٠) وذم الكلام (٢ : ١٣٤ - ١٣٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٣٣٢) ودلائل النبوة (٦ : ٥٤٩) والفقيه والمتفقه (١ : ٨٩).

(٢) انظر : (السنة النبوية وحي) وَ (نشأة علوم الحديث) حيث ذكرت فيهما أنواع الوحي وأقسامه ومظاهره ، والفرق بين نوعَي الوحي ؛ وحي القرآن ، ووحي السنة .

كلمةُ العلماء رحمهم الله تعالى عليه .

قال الإمام الزهري رحمه الله تعالى[1]ـ وقد سئل عن الوحي ـ : الوحيُ ما يُوحي الله إلى نبي من الأنبياء ، فيثبتُه في قلبه ، فيتكلم به ، ويكتبه ، وهو كلام الله ، ومنه ما لا يتكلم به ، ولا يكتبه لأحد ، ولا يأمر بكتابته ، لكنه يحدِّث به الناسَ حديثاً ، ويبين لهم أن الله أمره أن يبيِّنه للناس ، ويبلغهم إياه.اهـ.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[2]: ما فرض رسول الله ﷺ شيئاً قط إلا بوحي ، فمن الوحي ما يُتلى ، ومنه ما يكون وحياً إلى رسول الله ﷺ ؛ فيستن به ـ ثم ذكر حديثَ المطلب بن حنطب رضي الله تعالى عنه ، عنه ﷺ قال : «ما تركتُ شيئاً مما أمركم الله به : إلا وقد أمرتُكم به ، ولا شيئاً مما نهاكم عنه : إلا وقد نهيتُكم عنه ، وإن الروحَ الأمينَ قد ألقى في رُوعي أنه لن تموتَ نفسٌ حتى تستوفي رزقَها ، فأجملوا في الطلب».

قال الإمام الشافعي : وقد قيل : ما لم يُتْلَ قرآناً ، إنما ألقاه جبريل في رُوعه ـ ﷺ ـ بأمر الله ، فكان وحياً إليه ،...إلخ.

وقال رحمه الله تعالى ـ في موطن آخر[3]ـ في تعليقه على حديث اللعان ، فيما نَقل عمَّن سبقه ـ : فأَمْرُ الله تعالى إياه وجهان :

أحدهما : وحيٌ ينزل ، فيُتلى على الناس .

الثاني : رسالةٌ تأتيه عن الله تعالى ، بأن افعل كذا فيفعله ،...اهـ.

وقال الإمامُ ابنُ حزم الظاهريُّ رحمه الله تعالى[4]: لما بيَّنّا أن القرآن هو

---

(١) انظر : الإتقان (١ : ٤٤).

(٢) الأم (٧ : ٢٧١) وجماع العلم بحاشية الأم (٧ : ٢٥١) وانظر الرسالة (٨٨ ـ ١٠٥).

(٣) انظر الأم (٥ : ١١٣ ـ ١١٤) وانظر : مناهل العرفان (١ : ٥٠).

(٤) الإحكام في أصول الأحكام (١ : ٩٦ ـ ٩٨).

الأصل، المرجوع إليه في الشرائع؛ نظرنا فيه فوجدنا فيه إيجابَ طاعة ما أمرنا به رسول الله ﷺ، ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفاً لرسوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]. فصح لنا أن الوحيَ ينقسم من الله عز وجل إلى رسوله ﷺ إلى قسمين:

أحدهما: وحيٌ متلُوٌّ، مؤَلَّفٌ تأليفاً، معجزُ النظام، وهو القرآن.

والثاني: وحيٌ مرويٌّ، منقولٌ غيرُ مؤلَّفٍ، ولا معجز النظام، ولا متلُوٍّ، لكنه مقروء، وهو الخبرُ عن رسول الله ﷺ، وهو المبيِّنُ عن الله عز وجل مرادَه منا، قال الله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[2].

ثم قال: والقرآن والخبرُ الصحيح بعضُها مضافٌ إلى بعض، وهما شيءٌ واحد في أنهما من عند الله تعالى، وحكمهما حكمٌ واحد،... ثم قال: أخبر تعالى - كما قدمنا - أن كلامَ نبيِّه ﷺ كلَّه وحيٌ، والوحيُ بلا خلاف ذِكْرٌ، والذكرُ محفوظٌ بنص القرآن،...إلخ.

ونقل الإمام السيوطي عن الإمام الجويني رحمهما الله تعالى قال: كلام الله المنزل قسمان:

قسم: قال الله لجبريل: قل للنبي الذي أنت مرسَلٌ إليه: إن الله تعالى يقول: (افعل كذا وكذا، وأمر بكذا) ففهم جبريل ما قاله ربُّه، ثم نزل على ذلك النبي، وقال له ما قاله ربُّه، ولم تكن تلك العبارةُ تلكَ العبارة.

كما يقول الملِكُ لمن يثق به: قل لفلانٍ يقول الملِكُ: اجتهد في الخدمة، وأَجمِع جندَك للقتال، فإن قال الرسول: يقول الملِك: لا تتهاون في خدمتي، ولا تترك الجند تتفرق، وحُثَّهم على المقاتَلة؛ لا يُنسب إلى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة.

---

(١) سورة النجم (٣-٤).

(٢) سورة النحل (٤٤).

وقسم آخر : قال الله تعالى لجبريل عليه السلام : اقرأ على النبي هذا الكتاب ، فنزل جبريلُ بكلمةٍ من الله تعالى ، من غير تغيير ، كما يكتب الملِك كتاباً ، يسلمه إلى أمين ، ويقول : اقرأه على فلان ، فهو لا يُغَيِّرُ منه كلمةً ولا حرفاً.اهـ.

قال الإمامُ السيوطي رحمه الله تعالى[1] ـ في تعليقه على هذا القول ـ : القرآن هو القسم الثاني ، والقسم الأول هو السنة . كما ورد أن جبريل عليه السلام كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ، ومن هنا جاز روايةُ الحديث بالمعنى ، لأن جبريل أدّاه بالمعنى ، ولم تجز القراءة بالمعنى ، لأن جبريل أدّاه باللفظ ، ولم يُبح له إيحاءَه بالمعنى .

والسر في ذلك : أن المقصودَ منه التعبدُ بلفظه ، والإعجازُ به ، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه ،... والتخفيفُ على الأمة ، حيث جعل المنزَّلَ إليهم على قسمين ؛ قسم : يروُونه بلفظه الموحَى به ، وقسم : يروونه بالمعنى ، ولو جعل كلَّه مما يُروى باللفظ لشق ، أو بالمعنى لم يؤمن التبديل والتحريف ، فتأمل.اهـ.

وما ذكر أن جبريل عليه السلام كان ينقل نصَّ الحديث إلى رسول الله ﷺ بالمعنى ، إنما فهمه أنه أُبيح له ، مقارنةً بلفظ القرآن ، وعدم تغيير حرف منه ، والله تعالى أعلم .

وبعد ، فقد كتبتُ فصولاً مطولة أو مختصرة في بعض كتبي ، كـ (نشأة علوم الحديث) وَ (الشفاعة ، والرد على منكريها) عن هذا الموضوع[2].

---

(١) الإتقان (١ : ٤٤).

(٢) ثم أفردت كتاباً خاصّاً عنه ، بعد استخارة الله تعالى ، هو **(السنة النبوية وحي)** لعل الله تعالى ينفع به المسلمين ، ويردّ عنهم فتنةً فُتحت عليهم هم في غنى عنها ، ويسدّ نافذة هم بحاجة إلى إغلاقها ، ويضع بين أيديهم حجةً هم في أمس الحاجة إليها ، أسأله تعالى التوفيق والصواب ، والخيرَ والرشاد .

إن علماءنا القدامى رحمهم الله تعالى الذين أشاروا إلى أن السنة النبويةَ وحيٌ لم يستوعبوا ذكرَ الأدلة ، فقد يذكر أحدُهم دليلاً أو أكثرَ من غير استيعاب ، ولعل ذلك كافٍ في زمانهم ، بخلاف زماننا ، لذا حملني ذلك إلى التنوُّع والإكثار من النصوص ، والله تعالى هو المأمول بالقبول والرضا ، وهو المتكفِّل بحفظ دينه وشرعه .

إن الأدلة التي ذكرتها على أن السنةَ النبويةَ وحيٌ هي : القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، ودلائل النبوة ، والإعجاز العلمي . لذا أشير هنا إشارة ، من غير تطويل(١).

*** أولا : الأدلة من القرآن الكريم .**

إن الأدلة من القرآن الكريم على أن السنة النبوية وحي كثيرةٌ جدّاً ؛ تزيد على سبعين دليلاً على التفصيل ، وقد ذكرتُها في الأصل (السنة النبوية وحي) وترجع إلى نوعين هما : أدلة عامة ، وأدلة جزئية . لكنني سأقتصر هنا على ذكر القليل منها ، حسب هذا المختصر .

ـ النوع الأول : وهو الأدلة العامة .

إن الآيات القرآنية في هذا الباب كثيرة ، ذكرتها في الأصل ، وسأقتصر على ذكر خمسة عناوين ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل ومختصره .

١ ـ إخبار الله تعالى عن نبيه الكريم ﷺ أنه لا ينطق عن الهوى :

لقد أخبرنا الله تعالى أن نبيَّه المصطفى الكريم ﷺ لا ينطق عن الهوى ، إنما هو وحيٌ يوحيه الله تعالى إليه .

---

(١) ومن أراد معرفة التفاصيل ، والاطلاع على الأدلة فلينظر في الكتاب المذكور ، وهو في ثلاث مجلدات

، أو في مختصره ، وهو مطبوع أيضاً في مجلد . وما في هذا الباب فهو مختصر منهما .

قال الله تعالى : ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾(١).

فقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ لفظة عامة ؛ تشمل جميع ما يلفظه ﷺ وما ينطقه ، لأنها سياق النفي ، وقوله تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ حصر ذلك بالوحي ، ذلك لأن الكلام إذا سبقه نفيٌ ، ثم جاء بعده حصرٌ ؛ يكون ما بعد النفي منحصراً بما بعد الحصر ، فيكون معناه ـ والعلم عند الله تعالى ـ أن كلَّ ما ينطقه ﷺ ما هو إلا وحي يوحى إليه .

وإذا كان كلُّ ما يقولُه ﷺ : إنما هو وحيٌ يُوحى إليه به ، دل على أن السنة النبوية هي وحي ، والله تعالى أعلم .

ولا يصح حمل هذا اللفظ الكريم على غير رسول الله ﷺ ، بدلالة سياق الآية الكريمة ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ وهو ما عبَّر الله تعالى عنه في عدَّة آيات ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾(٢)، والله تعالى أعلم .

كما أن سياق الآية الكريمة ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ لا يدل على جزء من الكلام ، بل هو عامُّ اللفظ ، والقولُ محصورٌ بالوحي ، والله تعالى أعلم .

٢ ـ الحكمة المعطوفة على الكتاب :

لقد تكرر عطف لفظ الحكمة على لفظ الكتاب في القرآن الكريم عدة مرات ، حتى في التنزل ، ولما كان القرآن الكريم قد نزل من عند الله تعالى بالوحي ، وعطف الله تعالى عليه الحكمةَ في التنزّل دل على أنها وحي هي الأخرى ، والله تعالى أعلم .

قال الله عز وجل ـ على لسان إبراهيم وإسماعيل ـ : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا

(١) سورة النجم (١ ـ ٥).

(٢) سورة التكوير (٢٢).

مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] في أربع آيات كريمة، تكرَّرَ فيها عطفُ الحكمة على الكتاب[2].

فالحكمة المعطوفة على الكتاب - هي السنة النبوية - وهي وحي منزَّلٌ من عند الله تعالى بدلالة الآيات التاليات.

قال الله عز وجل: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[4].

فقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ و ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ يدل على أن «الحكمة» منزَّلةٌ من عند الله عز وجل، كما هو في الكتاب الكريم، لأنها معطوفةٌ عليه، ومقرونةٌ به.

كما يلاحظ أن الآيةَ السابقة جاء فيها الضمير مفرداً ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ﴾ مع أنه ذكر اثنين: الكتاب والحكمة، ومقتضى اللغة: إما تثنية الضمير [بهما] أو تقديم الفعل، وعطف الاسم الثاني، وفي هذا دلالة على أن الموعوظ به هو واحد، وهو الوحي بنوعيه؛ المتلو وغير المتلو، كما في ذلك دلالة أخرى على أن الحكمة - وهي السنة - وحي هي الأخرى، والله تعالى أعلم.

ولا يصح أن يقال: إن «الحكمة» هنا هي «الكتاب» بدلالة قوله عز وجل:

---

(١) سورة البقرة (١٢٩).

(٢) انظر: سورة البقرة (١٥١) وسورة آل عمران (١٦٤) وسورة الجمعة (٢).

(٣) سورة البقرة (٢٣١).

(٤) سورة النساء (١١٣).

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[1].

فالكتابُ هو آيات الله تعالى ـ في هذه الآية الكريمة ـ عُطفت عليها الحكمةُ ، فدل اللفظ على التغاير ، لكن كلاهما ـ الكتاب والحكمة ـ منزّلان متلوّان ، ولا يكون ذلك إلا للوحي . وإن كان تلاوةُ الكتاب الكريم غيرَ تلاوة الحكمة ، والله تعالى أعلم .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[2]: ذَكَر الله الكتابَ ـ وهو القرآن ـ وذكر الحكمةَ ، فسمعتُ مَن أرضى مِن أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمةُ سنةُ رسول الله ﷺ .

وهذا يشبه ما قال ، والله تعالى أعلم .

لأن القرآن ذُكِر ، وأُتبعته الحكمةُ ، وذَكَر الله تعالى مَنَّه على خَلْقه : بتعليمهم الكتابَ والحكمةَ ، فلم يَجُز ـ والله تعالى أعلم ـ أن يُقال الحكمة هٰهنا : إلا سنة رسول الله ﷺ .اهـ.

وما قاله الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ـ ونقله عمن رضي من أهل العلم بالقرآن ممن هم قبله ـ ليس مذهبَه فحسب ، بل هو مذهبُ عامة السلف والمفسرين[3]، كما بينت هذا في غير هذا الكتاب ، والله تعالى أعلم .

٣ ـ التكفل ببيان الكتاب :

لقد تكفَّل الله تعالى بجمع القرآن الكريم في صدر رسول الله ﷺ ، كما

---

(١) سورة الأحزاب (٣٤).

(٢) الرسالة (٧٨ ـ ٧٩) وانظر جماع العلم ـ بحاشية الأم ـ (٧ : ٢٥١).

(٣) انظر : الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه ، حيث بينت هناك أنه مذهب السلف وعامة المفسرين .

تكفَّل جل شأنه ببيانه ، فقال تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[1] .

كان رسول الله ﷺ يُحرِّك لسانه أثناء قراءة جبريل عليه السلام في نزوله بالوحي عليه ، مخافةَ أن ينفلت منه ، ولا يحفظه ، فنُهي ﷺ عن ذلك ، وأُخبر أن الله تعالى هو المتكفل بحفظه في صدره ، وجريانه على لسانه بعد ذلك ، كما أن الله جل شأنه هو المتكفِّل بتفهيم تلك الآيات ومناسباتها له ﷺ ، ويوضِّح ذلك :

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يُعالج من التنزيل شدَّة ، وكان مما يُحرِّك شفتيه .

وفي رواية : كان رسولُ الله ﷺ إذا نزل جبريلُ عليه السلام عليه بالوحي ، وكان مما يُحرك به لسانه وشفتيه ، فيشتدّ عليه ، وكان يعرف منه ، فأنزل الله الآية التي في ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال : علينا أن نجمعه في صدرك ، وقرآنه [فتقرأه] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قال : فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ علينا أن نبيِّنه بلسانك [وفي أخرى : أن نبيِّنه على لسانك] قال : فكان [رسول الله ﷺ بعد ذلك] إذا أتاه جبريل أطرق . فإذا ذهب جبريل [قرأه النبي ﷺ] كما وعده الله . متفق عليه[2].

فقولُه في الحديث : (علينا أن نبيِّنه على لسانك ـ أو بلسانك ـ) هو بيان مجملات الوحي ، وتوضيح مشكلاته ، وبيان معانيه وأحكامه ،... بحيث يُجري

---

(١) سورة القيامة (١٦ ـ ١٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الوحي : باب (٤) حدثنا موسى بن إسماعيل ، وكتاب التفسير : سورة القيامة : باب : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ وباب : ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب الاستماع للقراءة ، رقم (١٤٧ ـ ١٤٨).

الله جل وعز ذلك على لسان نبيه ومصطفاه ﷺ بعد قذف ذلك في قلبه ، والله تعالى أعلم .

وقولُه تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ تَكَفُّلٌ من الله عز وجل ببيان القرآن الكريم ؛ الذي يُشكل على الناس في معانيه ، ومجمله ، وعامه ،... وأحكامه .

وهذا البيان الذي تكفَّل الله تعالى به : إما أن يكون قرآناً لاحقاً ؛ ينزله في كتابه مثل القرآن النازل ، أو لا .

ـ فإن كان قرآناً افتقر هو الآخر إلى بيان آخر أيضاً ، وهكذا يحتاج القرآن إلى قرآن تالٍ ليبيِّنه ،... ويكون الدور .

يضاف إلى ذلك أيضاً أن مجملَ القرآن الكريم ، ومعانيه ، وأحكامَه ،... موجودةٌ في القرآن الكريم ، وقد بيَّنها النبي الكريم ﷺ ، كما سيأتي ذكرُ بعضه بعد قليل ، إن شاء الله تعالى .

ـ وإن كان البيان علاوةً على القرآن الكريم ـ وهو الحقُّ ـ كان منزَّلاً أيضاً ، باعتبار قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ حيث تكفَّل به ، وكان هذا البيانُ المنزَّلُ غيرَ الذي نقرؤه ، وهو وحيٌ أيضاً باعتبار الالتزام الذي التزم الله تعالى به في قوله جل وعز : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ ولا شك أن هذا البيان هو السنة ؛ الموحى بها إلى النبي المصطفى الكريم ﷺ ، والله تعالى أعلم .

ومن هنا يتضح كيف أن الله جل شأنه قد وكَلَ هذا البيانَ إلى رسوله المصطفى الكريم ﷺ ، حيث قال جل شأنه : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

بل حصر الله تعالى مهمَّةَ رسوله الكريم ﷺ في ذلك ، فقال جل شأنه :

---

(١) سورة النحل (٤٤).

﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾[1].

فيكون الله تعالى قد بيَّن لرسوله الكريم ﷺ ما أنزله عليه ، مما يحتاج إلى بيان ، ثم بيَّنه رسولُ الله ﷺ لأمته بعد ذلك ، والله تعالى أعلم .

فهذا البيانُ المُلتزَمُ به مِن قِبل الله تعالى ، والمعهودُ به إلى النبي المصطفى الكريم ﷺ هو من الوحي المنزَّل ، باعتبار الالتزام ، والعهد به إلى النبي الكريم ﷺ ، وبه بانت السنة النبوية أنها وحي أيضاً ، والله تعالى أعلم .

٤ ـ وصفه الله تعالى بأنه مشرِّع ؛ يحلّل ويحرِّم ،... :

قال الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2].

لقد بيَّن اللهُ عز وجل ـ في هذه الآية الكريمة ـ أوصافَ النبي الكريم ﷺ في الكتب السماوية السابقة ، التي ذكرها الله عز وجل على ألسنة رسله على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، ليعلم به أتباعُهم ، ويعرفوه إذا رأوه ﷺ . وهذه الأوصاف ـ عدا عن كونه ﷺ رسولاً نبيّاً أُمّيّاً ـ فهو :

ـ يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ـ وهاتان الصفتان مهمتان لكل صاحب دعوة ـ ويُحلِّل ، ويُحرِّم ، ويُخفِّف .

---

(١) سورة النحل (٦٤).

(٢) سورة الأعراف (١٥٧).

ـ ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ التي كانت محرَّمةً عليهم في كتبهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ كالميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ثقلهم، والشدائد التي كانت عليهم، كقتل النفس في التوبة، وقطع أثر النجاسة، ...إلخ.

وأذكر بعض الأمثلة، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل.

ـ كان أطايب اللحم محرَّماً على بني إسرائيل، لأن يعقوب عليه السلام حرّم ذلك على نفسه، كما قال عز وجل: ﴿۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(١).

ـ وكان بنو إسرائيل إذا أصاب البولُ جلدَ أحدهم قرضه بالمقاريض. كما في الحديث المتفق عليه(٢).

ـ بينما جاء عنه ﷺ الغَسل من البول، بل التخفيف من بول الصبي الذي لم يطعم حيث ينضح فقط بالماء.

ـ وكان بنو إسرائيل إذا حاضت المرأة فيهم؛ لم يؤاكلوها، ولم يساكنوها في البيوت، فلما سأل الصحابةُ رضي الله تعالى عنهم رسولَ الله ﷺ قال: «اصنعوا كلَّ شيء إلا النكاح»(٣). فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا به. كما في حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، عند مسلم(٤).

(١) سورة آل عمران (٩٣).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الوضوء: باب البول عند سباطة قوم. وصحيح مسلم: كتاب الطهارة: باب المسح على الخفين، رقم (٧٤).

(٣) المراد بالنكاح هنا هو الوطء، وليس إجراء عقد النكاح، فتنبه.

(٤) صحيح مسلم: كتاب الحيض: باب غسل الحائض رأس زوجها،... رقم (١٦).

ـ وكان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدُهم ذنباً كبيراً فأراد أن يتوب يَقتل نفسه حتى تقبل توبتُه ، فنهى النبي ﷺ عن قتل النفس ، وحثَّ على التوبة ، والنصوص في ذلك كثيرة ، والله تعالى أعلم .

وما ذكرته فمنه ما هو في القرآن الكريم ـ كالاستغفار مثلاً ـ ومنه لا ، كغَسل النجاسة بالماء .

وما فعله النبي المصطفى الكريم ﷺ من تحليل وتحريم وتخفيف ،... ليس باختياره وإرادته كبشر ، إنما هو بأمر الله عز وجل ووحيه ، لأن هذه الأمور هي من اختصاص المشرِّع الحقيقي ، وهو الله تعالى ، فإذا أذن الله عز وجل لنبيه ﷺ فقد جعل ذلك له ، وهذا ما يوضحه قوله تعالى عن نبيه وصفيه ﷺ : ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾[1]. مما يدل على أن السنة النبوية وحيٌ ، لأن الله تعالى أضفى عليه بعضَ صفات المشرِّع ، وهو ﷺ لا ينطق إلا بوحي ، والله تعالى أعلم .

٥ ـ تقدم الفعل من النبي الكريم ﷺ على نزول الآية القرآنية :

هناك كثير من الأعمال العبادية والمعاملات ،... كان النبي الكريم ﷺ يفعلها ، ومعه المؤمنون ، ولم يكن القرآن الكريم قد نزل في ذلك ، بل إن بعض تلك العبادات والمعاملات كانت معروفة في العهد المكي وما نزلت الآيات بصددها إلا في العهد المدني ، كما أن هناك بعض الأحكام قالها النبي الكريم ﷺ جواباً لسؤال مثلاً ، ثم نزل تصديق ذلك في كتاب الله تعالى . والنصوص في ذلك كثيرة ذكرتها في الأصل ، أذكر بعض الأمثلة على ذلك :

أ ـ آية الوضوء مدنية بالإجماع ، وفرض الوضوء كان بمكة مع فرض الصلاة .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : سقطت قلادة لي بالبيداء ـ ونحن

(١) سورة الأنعام (٥٠) وسورة يونس (١٥) وسورة الأحقاف (٩).

داخلون المدينة ـ فأناخ رسول الله ﷺ ، ونزل ، فثنى رأسَه في حِجْري راقداً ، أقبل أبو بكر رضي الله تعالى عنه فلكزني لكزةً شديدةً ، وقال : حبست الناس في قلادة ؟ فبي الموتُ لمكان رسول الله ﷺ ، وقد أوجعني ، ثم إن النبي ﷺ استيقظ ، وحضرت الصبحُ ، فالتُمِس الماءُ فلم يوجد ، فنزلت : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ...﴾ الآية[1].

فقال أُسَيدُ بن حُضير رضي الله تعالى عنه : لقد بارك اللهُ للناس فيكم يا آل أبي بكر ، ما أنتم إلا بركةٌ لهم . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

فقوله : «فالتُمس الماء» دليل على أن الوضوء كان واجباً عليهم قبل نزول آية الوضوء ، ولهذا استعظموا نزولهم على غير ماء ، ووقع من أبي بكر في حق عائشة رضي الله تعالى عنها ما وقع .

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى في التمهيد[3]: وفي قوله في حديث مالك ـ وهي الرواية الثانية لهذا الحديث ـ : وليسوا على ماء ، وليس معهم ماء : دليل على أن الوضوء قد كان لازماً لهم قبل نزول آية الوضوء ، وأنهم لم يكونوا يصلّون إلا بوضوء قبل نزول الآية ، لأن قوله : فأنزل الله آية التيمم ـ وهي آية الوضوء المذكورة في سورة المائدة ، أو الآية التي في سورة النساء . ليس التيمم مذكوراً في غير هاتين الآيتين ـ وهما مدنيتان ،...

ومعلوم أن غسل الجنابة لم يفترض قبل الوضوء ، كما أنه معلوم عند جميع

---

(١) سورة المائدة (٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : باب : ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ من سورة المائدة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحيض : باب التيمم ، رقم (١٠٨ ، ١٠٩).

(٣) التمهيد (١٩ : ٢٧٩) وذكر الحافظ رحمه الله تعالى ملخصه في فتح الباري (١ : ٤٣٤) والإمام السيوطي رحمه الله تعالى في الإتقان (١ : ٣٦).

أهل السير أن النبي الكريم ﷺ منذ افترضت عليه الصلاة بمكة لم يصلِّ إلا بوضوء ـ مثل وضوئنا اليوم ـ وهذا ما لا يجهله عالم ، ولا يدفعه إلا معاند .

وفيما ذكرنا دليل على أن آية الوضوء إنما نزلت ليكون فرضها المتقدم متلواً في التنزيل . ولها نظائر كثيرة ليس هذا موضع ذكرها .

وفي قوله ـ في حديث مالك ـ فنزلت آية التيمم ـ ولم يقل آية الوضوء ـ ما يتبين به أن الذي طرأ إليهم من العلم في ذلك الوقت حكم التيمم ، لا حكم الوضوء ، والله تعالى أعلم.اهـ.

قلت : والحديث الذي ذكرته ، وفيه فنزلت : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ...﴾ دليل على أن المراد بالآية : آيةُ المائدة ، لا آية النساء . ولهذا أخرج البخاري رحمه الله تعالى هذا الحديث في تفسير آية المائدة .

ومما يدل على وجود الوضوء في العهد المكي قبل الهجرة إلى المدينة :

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : دخلت فاطمةُ رضي الله تعالى عنها على رسول الله ﷺ وهي تبكي ، فقال : «يا بُنَية ؛ ما يبكيك ؟» قالت : يا أبت ما لي لا أبكي ، وهؤلاء الملأ من قريش في الحِجْر ، يتعاقدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قد رَأوك لقاموا إليك فيقتلونك ، وليس منهم رجل إلا وقد عرفَ نصيبَه من دمك . فقال : «يا بُنَية ؛ ائتني بوَضوء» فتوضأ رسول الله ﷺ ، ثم خرج إلى المسجد ، فلما رأوه قالوا : ها هو ذا ، فطأطؤوا رؤوسهم ، وسقطت أذقانُهم بين ثديهم ، فلم يرفعوا أبصارَهم ، فناول رسولُ الله ﷺ قبضةً من تراب ، فحصبهم بها ، وقال : «شاهت الوجوه» فما أصاب رجلاً منهم حصاةٌ من حصاته إلا قُتل يوم بدر كافراً . رواه أحمد ، وابن حبان والحاكم ـ وصححاه ـ وأقره الذهبي ، وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل ، وعزاه الهيثمي لأحمد برجال الصحيح(١) .

---

(١) مسند أحمد (١ : ٣٠٣ ، ٣٠٨) والمستدرك (١ : ١٦٣) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٤٣٠) =

فهذا دليل صريح على وجود الوضوء قبل نزول آيته ، وما كان فعله إلا عن وحي اتبعه ﷺ ، لكنه لم يكن متلواً ، ثم نزل الأمر به ليكون متلواً ، والله تعالى أعلم .

ب ـ من الثابت أن الصلوات الخمس فُرضت ليلة الإسراء والمعراج ، فُرضت أول ما فرضت خمسين ، ثم رحم الله تعالى هذه الأمة بمراجعة رسولها ﷺ ومشورة موسى عليه السلام ، فخفف الله تعالى الصلاة إلى خمس ، فهي خمسٌ في الأداء ، وخمسون في الثواب والحساب .

لكن ثبت أن النبي الكريم ﷺ كان يصلي قبل فرض الصلاة عليه في ليلة المعراج ، بل كان يصلي ﷺ بعد بدء الدعوة ، ويدل على هذا :

عن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة ، وجمعُ قريشٍ في مجالسهم ، إذ قال قائل منهم : ألا تنظرون إلى هذا المرائي ؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان فيعمِد إلى فرثها ودمها وشلاها فيجيء به ، ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه ؟ فانبعث أشقاهم ، فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه ، وثبت النبي ﷺ ساجداً ، فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك ،... فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال : «اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، اللهم عليك بقريش ، ثم سمى : اللهم عليك بعمرو بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة ابن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي مُعَيط ، وعمارة ابن الوليد».

قال عبد الله : فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر . متفق عليه[1].

= ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٢٤٥ ـ ٢٤٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ٢٤٠) ومجمع الزوائد (٨ : ٢٢٨).

(١) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى ، وفي =

وهذه الحادثة كانت قبل الهجرة إلى الحبشة ، لأن فيها الدعاء على عمارة بن الوليد ، وهو الذي أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى النجاشي ليرد إليهم من هاجر من المسلمين ، وبقي عمارة في الحبشة حتى مات[1].

بل هناك روايات تبين أن رسول الله ﷺ قد صلى قبل ذلك الوقت .

عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه ـ في قصة إسلامه ـ قال : وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحَجَر وطاف بالبيت هو وصاحبه ، ثم صلّى [زاد في رواية : صلى ركعتين خلف المقام] فلما قضى صلاتَه ؛ قال أبو ذر رضي الله تعالى عنه : فكنت أولَ من حياه بتحية الإسلام ، قال : فقلت : السلام عليك يا رسول الله . فقال : «وعليك ورحمة الله»... الحديث بطوله ، رواه مسلم[2].

وقد وردت صلاته ﷺ قبل هذا الوقت بكثير ، عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، منهم عفيف الكندي رضي الله تعالى عنه ، وما معه ﷺ سوى علي وخديجة رضي الله تعالى عنهما ، وكان ذلك بمنى . رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، والبيهقي وابن إسحٰق في السيرة وابن سعد ، وحسنه ابن عبد البر ، وقال الهيثمي : رجال أحمد ثقات[3]. وله

= غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين ، رقم (١٠٧، ١٠٨).

(١) انظر إرسال عَمْرو وعُمارة إلى الحبشة : الروض الأنف (٢ : ٩١) ومجمع الزوائد (٦ : ٢٣ ـ ٣٢) وفتح الباري (٧ : ١٦٧) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٣١٧ ـ ٣٣١).

(٢) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي ذر رضي الله تعالى عنه ، رقم (١٣٢).

(٣) مسند أحمد (١ : ٢٠٩ ـ ٢١٠) ومسند أبي يعلى (٣ : ١١٧ ـ ١١٨) والتاريخ الكبير (٧ : ٧٤ ـ ٧٥) وخصائص علي (٢٣) بنحوه ، والمستدرك (٣ : ١٨٣) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ١٦٢ ـ ١٦٣) والطبقات الكبرى (٨ : ١٧) والاستيعاب (٣ : ٣٣ ، ١٦٣ ـ ١٦٥) ومجمع =

شاهد من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه .

ومنهم علي رضي الله تعالى عنه ، وكان ذلك ببطن نخلة ، وليس معه سواه ، وقد اطلع عليهم أبو طالب . وقد رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط ، وقال الهيثمي : إسناده حسن[1].

وما جاء عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم في الحبشة ، من أمر النبي المصطفى الكريم ﷺ لهم بالصلاة ، حيث جاء عن عدد منهم[2].

ويكفي ما في الصحيحين حيث ما ذكرته كان قبل الإسراء والمعراج ، والله تعالى أعلم .

ج ـ لما وصل رسول الله ﷺ المدينةَ صلى الجمعةَ في طريقه ، وهو متوجه من قباء إلى المدينة ، في وادي رانوناء ـ في بني سالم بن عوف ـ في المكان المعروف بمسجد الجمعة ، ثم استمر ﷺ يصلي الجمعةَ في المدينة كلَّ أسبوع ، ولم يكن قد أُمر ﷺ بصلاة الجمعة ، وليس في القرآن آية توجب ذلك ، إنما نزلت سورة الجمعة بعد هذا الوقت ، في قصة عِير عبد الرحمن رضي الله تعالى عنه ، فكيف كان يصليها ﷺ ؟

قال الله عز وجل : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۞ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۞

= الزوائد (٩ : ١٠٣ ، ٢٢٢) والإصابة (٤ : ٥١٥ ـ ٥١٦).

(١) مسند أحمد (١ : ٩٩) والبحر الزخار (٢ : ٣١٩ ـ ٣٢٠) ومسند الطيالسي (٢٦ رقم ١٨٨) وكشف الأستار (٣ : ١٨٢) ومجمع الزوائد (٩ : ١٠٢).

(٢) انظر : مجمع الزوائد (٦ : ١٦ ، ٢٥ ـ ٢٧ ، ٣٠ ـ ٣١) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٣٢٦) ودلائل النبوة للبيهقي (٢ : ٢٩٩ ـ ٣٠٢).

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾(1).

ففي هذه الآيات الأمر بحضور صلاة الجمعة إذا نودي إليها . وترك البيع والشراء ، ثم الانتشار والابتغاء من فضل الله تعالى بعد انتهائها ، وكثرة ذكر الله تعالى ، حتى ينالوا الفلاح ، كما ذكرت الآياتُ الشريفةُ العتابَ من الله تعالى على ما كان قد حصل من بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة ، وتركهِم رسول الله ﷺ قائماً على المنبر يخطب ، وذهبوا لحضور التجارة التي قدمت المدينة من الشام يومئذ .

من الثابت عند عامة أهل العلم من أهل المغازي والسير والمحدثين والفقهاء أن النبي ﷺ كان يصلي الجمعة قبل نزول هذه الآيات ، بدلالتين :

الأولى : قوله تعالى في هذه الآيات : ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ﴾ أسرعوا إلى التجارة ، وتركوا رسولَ الله ﷺ قائماً على المنبر يخطب .

والثانية : سبب نزول هذه الآية هو ترك كثير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم المسجد ، والخروج للعير القادمة من الشام ، وتركهم رسول الله ﷺ قائماً على المنبر يخطب .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : بينما النبي ﷺ قائم يخطب [وفي رواية : بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ] يوم الجمعة ، إذ قدمت عير [من الشام ، تحمل طعاماً] إلى المدينة ، فابتدرها أصحاب رسول الله ﷺ ، حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً ، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما [زاد مسلم : أنا فيهم] قال : ونزلت هذه الآية : ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا﴾. متفق

---

(١) سورة الجمعة (٩ ـ ١١).

عليه[1].

فكيف صلى رسول الله ﷺ والمسلمون معه الجمعةَ قبل نزول الأمر بها ؟ مع أن الآية الكريمة تنص على أن نزولها كان بعد فعل الصحابة رضي الله تعالى عنهم لها ، وقد ثبت أن النبي ﷺ ، قد صلى الجمعةَ أول مرة في أول الهجرة ؛ عندما خرج من قباء ، وأدركته ﷺ صلاة الجمعة عند بني سالم بن عوف[2]. فصلى فيهم ، في المسجد المعروف إلى اليوم بمسجد الجمعة ، وهو على يمين القادم من قباء إلى المدينة .

فبأي شيء صلوها ؟ والجواب على ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ ، والله تعالى أعلم .

وهناك أمور كثيرة فعلها ﷺ ، ولما نزل فيها القرآن الكريم ، كأمثال الطهارة للصلاة ، قبل نزول آيات الغسل ، وحجة النبي المصطفى الكريم ﷺ وهو في مكة قبل نزول آيات الحج في المدينة ، وغيرهما ، وقد ذكرتها في الأصل ، واكتفيت بما ذكرته للتذكير ، لأنه لو ثبت أمرٌ واحدٌ كان دالّا على وجود وحي خفي - غير القرآن الكريم - فكيف بوجود كثير من الأحكام .

د - وأذكر حكماً آخر قد أفتى ﷺ بحكم ، فنزل القرآن الكريم مؤيداً لما كان قد قاله ﷺ ، للدلالة على أن ما كان قد قاله ﷺ : هو وحي .

عن أبي وائل ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : «من حلف على يمين كاذباً ؛ ليقتطع مالَ الرجل - أو قال : أخيه - لقيَ الله

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجمعة : باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ ، رقم (٣٦ - ٣٨).

(٢) انظر : فضائل المدينة المنورة (٣ : ٥ - ٨).

وهو عليه غضبان». وأنزل الله عز وجل تصديق ذلك في القرآن : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا - إلى قوله - عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].

[قال أبو وائل] : فلقيني الأشعث فقال : ما حدَّثكم عبدُ الله اليومَ ؟ قلت : كذا وكذا .

قال : فيَّ نزلت . متفق عليه[2].

وهناك عدة أمثلة ذكرتها في الأصل ، وما ذكرته كاف للتدليل على أن النبي الكريم ﷺ يأتيه وحي آخر خفي ، غير وحي القرآن الكريم - إنما هو وحي السنة - ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل ، والله تعالى أعلم .

ومن النوع الثاني : وهو ما جاء في جزئيات خاصة .

إن الآيات القرآنية في هذا الباب كثيرة أيضاً ، ذكرتُ كثيراً منها في الأصل ، أقتصر - بإذن الله تعالى - على خمسة نصوص فقط ، كما فعلت في الأدلة السابقة ، ومن أراد الزيادة فلينظر في الأصل .

١ - إظهار الله تعالى نبيه الكريم ﷺ على ما حكته أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها :

لقد دار حديث بين رسول الله ﷺ وبين إحدى أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن ، فأسرَّ ﷺ إليها أمراً ، وطلب منها عدم إفشائه ، ولكنها أفشته ، فأَطْلَع الله تعالى نبيه المصطفى الكريم ﷺ على ذلك ، فلما أخبرها به عجبت ، وظنت أن إحدى ضرائرها أخبرته ، فأخبرها ﷺ أن الله تعالى هو الذي أطلعه

(١) سورة آل عمران (٧٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الشهادات : باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ،...﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأيمان : باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ، رقم (٢٢٠ - ٢٢٢).

عليه .

قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾[1].

فقوله تعالى : ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعني أخبره تعالى بإفشاء أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها الحديث الذي أَسَرَّه ﷺ إليها . فهل هذا الإظهارُ موجودٌ في القرآن الكريم ؟ لا ، إنما كان بينَ الله تعالى وبين نبيه الكريم ﷺ ، حيث أطلعه تعالى على ما فعلَتْ أمُّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها .

ومما يدل على ذلك أيضاً : آخر الآية ﴿قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ والإنباء وحي كما هو معلوم .

وإذا كان الإظهارُ من الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ ـ والإنباء وحي ، وهو غيرُ مكتوب ، ولا موجود في القرآن ـ دل على أنَّ من الوحي ما ليس بمكتوب ، وأن ما أخبر به رسول الله ﷺ إنما هو بإيحاء الله تعالى له ، وإنبائه إياه ، وأن السنةَ النبوية وحيٌ ، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ، إنما يتّبع ما يوحى إليه ، خاصة وأن مثلَ هذا الأمر الذي كان من أم المؤمنين رضي الله تعالى عنهن جميعاً أمرٌ مخفي ؛ لا يعلمه إلا الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

٢ ـ فتح مكة المكرمة ، مع وجود التحريم لها :

لقد أخبرنا الله تعالى عن مكة المكرمة بأنها حَرَمٌ ، وحَرَمٌ آمن ، يحرم فيها القتال ،... وقد ذكر الله تعالى منتَه على أهل مكة كيف فعل جل شأنه بأصحاب الفيل ، الذين أرادوا انتهاك هذه الحرمة ، وهدمَ الكعبة ، وجعل المولى تعالى ذلك

(١) سورة التحريم (٣).

آية في كتابه إلى يوم الدين ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[1].

وقد كثرت الآيات القرآنية في بيان حرمة مكة، وتحريمها.

قال الله تعالى ـ على لسان رسوله ﷺ ـ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2].

وقال جل شأنه ـ عن أهل مكة ـ: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

وقد تكرر ذكر المسجد الحرام خمسة عشر (١٥) مرة في كتاب الله تعالى، كما تكرر ذكر البيت الحرام مرتين أيضاً ـ في سورة المائدة ـ وكل هذا دالٌّ على تحريم مكة، وأن الذي حرَّم ذلك هو الله تعالى، ولم يحرمها الناس،... ومقتضى هذا التحريم ـ كما بيّنته السنةُ النبويةُ ـ تحريم القتال، وسفك الدماء، وحمل السلاح للقتال، كما هو الحال في تحريم الصيد والشجر،...إلخ.

ومع هذا فقد أذن الله تعالى لنبيه وصفيه وخليله وحبيبه المصطفى ﷺ بفتح مكة المكرمة، وقد أعلن ﷺ أن الله سبحانه أحلَّها له ساعة من نهار، حتى دخلها ﷺ، ومعه جند الله تعالى من المهاجرين والأنصار رضي الله تعالى عنهم، ففتحها، وطهَّرها، وهدم الأصنامَ، وحطّم الأوثانَ، وغسل الرجس، وأزاح

---

(١) سورة الفيل (١ ـ ٥).

(٢) سورة النمل (٩١).

(٣) سورة القصص (٥٧) وانظر: سورة العنكبوت (٦٧).

الستار المظلم عنها ، وأباح دم عدد من أفراد أهلها ، فقتل بعضهم ،... ثم عادت حرمتها إليها من جديد كما كانت .

وقد جاءت أحاديث كثيرة عن النبي المصطفى الكريم ﷺ تبيّن إباحة الله تعالى وتسليطه رسولَه الكريم ﷺ في تلك الساعة التي أباح له فيها مكة ، أقتصر على ذكر ثلاثة أحاديث فقط :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : لما فتح الله عز وجل على رسوله ﷺ مكة ؛ قام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : «إن الله حبس عن مكة الفيل ، وسلّط عليها رسولَه والمؤمنين ، وإنها لم تحل لأحد كان قبلي ، وإنها أُحلَّت لي ساعةً من نهار ، وإنها لن تحلّ لأحد بعدي ،...». الحديث ، متفق عليه[1]. وقد روياه بنحوه عن أبي شُريح وابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

فيلاحظ في هذه الأحاديث إعلان النبي المصطفى الكريم ﷺ تحريمَ مكة ، وأن الله عز وجل هو الذي حرّمها يوم خلق السمٰوات والأرض . ويعلن ﷺ فيها أيضاً أن الله سبحانه وتعالى أباحها له ساعة من نهار ، وأذن له ولم يأذن لأحد سواه ، وأنه أحلّها له ساعةً من نهار ، وسلَّطه عليها والمؤمنين ، ثم رجعت حرمتُها اليوم كحرمتها بالأمس .

فهل هذه الإباحة ، ودخول مكة بوحي أم لا ؟

لقد أثنى الله تعالى على هذا الفتح ، حتى جعله تعالى علامةً لنبيِّه وصفيِّه ﷺ على اقتراب أجله ، كما قال الله جل شأنه : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ * وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا * فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب كتابة العلم ، وباب ليبلغ العلمَ الشاهد الغائب ، وكتاب جزاء الصيد : باب لا يحل القتال بمكة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ،... رقم (٤٤٥ ـ ٤٤٨).

إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[1].

ولهذا لما سأل عمر رضي الله تعالى عنه الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ الذين اعترضوا عليه إدخالَ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معهم في مجلسه ـ عن تأويل هذه السورة ، ثم سأل ابنَ عباس رضي الله تعالى عنهما فقال : هو أجلُ رسول الله ﷺ ، أعلمه اللهُ له ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فتح مكة ، فذاك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ قال عمر رضي الله تعالى عنه : ما أعلم منها إلا ما تعلم . لفظ البخاري[2].

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها لما سألته ﷺ عن سبب إكثاره من قول : «سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه ؟» قال : «خبَّرني ربي أني سأرى علامةً في أمتي ، فإذا رأيتُها أكثرت من قول : سبحان الله وبحمده ، أستغفر الله وأتوب إليه ، فقد رأيتها ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فتح مكة ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا * فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ . رواه مسلم[3].

فهل هذا الإذن من الله تعالى ، وتلك الإباحة ، وذلك التسليط موجود في القرآن الكريم ؟ لا ، إنما هو من الوحي غير المتلو .

لقد رفع الله عز وجل الحصانةَ عن مكة ، حتى دخلها رسول الله ﷺ ، فطهَّرها ، ثم رجعت إليها .

---

(١) سورة النصر (١ ـ ٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب [٥١] حدثني محمد بن بشار ، غزوة الفتح ، وفي غيرهما .

(٣) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب ما يقال في الركوع والسجود ، رقم (٢٢٧).

ورفعُ التحريم عن مكة وإباحتُها ؛ ليس بالأمر السهل ، بل هو في غاية الخطورة ، وحادثة الفيل ليست بعيدةَ العهد عن فتحها ، سوى ستين عاماً تقريباً . ومع هذا حصل الرفع ، وحصلت الإباحة ساعةً من زمان ليدخلها رسول الله ﷺ مطهِّراً . وقد توسعت في بيان ذلك في غير هذا الكتاب[1] .

وهذا الرفعُ دالٌّ على أن السنة النبوية وحي كالقرآن الكريم ، أوحى له بدخولها ، وأثنى عليه ، وجعل ذلك علامةً على اقتراب أجله ﷺ ، وكونه علامة على اقتراب الأجل دلالة على تقدّمه على الفعل . نعم وحي القرآن متلو ، والوحي بالسنة غير متلو ، والنبيُّ ﷺ ـ فيهما ـ إنما يتبع أمرَ ربه تعالى : ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ . وما كان ﷺ ـ بأبي هو وأمي ـ ليفتري على ربه تعالى ـ حاشاه ـ والله تعالى يقول : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾[2] . فكيف بمثل هذا الأمر الخطير ، وقد أخبر الله تعالى عنه ﷺ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[3] ، والله تعالى أعلم .

٣ ـ ما وعد الله تعالى نبيه الكريم ﷺ يوم بدر :

لما خرج رسول الله ﷺ من المدينة المنورة إلى بدر ، لتلقي عِير قريش ، وخرج زعماء قريش لمنع عِيرهم ، ولملاقاة النبي الكريم ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم ـ وكله بتقدير الله تعالى ليقضي أمراً كان مفعولاً ـ وعده الله تعالى إحدى الطائفتين ؛ العير أو النفير ، فلما سلمت العيرُ ، وتعين النفيرُ : استشار رسول الله ﷺ أصحابَه رضي الله تعالى عنهم في ملاقاة المشركين ، فتكلم الصِّدّيق ، ثم الفاروق ، ثم المقداد رضي الله تعالى عنهم ، وكره بعضُهم ذلك قائلاً : لم نستعد

(١) انظر (فضائل المدينة المنورة) وَ (فضائل مكة المكرمة) وَ (مكانة الحرمين الشريفين).
(٢) سورة الحاقة (٤٤ ـ ٤٧).
(٣) سورة النجم (٣ ـ ٤).

له ، ثم تكلم سعد بن معاذ رضي الله تعالى عنه ، فسُرَّ رسول الله ﷺ بكلامه ، ثم قال : «سيروا ، وأبشروا ؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم»(١).

فإخبار النبي المصطفى الكريم ﷺ بوعد الله تعالى له إحدى الطائفتين كان سابقاً على بدء المعركة ، وعلى نزول هذه الآيات ، ولهذا ظهرت منه ﷺ عبارات تدل على المطالبة بتحقيق هذا الوعد ، كما ظهرت عبارات منه ﷺ تبيِّن تحقيق هذا الوعد . وذلك عندما رأى ﷺ كفار قريش وقد نزلوا بدراً وهم بعددهم وعدتهم .

لذا صار رسول الله ﷺ يسأل ربَّه تعالى ـ في العريش ـ قبل بدء المعركة بيوم تنفيذَ ما وعده تعالى به ، حتى سقط رداؤه عن كتفيه ؛ من شدة إلحاحه في الدعاء ، ثم خرج رسول الله ﷺ من الخيمة ، وهو يثب في الدرع ، وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ فأراهم ﷺ مصارع القوم قبل بدء المعركة بيومٍ ، وهو يقول لهم : «هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله» فما زاول واحد من الذين عينهم ﷺ مكانَه بالأمس . وقد ورد ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، أقتصر على ذكر بعض تلك الأحاديث .

قال الله تعالى : ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۞ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۞ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٢). ففي

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٢ : ٣٠٦) ودلائل النبوة (٣ : ٣٤ ، ١١٠).

(٢) سورة الأنفال (٥ ـ ٧).

الآيات الكريمة أمران ؛ إخراجه ﷺ وليس خروجه ، وعده إحدى الطائفتين أنها لهم .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألفٌ ، وأصحابُه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبيُّ الله ﷺ القِبلةَ ، ثم مدَّ يديه ، فجعل يهتف بربه : «اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم آتني ما وعدتني ، اللهم إن تهْلِك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» فما زال يهتف بربه مادّاً يديه ، مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه ، فأتاه أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال : يا نبيَّ الله ؛ كذاك مناشدتُك ربَّك ، فإنه سينجز لك ما وعدك . رواه مسلم(١).

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال ـ وهو في قبةٍ يومَ بدر ـ : «اللهم أنشدك عهدَك ووعدَك ، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم» فأخذ أبو بكر رضي الله تعالى عنه بيده فقال : حسبك يا رسول الله ؛ فقد ألححت على ربك ـ وهو يثب في الدرع ، فخرج وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ * بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾ . رواه البخاري(٢).

فلما تحقق له ﷺ تنفيذ الله تعالى وعده طفق ﷺ يُري أصحابَه رضي الله تعالى عنهم أماكن مصارع القوم ، وذلك قبل المعركة بيوم أيضاً ، وهذا من الغيب الذي أطلع الله تعالى نبيه الكريمَ ﷺ عليه .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كنا مع عمر ـ رضي الله تعالى

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ، رقم (٥٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة اقتربت الساعة ،... : باب قوله تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ ، وفي غيرهما .

عنه ـ بين مكة والمدينة ،... ثم أنشأ يحدِّثنا عن أهل بدر ، فقال : إن رسول الله ﷺ كان يُرينا مصارعَ أهل بدرٍ بالأمس . يقول : «هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله».

قال : قال عمر رضي الله تعالى عنه : فوالذي بعثه بالحق ما أخطؤوا الحدودَ التي حدَّ رسول الله ﷺ ،... رواه مسلم(1).

زاد أنس رضي الله تعالى عنه : فقال رسول الله ﷺ : «هذا مصرع فلان» قال : ويضع يدَه على الأرض ، هٰهنا وهٰهنا . قال : فما ماط أحدُهم عن موضع يدِ رسول الله ﷺ . رواه مسلم(2).

ولهذا خاطب رسول الله ﷺ قتلى كفار قريش بوعد الله تعالى ، حيث صار يناديهم بأسمائهم : «يا أبا جهل بن هشام ، ويا أمية بن خلف ، يا عتبة ابن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ،... هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقاً ، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً». كما في حديث عمر وأنس رضي الله تعالى عنهما عند مسلم ، وحديث ابن عمر وأبي طلحة رضي الله تعالى عنهم عند البخاري(3).

ومن الآية والأحاديث السابقة يتضح ما يلي :

أ ـ خروج النبيِّ الكريم ﷺ ليس باختياره ، إنما بأمر الله تعالى ، وإن كان ﷺ قد حثّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم على الخروج بقصد اعتراض عير قريش .

ب ـ كون هذا الوعد من الله تعالى كان قبل المعركة ، لأن سورة الأنفال نزلت بعدها ، وأن الوعد جاء بصيغة المضارع ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وكذا رغبة

---

(1) صحيح مسلم : كتاب الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، رقم (٧٦).

(2) صحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب غزوة بدر ، رقم (٨٣).

(3) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب قتل أبي جهل ، وكتاب الجنائز : باب ما جاء في عذاب القبر . وصحيح مسلم : كتاب الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، رقم (٧٦ ـ ٧٧).

المسلمين ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ مما يدل على أن ذلك كله كان قبل بدء المعركة .

ج ـ إن هذا الوعد لم يكن موجوداً في القرآن الكريم يوم خروجه ﷺ إلى بدر ، إذ لو كان موجوداً فيه لقرأه ﷺ عليهم ، أو ذكّرهم به ، مما يدل على أنه من الوحي غيرِ المتلوِّ ، أوحاه الله تعالى إلى رسوله الكريم ﷺ قبل بدء المعركة ، وقبل نزول هذه الآية ، وأخبر به ﷺ قبل تحققه ووقوعه ، لأنه لو كان في القرآن الكريم قبل الوقوع ما كان لينشد رسول الله ﷺ ذلك الإنشاد ، والله تعالى أعلم .

د ـ إخباره ﷺ الصحابة رضي الله تعالى عنهم أن الله عز وجل وعده إحدى الطائفتين ، وذلك قبل بدء المعركة ، وقبل نزول هذه الآية الكريمة .

هـ ـ مناشدته ﷺ ربه تعالى إنجاز ما كان قد وعده وتعهَّد به . وذلك قبل بدء المعركة . وهو النصر على المشركين ، حيث وعده إحدى الطائفتين ، فلما نفدت العير ، بقي النفير ، وهذا السؤال والمناشدة إنما كان قبل المعركة ـ كما مر في الحديث ـ وقبل نزول سورة الأنفال ، مما يدل على أن ذلك ما كان إلا بوحي ، والله تعالى أعلم .

و ـ تحديده ﷺ مصارع القوم ـ واحداً واحداً ـ قبل قتلهم ، مع تحديده ﷺ مكان مصارعهم ، وذلك قبل بدء المعركة ، وهذا لا يمكن أن يكون بالاجتهاد ، إذ ليس للعقل فيه مسرح ، ولأنه من الغيب الذي لا يمكن الاطلاع عليه ، إلّا لمن أطلعه الله تعالى عليه . مما يدل على أن ما نطق به ﷺ هو من الوحي .

ز ـ سؤاله ﷺ قتلى مشركي قريش ـ وهم في القليب ـ : هل وجدوا ما وعدهم الله تعالى ورسوله ﷺ ؟ فإنه ﷺ وجد ما وعده الله تعالى حقّاً . كما في أحاديث ابن عمر وأبي طلحة عند البخاري ، وعمر وأنس رضي الله تعالى عنهم عند مسلم ، كما مرت الإشارة إلى ذلك .

وكل ذلك دالٌّ على أن هذا الوعد من الله تعالى إنما كان بوحيٍ خفيٍّ غير متلوٍّ ، ثم تحقَّق ، لأنه لا يمكن أن يكون بالاجتهاد ، ولا هو موجود في القرآن الكريم ، إنما هو وحيٌ من الله تعالى ، مما يدل على أن السنة النبوية وحي ، والله تعالى أعلم .

٤ ـ تحويل القبلة :

من المعلوم ضرورة أن النبي الكريم ﷺ كان يتوجه إلى قبلةٍ معلومةٍ في صلاته ، والصلاة ركنٌ أساسيٌّ من أركان الإسلام ، تلي الشهادتين مباشرة .

كما أن من المعلوم ضرورة أن النبي المصطفى الكريم ﷺ قد توجه إلى قبلةٍ وهو يصلي في مكة قبل الهجرة ، لأن الصلاة كانت مفروضةً في مكة ليلة الإسراء والمعراج ، وإن كان ﷺ يصلي قبل ذلك ، كما سبق بيانه .

كما أن من المعلوم ضرورة أن النبي المصطفى الكريم ﷺ كان يتوجه إلى قبلةٍ في صلاته بعد الهجرة ، في المدينة المنورة .

وإذا كان الراجح أنه ﷺ كان يتوجه في صلاته قبل الهجرة ـ وهو في مكة ـ إلى بيت المقدس ، ويجعل الكعبة بين يديه ، كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، رواه أحمد والطبراني ، والبزار مختصراً ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن أبي شيبة ، وأبي داود في ناسخه ، والنحاس والبيهقي ، ورجاله رجال الصحيح(١).

فإن من الثابت أيضاً أنه ﷺ كان يتوجه إلى بيت المقدس مقدمه المدينة المنورة مهاجراً ، ومكث ﷺ ما يقرب من سبعة عشر شهراً كذلك ، ثم أمره الله عز

---

(١) مسند أحمد (١ : ٣٢٥) والمعجم الكبير (١١ : ٦٧ رقم ١١٠٦٦) وكشف الأستار (١ : ٢١٠ ـ ٢١١) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ٣) ومجمع الزوائد (٢ : ١٢) والدر المنثور (١ : ٣٤٣). وانظر : فتح الباري (١ : ٩٦) والمستدرك (٢ : ٢٦٧ ـ ٢٦٨).

وجل بالتوجه إلى الكعبة المشرفة في مكة المكرمة .

قال الله عز وجل : ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[1].

وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر - أو سبعة عشر - شهراً ، وكان رسول الله ﷺ يُحب أن يُوجَّه إلى الكعبة ، فأنزل الله : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ﴾ فتوجَّه نحو الكعبة ، وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود - : ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

فصلى مع النبي ﷺ رجل ، ثم خرج بعدما صلّى ، فمرَّ على قوم من الأنصار في صلاة العصر نحو بيت المقدس ، فقال : هو يشهد أنه صلّى مع رسول الله ﷺ ، وأنه توجه نحو الكعبة ، فتحرَّفَ القومُ ، حتى توجهوا نحو الكعبة . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

---

(١) سورة البقرة (١٤٢ - ١٤٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب التوجه نحو القبلة حيث كان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ، رقم (١١ - ١٢).

وفي رواية لمسلم : صليتُ مع رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً .

فمن الذي أمره ﷺ أن يتوجه إلى بيت المقدس ؟ سواء لما كان في مكة المكرمة ، أو في المدينة المنورة ، قبل نزول الآيات في ذلك ؟ والآيات التي ذكرتها تدل دلالة لا تحتمل اللبس أن الذي وجهَّه ﷺ هو الله عز وجل .

فقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ دليل صريح أن الذي جعلها لنبيه ﷺ هو الله عز وجل .

وقوله تعالى : ﴿ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ فيها إشارة صريحة إلى القبلة السابقة ، قبل الأمر بالتحول عنها إلى الكعبة المشرفة .

وقوله تعالى : ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ دليل صريح على أن المتصرف هو الله عز وجل ، ليظهر من الصادق في اتباعه رسول الله ﷺ فيطيعه في التوجه إلى حيث أمر الله عز وجل ، ومن يرتد عن دينه ، والعياذ بالله عز وجل .

وقوله تعالى : ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ صريح في إن صرف التوجه عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة عظيم على النفوس ، إلا الذين هداهم الله تعالى ، وصدَقوا وأيقنوا وآمنوا برسول الله ﷺ ، وعلموا أن ما جاء به من عند الله تعالى ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، إنما يتبع ما يوحى إليه ، وأن الله جلت قدرته هو الفاعل والمتصرف ، لذا كان هؤلاء السادات رضي الله تعالى عنهم ثابتين غير مزعزعين ، حيث تحولوا إلى الكعبة بمجرد أن أُخبروا بتحوُّلها ، من غير تردد ، وقد توسعت في بيان ذلك في فضائل المدينة المنورة ، عند الحديث عن مسجد القبلتين . فانظره .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس ، سواء كان في مكة قبل الهجرة ، أو في المدينة قبل تحول القبلة

ففي حديث البراء رضي الله تعالى عنه السابق : أنه مات على القبلة قبل أن تُحوَّل رجالٌ وقُتلوا ، فلم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ . لفظ البخاري(١) .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نحوه . رواه أحمد والطيالسي والدارمي وأبو داود ، والترمذي وابن حبان والحاكم وصححوه ، وأقره الذهبي(٢) .

فالله تعالى هو المتصرف ، أمرهم بالقبلة إلى بيت المقدس ، ثم حوَّلهم إلى الكعبة ، فكيف يُضيِّعُ ثوابَ صلاتهم إلى بيت المقدس ، وهو الذي كان قد أمرهم بالتوجه إليها ؟ حاشا وكلا(٣) .

وقوله تعالى : ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ دليل على أن التوجه إلى بيت المقدس ليس اجتهاداً من عند النبي المصطفى الكريم ﷺ ، بل هو أمر

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب الصلاة من الإيمان ، وفي غيرهما .

(٢) مسند أحمد (١ : ٢٩٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٢٢ ، ٣٤٧) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، رقم (٤٦٨٠) وسنن الترمذي : كتاب التفسير : باب ومن سورة البقرة ، رقم (٢٩٦٤) ومسند الطيالسي (٣٤٩ رقم ٢٦٧٣) وسنن الدارمي (١ : ٢٢٥ رقم ١٢٣٨) والمستدرك (٢ : ٢٦٩) وصحيح ابن حبان (٤ : ٦٢٠ ـ ٦٢١) والمعجم الكبير (١١ : ٢٧٨).

(٣) لقد ذكر الحافظ رحمه الله تعالى [في فتح الباري ١ : ٩٨] أسماء من كان قد مات من الصحابة رضي الله تعالى عنهم قبل التحول إلى الكعبة ، سواء في مكة ، أو في الحبشة من مهاجرتها ، أو في المدينة من الأنصار ، وهم عشرةٌ متفقٌ عليهم ، كما ذكر من اختلف في إسلامه من غيرهم أيضاً ، فانظره إن أحببت معرفة أسمائهم .

رباني ، ولهذا كان ﷺ ينظر إلى السماء ، مقلِّباً بصره ، ينتظر أمر الله عز وجل ، لعله يحول إلى الكعبة المشرفة .

وقوله تعالى : ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ فيه أمران :

ـ إن الله عز وجل هو المتصرف ، ولم يكن ذلك اجتهاداً من عند النبي الكريم ﷺ ، فكما وجهه تعالى إلى بيت المقدس يأمره الآن بالتوجه إلى قبلة يريدها ﷺ ويهواها ويرضاها .

ـ كما أن هذا النص الكريم فيه دلالة على أن التوجه إلى بيت المقدس في الأمر الأول ليس باجتهاده ﷺ ، إنما هو تنفيذ لأمر الله تعالى ، وإلا فإنه ﷺ لا يرضى بغير الكعبة قبلة لو كان الأمر بيده ، لذا حوَّله تعالى إليها ، مما يدل على أن التوجه إلى بيت المقدس هو أمر رباني .

ـ كما يدل على أن الوحيين بقوة واحدة ، وحالة واحدة بالنسبة للنبي المصطفى الكريم ﷺ ، سواء نزل عليه كتاب ، أم لم ينزل كتاب ، إنما العبرة بالأمر الرباني ، والله تعالى أعلم .

لذا جاء الأمر الرباني له ﷺ بالتوجه إلى الكعبة المشرّفة أين ما كان : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ .

لهذا لما أنكر اليهود ومن على شاكلتهم هذا التحوُّل : علَّمه الله عز شأنه الجواب ، والرد عليهم ، بأن لله عز وجل ملكَ المشرق والمغرب وما بينهما ، يهدي من يشاء من خلقه إلى الطريق القويم .

وبعد ، فهذه الآيات صريحاتٌ بأن النبي الكريم ﷺ إنما توجه إلى بيت المقدس ـ سواء كان في مكة المكرمة أو في المدينة المنورة قبل التحول ـ ليس باجتهاده ، إنما هو بأمر الله تعالى له ، وهذا الأمر ليس موجوداً في القرآن الكريم ، إنما هو وحي اتبعه رسول الله ﷺ ، لذا كان يرغب أن يُوجَّه إلى الكعبة المشرفة ،

فوُجِّه إليها ، تحقيقاً لرغبته ورضاه ، وأمر الله تعالى .

وهذا التوجه الأول كان بمكة ـ كما مر ـ وهو مذهب الجمهور أيضاً ، وهذه الآيات مدنية كما هو معلوم أيضاً ، والله تعالى أعلم .

٥ ـ إحلال الرَّفَث والطعام والشراب ليالي الصيام :

كان الرجال لا يقربون نساءهم ، وكانوا جميعاً لا يأكلون ، ولا يشربون ، إذا نام أحدُهم بعد الغروب في ليالي رمضان حتى غروب اليوم الثاني ، ولو استيقظ أحدهم بعد الغروب بقليل ،... فلا يباح له ذلك ، ثم أباح الله تعالى لهم ذلك كله[1]، فمن الذي حرَّمه في الأول ؟

قال الله تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[2].

ففي هذه الآية الكريمة أمور ، يهمني منها ما يلي :

أ ـ بيان حل الرفث إلى النساء ـ في ليالي الصيام ـ ولم يكن محرَّماً في القرآن الكريم قبل نزول هذه الآية الكريمة ، فكيف أحله القرآن الكريم ؟ وسياق الآية الكريمة يدل على أنه كان محرَّماً ، بدلالة قوله تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ وعلّل ذلك بقوله تعالى : ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ﴾ فمن الذي حرَّمه ؟

(١) انظر (مع رسول الله ﷺ في رمضان) فقد ذكرت مراحل الصيام ، وكيف استقر على صورته الحالية .

(٢) سورة البقرة (١٨٧).

مما يدل على أن التحريم إنما كان بوحيٍ خفيٍّ غيرِ القرآن الكريم ، وأن الآية الكريمة نسخت ما فيه ، والله تعالى أعلم .

ب ـ من خلال الآية الكريمة يدل على أن بعضَ الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ الذين كانوا قد حرِّم عليهم مباشرةُ نسائهم ـ كانوا يختانون أنفسهم ، فيأتونهن بعد العشاء ، ولما علم الله تعالى المشقةَ والحرجَ الذي يلاقيه الزوجان من عدم المباشرة ؛ وهما ينامان معاً في فراش واحد ،... والغريزة عند كلٍّ منهما قد تشتد ، لذا تاب عليهم ، وعفا عنهم ، وأباح لهم المواقعة ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ ﴾ .

فمن الذي حرَّم عليهم المباشرة قبل نزول هذه الآية ؟ إنما هو الوحي الخفي الذي لا نعلمه ، والله تعالى أعلم .

فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : لما نزل صومُ رمضان كانوا لا يقربون النساءَ رمضانَ كلَّه ، وكان رجالٌ يخونون أنفسهم ، فأنزل الله : ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ ﴾ . رواه البخاري(١) .

فتوبة الله تعالى دلالة على نسخ ما كان محرَّماً ، ولا يكون ذلك التحريم إلا بوحي .

جـ ـ في قوله تعالى ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾ دلالة على أن المباشرةَ كانت محرمةً في ليالي الصيام قبل نزول هذه الآية الكريمة ، وليس في القرآن الكريم ـ قبل نزول هذه الآية الكريمة ـ نصٌّ على التحريم ، فكيف حرِّمت المباشرة إذاً ؟ إنما كان

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة البقرة : باب ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ﴾ .

بالوحيِ المخفي ، وهو السنة النبوية ، والله تعالى أعلم

د ـ في قوله تعالى : ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ إباحة الأكل والشرب في ليالي الصيام ، وقد كانا محرَّمَين قبل نزول هذه الآية الكريمة على من نام بعد المغرب وقبل الفجر ، فمن الذي حرَّمهما قبل نزول هذه الآية ، وليس شيء من ذلك في القرآن الكريم ؟ إن الذي حرَّمها إنما هو الوحيُ الخفيُّ ، وهو السنة النبوية ، ويدل على ذلك :

عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجلُ صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي . وإن قيسَ بنَ صِرمةَ الأنصاريَّ كان صائماً فلما حضر الإفطارُ أتى امرأته فقال لها : أعندك طعامٌ ؟ قالت : لا ، ولكن أنطلقُ فأطلبُ لك ، وكان يومَه يعملُ ، فغلبته عيناه ، فجاءته امرأتُه ، فلما رأته قالت : خيبةً لك ، فلما انتصف النهار غُشي عليه ، فذُكر ذلك للنبي ﷺ ، فنزلت هذه الآية : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً ، ونزلت : ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ . رواه البخاري[(١)] .

فأباحت الآية الكريمة المباشرةَ ـ الوطءَ ونحوه ـ والأكلَ والشربَ من بعد المغرب حتى طلوع الفجر الصادق ، وحرَّمت المباشرةَ على المعتكف في المسجد فقط ، والله تعالى أعلم .

هـ ـ لما نزل قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ لم ينزل ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ في أول الأمر ، حتى بيَّنهما النبي المصطفى الكريم ﷺ ، لمن ظن أن المرادَ بهما حبلان ؛ أسود وأبيض .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب قول الله جل ذكره : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ . وفي كتاب التفسير أيضاً .

فعن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال : لما نزلت : ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض ، فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي ، فغدوت على رسول الله ﷺ ، فذكرتُ له ذلك ، فقال : «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار». متفق عليه[1]. وله ألفاظ أخرى .

و ـ في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ دلالة على منع الوصال في الصيام ، ومن الثابت أن رسول الله ﷺ كان يواصل اليومين والثلاثة ، ويقول : «إني لست كهيئتكم ، إني أبيتُ عند ربي يطعمني ويسقيني» كما في الحديث المتفق عليه ، وقد جاء عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم

فالنهيُ القرآنيُّ لا يشمله ﷺ إذاً ، إنما هو للأمة ، فبأي شيء كان ﷺ يواصل ؟ وهو يقول ـ كما يقول الله تعالى عنه ـ : ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ وَ ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾ إنما هو الوحي الخفي الذي نزل عليه ﷺ ، بأي صورة من صوره ، وهو غير القرآن الكريم ، والله تعالى أعلم .

وإذا عرفنا مراحلَ الصوم حتى استقر ؛ من صيام عاشوراء ، حتى صيام رمضان ، ومراحل صيام رمضان ، حتى استقر نهائيّاً إلى ما عليه المسلمون[2]: عرفنا أن ذلك كله جاء بالوحي الخفي ، الذي لم يُذكر في القرآن الكريم ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب قوله تعالى : ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾. وفي كتاب التفسير . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ،... رقم (٣٣).

(٢) كما أوضحته في (مع رسول الله ﷺ في رمضان).

وبهذا بان أن السنة النبوية وحيٌ أيضاً ، والله تعالى أعلم .

إلى غير ذلك من الآيات الكريمات ، والنصوص الكثيرة التي ذكرتها في الأصل ، والله تعالى هو الحافظ والمعين .

ثانياً : الأدلة من السنة النبوية :

إن الأدلةَ من السنة النبوية الشريفة على أن السنةَ النبويةَ وحيٌ كثيرةٌ جداً يصعب حصرها أو ذكرها ، وقد أكرمني الله جل شأنه بأن راجعت الألوف من الأحاديث ، واستخرجت منها الأعداد الكثيرة التي تدل على أن السنةَ النبويةَ الشريفةَ وحي ، ثم جعلتها في مجموعات ، واقتصرتُ على مائة عنوان ، يندرج تحت كل عنوان أحاديث ، تزيد فتصل إلى المئات ، وقد تنقص إلى الآحاد ، لذا فإني أذكر هنا بعض العناوين ، ومن أراد معرفة ذلك بالتفصيل فلينظر في الأصل .

ـ عناوين الأحاديث :

كل ما جاء بلفظ الوحي ، وما جاء بلفظ الأمر ، وما جاء بلفظ الإعطاء ، وما جاء بلفظ الوعد ، وما جاء بلفظ الحِل ، وما جاء بلفظ الإباحة ، وما جاء بلفظ التطييب ، وما جاء بلفظ الإذن ، وما جاء بلفظ الترخيص ، وما جاء بلفظ النهي ، وما جاء بلفظ الإبدال ، وما جاء بلفظ التفضيل ، وما جاء بلفظ الرؤية ، وما جاء بلفظ الإتيان ، وما جاء بلفظ التحريم ، وما جاء بلفظ البِشارة ،...إلخ.

وما جاء بلفظ الإيتاء ، وما جاء بلفظ التخيير ، وما جاء بلفظ النصر ، وما جاء بلفظ الاشتراط ، وما جاء بلفظ الانتداب ، وما جاء بلفظ التجاوز ، وما جاء بلفظ النفث في الرُّوع ، وما جاء بلفظ البعثة ، وما جاء بلفظ الجعل ، وما جاء بلفظ الاستئذان ، وما جاء بلفظ الإخبار ، وما جاء بلفظ العَجَب ، وما جاء بلفظ الإبدال ، وما جاء بلفظ الكفالة ، وما جاء بلفظ الضمان ، وما جاء بلفظ القَسَم على بعض الأمور ، وما جاء بلفظ التصديق ، وما جاء بلفظ العذر ، وما جاء

بلفظ الكتابة ، وما جاء بلفظ الوجوب ، وما جاء بلفظ الدخول في الجنة أو النار ، وما جاء بلفظ السؤال ، وما جاء بلفظ القضاء ، وما جاء بلفظ العرض ، وما جاء بلفظ التوكيل ، وما جاء بلفظ القسْم ، وما جاء بلفظ الإمداد ، وما جاء بلفظ الإحداث ، وما جاء بلفظ الرضا ،...إلخ.

وما جاء مِن إخبار رسول الله ﷺ عن الله تعالى وأوصافه وأسمائه وأفعاله ، وإخباره ﷺ عن نفسه الشريفة ، وما خصه الله تعالى به وفضّله ، وإخباره ﷺ عن فضل الصلاة والسلام عليه ، وبيان عقوبة تارك الصلاة عليه ، وإخباره ﷺ من بيان مسارعة الله تعالى في رضاه ﷺ ، وعن عطف لفظ الرسول على لفظ الجلالة في حصول أمر معين ، وأنه ﷺ أُوتي القرآن ومثله معه ،...إلخ.

وإخباره ﷺ عن القرآن الكريم ، ونزوله وترتيبه وحروفه وثواب قراءته ، وعن الأحاديث القدسية ،...

وإخباره ﷺ عن الملائكة الكرام عموماً ، وعن جبريل عليه السلام وتعليمه له ونزوله عليه ومصاحبته له ، وعن الجن والشياطين وأحوالهم وغواياتهم ،...إلخ.

وإخباره ﷺ عن الأنبياء السابقين عليه وعليهم الصلاة والسلام ، وأحوالهم وأوصافهم وما حصل معهم ،... وعن الأمم السابقة ، وما حصل فيها ، وما ورد مِن بعض أفرادها ،...إلخ.

وإخباره ﷺ عن أهل بيته رضي الله تعالى عنهم ، وأحوالهم ، وما سيكون لهم ، وعن الزيادة عن الأربع في أزواجه رضي الله تعالى عنهن ، وعن أصحابه رضي الله تعالى عنهم ووفياتهم ، وما سيحصل لهم ، أو لبعضهم بعده ﷺ ، وعن قرنه وفضلهم ومدتهم ،...

وإخباره ﷺ عن المدينة المنورة وحرمها وأهلها ومكانتها وأحوالها وصفاتها ، وما يكون فيها ، وعن مكة المكرمة وحرمها ومكانتها وأحوالها وأهلها ، وعن

المساجد الثلاثة وفضلها ،...إلخ.

وإخباره ﷺ عن بدء الخلق ، وعن الغيب السحيق ، وعن الغيوب المستقبلة ، والأمور البعيدة القادمة ، وعن الفتن والملاحم ، والحروب الحاصلة بين الأمم ، أو بين المسلمين أنفسهم ، وعن أشراط الساعة بنوعيها ـ الكبرى والصغرى ـ ما ظهر منها وانقضى أو ما زال موجوداً ، وما لم يظهر ، وإخباره ﷺ عن الكائنات في زمانه ؛ فوقعت كما أخبر ، سواء كان حصولها في زمانه أو بعده ،... إلخ.

وما جاء مِن إخباره ﷺ عن الفضائل في الأعمال ، والأقوال ؛ كالذكر والدعاء والأيام والأمكنة والأزمنة والأفراد ، وبيان الثواب على الأعمال ؛ من صلاة وصيام وصدقة ووضوء وحج وقتلِ حيوانٍ معينٍ ، ومن الأذكار ، وإخباره ﷺ عن العقوبات على من فرَّط في الطاعات ،...إلخ.

وإخباره ﷺ عن الهجرة وفضلها ،...

وإخباره ﷺ عن أمته ، وفضلها ، ومكانتها ، وأجرها ، وانتشارها ومُلكها ، وأعمار أهلها ، وأنها لا تجتمع على ضلالة ، ووجود الطائفة المنصورة فيها على الدوام ، وإخباره ﷺ عن الشهداء فيها ومكانتهم وأحوالهم وأنواعهم ،...إلخ.

وإخباره ﷺ عن الجنة ونعيمها ودرجاتها وكيفيتها وأبوابها ومن يدخلها ، وعن النار ودركاتها وأوديتها ونارها وعذابها وقوَّتها وأهلها وأحوالهم ومَن يدخلها ومَن يخرج منها ،...إلخ.

وإخباره ﷺ عن أحوال القبر والبرزخ ، وإخباره ﷺ عن يوم القيامة وأحوالها وشدتها ، وما فيها من الحوض والكوثر والصراط ، وعن عَرض الجنة والنار عليه ﷺ ، وما رأى فيهما ، وعن أول ما يُقضى به بين الناس يومَ القيامة ، وعن أول من يُدعى إلى الجنة ، وأول من يدخلها ، وما شعار المؤمنين يومئذ يوم العرض ، ومن سيكون تحت العرش مِنْ المؤمنين ،...إلخ.

وإخباره ﷺ عن الإيمان وأركانه ، والإسلام وتشريعاته ، والإحسان وأحواله ، وعن عرض الأعمال على الله تعالى ،...إلخ.

وتشريعه ﷺ للأحكام في الحلال والحرام ، سواء في النكاح أو البيوع ، أو المطعومات ، أو المشروبات ، أو اللباس ،...إلخ.

وبيانه ﷺ للعبادات المختلفة المتنوعة ، وعن الزائدة منها ؛ في الحضر والسفر ، والأمن والخوف ،... إلخ.

وإخباره ﷺ عن خَلق الإنسان ، والأمور الطبية الأخرى ، وعن الطب والأدوية والتشريح والمعالجات ، مما لا مدخل للبشر فيه ، وعن العالَم المادي والمعنوي من الشمس والقمر والزمان ،...إلخ.

وإخباره ﷺ عن المؤمنين وصفاتهم وأحوالهم وشوقهم وحنينهم ، وعن المنافقين وأحوالهم وصفاتهم وأنواعهم ،...إلخ.

وإخباره ﷺ عن الرَّحِم ومكانتها ، وعن أحوال بعض الناس ، وعن الرحمة وأقسامها ، وعن بعض الحيوانات ما يُقتل منها وما لا يُقتل ، وعن الجمادات والتفريق بينها ، والتفريق بين قِطَع الأرض والمدن والبلاد .

وإخباره ﷺ على إطلاع الله تعالى له عما يفعله أو يقوله المشركون أو المنافقون ، وعن مكايد اليهود وغدرهم ،...إلخ.

وهناك عناوين غيرها كثير ، لم أذكرها ، مكتفياً بما ذكرته هنا ، لأن القصد هو التنبيه ، ولأن كثيراً من الأحاديث الشريفة يمكن أن تندرج تحت أكثر من عنوان ، لاحتوائها على فقرات متعددة ، لكن ما ذكرته يكفي للدلالة ، والله تعالى أعلم .

ثالثاً : الأدلة من دلائل النبوة :

المراد بدلائل النبوة : المعجزات والخوارق التي يجريها الله تعالى على يد رسوله

الكريم ﷺ ، ولا يمكن أن تقع من بشر بصفته البشرية ، وليس للاجتهاد فيها مسرح ولا مجال ، وإنما صَدَرَت من مشكاةِ النبوة ، لتدل على صدقه في دعواه للنبوة .

لكن لا أريد ـ هنا ـ المعجزات والخوارق الدالة على صدقه ﷺ في دعوى النبوة ـ فتلك لها بحث مستقل ـ وإن كانت تتداخل مع ما نحن فيه من بعض الجوانب ـ إنما أريد بالدلائل : الأحاديث التي قالها رسولُ الله ﷺ ـ وهي من علم الغيب ، سواء كانت عن الغيوب القديمة ، أو الغيوب المستقبلة ـ والتي تدل على أن ما صدر عنه ﷺ لم يصدر بالاجتهاد ، ولا من واقع البشرية ـ لأن ذلك لا يمكن الاطلاع عليه ـ إنما يصدر عن وحي أوحاه الله عز وجل إلى رسوله الكريم ﷺ ، فنطق به .

وذكرت في الأصل من دوّن في هذا العلم من العلماء رحمهم الله تعالى[1] .

وقبل البحث في الدلائل أحب أن أجيب على إشكال قد يقع في ذهن القارئ ، وهو طالما أن الغيب لله تعالى فهل تتعارض تلك النصوص معه ؟

ـ الغيب لله سبحانه وتعالى :

لقد أخبرنا الله تعالى أن الغيب له جل شأنه ، وأنه تعالى استأثر به ، وأنه لا أحد من الخلق يعلم الغيب .

قال الله عز وجل : ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾[2] .

وقال الله تعالى : ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[3] .

بل أخبر تعالى أن نبيَّه الكريم ﷺ ـ وهو أفضل خلقه ، وأكرمهم عليه ـ لا

(١) انظر كشف الظنون (٧٦٠).

(٢) سورة يونس (٢٠).

(٣) سورة النمل (٦٥).

يعلم الغيب ، فقال تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾(١) . في آيات متعددة .

ـ اطلاع الله تعالى بعض خلقه على غيبه :

لقد أخبرنا الله تعالى أنه يُطلع بعضَ رسله على غيبه ، تكرماً ومنحةً ، فإذا أطلعهم عليه علموه ، فهم لا يعلمون إلا ما أطلعهم تعالى عليه ، وإذا أطلعهم جل وعز حفظه ورعاه .

فقال الله تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾(٢) .

فقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ صريح بذلك .

لذا أكرم الله تعالى رسوله ﷺ بإطلاعه على المغيبات السابقة واللاحقة ، ولهذا كثرت الأحاديث عنه ﷺ ، في إخباره عن تلكم الغيوب .

وقبل الخوض في بيان دلائل النبوة الدالة على كون سنته ﷺ من الوحي أذكر بعض الأحاديث الإجمالية ، التي تدل على اطلاعه ﷺ على الغيوب البعيدة جدّاً ـ ماضياً ـ من بدء الخليقة ـ ومستقبلاً ـ حتى دخول أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ـ وما بينهما ، للتذكار .

ـ بعض الأحاديث التي تدل على اطلاعه ﷺ على الغيوب إجمالاً :

فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : قام فينا النبيُّ ﷺ مقاماً ، فأخبرنا عن بدء الخلق ؛ حتى دخل أهلُ الجنة منازلَهم ، وأهلُ النار منازلَهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه . رواه البخاري(٣).

---

(١) سورة الأنعام (٥٠).

(٢) سورة الجن (٢٦ ـ ٢٧).

(٣) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ =

أي أخبرهم ﷺ منذ بدء الخليقة حتى نهاية العالَم .

وعن حُذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما قال : قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ، ما ترك شيئاً يكونُ في مقامه ذلك إلى قيام الساعة ، إلا حدَّث به ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، قد علِمَه أصحابي هؤلاء ، وإنه لَيكون منه الشيءُ قد نسيتُه ، فأراه ، فأذكُرُه ، كما يذكرُ الرجلُ وجهَ الرجلِ إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه . متفق عليه ، واللفظ لمسلم(١).

فقوله رضي الله تعالى عنه : (ما ترك شيئاً) أي لم يترك شيئاً ذا بال مهم ، يحتاجون إلى معرفته : إلا أخبرهم ﷺ به .

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : أخبرني رسولُ الله ﷺ بما هو كائن ؛ إلى أن تقوم الساعة ، فما منه شيءٌ إلا قد سألتُه ، إلا أَني لم أسأله ما يُخرج أهلَ المدينة من المدينة . رواه مسلم(٢).

وعن عَمْرو بن أَخطب رضي الله تعالى عنه قال : صلى بنا رسولُ الله ﷺ الفجرَ ، وصعد المنبرَ ، فخطبنا حتى حضرت الظهرُ ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبرَ ، فخطبنا حتى حضرتِ العصرُ ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبرَ ، فخطبنا حتى غربت الشمسُ ، فأخبَرَنا بما كان ، وبما هو كائن ، فأعلمُنا أحفظُنا . رواه مسلم(٣).

فهذا فيه كسابقه (فأخبرنا بما كان ـ أي فيما مضى ـ وبما هو كائن ـ في المستقبل).

= يُعِيدُهُۥ﴾.

(١) صحيح البخاري : كتاب القدر : باب ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴾. وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ، رقم (٢٣).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٤).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٥).

والله تعالى أعلم .

ففي هذه النصوص الكريمة ـ وغيرها مما لم أذكره ـ دلالةٌ على أنه ﷺ أخبرهم عن الماضي السحيق ـ بدء الخلق ـ وعن المستقبل البعيد ـ بعد دخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ولا يمكن أن يكون رسول الله ﷺ قد قال ذلك اجتهاداً من واقع البشرية ؛ إذ ليس في ذلك مسرح ، ولا للعقل فيه مجال ، لأنه من الغيب ، والإنسان مهما كان لا يعلم الغيب ، إلا إذا أطلعه الله تعالى عليه ، لذا فما قاله ﷺ فهو الوحي الذي آتاه الله تعالى ، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ، إنما يتبع ما يُوحى إليه ، والله تعالى أعلم .

ودلائل النبوة كثيرة جداً ، ولله الحمد والمنة ، وهي متنوعة متعددة[1]، غير أني أقتصر على أربعة أنواع ، لكن لن أذكر الأحاديث فيها ، إنما أذكر عناوين الموضوعات ، ومن أراد التفاصيل فلينظر الأصل ، في المجلد الثاني .

١ ـ إخباره ﷺ عن الغيوب الماضية البعيدة :

إن الأحاديث النبوية الشريفة التي تتحدث عن الغيوب الماضية كثيرة جدّاً ، لكنني سأقتصر على ذكر عناوين ما ورد في الصحيحين أو أحدهما ، ومن أراد بيانَها فلينظر في الأصل ، وهذه الأحاديث تنقسم إلى قسمين :

أولاً : الأحاديث التي تتحدث عن الأنبياء السابقين على نبينا وعليهم الصلاة والسلام وذكرتها في الأصل : نوعان :

١ ـ الأحاديث التي تتحدث عن الأنبياء عليهم السلام مع ذكر أسمائهم :

إن الأحاديث التي وردت في الصحيحين أو أحدهما والتي تتحدّث عن الأنبياء عليهم السلام مع ذكر أسمائهم كثيرة ، **هذه بعض عناوينها :**

بيان خَلق آدم عليه السلام وطوله ، وسلامه عليه السلام على الملائكة

---

(١) انظر : دلائل النبوة في غزوة الخندق ، فقد ذكرت فيه أنواع الدلائل وأقسامها .

وردّهم عليه ، ومحاجة آدم وموسى عليهما السلام ، وطواف إبليس بآدم عند خَلقه ، وإنذار نوح عليه السلام أمتَه الدجال ، ووصيته لبنيه ، واختتان إبراهيم عليه السلام وهو ابنُ ثمانين سنة ، وتعويذه إسماعيل وإسحٰق عليهم السلام ، وما حصل له ولزوجه في مصر ، وأن إسماعيل عليه السلام كان رامياً ، وما حصل له في مكة ،...

وأن يوسف هو الكريم ابنُ الكريم ابنِ الكريم ابن الكريم عليهم السلام ، واغتسال أيوب عليه السلام عارياً ، ونزول رَجْل الجراد من ذهب عليه ، وحثوه في ثوبه ، ومرور يونس عليه السلام في ثنية هرشى على ناقة حمراء وهو يلبي ، وخُلق موسى عليه السلام ، وما كان بينه وبين بني إسرائيل ، وأذيته من قِبَلهم ، واغتساله منفرداً ، وسؤاله عن أدنى أهل الجنة ، وما حصل له مع ملَك الموت ،...

وتخفيفِ القرآن على داود عليه السلام ، وصلاته وقيامه بالليل ، وبيان غَيرتِه ، وأكلِه من عمل يده ، وقضاءِ سليمان عليه السلام بين المرأتين ، وطوافه على تسعين ـ أو مائة ـ امرأة ، وأن زكريا عليه السلام كان نجاراً ، وعن قَوام عيسى عليه السلام ، وأن الشيطان نخس في الحجاب ولم ينخس فيه ، وما حصل له مع السارق ،...إلخ.

٢ ـ الأحاديث التي تتحدث عن الأنبياء عليهم السلام من غير تسميتهم :

إن الأحاديث التي وردت في الصحيحين أو أحدهما والتي تتحدّث عن الأنبياء عليهم السلام من غير ذكر أسمائهم كثيرة أيضاً ، **وهذه بعض عناوينها** .

إخباره ﷺ أن لكل نبيٍّ حواريين ، وإعطاء كل نبيٍّ آية على مثلها آمن البشر ، وأن لكل نبيٍّ بطانتين ، وأن كلَّ واحد منهم رعى الغنم ، وتخيير كل نبيٍّ عند المرض بين الدنيا والآخرة ، وأنهم تنام أعيُنُهم ولا تنام قلوبُهم ، وأن لكل واحد منهم دعوة مستجابة ؛ قد تنجَّزها في حياته ، وأن الله تعالى إذا أراد رحمةَ أمة

قبض نبيَّها قبلها ليكون لها فرطاً ، وأنهم أخوة لعلّات ، وأن كلَّ واحد منهم بُعث إلى قومه خاصة إلا النبي المصطفى الكريم ﷺ ، وأن كل واحد منهم حذّر أمتَه من الدجال ، وأن منهم من لم يصدِّقه من أمته إلا رجلٌ واحد ،...

وأن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ ، وأن الشمسَ حُبست لنبيٍّ من الأنبياء ، وأن الله تعالى عاتب نبيّاً حرَّقَ قريةَ النمل لقَرْص واحدةٍ منها له ، وأن واحداً منهم كان يخط ، وأنه لم يُعط أحد منهم سورةَ الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ، وأن هلاك الأمم السابقة بكثرة اختلافهم على أنبيائهم ، وكثرة أسئلتهم ، وما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ،...إلخ.

ثانياً : الإخبار عن الأمم السابقة :

إن الأحاديث التي وردت في الصحيحين أو أحدهما والتي تتحدّث عن تتحدث عن الأمم السابقة كثيرة جدّاً ، **وهذه بعض عناوينها** .

ـ تقدير المقادير قبل خلق السمٰوات والأرض ، جعل الرحمة مائة قسم ، وإنزال قسم منها إلى الأرض ؛ لتتراحم به الخلائق ، وخلق الملائكة من نور ، وجعل الأرواح جنوداً مجندةً ، واصطفاء كنانة مِن ولد إسماعيل عليه السلام ، وأن عَمرَو ابنَ لُحَيٍّ أولُ من سيَّب السائبة ، وأن المسجدَ الأقصى بُني بعد المسجد الحرام بأربعين سنة ،...

وأن الوزغَ كان ينفخ النار على إبراهيم عليه السلام ليؤجِّجها ، وأن هلاك عادٍ بالدَّبور ، ولولا ادخار بني إسرائيل اللحمَ لم يخنز ، وأن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ، وأن بني إسرائيل دخلوا على أستاههم مخالفين أمر الله عز وجل ، ولِمِ سُمِّي الخضر بهذا الاسم ، وقصة موسى والخضر عليهما السلام ، وأن الغلامَ الذي قتله الخضرُ طُبع كافراً ، وبيان عدد الذين تكلَّموا في المهد مع بيان أسمائهم وقصصهم .

وقصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ، وقصة الذي كان به جرح فانتحر ، وقصة الأقرع والأبرص والأعمى ، وقصة أصحاب الغار الثلاثة ، وقصة البغِيِّ التي سقت الكلبَ فغفر الله تعالى لها ، وقصة الرجل الذي سقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له ، ودخول المرأة النار بسبب هرة حبستها ولم تطعمها حتى ماتت ،...

وتجاوز الله تعالى عمن كان يتجاوز عن المعسرين ، وقصة الزارع الذي سمع الصوت من السحاب ، وقصة الذي استقرض مالاً فلم يجد مركباً يُوصل المالَ إلى صاحبه ؛ فأرسله في خشبة ،...

وصفة عاقر الناقة ، وحال الذي لم يعمل خيراً قط ، وقصة الذي قتل تسعة وتسعين ، وكلام البقرة والذئب ، وقصة الذي خسف الله تعالى به الأرض ، وقصة الذي ابتاع أرضاً فوجد فيها كنزاً ، وشكر الله تعالى لمن نحّى غصن شوك عن الطريق ، وقصة السارق من بني إسرائيل ، ووجود المحَدَّثين في الأمم السابقة ،...

وقصة إرسال الطاعون رجساً على بني إسرائيل ، وتحريم الشحم عليهم ، واحتيالهم في أكله ،...إلخ.

٢ ـ إخباره ﷺ عن الكائنات الغيبية المستقبلية فوقعت طبق ما أخبر به ، على أن يكون ذلك في زمنه أو زمن أصحابه رضي الله تعالى عنهم .

إن الأحاديث التي وردت عنه ﷺ ، وهي تتحدث عن الأمور الغيبية المستقبلية ، التي تحقّقت في زمانه أو في زمان أصحابه رضي الله تعالى عنهم كثيرة ، **وهي نوعان :**

أ ـ ذكره القرآنُ الكريم ، أو أشار إليه ، وهو كثير[1]. وهذا لن أتعرض إليه ،

(١) انظر : الشمائل لابن كثير (٣٥٠ ـ ٣٥٧).

ولن أذكر منه شيئاً ، لأنه لا يدخل فيما نحن بصدده من الدلائل ، لوجوده في القرآن الكريم .

ب ـ ما ورد من الأحاديث النبوية الشريفة مما لم يرد ذكرُه في القرآن الكريم ، أو يشر إليه ، وهو كثير جداً أيضاً ، لكني سأقتصر على ذكر بعض عناوين الموضوعات ، مما ورد في الصحيحين أو أحدهما فقط ، على سبيل الإشارة ، والله تعالى المستعان . ومن أراد معرفة النصوص فلينظر في المجلد الثاني من الأصل .

إخباره ﷺ عن الهجرةِ من مكة إلى المدينة ، وإخباره ﷺ عن إتمام هذا الدِّين وظهورِه ، وإخباره ﷺ عن الخصائص التي خصَّه الله تعالى بها ، وعن استشهاد بعض أصحابه رضي الله تعالى عنهم (كعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ،...) وإخباره ﷺ عن قَتْلِهِ لأُميَّةَ بنِ خلف ، وعن قتل أُبي ابن خلف ، وعن مصارع صناديدِ قريش في بدر ؛ مع تحديد أماكنهم قبل بدء المعركة ،...

وإخباره ﷺ عن الخلفاء بعده ، وعن البلوى التي ستصيب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، وعن الذراع المسمومةِ ، وعن الرجل الذي قُتل يومَ خيبر أنه من أهل النار ، وعن الأنصارِ رضي الله تعالى عنهم أنهم يَقلّون وأن الناس سيكثرون ، وأنهم سيجدون أثرةً بعده ،...

وإخباره ﷺ عن فتح اليمن ، والشام ، والعراق ، ومدائن كسرى ، ومصر ، وعن هلاك كسرى وقيصر ، وإنفاق كنوزهما في سبيل الله تعالى ، وعن فتح الحيرة ، وخروجِ الظعينة منها ، وعن إفاضة المال حتى لا يوجد من يقبله ،...

وإخباره ﷺ عن استشهاد أمراء غزوة مؤتة ، وعن استشهاد أهل بئر معونة ، وعن موت النجاشي رضي الله تعالى عنهم ـ وكلهم في الأيام التي ماتوا فيها ـ وعن تقدُّمِ وفاته ﷺ قبل أمته ، والإشارة إلى وفاته ﷺ في المدينة ، وأنه ﷺ فَرَطٌ لهم ، وعن المبشَّرين من أهل الجنة رضي الله تعالى عنهم ، وبمن يموتُ على

الإسلام ، وأنه ﷺ إذا قال لأحد أصحابه عند الحرب : «يرحمه الله تعالى» فإنه سيقتل شهيداً ،...

وإخباره ﷺ عن حال من غلَّ شملة يوم خيبر وأنها تشتعل عليه ناراً ، وأن الأرض لن تقبل الذي ارتد ، وعن فتح مكة ، ودخولها ، وأن قريشاً لن تغزوهم - بعد غزوة الخندق - بل العكس ، وعن عدم دخول أحد ممن شهد بدراً وبيعة الرضوان النارَ ، وأن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما سيحصل لهم الأنماط ،...

وإخباره ﷺ عن انتقال أهل المدينة إلى الشام واليمن والعراق ، وأن دون الفتنة باب (وهو عمر رضي الله تعالى عنه) فإذا انكسر لن يُغلق ، وأنه رضي الله تعالى عنه من المُحَدَّثين ، وإخباره ﷺ عن الخوارج ، وعن المخْدَج عند قتال الخوارج ، وإخباره ﷺ عن القتال بين الطائفتين الكبيرتين من المسلمين ، وعن الفتن في المدينة ، وعن طاعون عمواس ، وعن معركتي الجمل وصفّين ، وعن مروق مارقة عند اختلافٍ بين طائفتين من المسلمين ، والإشارة إلى الكذّابَين ؛ الأسود العنسي ومُسيلمة الكذاب ، وأن في ثقيف كذّاباً ومبيراً ، وإخباره ﷺ عن أويس القرني رحمه الله تعالى ،...

وإخباره ﷺ أن عمّار بن ياسر رضي الله تعالى عنهما تقتله الفئة الباغية ، وأن عبدَ الله بنَ سلام رضي الله تعالى عنه لن يقتل بل يموت ، وعن فتح خيبر على يد الذي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ﷺ ،...

وإخباره ﷺ عن خطاب حاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه لأهل مكة بمسير النبي المصطفى الكريم ﷺ إليهم ، وعن المنافق يوم حنين وعن شيعته التي ستكون ، وعن سبب هبوب الريح الشديدة عند عودتهم من تبوك ، وعن المنافقين (١٢) يوم الثنية في تبوك ، وعمن تخلَّف في المدينة لعذر يوم سيرهم إلى تبوك ،...

وإخباره ﷺ عن قدوم وفد عبد القيس ، وقصة الذي ضُرب في رجله منهم ، وعن قدوم وفد أهل اليمن ، وإخباره ﷺ أبا هريرة رضي الله تعالى عنه بوصول غلامه يوم هجرته ،...

وإخباره ﷺ عن الآيات الست بين يدي الساعة ، وأولها موته ﷺ ، وعن غزو فئام من الناس ، والإشارة إلى خلافة أبي بكر الصديق ، وشهادة عكاشة بن محصن ، وثابت بن قيس رضي الله تعالى عنهم ، وعن استدارة الزمان ، وعن تمادي الناس حتى يسألوا عن الله تعالى ،...إلخ.

وإخباره ﷺ عن سيادة الحسن بن عليٍّ رضي الله تعالى عنهما ، وعن الغزو في البحر ، وكون أم حرام رضي الله تعالى عنها معهم ، وعن قتال الترك ، وعن انخرام قرنه ﷺ بعد مائة عام ،...

وإخباره ﷺ أن فاطمة رضي الله تعالى عنها أول أهله لحوقاً به ، وأن زينب أو سودة أول نسائه رضي الله تعالى عنهن لحوقاً به ، وعن ولادة ولده إبراهيم ، وأن له مرضعاً تُتِم رضاعَه في الجنة ، وعن بدء فتح ردم يأجوج ومأجوج ، وعمن قيل إنه مات أنه انتحر ، وعن اليهودي ورقص قلوصه به وهو متوجه إلى الشام ،...

وإخباره ﷺ للصحابة رضي الله تعالى عنهم يوم حجة الوداع : لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا ،...إلخ.

وكل ذلك قد تحقّق طبق ما أخبر به ﷺ .

٣ ـ إخباره ﷺ عن الغيوب المستقبلية :

الفرق بين هذا الباب والذي قبله : هو أن ما كان في الباب السابق قد تحقق كله في زمنه ﷺ أو زمن أصحابه رضي الله تعالى عنهم ، أما هذا الباب فلم يتحقق في ذلك الوقت ، إنما تحقق بعضه بعد زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ،

وكثير منه لم يتحقق بعد .

كما أن النوع الأول قد تحدَّث النبي المصطفى الكريم ﷺ عن أمر واقع في زمانه فتحقق ، أما هذا فقد أخبر ﷺ عنه بأنه سيقع ، لذا أفردته في نوع مستقل ، والله تعالى هو الحافظ والمعين .

ثم إن الأحاديث في هذا الباب كثيرة ، لكني سأقتصر على ذكر بعض عناوين الموضوعات مما ورد في الصحيحين أو أحدهما للاختصار ، ومن أراد معرفة الأحاديث فلينظرها في الأصل ، لأن القصد هو الإشارة والتنبيه ، والله تعالى هو الموفق والمعين ، فمن ذلك :

إخباره ﷺ عن الفتن والملاحم ، وعن خوارج آخر الزمان ، وعن غزوِ القسطنطينية ، وعن قتالِ التركِ ، وعن فِتَنِ أغيلمةٍ من قريش ، وعن القرون المفضَّلة ، وعن الدجاجلة والكذّابين ، وعن أشراط الساعة ، وعن النار التي ستخرج من أرض الحجاز ، وعن وجود الشر بعد هذا الخير في هذه الأمة ، وعن الجلّادِين ، والنساءِ الكاسيات العاريات ،...

وإخباره ﷺ عن بلوغ مُلْك أمته ، وعن استخلاف أمته فيها ، وعن منع العراق والشام أرزاقهم ، وعن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، وعن كسره للصليب ، وعن الخلفاء الاثني عشر ، وعن خروج أهل المدينة منها إلى الشام واليمن والعراق ، وعن عين تبوك والجنان فيها ،...إلخ.

وإخباره ﷺ عن الطائفة المنصورة ، وعن الأقوام الذين بأيديهم مثل أذناب البقر ، وعن اتباع هذه الأمة للأمم السابقة ، وعن حصول الردة ـ والعياذ بالله تعالى ـ في آخر الزمان قبيل قيام الساعة ، حتى تضطرب أَلَياتُ نساء دَوْس على ذي الخَلَصة ، وعن الهرج في آخر الزمان ، وأنه إذا وُضع السيف في هذه الأمة فلن يُرفع إلى قيام الساعة ، وعن عدم مبالاة الناس بم يأخذون المال من حلٍّ أو

حرام ،...

وإخباره ﷺ عن تمني محبيه رؤيتَه ﷺ ، وعمن يتَّبعون المتشابه ، وعمن يُحدِّثون بما لم يكن ، وأنه لا يُقتل بعد الفتح قرشيٌّ صبراً ، وأنه ﷺ لا يخشى على أمته الفقر ، ولكن التنافس في الدنيا ، وعن قتال اليهود ، وأنه لو كان العِلْم بالثريّا لناله رجال من فارس ، وعن غزو الهند وفارس والترك ،... وعن يأس الشيطان أن يُعبد في جزيرة العرب ،...إلخ.

٤ ـ إجابته ﷺ عن مسائل فكانت طبق الواقع :

إن الأحاديث في هذا الباب كثيرة ، حيث تعرَّض رسول الله ﷺ لمجموعة من الأسئلة ، فأجاب عنها ، وهذه الأجوبة ليست من علم البشر ، فهي من علوم الغيب ، سواء عن أصل خلق الإنسان ، أو من الغيب القديم ـ التاريخ ـ أو من علوم الآخرة ،...

ويدخل في ذلك إجابته ﷺ لبعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم قبل أن يسألوه ، فأجاب عنها ، فكانت الإجابة طبق الواقع ،...

مما يدل على أنه ﷺ تلقاها من الوحي ، لأن مثل هذه الإجابات لا تكون من عِلْم البشر ، إنما هي وحي لا غير ، لذا أحببت إفرادها في مبحث مستقل ، والله تعالى الموفق والمعين .

ـ ذكر عناوين الموضوعات :

كجوابه ﷺ لعبد الله بن سلام قبل إسلامه عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبيٌ ، وهي عن الروح ، وعن أقوام ذهبوا في الدهر فلا يُدرى ما صنعوا ، وعن رجل طوّاف في الأرض بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وجوابه ﷺ حَبْر يهود عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي ؛ عن خَلْق الوَلَد وكيف ينزع الولد إلى أبيه وإلى أمه ، وعن أول طعامٍ يأكله أهلُ الجنة ، وعن أولِ أشراط الساعة ، وجوابه ﷺ حبرَ

يهودٍ عن أين يكون الناس يومَ تُبَدَّل الأرضُ غيرالأرض والسمٰوات ، ومن أول الناس إجازةً ، وما تحفتهم حين يدخلون الجنة ، وما غذاؤهم على إثره ، وما شرابهم عليه ، ومن أين يكون الولد ،...

وجوابه ﷺ لليهودي عن أن الولد يكون من الرجل والمرأة ، وبيانه ﷺ له عن ماء الرجل وماء المرأة ، وعن السواد الذي في القمر ، وجوابه ﷺ لعصابة من اليهود عن أربع خلال ؛ عن الطعام الذي حرَّمه إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ، وعن ماء الرجل وماء المرأة ، وكيف يكون الولد ذكراً ، وكيف يكون أنثى ، وكيف يكون النبي المصطفى الكريم ﷺ في النوم ، ومن وليّه ﷺ من الملائكة .

وجوابه ﷺ لليهوديين عن الآيات التي أعطاها الله تعالى لموسى عليه السلام ، وإخباره ﷺ اليهود عما في التوراة من أمر الرجم في الزاني المحصن ، وإخباره ﷺ لليهود عن وصفه ﷺ في التوراة ، وتصديق الغلام اليهودي له ، وإخباره ﷺ السائل اليهودي عن النجوم التي رآها يوسف عليه السلام ساجدةً له ،...

وإخباره ﷺ أصحابه رضي الله تعالى عنهم عما في نفوسهم ؛ قبل أن يسألوه ؛ كإخباره ﷺ وابصة الأسدي رضي الله تعالى عنه عن البر والإثم ؛ قبل أن يسأله ، وإخباره ﷺ الرجلَ الثقفيَّ عن صلاة الليل وركوعه وسجوده وصيامه وغسله من جنابة ، وإخباره ﷺ للأنصاري رضي الله تعالى عنه عن خروجه من بيته إلى البيت العتيق ووقوفه بعرفة وحلقه رأسه وطوافه بالبيت ورميه الجمار ،...إلخ، والله تعالى أعلم .

رابعاً : الأدلة من الإعجاز العلمي :

وأعني بالإعجاز العلمي ما اصطُلِحَ عليه مؤخراً مما جاء في القرآن الكريم أو في السنة النبوية الشريفة ؛ مما له علاقة بالعلوم الكونية ، فجاء العلمُ الحديثُ

كاشفاً لما كان قد جاء فيهما ؛ صراحةً أو إشارة .

والمقصود هنا : الإعجاز العلمي في السنة النبوية ، لأنها مجال البحث .

وإذا كان الشيخ طنطاوي جوهري رحمه الله تعالى قد جعل تفسيره : (الجواهر) مغطِّياً ـ حسب ما يراه ـ الآياتِ الكونيةَ في القرآن الكريم ، وما تقوم به هيئاتٌ متخصصةٌ من بحثٍ في (الإعجاز العلمي في القرآن الكريم) فإن كثيراً من الأحاديث النبوية ما زالت تنتظر دورَها في البحث العلمي أيضاً .

وقد جَمعت الهيئةُ التأسيسية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة التابعةُ لرابطة العالم الإسلامي (١٧٤٤) حديثاً ، مما يدخل في العلوم الكونية والطبية ونحوهما ، وإن كان قد فاتها الكثيرُ ، لاقتصارها على الكتب التسعة

وقد جمعتُ عشرات الأحاديث الداخلة في ذلك(١)، أسأل المولى تعالى الإعانة ، وأفردتُ في ذلك رسالةً ؛ ذكرتُ فيها بعضَ ما ورد في كتاب الله تعالى وفي سنة نبيه المصطفى الكريم ﷺ ، ورتبتُها حسب مختلف العلوم ، من بدء خلق الإنسان ، فالتشريح ، فالطب ، فالحيوان ، فالفلك ،... وانتهاء بما أسميته : نظام التوازن في الكون ، وقد طُبعت باسم (العلوم والإيمان) أسأل الله تعالى قبوله .

وهذه عناوين بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، مما جاء العلم الحديث مطابقاً لما كانت قد حوته ونطقت به ، ومن أراد الاطلاع على الإعجاز العلمي في السنة النبوية فلينظر فيه (العلوم والإيمان). ومن ذلك :

خلق الإنسان من نطفة واحدة ، سبب الذكورة والأنوثة ماء الرجل . إثبات ماء الرجل وماء المرأة . الجنين يُخلق من ماء الرجل وماء المرأة . استقرار النطفة الأمشاج في الرحم . إحاطة النطفة بعد غرزها بأسوار تمنع من الوصول إليها .

(١) لقد غيّرت ما كنت كتبته في هذا الباب إلى هذا ، بعد كتابتي لـ (السنة النبوية وحي) ولذلك لخصت عناوين الكتاب فقط . ومن أراد زيادة المعرفة فلينظر في الكتابين .

مدة تخلق النطفة والعلقة والمضغة . تحديد جنس الجنين بعد خلق الأعضاء . نفخ الروح بعد (١٢٠) يوماً . متى يكون التشوه الخلقي في الجنين ؟ الكتابة في جبين الجنين . شق السمع والبصر . تقديم السمع على البصر . هل يمكن معرفة الجنين ؟ قد يكون الحمل مع تناول موانعه . قانون التوارث . الناصية . قيمة اللبن الغذائية . الرضاع من الأم ، وتحديد مدته . في جسم الإنسان (٣٦٠) مفصلاً . المسخ لا نسل له . الحث على الزواج المبكر . الفرق بين دم الحيض ودم الاستحاضة . الفرق بين ماء الرجل وماء المرأة . الذباب يحمل الجراثيم ومبيداتها . الأمر بقتل الكلاب ، وعدم اقتنائها . الرخصة في اقتناء القط . الحجر الصحي . نفي العدوى ، والفرار من المجذوم . لكل داء دواء . موافقة الدواء الداء . إطفاء الحمى بالماء . تداعي السهر والحمى . العلاج بالحبة السوداء . الشفاء في الذباب . تمر المدينة المنورة . ماء زمزم . السواك . النهي عن البول في الماء الدائم ، ثم الاغتسال فيه . التسمية والتكبير عند الذبح . ما يدخل باطن الإنسان ، وطريقة إخراج الضار منه . تحنيك المولود بالتمر . الاستشفاء بالعسل . الاستشفاء بالحجامة . الخمر داء ، وليس بدواء . ظهور الأمراض التي لم تكن فيمن سبق بعد تفشي الفاحشة . المدينة المنورة حرم آمن ، وصحي . الغضب . لا يعلم موعد سقوط المطر إلا الله تعالى . انشقاق القمر . الأرض سبع طبقات .

☆☆☆☆☆

الباب السابع
السنة النبوية حجة في دين الله تعالى

إن مما أثاره من يُسمون أنفسَهم ـ كذباً وزوراً ـ (أهل الذكر أو القرآنيين) : أن السنة النبوية الشريفة ليست حجةً في دين الله عز وجل ، ولهذا ألف الدكتور غلام جيلاني برق كتابه (دو إسلام) أي (إسلامان) ويعني به كما قال في مقدمته ، ما ترجمته : (إسلام القرآن ، وإسلام السنة) وقد حمل في مقدمة كتابه حملةً شديدة على إسلام السنة ـ كما يسميه ـ وأتى بشُبَهٍ واهية ـ من أجل إنكار السنة النبوية الشريفة ، وأنها عندهم ليست حجة .

وقد سبقه إلى ذلك الضلال ؛ بل الكفر الصريح : غلام أحمد برويز في كتابه (مقام حديث) حيث يقول ـ ما ترجمته ـ : الأمر اليقيني كتابُ الله فقط ، والدِّين محصورٌ فيه فقط ، والأحاديثُ : علمُ ظنٍّ ، والظنُّ لا يعتبر في الدين ، بل هو تاريخٌ دينيٌّ فقط .

وقال محمد أسلم جيراجبوري ـ ما ترجمته ـ : ما آمنتُ بالحديث ، وما أُمِرتُ بذلك (كما في جريدة طلوع إسلام ، تاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٥٠ م).

وذكَّرَتْني هذه الأقوال ما كنتُ قرأتُه في كتاب (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) لأستاذنا الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى . جاء فيه ما لفظه[1]: وفي عصورنا هذه تصدى بعض الذين لا إلمامَ لهم بهذا الفن إلى إنكار حجية السنة ، وقد نشرت مجلةُ ـ المنار ـ للمرحوم السيد رشيد رضا في العددين (٧ ، ١٢) من السنة التاسعة ، مقالين للدكتور توفيق صدقي يُعلن فيها هذا الرأيَ ، تحت عنوان (الإسلام هو القرآن فقط)،...اهـ.

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (١٥٣).

ولستُ بصدد إيراد شبه هؤلاء المنكرين لحجية السنة النبوية ، إنما أُورد هنا ما يدل على حجيتها ، فإن بقي عندي متسع من الوقت ؛ أكتب رداً على شبههم أيضاً ، إن شاء الله تعالى .

السنة مع الكتاب : إن للسنة النبوية الشريفة من حيث ارتباطها بالقرآن الكريم ثلاثة وجوه :

إما كنص الكتاب ، وإما مبيِّنة لمجمل الكتاب ، وإما زائدة على ما في الكتاب الكريم .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[1]: وسننُ رسولِ الله ﷺ مع كتاب الله تعالى وجهان :

أحدهما : نص كتاب ، فاتَّبعه رسولُ الله ﷺ كما أَنزل الله .

والآخر : جملة ، بيّن رسولُ الله ﷺ فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة ، وأوضح كيف فرضَها : عامّاً أو خاصّاً ، وكيف أراد أن يأتي به العباد .

وكلاهما اتبع فيه كتاب الله تعالى .

قال : فلم أعلم من أهل العلم مخالفاً في أن سننَ النبي ﷺ من ثلاثة وجوه ، فاجتمعوا فيها على وجهين .

والوجهان : يجتمعان ويتفرعان . أحدهما : ما أنزل الله فيه نص كتاب ، فبيَّن رسولُ الله ﷺ مثلَ ما نص الكتاب .

والآخر : مما أنزل الله فيه جملةَ كتابٍ ، فبيّنَ عن الله معنى ما أراد .

وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما .

والوجه الثالث : ما سن رسولُ الله ﷺ فيما ليس فيه نص كتاب .

فمنهم من قال : جعل الله له بما افترض من طاعته ـ وسبق في علمه من توفيقه

(١) الرسالة (٩١ ـ ١٠٣).

لرضاه - أن يسنَّ فيما ليس فيه نص كتاب .

ومنهم من قال : لم يسن سنةً قط إلا ولها أصل في الكتاب ، كما كانت سنَّته لتبيِّنَ عددَ الصلاة وعملَها ، على أصلِ جملةِ فرض الصلاة ، وكذلك ما سنَّ من البيوع ، وغيرها من الشرائع ، لأن الله تعالى قال : ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[1] وقال : ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[2]. فما أَحلَّ وحرَّم ؛ فإنما بيَّن فيه عن الله ، كما بيَّن الصلاةَ .

ومنهم من قال : بل جاءته به رسالةُ الله ، فأثبتت سنَّتَه بفرض الله .

ومنهم من قال : أُلقي في رُوعه سنتَه ،... وهي الحكمة التي ذكر اللهُ ، وما نزل به عليه كتابٌ فهو كتاب الله ، وكلٌّ جاءه من نعم الله ، كما أراد الله ، وكما جاءته النعم ، تجمعها النعمةُ ، وتتفرق بأنها في أمورٍ بعضها غير بعض ، ونسأل الله العصمة والتوفيق .

فالسنة النبوية إذاً : إما أن تكون مفصِّلةً للقرآن الكريم ، أو مبيِّنةً لمجملِ القرآن الكريم ، أو تكون زائداً على ما في القرآن الكريم .

والأول ظاهر ؛ وهو أن تأتي السنة النبوية الشريفة بمثل منطوق القرآن الكريم .

وأما الثاني : كمثلِ بيانِ عددِ الركعات في الصلاة ، وكيفيتها ، وبيان أوقاتها ، وهيئتها ، وما يُقرأ فيها ، وشروطها ومبطلاتها ،... مع أن الله عز وجل قال : ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ ويقال مثل ذلك في بقية الأحكام الشرعية ، التي وردت مجملةً في القرآن الكريم .

وأما الزائد على ما في القرآن الكريم ؛ كمثل تحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، وبين المرأة وخالتها ،... والاستنجاء ، والاستجمار ، والمضمضة والاستنشاق في

---

(١) سورة النساء (٢٩).

(٢) سورة البقرة (٢٧٥).

الوضوء ، وطهورة ماء البحر وميتته ، وتحريم أكل كلِّ ذي ناب من السباع ، وكلِّ ذي مخلب من الطير ، وهكذا ، وكلُّ ذلك إنما تبع فيه النبيُّ ﷺ وحيَ ربه تعالى المسطور ،... وغير المسطور ، والله تعالى أعلم .

ومما يدخل في البيان أيضاً : دلالتُها على الناسخ والمنسوخ من كتاب الله سبحانه وتعالى ، ثم بيان المراد من كلام الله جل شأنه المسوق عاماً ، هل هو العام أم الخاص ؟ ،... وهكذا .

ثبوت حجية السنة النبوية :

هناك ثلاث صور لحجية السنة النبوية وعدمها لا رابع لها وهي :

١ ـ أن السنة النبويةَ الشريفة كلها حجةٌ . وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه ، كما سأذكر أدلته إن شاء الله تعالى .

٢ ـ أن السنة النبويةَ الشريفة كلها ليست حجةً في الدين . وهذا كفر وضلال ، ورِدَّةٌ عن دين الله تعالى ، وقد سبق ذكر الأدلة على وجوب طاعة النبي المصطفى الكريم ﷺ في الأبواب الثالث والرابع والخامس .

٣ ـ أنَّ بعضَ السنة النبوية الشريفة حجةٌ ، وبعضَها الآخر ليس بحجة . وهو باطل أيضاً .

وقبل ذكري للأدلة على ثبوت الحجية للسنة النبوية الشريفة ؛ أحب أن أُبيِّنَ فسادَ الصورتين الأخيرتين ، من هذه الصور الثلاث :

أما الصورة الثالثة : فباطلة قطعاً ، لأنها ترجيحٌ بلا مرجِّح ، وتخصيصٌ بلا مخصِّص ، سواء بسبب أم بغير سبب . وما أحد القولين من أقوال النبي ﷺ بالأولى بالأخذ به من الآخر ، لأن كلّا منهما هو قولُ النبي ﷺ ، كما أن كلّا منهما يعضده التفضيل في الأخذ به ، ولا يقرب منه إبعاده ، فالأمر سواء فيهما أخذاً ورفضاً ، طالما كانت السنةُ النبوية الشريفة ثابتةً صحيحةً . وإلّا فمن الذي فضَّلَ

أحدَ القولين أو بعضَ السنة على بعضها الآخر ؟.

فإن زعم زاعم أن الفصلَ في ذلك إنما هو موافقة القرآن الكريم ، **فما وافق القرآنَ الكريم من السنة النبوية الشريفة فهو حجة ، وما لم يوافقه فهو ليس بحجة ،** فالجواب عنه من وجهين :

أولاً : إنَّ هذا الزاعمَ يرى أن تكون الآيةُ الكريمة حجةً على قول النبي ﷺ ، حينما تعيَّنت وتقرّرت أنها آية ، لكن هل يعلمُ أنَّ تعيينَ الآيةِ ؛ على أنها آيةٌ من القرآن الكريم ، أُنزلت من عند الله تعالى لا يمكن أنْ تُعيَّن حتى يَعرفها النبيُّ ﷺ ؟ لأنها تنزلُ عليه ، فإذا عرَفَها وعيَّنها ، يكون قولُه ﷺ لمن حضر من الصحابة أو كتَّاب الوحي : هو الذي عيَّنها ، وعُرفت به ، فيكون قولُه ﷺ حجةً على معرفة الآية وتعيينها ، فانقلب الأمر . حيث صار قولُه ﷺ هو الحجة في تعيين الآية ، فإذا لم يُصدَّق قولُه ، ولم يكن قولُه ﷺ حجةً ، لم تكن الآيةُ الكريمةُ حجةً ، وهذا كفر ، والعياذ بالله تعالى ، ومخالفٌ لإجماع المسلمين .

وإذا لم يكن قولُ النبي الكريم ﷺ حجةً ـ أو أي قول منه ـ لا يكون قولُ الله تعالى حجة . لأنه نُقل إلينا من طريقه ﷺ وبتعيينه .

مثال ذلك : لو قال النبي الكريم ﷺ : أُنزلت عليَّ سورةُ كذا أو آية كذا مثلاً ؛ فإما أَن يسلَّمَ بقوله ، ويؤخذ قوله حجة أو لا .

فإذا لم يسلَّم بقوله ﷺ لا يُسلَّم بالسورة التي نزلت أو الآية التي نزلت ، وإذا لم يكن قولُه ﷺ حجةً ، لا تكون السورة حجة أيضاً . لأن منكِرَ حجيةِ قول النبي ﷺ لا يسلِّم بما يقول ، فكيف يسلِّم بأخذ السورة على أنها سورةٌ ؛ نزلت من عند الله تعالى ؟ عِلماً بأن قولَ الله تعالى حجةٌ ؛ تكفل المولى تعالى بحفظه ، وعلى هذا انعقد إجماع الأمة ، لذا صار قوله ﷺ حجةً بالتبع ، وبدون شك . ومنكرُ ذلك كافر بالإجماع وخارج عن الملة . خاصة والنبيُّ الكريم ﷺ لا ينسب

إلى الله تعالى شيئاً لم يقله ، لأن الله تعالى يقول : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾(١).

ثانياً : إن السنةَ النبوية ، الثابتةَ عن رسول الله ﷺ بنقل الثقات العدول ؛ لا تخالف الكتابَ مطلقاً ، وكيف تخالف الكتابَ وهي وحيٌ ، والنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى . وقد جعل اللهُ عز وجل طاعةَ نبيه وصفيه الكريم ﷺ طاعتَه جل وعز - فيما أمر أو نهى - وحكمَه ﷺ حكمَه تعالى .

وكيف تخالف السنةُ النبويةُ الكتابَ الكريم وقد أقام اللهُ تعالى الحجةَ على عباده في كتابه بشيئين ؛ بكتابه وسنةِ رسوله ﷺ ، ودعوى التعارض فيما بينهما : يقتضي ادعاء اضطراب المشرِّع بشرعه ، والله تعالى ورسولُه ﷺ بريء من ذلك ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾(٢).

اللهم إلا أن يقصر الفهمُ والإدراك عند بعضهم ، فيظن التعارضَ ، وهو لا تعارض .

فكما لا يوجد في القرآن الكريم آيتان متعارضتان من كل وجه ، ولا يوجد في السنة النبوية الشريفة حديثان متعارضان من كل وجه - إلا على سبيل النسخ فيهما - كذلك لا يوجد تعارضٌ البتَّةَ بين القرآن الكريم والسنة النبوية أيضاً ، لأن كلّا منهما وحيٌ من عند الله تعالى ، أحدهما : متلوٌّ ، معجز ، ومتَعَبَّدٌ بتلاوته ، والثاني : غيرُ متلُوٍّ ، ولا معجز ، ولا متَعَبَّد بتلاوته . وانظر ما كتبه الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في كتابه .

وأما إن زعم زاعمٌ : أن معرفة الحجة في بعض السنة : إنما يكون بقول النبي ﷺ الآخر .

---

(١) سورة الحاقة (٤٤ - ٤٧).

(٢) سورة النساء (٨٢).

فهذا مغالطة وسفسطة فارغة ؛ وذلك إما أن يُعرف البعضُ الذي هو ليس حجة ؛ بالبعض الآخر الذي هو حجة ، أو لا .

فإن عُلم بقول النبي الكريم ﷺ الذي هو وحي ، فهذا البعض الذي هو وحي : داخلٌ أيضاً في البعض الذي يزعم منكرو السنة النبوية أنه ليس بوحي ، فكيف يستدل بالذي لا يعتقده على معرفة ما يعتقده !! وإن استدل بالقول الذي هو ليس بوحي ـ حسب معتقده ـ صار القولُ الذي ليس بوحيٍ ولا حجةٍ حجةً على القول الذي هو وحيٌ وحجةٌ ، وهم لا يسلِّمون بأن غيرَ الوحي حجة ، فبطل الاستدلال أيضاً .

علماً بأن السنة النبويةَ الشريفةَ لا يَحكم بعضُها على بعضٍ ، كما أن القرآنَ الكريمَ لا يَحكم بعضُه على بعض ، والله تعالى أعلم .

وأما الصورة الثانية : فهي الأخرى كفر وضلال ، وحرب على إجماع الأمة ، وإبطال لأمر الله عز وجل بطاعة رسوله الكريم ﷺ ، وردٌّ لعشرات الآيات الآمرة بطاعته ، والأخذ بقوله ، والنهي عن معصيته ﷺ ، كما مر في البابين الثالث والخامس ، وإذا لم يكن كلامُ النبي ﷺ أو بعضُه حجةً ؛ لا يكون قولُ الله تعالى حجةً أيضاً . وانظر المثال السابق .

من أدلة حجية السنة النبوية :

إن منكري السنة النبوية الشريفة ـ كما يزعمون ـ لا يعتمدون إلا على القرآن الكريم ، وقولُهم هذا باطلٌ في حقيقته ، لأنهم لو اعتمدوا القرآنَ الكريم لجزموا بالسنة النبوية ، وعملوا بها ، واحتجوا بها ، وكانوا من أسبق الناس إلى ذلك ، لكن من أطمس الله عز وجل بصيرَته ، وأعمى قلبه ، لا ينفع فيه النور ، ولا يرى الشمسَ في رابعة النهار . لذا فإني أذكر لهم بعضاً مما ورد في حجية السنة النبوية الشريفة ، مقتصراً على (٣٥) خمسة وثلاثين دليلاً من الآيات القرآنية

الكريمة ، ثم أختم بعشرة أحاديث ، ثم بإجماع الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على الأخذ بها وتطبيقها ونشرها ،... حتى تقوم عليهم الحجة ـ بإذن الله تعالى ـ مِن الذي يستدلون به بزعمهم ، والله تعالى الموفق والمعين ، وإن كان سيقع بعض التكرار في الآيات .

أولاً : لقد أقام الله تعالى الحجةَ على الناس ببعثه الرسلَ عليهم السلام ، حتى لا يحتج أحدٌ بعد ذلك بما يظن مخالفاً لما أمر به ، وإذا قامت الحجةُ بالرسل ، فالنبي الكريم ﷺ من باب أولى ، لأنه سيدُهم وإمامهم وخاتمهم عليه وعليهم الصلاة والسلام .

قال الله تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(١) .

وإن كانت الحجةُ لله تعالى قائمةً على عباده ، من قَبْل ومن بَعْد إرسال الرسل ، كما قال تعالى : ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾(٢) فحجتُه سبحانه وتعالى قائمةٌ على عباده ، وأن عباده محجوجون بما أقامه الله جلت قدرته عليهم من براهين وأدلة ، وبما أرسله سبحانه وتعالى إليهم مَن يُبشِّرهم وينذرهم ، لذا انقطعت حجة العباد .

ثانياً : لقد وضع الله سبحانه وتعالى رسولَه وصفيه الكريم ﷺ مِن دِينه وفرضه وكتابه الموضعَ الذي أبان تعالى أنه جعله علماً لدينه ، بما افترض من طاعته ، وحرَّم من معصيته ، وأبان من فضيلته ومكانته ، بما قرن من الإيمان برسوله ﷺ مع الإيمان به تعالى ، فلو آمن عبدٌ بالله تعالى ؛ ولم يؤمن برسوله ﷺ لم يكن مؤمناً ، حتى يؤمن برسوله ﷺ ، لأن الله عز وجل حصر الإيمان بذلك ،

---

(١) سورة النساء (١٦٥).

(٢) سورة الأنعام (١٤٩).

والله تعالى أعلم .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1].

وقال الله عز وجل : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ،...﴾[2].

وقال جل جلاله : ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾[3].

فقد جعل الله تعالى كمالَ ابتداء الإيمان ـ كما يقولُ الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ـ الذي ما سواه تبع له : الإيمانَ بالله تعالى ثم برسوله ﷺ ، وهذا يدل على وجوب طاعتِه ، وحجِّية قوله ، لأن الإيمان به على أنه رسول ، كالإيمان بالله تعالى على أنه إله ، فكما لا يصح إيمانُ من يؤمن بالرسول دون الإيمان بالله تعالى ، كذلك لا يصح إيمان من يؤمن بالله تعالى دون الإيمان برسوله ﷺ . لأن الله تعالى قد عطف الإيمانَ برسوله ﷺ على الإيمان بالله عز وجل بواو العطف في كل الآيات ، والله تعالى أعلم .

ثالثاً : لقد رفع الله تعالى مِن قَدْر نبيه وصفيه سيدنا محمد ﷺ ، وأعلى مقامه بحيث لم ينله نبي مرسل ، ولا مَلَك مقرَّب ، ومن ذلك أن جعل الله تعالى ما يصدر عن نبيه الكريم ﷺ هو وحيه تعالى ، وبيانَه بيانَه ، وأضاف فعلَه إلى نفسه ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ،...﴾[4].

فرسول الله ﷺ هو الذي يباشر البيعة ، والله تعالى يقول : ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ

(١) سورة النور (٦٢).

(٢) سورة النساء (١٣٦).

(٣) سورة التغابن (٨).

(٤) سورة الفتح (١٠).

ٱللَّهَ﴾ ويقول جل شأنه : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾(1) حيث جعل الفعل الأول للمضارع ، وجعل الفعل الثاني للماضي ، يعني من يطع الرسول ﷺ كان في الحقيقة مطيعاً لله عز وجل قبل . ووقعت طاعتُه لله عز وجل قبل وقوعها لرسوله ﷺ ، لأنه جل شأنه هو الذي أمر بذلك .

ويقول الله عز شأنه : ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾(2).

وهو ﷺ في كل أحواله إنما يتَّبع ما يوحى إليه ، كما قال عز وجل عنه : ﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ﴾(3).

وقارن بين قوله تعالى : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ * إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾.

وبلغ الأمر ذروته عندما جعل الله تعالى الضمير واحداً بعد ذكر لفظ الجلالة ولفظ الرسول . وذلك في آيات متعددة ؛ منها قوله تعالى : ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾(4) فلم يقل : (أن يُرضُوهما) وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾(5). فلم يقل : (ليحكما) وحقيقة الأمر أنهم يُدعون إلى رسول الله ﷺ ، ولكن الله تعالى يعتبر ذلك دعوةً له عز شأنه ، لأنه هو الذي أرسله ، فهو يدعو إليه جل شأنه . وقوله تعالى : ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾(6) ولم

---

(1) سورة النساء (٨٠).

(2) سورة الأنفال (١٧).

(3) سورة يونس (١٥).

(4) سورة التوبة (٦٢).

(5) سورة النور (٤٨).

(6) سورة التوبة (٧٤).

يقل : (من فضلهما) في آيات كثيرات ، مر ذكر كثير منها .

فالذي رفع الله عز وجل قدره إلى هذا الأمر الجليل العظيم ، وأوجب طاعته ، وحرّم معصيته ، ألا يكون قولُه حجةً فيما صدر عنه ؟ نعم .

رابعاً : لقد فرض الله عز وجل على الناس اتباعَ وحيه وسنة نبيه ﷺ . ولم يمتنَّ على عباده المؤمنين إلا بمنتين اثنتين ؛ الأولى : هدايته تعالى لهم للإيمان ، والثانية : بعثة نبيه وصفيه الكريم ﷺ .

فقال تعالى عن المنة الأولى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[1] .

وقال الله تعالى ذاكراً مِنَّته على عباده المؤمنين ببعثِهِ هذا النبي الكريم ﷺ : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾[2]

والمراد بالكتاب ـ القرآن الكريم ـ وبالحكمة ـ السنة النبوية الشريفة ـ كما مر ـ لأنهم كانوا قبل مجيئه ﷺ في ضلال مبين .

فكما أن الكتابَ الكريمَ حجةٌ كذلك الحكمة حجةٌ ، لأن الله تعالى امتنَّ على المؤمنين بعد بعثته ﷺ أنه يعلمهم شيئين ؛ الكتاب والحكمة ، ولولا أنهما سواء في الحكم لما نظمهما الله تعالى في سياق واحد ، وامتن على عباده المؤمنين بتعليم رسوله الكريم ﷺ لهما معاً ، ثم ما واجب الطالب المتعلِّم تجاه معلِّمه له ، وهو يعلمهم مالا يعرفون ، ويهديهم إلى الصراط المستقيم ، ويدلهم على النور المبين ؟ والله تعالى أعلم .

(١) سورة الحجرات (١٧).

(٢) سورة آل عمران (١٦٤).

خامساً : إن الأدعياء في هذا الكون كثر ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى ميزاناً دقيقاً يقاس به الذي يدّعي الإيمانَ بالله تعالى ومحبتَه جل شأنه . هذا الميزان هو اتباع رسول الله ﷺ . فإن كان المدَّعي صادقاً في محبته لله تعالى اتبع رسول الله ﷺ ، فيكرمه الله تعالى بمحبته . وإلّا كان كاذباً في ادعائه محبةَ الله سبحانه وتعالى .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

فلا تصح دعوى المحبة لله تعالى بدون اتباع رسوله ﷺ . والاتباعُ أعم من الطاعة ، لأنه يشمل القالَ والفعلَ والحالَ والأخلاقَ والهديَ ،... وهذا دالٌّ على حجية السنة النبوية . وإلا لما أمر بالاتباع ، والله تعالى أعلم .

سادساً : لقد جعل الله جلت قدرته للإيمان في نفس العبد شروطاً لابد من توفرها ، فمن لم يحقق تلك الشروط لا يكون مؤمناً حقّاً ، وكلما نقص شرطٌ نقص من الإيمان بقدره . ومن تلك الشروط طاعةُ رسول الله ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] .

وهكذا صفة المؤمن : السمعُ والطاعةُ دائماً لينال الفلاح ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3] فلو لم تكن سنته ﷺ حجةً لما جعل طاعتها من شرط الإيمان ، ومن صفات أهله ، وسبب الفلاح .

---

(١) سورة آل عمران (٣١).

(٢) سورة الأنفال (١).

(٣) سورة النور (٥١).

بل بلغ الأمرُ ذروته عندما جعل الله تعالى إرضاءَه وإرضاءَ رسوله ﷺ من شرط الإيمان أيضاً .

فقال الله تعالى : ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[1] فقد أفرد الضمير ﴿يُرْضُوهُ﴾ للدلالة على عِظم مكانة هذا النبي الكريم ﷺ ، وأن رضاه من رضا ربه تعالى ، فإذا أرضوا رسولَه الكريم ﷺ فقد أرضوا الله تعالى ، وكيف يرضونه ﷺ إذا لم يتبعوه ويطيعوه ، ولا يخالفونه أو يعصونه ، لأن الله تعالى جعل طاعتَه ﷺ طاعتَه تعالى[2]، والله تعالى أعلم .

سابعاً : إن الله تعالى لم يرسل رسولاً إلى خلقه إلا ليطاع بإذن الله تعالى ، فلو لم يُطَع الرسولُ الذي يُرسله اللهُ تعالى ـ في أمره ونهيه ـ لما أَرسله تعالى ، ولما كانت لبعثته قيمةٌ تذكر . لأن الله تعالى إنما يرسل الرسلَ عليهم السلام ليأمروا الناسَ ، وينهوهم ، ويدلوهم ، ويعلموهم ، ويحذروهم ، ويبشروهم ، وينذروهم ،... فإن لم يُطاعوا ، ولم تكن أقوالُهم حجةً ، يكون الناسُ قد عصَوا من أرسلَهم ، وهو الله تعالى .

قال الله عز وجل : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾[3] فما أرسلهم إلا ليطاعوا ، فمن لم يُطعهم فقد عصى الله تعالى الذي أرسلهم ، فاستحقوا العذاب ، ولهذا عذَّب الله عز وجل الأممَ السابقةَ عندما عصوا رسلَهم عليهم السلام ، ولم يطيعوهم ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة التوبة (٦٢).

(٢) انظر ما كتبته عن هذه الآية الكريمة في «الشوق إلى رسول الله ﷺ...» وَ «فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم».

(٣) سورة النساء (٦٤).

ثامناً : إن اللهَ عز وجل حكيمٌ عادلٌ ، لا يعذب إنساناً حتى يقيم الحجةَ عليه . لذا أرسل الله تعالى الرسلَ عليهم السلام إلى البشرية ؛ كلما احتاجوا إلى ذلك ، وطرأ خللٌ على عقيدةِ الإيمان في النفوس . حتى ختمهم بنبيِّه المصطفى الكريم سيدنا محمد ﷺ .

فقال الله جل شأنه : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾(١) .

وقال الله عز شأنه : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾(٢) .

فبعد الرسالةِ تقوم الحجةُ على الناس ، والرسولُ يعلِّم ويحذِّر ، ويأمر وينهى ، ويُنذر ويُبشِّر ،... فمن استجاب له ﷺ ، وسمع قولَه ، وأطاع أمره ونهيه ، واتّبعه ؛ سعد ونجا . ومن خالفه ولم يتّبعه ، وعصى أمرَه ونهيه ، ولم يسمع قوله ،... شقي وهلك ، والعياذ بالله تعالى .

فالرسولُ هو النذير العريان ، وهو الرائدُ الذي لا يكذِب أهلَه ، فإذا حذَّرهم العدوَّ ؛ فمن أطاعه ورحل سلم ، ومن خالفه وعصاه وبقي في مكانه صبَّحه العدوُّ فأهلكه ، لذا فالسعيد هو المطيع ، والشقي هو العاصي .

فلو لم يكن قولُ الرسول حجةً ؛ لما قامت البينةُ على فرعون ، وأُهلك بمجرد دعوة موسى عليه السلام له ، ولم تكن التوراةُ قد نزلت على موسى عليه السلام بعد . وكذا يقال في الأمم السابقة مع رسلها ، والله تعالى أعلم .

تاسعاً : إن مهمةَ رسول الله ﷺ بالنسبة للقرآن الكريم أنه مبيِّن له ، وموضِّح لمراميه وآياته ، ومبيِّن مجملَه ،...إلخ.

قال الله تعالى : ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ

---

(١) سورة الإسراء (١٥).

(٢) سورة القصص (٥٩).

يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1] مع أن الله تعالى تكفل ببيان القرآن الكريم له ﷺ ، كما قال جل شأنه : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[2] ولكن الله تعالى وَكَلَ هذا البيانَ لرسوله ﷺ الذي تكفل الله تعالى له به ، كما في الآية السابقة ، فمن أطاع رسول الله ﷺ في بيانه للأحكام الشرعية يكون مطيعاً لله تعالى الذي تكفَّل لرسوله الكريم ﷺ بذلك البيان .

ولهذا بيَّن ﷺ جميعَ الأحكام الشرعية . مثل الصلاة ، حيث ورد اللفظُ الكريم مجملاً في قوله : ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فجاءت السنةُ النبوية الشريفة ؛ مبينةً عدد ركعات كل وقت ، ومبينة أوقاتها ، وكيفيتها ، وهيئتها ، وشروطها ، ومبطلاتها ، وأركانها ،... وهكذا يقال في سائر الأحكام .

والمسلمُ مُلزَمٌ بذلك كله ، كما هو ملْزمٌ بقول الله تعالى ، لأن ذلك البيان جاء من النبي الكريم ﷺ تفسيراً وتوضيحاً وبياناً ؛ للآيات التي تكفَّل الله تعالى ببيانها لرسوله الكريم ﷺ . وأُمر المسلم بطاعة ذلك كله ، والامتثال إليه ، مما يدل على أن قولَ النبي ﷺ حجةٌ ، وطاعتَه واجبةٌ ، كما أن الإيمانَ به واجبٌ ، والله تعالى أعلم .

وهنا يُسأل منكرُ السنة النبوية الشريفة : إن جميعَ ما ذكرتُ من هيئة الصلاة وعدد ركعاتها وأوقاتها ،... ليس شيءٌ من ذلك في القرآن الكريم ، فما حكم ذلك ؟

فإن قال : إن الصلوات الخمس وأوقاتها وتعدادَها ،... لاحكم لها قط ، وأنها باطلة ، وغير ملزِمة ، لأنها لم تذكر في القرآن الكريم ، ولا نصَّت عليها آياتُ الذكر الحكيم تفصيلاً . فهذا القول ليس كفراً فحسب بل هو جنون واختلاط

---

(١) سورة النحل (٤٤).

(٢) سورة القيامة (١٦ ـ ١٩).

في العقل .

وإن قال : إن لها حكماً قطعياً ـ وهو المطلوب والحق ـ فلا بد أن يكون نزل عنها حكمٌ على النبيِّ الكريم ﷺ ، وهو البيان الذي تكفل الله تعالى به لرسوله الكريم ﷺ ، ويكون النبيُّ ﷺ قد حَكَم بما أنزل الله تعالى ، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي فرضَه ، ولم يفرضه النبيُّ ﷺ من تلقاء نفسه ، ولا بيَّنه من عند نفسه . وهذا كله يدل على أن قوله ﷺ حجةٌ قطعيةٌ ، لأنه مبلِّغٌ عن الله تعالى البيانَ الذي تكفّل له به ، وهو المعبِّرُ عنه ، والله تعالى أعلم .

عاشراً : لقد جعل الله تعالى من مهام رسوله الكريم ﷺ : إيضاح الحق حين يختلف الناس .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1].

وهذا التبيانُ الذي عبَّر عنه ﷺ بلسانه ، وهو الذي تكفل الله تعالى له به ، هو حجةٌ ، لأنه مبنيٌّ على الكتاب الكريم ، ومتفرع عنه . وملزِم لمن تُبيِّن له ، لأن الله تعالى جعله هدى ورحمة للموقنين ، أما غير الموقنين فالويل لهم ، والله تعالى أعلم .

الحادي عشر : لقد أوجب الله تعالى طاعتَه في كتابه الكريم ، كما أوجب طاعة رسوله ﷺ . وقد جاءت الآيات في وجوب طاعة رسول الله ﷺ على نوعين :

الأول : ذكرها الله تعالى مفردة من غيرِ ذكر طاعة الله تعالى أو عطفِها عليها . كما في قوله جل شأنه : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ

---

(١) سورة النحل (٦٤).

﴿تُرْحَمُونَ﴾[1] حيث قرن بين وجوب الصلاة والزكاة وطاعة رسول الله ﷺ . وكلها واجبة . فلو لم تكن السنة النبوية الشريفةُ واجبةً وحجةً قائمةً ؛ لما عطفها على واجبين ، وعلَّق عليها الرحمة .

والثاني : عطف طاعة الرسول ﷺ على طاعة الله تعالى . وهذا نوعان :

أ ـ عطف لفظ الرسول على لفظ الجلالة ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وَ ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ في آيات متعددة . سواء عبَّر عن الطاعة بصيغة الماضي ، أو المضارع مع احتماله للأمر ، أو بصيغة الأمر والطلب ، وقد سبق ذكرها فيما مضى .

ب ـ عطف طاعة الرسول ﷺ على طاعة الله عز وجل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ وَ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ﴾ في آيات متعددة أيضاً ، وقد سبق ذكرها

والنوعان يدلّان على وجوب طاعة رسول الله ﷺ ، وتحريم معصيته ، إذ كيف يُتصوَّر وجوبُ الطاعة ما لم يكن قولُه ﷺ ملزِماً ، وكذا كيف يُتصوّر تحريمُ المعصية ما لم يكن قولُه ﷺ حجةً قاطعةً .

فلو لم تكن حجةً في دين الله تعالى لما عطفها الله جل شأنه على طاعته . وإذا كانت طاعة الله تعالى هي في كتابه الكريم ، فإن طاعةَ رسوله ﷺ تكون في سنته . وكلاهما حجة في دين الله عز وجل ، للأمر بالأخذ بهما ، ووجوب طاعتهما ،... وتحريم معصيتهما ومخالفتهما ،... ولأنهما وحي ، ومن مشكاة واحدة كما سبق بيانه .

ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى من صفات المؤمنين : السمعَ والطاعةَ ، فقال الله جل شأنه : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ

(١) سورة النور (٥٦).

بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1].

بل اعتبر الله جل شأنه السمعَ والطاعةَ من المؤمنين لنبيهم الكريم ﷺ نعمةً عظيمةً ؛ من نعم الله تعالى التي امتن بها على المؤمنين ؛ كما قال تعالى : ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[2] فلو لم تكن سنته ﷺ حجةً في دين الله عز وجل لما جعلها الله تعالى نعمةً وميثاقاً على عبيده المؤمنين ، والله تعالى أعلم .

فكما أن قولَه تعالى : ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ يدل على حجية القرآن الكريم ، فإن قوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ يدل على حجية السنة النبوية الشريفة ، والله تعالى أعلم .

الثاني عشر : لقد أوجب الله تعالى النزولَ على حكم رسولِه الكريم ﷺ في كل خلاف يقع . فقال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[3].

ومن الملاحظ في هذه الآية الكريمة : نفيُ صفة الإيمان عمن لم يحكِّم رسولَ الله ﷺ ، وقد ورد القَسمُ على ذلك كله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ ثم لم يقل الله تعالى : (حتى يحكموني) وإنما قال جل شأنه : ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾.

فلو لم يكن قولُه ﷺ حجةً في دين الله تعالى لما جعله الله تعالى حَكَماً ، يفصل

---

(١) سورة البقرة (٢٨٥).

(٢) سورة المائدة (٧).

(٣) سورة النساء (٦٥).

بين خلقه . مع وجوب رفع الحرج من النفس ، عند سماع حكمه ﷺ ، إضافة إلى وجوب التسليم المطلق لحكمه ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ وذلك منتهى الرضا .

فلو لم يكن قولُه ﷺ حجةً في دين الله تعالى لما أُلزِم المسلمون بالتسليم الكامل باطناً ، وعدمِ وجودِ الحرج في النفس عندما يحكم لهم أو عليهم . وكل هذا وارد عليه القسم ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ ،... حَتَّىٰ ﴾.

وسبب نزول الآية معروف . وأما ما ورد في هذه الآية الكريمة فإنما هو قضاء قضى به رسول الله ﷺ ، وليس حُكماً منصوصاً عليه في القرآن الكريم . لأنه لو كان قضاءً بمقتضى القرآن الكريم لكان حكماً منصوصاً عليه ومكتوباً في كتاب الله عز وجل ، بينما الآية تنص على تحكيمه ، وعدم وجود الحرج مما قضى ، والتسليم الكامل له .

وإذا قارنا هذه الآية الكريمة التي نفى الله تعالى الإيمانَ عمن لم يُحكِّم رسوله الكريم ﷺ فيها ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾ مع قوله تعالى : ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ﴾(١) حيث فيهما أن الحكمَ لله تعالى لا غير ؛ يظهر لنا أن الحكم لله تعالى ، وأن النبي ﷺ إنما يحكم بينهم بما أراه الله تعالى وأوحاه إليه ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ ﴾(٢).

فالحكم لله عز وجل أراه رسولَه الكريم ﷺ ليحكم بين الناس ؛ بما أوحاه إليه بالوحي الخفي ، فينطق به ، فمن لم يطعه ﷺ فقد عصى الله تعالى الذي حكم ، لذا نفى عن العاصي صفة الإيمان ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة الشورى (١٠).

(٢) سورة النساء (١٠٥).

بينما المؤمنون الصادقون إذا دُعوا إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهم ليس لهم إلا أن يقولوا : سمعنا وأطعنا . كما هو منطوق الآية الكريمة ، وسيأتي التعليق عليها بعد قليل ، إن شاء الله تعالى

فالتسليمُ لحكمِه وأمرِه ﷺ ؛ وعدمُ وجود الحرج في النفس ؛ كل منهما يدل على أن ما يقوله رسولُ الله ﷺ حجةٌ ، وإلا لما طلب الله تعالى التسليمَ الكامل ، والإذعانَ المطلق له ، والله تعالى أعلم .

الثالث عشر : وكما جعل الله عز وجل نبيه وصفيه الكريم ﷺ حاكماً في الآية السابقة ، جعله كذلك قاضياً بين الناس بما أمره الله عز شأنه ، وإذا كان الله تعالى قد نفى صفةَ الإيمان عمّن لم يحكِّمه ؛ ويرضى بحكمه ﷺ ، ويسلِّم له تسليماً كاملاً مطلقاً : فإنه تعالى نفى أيضاً صفةَ الإيمان عمَّن لم يسلِّم لأمر نبيه وصفيه الكريم ﷺ ، ويذعن لقضائِه . لأن معصيتَه ضلالٌ مبين ، وخروج ومروق من الدين .

قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1] فلم يبح المولى تعالى لأحد من المؤمنين أن يخالفوا حكمه أو أمره ﷺ ، بل سياق الآية الكريمة يفيد بأنه لا يتصور وجود مؤمن يخالف أمر رسوله ﷺ ، الذي كان سبب هدايته ، ويختار غيرَ ما اختاره وقضاه ﷺ .

وقولُه تعالى : ﴿أَمْرًا﴾ هو شاملٌ للقول والفعل والتقرير . فلو لم يكن قولُه ﷺ وسنتُه حجةً في دين الله تعالى لما لزم المؤمنُ الإذعانَ ، وعدم اختيار أي أمرٍ يخالف الأمرَ الذي قرّره ، وأمر به ، واختاره ﷺ ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة الأحزاب (٣٦).

الرابع عشر : لقد أمر الله تعالى جميع المسلمين أن يرجعوا إلى قول النبي ﷺ وسنته فيما إذا حصل بينهم خلاف ، أو بينهم وبين أولي الأمر منهم .

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾(1).

فإن حصل بينكم خلافٌ أو نزاعٌ ، فردّوه إلى ما قال الله تعالى في كتابه الكريم ، وإلى ما سنَّه رسولُ الله ﷺ إن عرفتموه ، وإذا كنتم غائبين عنه ، أو لم تعرفوه ؛ سألتم رسولَ الله ﷺ عنه إذا وصلتم إليه ، أو إذا رأيتموه .

لأن ذلك هو الفرض الذي لا منازعة لكم فيه ، كما في الآية الكريمة السابقة : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾(2).

وأما من تنازع بعد وفاة رسول الله ﷺ ردَّ الأمرَ إلى قضاء الله تعالى وقضاء رسوله ﷺ . فلو لم يكن قولُه ﷺ حجةً في دين الله تعالى لما أُمروا أن يرجعوا إليه . ويلاحظ أن الله تعالى عطف لفظ الرسول على لفظ الجلالة بواو العطف ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ دلالة على أهمية ذلك ، إذ إن الحكم واحد ، أوحاه الله عز وجل إلى رسوله ﷺ ، ونطق به رسوله ﷺ ، لذا شرط ذلك كله : بوجود الإيمان ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ﴾ .

ومن الملاحظ أيضاً في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى ـ في الحديث عن الطاعة ـ أمر بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ وأولي الأمر ، وأما عند الحديث عن

---

(1) سورة النساء (٥٩).

(2) سورة الأحزاب (٣٦).

المنازعة وأنه لا بد من الرجوع لحكم ؛ لم يذكر (أولي الأمر) وإنما قال : ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ بواو العطف ، لأن طاعةَ أولي الأمر مشروطةٌ . أما طاعة رسول الله ﷺ فليست مشروطةً ، ولأن قوله ﷺ حجةٌ ، يخبر عن ربه عز وجل ، والله تعالى أعلم .

الخامس عشر : لقد دعا الله جل شأنه الناسَ أن يأتوا إلى رسوله الكريم ﷺ كما يأتوا إلى كتابه الكريم .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾(١).

وقال تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(٢).

ففي الآية الأولى : دعوة للمنافقين أن هلموا إلى كتاب الله تعالى المنزل على رسوله الكريم ﷺ ، وإلى حكم رسوله ﷺ ، لكن المنافقين يعرضون ، ويمنعون غيرَهم من المجيء إليه ﷺ ، ولهذا جاء التهديد لهم في الآية التالية ﴿ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ،...﴾. الآية .

وأما في الآية الثانية : فهي دعوة للمشركين إلى كتاب الله تعالى المنزل على نبيه وصفيه الكريم ﷺ وإلى رسوله ﷺ . فأعرضوا وامتنعوا ، مكتفين بما جاء عن أبائهم ،... لذا رد الله تعالى عليهم أيضاً .

فلو لم يكن قولُه ﷺ حجةً في دين الله تعالى لكانت الدعوةُ إليه والإقبالُ عليه عبثاً وغيرَ مجدٍ ، واللهُ تعالى ورسولُه ﷺ وكتابُه الكريم منزهٌ عن العبث .

(١) سورة النساء (٦١).

(٢) سورة المائدة (١٠٤).

فلما دعاهم الله تعالى إليه دل على رضاه عن حكمه ، وحجِّيَّة قوله ، والله تعالى أعلم .

ومن الملاحظ أن الدعوة إلى كتاب الله تعالى جاءت في الآيتين بلفظ : ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يعني على رسوله ﷺ ، بينما بالنسبة للنبي الكريم ﷺ جاءت بحرف (إلى) : ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ لذا كانت الدعوة إلى كتاب الله تعالى في كل الأحوال ، وإلى رسوله ﷺ ـ في حال حياته ـ وإلى سنته بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، والله تعالى أعلم .

السادس عشر : لقد جعل الله تعالى رسولَه وصفيَّه ﷺ أسوةً حسنةً لجميع المؤمنين المتَّبِعين ، فقال الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[(١)].

فقد جعل الله تعالى هذه الآية الكريمة أساساً للاقتداء به ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه ،... لكن قيد الله تعالى المتأسّي بمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله تعالى ذكراً كثيراً .

فلو لم تكن أقواله وأفعاله ،... ﷺ حجةً في دين الله تعالى لما جعله الله عز وجل أسوة حسنة للمؤمنين .

فالله جل شأنه لمحبته بهذه الأمة لم يتركها تتخبط في اتخاذ القدوة والمثل الأعلى ، بل دلَّها على هذه القدوة الحسنة ، والأسوة الكاملة ، التي كمَّلها وجمَّلها ، وجعلها المثل الأعلى في كل شيء ، والمؤتسي والمقتدِي يتبع من يتأسّى به ويقتدي به ، وإلا ما كان مقتدياً ، ولا يصح أن يكون مؤتسياً . لأن الاقتداء والائتساء يقتضي وجود شخصين : مقتدٍ متأخر ، ومقتدَى به متقدِّم . والله تعالى جعل

---

(١) سورة الآحزاب (٢١).

رسولَه الكريم ﷺ هو المقتدَى به ، ونحن المقتدون . فمن لم يقتد بمن يُؤتسى به وهو رسول الله ﷺ كان عاصياً ، والله تعالى أعلم .

السابع عشر : لقد حذر الله تعالى من مخالفة أمر رسول الله ﷺ ، ومن خالف أمرَه ﷺ فليحذر أن يصيبه بلاء في هذه الدنيا أو عذابٌ أليم في الآخرة .

قال الله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١) .

فليحذر وليخش من خالف أَمرَ رسولِ الله ﷺ ونهجَه وشرعَه ظاهراً وباطناً أن يصاب بفتنة في الدنيا ، أو بعذاب أليم في الدنيا والآخرة .

فلو لم يكن قولُه ﷺ حجةً في دين الله تعالى لما هدَّد الله سبحانه وتعالى المخالفَ بالعذاب والبلاء ، والله تعالى أعلم .

الثامن عشر : بل جعل اللهُ تعالى من علامات النفاق : الإعراضَ عن تحكيم رسوله ﷺ ، أثناء وجود الخلاف في موطنه .

فقال الله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾(٢) .

---

(١) سورة النور (٦٣).

(٢) سورة النور (٤٧ ـ ٥٢).

فالحاكم بينهم رسولُ الله ﷺ ، وإذا سلَّموا لحكم رسول الله ﷺ ؛ فإنما سلَّموا لحكمه بفرض الله سبحانه وتعالى .

ففي هذه الآيات : مقارنة بين قول وفعل المؤمنين ؛ المطيعين الفائزين المفلحين ، وبين المنافقين ؛ الذين يدَّعون الإيمانَ ظاهراً وهم غير مؤمنين في الحقيقة والواقع .

فالمؤمنون ؛ إذا ما دُعوا إلى رسول الله ﷺ ، ليحكم بينهم ، يقولون : سمعنا وأطعنا ، لذا حازوا الفلاح والرضا ، وفازوا بالقبول وبكل خير ، وأَمِنوا من كل شر في الدنيا والآخرة .

أما المنافقون ؛ الذين يُظهرون خلاف ما يُبطنون ، ويُخالفون بأقوالهم أعمالَهم - وبالعكس - فقد نفى الله تعالى عنهم صفةَ الإيمان ، حيث قال جل شأنه : ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هؤلاء إذا ما دُعوا إلى الله تعالى فيما أنزل على رسوله الكريم ﷺ وإلى رسوله ﷺ ليحكم بينهم أعرضوا واستكبروا فيما إذا كان الحق عليهم . أما إذا كان الحق لهم جاؤوا مذعنين سامعين ، فهؤلاء لِمَ يَفْعَلون ذلك ؟ هل النفاق الموجود في قلوبهم هو الذي دفعهم إلى ذلك . أم الشك في الحكم . أم يخافون أن يجور الله جل جلاله - حاشاه - ورسولُه ﷺ - حاشاه بأبي هو وأمي - عليهم في الحكم ؟ ومع أن هذا كله كفر ، إلا أن الذي حملهم : هو مرض قلوبهم ، والشك والريب الكثير الموجود عندهم . بخلاف المؤمنين الصادقين السامعين المطيعين .

ويلاحظ إفراد الضمير - بعد ذكر لفظ الجلالة ولفظ الرسول - فقال : ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ﴾ فالحاكم بينهم رسول الله ﷺ ، والدعوة هي إلى الله تعالى ورسوله ﷺ ، وفي ذلك دلالةٌ على أن الحكم واحدٌ ، وذلك لأن الحاكم الحقيقي هو الله تعالى أوحى بالحكم إلى رسوله الكريم ﷺ فنطق به ، فصار منسوباً إليه ، وأنه الحاكم فيما بينهم ؛ لمباشرته ذلك ، فمن أطاعه فقد أطاع الله تعالى ، ومن عصاه فقد عصى الله تعالى قبل معصيته لنبيه ﷺ .

يضاف إلى ذلك : الفارق بين المؤمنين والمنافقين ، فالمؤمنون يقولون : سمعنا وأطعنا ، بينما المنافقون يعرضون ، لذا فاز المؤمنون بالفلاح ، وخسر المنافقون بظلمهم أنفسهم ، والله تعالى أعلم .

وكل هذا دالٌّ على أن السنة النبويةَ الشريفةَ حجةٌ في دين الله تعالى ، إذ لو لم تكن حجةً لما نال المؤمنُ الفوزَ والفلاحَ ،... بطاعته لها ، ونال المنافق العذاب الشديد بمخالفته ومعصيته لها وظلمه ، والله تعالى أعلم .

التاسع عشر : بل بلغ الأمر ذروتَه عندما يشير المولى تعالى إلى أن التولي عن رسول الله ﷺ مخالفة ، وكفر ، والعياذ بالله تعالى .

قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] بعد أن أمر الله عز وجل بطاعته وطاعة رسوله الكريم ﷺ بيَّن أن من تولى فهو كافر ، لا يحبه الله عز وجل .

وقال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۞ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[2].

فقد أمر الله تعالى بالطاعة ، وحذّر ونهى عن التولي . ومن تولى فهو شر الخلق لأنه لا يعقل ولا يسمع . وقد جاءت آيات كثيرات فيها التحذير من التولي عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ .

ولعظم خطورة التولي عن الله تعالى ، وعن رسوله ﷺ بيَّن اللهُ عز وجل عقوبةَ الذي يتولى عن رسول الله ﷺ .

---

(١) سورة آل عمران (٣٢).

(٢) سورة الأنفال (٢٠ ـ ٢٢).

فقال الله جل شأنه : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾(١) .

فقد بيّن سبحانه وتعالى أن المتولّي ليس مؤمناً .

كما بيّن الله عز وجل حالَ المؤمنين وغيرهم : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٢) .

فلو لم يكن قوله ﷺ حجةً ، خاصّة فيما يتعلق بأمور الإيمان والعقيدة والدين ؛ لما كان المطيع له الجنة والنعيم فيها ، وكان المتولي عنه كافراً ؛ له العذاب الأليم ، والعياذ بالله تعالى .

العشرون : لقد أوجب اللهُ تعالى على جميع المسلمين : اتباعَ أمر رسوله ﷺ في كل ما أتى به ؛ وهو الأخذ في الأمر ، والاجتناب في النهي .

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٣) .

ويلاحظ قوله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ ليشمل الأمرَ من قول أو فعل أو تقرير ،... والأمر في ﴿فَخُذُوهُ ، فَٱنتَهُواْ﴾ يقتضي الوجوب فيهما .

فمن خالف وعصى رسولَ الله ﷺ فليحذر عقاب الله تعالى الشديد .

فلو لم يكن قولُه ﷺ ـ أمراً ونهياً ـ حجةً في دين الله تعالى ؛ لما أمر بالأخذ بكل ما جاء به ﷺ ، وتوعَّد المخالفَ بالعقاب الشديد ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة النور (٤٧ ـ ٤٨).

(٢) سورة الفتح (١٧).

(٣) سورة الحشر (٧).

الحادي والعشرون : لقد نهى الله عز وجل المؤمنين أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت نبيه وصفيه الكريم ﷺ ، وأن يجهروا له بالقول ، وأن ينادوه بما ينادون به أنفسهم ، فإن فعلوا حبطت أعمالُهم وهم لا يشعرون .

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[1] .

فإذا كان الله تعالى قد حذَّر من رفع الصوت فوق صوت نبيه وصفيه الكريم ﷺ فكيف لا يكون ردُّ سنته معصيةً يعاقَب عليها رادُّها أشدَّ من عقوبة من يرفع صوته فوق صوته ﷺ ؟ والله تعالى أعلم .

الثاني والعشرون : ومما يدل على أن السنة النبويةَ الشريفةَ حجةٌ في دين الله تعالى أن الله عز وجل أمر بالاستجابة لرسوله ﷺ فيما يدعو إليه . لأن في ذلك حياةً للمستجيب حياةً أبدية .

فقال الله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[2].

فإذا كانت الاستجابة له ﷺ حياةً ، فكيف لا تكون إجابتُه واجبةً ؟ خاصة وقد جاءت بصيغة الأمر ، والأمر يقتضي الوجوب ، إلّا إذا صرفه صارفٌ ، ولا صارف هنا . ويلاحظ هنا أن الله تعالى قد أفرد الضمير أيضاً ؛ بعد ذكره للفظ الجلالة ولفظ الرسول ﷺ ، فقال : ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ ليعلم أن المستجاب الحقيقي هو الله تعالى ، لأن من استجاب لرسول الله ﷺ فهو مستجيب لمن أرسله ، إذ

---

(١) سورة الحجرات (٢).

(٢) سورة الأنفال (٢٤).

طاعةُ الرسول من طاعة مُرسِلِه .

أو يقال : ذكر الله عز وجل لفظ الجلالة زيادة في تأكيد الاستجابة له ، والدعم له ، حتى يعلم مدى الاهتمام والعناية به . وفي هذا دلالةٌ على أن الاستجابةَ لرسول الله ﷺ واجبةٌ ، وأنها حجةٌ في دين الله تعالى ، كيف وقد ختم الآيةَ بالتهديد ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾ ، والله تعالى أعلم .

الثالث والعشرون : بل جعل اللهُ تعالى شأنه مِنْ وصف رسوله الكريم ﷺ في الكتب السابقة : أنه يحلِّلُ ، ويحرِّمُ ، يُحِلُّ الطيباتِ ، ويُحرِّم الخبائثَ ، وأن دينَه ﷺ دينُ السماحة واليسر ، ولذا فإنه يُخفِّف عن هذه الأمة ما كان عليه أهلُ الأديان السابقة . وهذا يدل على أن الله تعالى جعل رسوله الكريم ﷺ مصدراً للتشريع . وأنه ﷺ يشرِّع وفق ما يريه الله عز وجل ، لأنه إنما يتَّبع وحي ربه عز وجل إليه .

فإذا كان الله تعالى جعل نبيه وصفيه الكريم ﷺ بهذه المكانة العالية ، ومن ثَمَّ جعل من يؤمن به وينصره ويعزِّره ،... من المفلحين ، فكيف لا يكون قوله حجةً في دين الله تعالى ، وهو يُحِلُّ ويُحرِّم ويَنسخ ،... ؟

قال الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(1).

وما دام اللفظ عاماً ﴿وَيُحِلُّ ،... وَيُحَرِّمُ﴾ فإنه يشمل ما يُحلِّه ويُحرِّمه مما

(1) سورة الأعراف (157).

مصدره القرآن الكريم ، أو وحي آخر غيره ، فالذي يُحل لغيره ، ويحرِّم على غيره ـ والمخاطَبُ مأمورٌ بالطاعة في كل الأحوال ـ فكيف يأخذ بما أحلَّه ، وبما حرَّمه لو لم يكن قوله حجة على المخاطبين ؟ ونحن مأمورون بطاعته .

وما أحلَّه ﷺ أو حرَّمه أو أباحه ؛ فإن ذلك الحكم يبقى ثابتاً ، وعلى المسلم التنفيذ دلالة على حجّية السنّة . فإن خالف ـ بأن يحلّل ما حرّم الله تعالى على لسان رسوله الكريم ﷺ ، أو يحرِّم ما أحلَّه الله تعالى على لسان رسوله الكريم ﷺ يكون مخالفاً لأمر الله تعالى وما منحه لنبيِّه وصفيِّه ﷺ .

وبناء على ذلك صدرت من رسول الله ﷺ أحكامٌ كثيرة لما أعطاه الله تعالى ذلك . كما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ في الباب الثامن .

إضافة إلى بيان العبادات والمعاملات والأخلاق والعلاقات الشخصية والدولية ،... وغيرها التي جاءت في القرآن الكريم مجملة ، فبيَّنتها السنة النبوية الشريفة .

وهذا كله من أقوى الأدلة على حجية السنة النبوية ، ووجوب طاعته ﷺ ، سواء في حياته أو بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، والله تعالى أعلم .

الرابع والعشرون : لقد ازداد الأمر علواً عندما أعلن اللهُ تعالى أن طاعةَ رسولِه ﷺ طاعتُه جل شأنه ، وأن مبايعةَ نبيه الكريم ﷺ مبايعتُه تعالى ، وإن كان الذي يباشر الأمرَ في الطاعة : هو رسولُ الله ﷺ ، والذي يباشر البيعةَ : هو رسولُ الله ﷺ .

علماً بأن الناقلَ لأمر الطاعةِ لله تعالى والمبلِّغَ لها : رسول الله ﷺ ، فمن أطاع المبلِّغَ أطاع من أرسله ، ومن عصى المبلِّغَ عصى من أرسله ، والله تعالى هو الآمر بطاعة رسوله ﷺ ، فالذي لا يطيعه ﷺ في نقله لأمر الله عز شأنه بطاعة رسوله ﷺ كالذي لا يطيع رسولَ الله ﷺ في نقله لطاعة الله تعالى ، فمن لم يطع رسولَ الله

ﷺ فهو لم يطع الله تعالى ، والله تعالى أعلم

قال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ﴾[2].

وهكذا بلغ الأمر ذروته حين أعلم الله سبحانه وتعالى جميعَ الخلق أن طاعتَهم لرسول الله ﷺ هي طاعةٌ لله تعالى ، فإذا كانت طاعةُ الله عز وجل واجبةً : كانت طاعةُ رسوله ﷺ واجبةً أيضاً ، وإذا كانت طاعةُ الله تعالى غيرَ واجبة : كانت كذلك طاعةُ رسوله الكريم ﷺ غيرَ واجبةٍ ، فلما كانت طاعةُ الله تعالى واجبةً ـ وليس في المسلمين من يقول بعدم ذلك ـ دل هذا على حجية قول رسول الله ﷺ ، ووجوب الأخذ بها ، كما هو الحال في طاعة الله سبحانه وتعالى .

وذلك لأن طاعة الرسول من طاعة مرسِله ، فإذا لم يُطَع الرسولُ كان العاصي في الحقيقة عاصياً لمن أرسله ، كما أن من أطاعه كان في الحقيقة مطيعاً لمن أرسله . ولهذا نجد التغاير في صيغة التعبير ؛ حيث جعل الفعل الأول بصيغة المضارع ليدل على الحاضر ، بينما جعل الفعل الثاني بصيغة الماضي ، ليدل على وقوعه قبل الأول ، والله تعالى أعلم .

الخامس والعشرون : وكما أمر اللهُ تعالى بطاعة رسولِه ﷺ ، فقد حرَّم معصيتَه ﷺ ، وأوجب للعاصي العذابَ الشديدَ ، والخلودَ في نار الجحيم . لأنها ضلال مبين ، فلو لم تكن طاعتُه ﷺ واجبةً ، وسنتُه ﷺ حجةً في دين الله تعالى ؛ لما أوجب الله تعالى للعاصي الخلودَ في النار ، مع العذاب الشديد

---

(١) سورة الفتح (١٠).

(٢) سورة النساء (٨٠).

فمثلاً لما حرَّم على الناس المناجاةَ في معصية رسولِه ﷺ ، جعل عقوبة المناجي في معصية الرسول ﷺ جهنم وبئس المصير ، لذا نهى عنها .

قال الله عز وجل : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾(١).

فقد حرَّم الله عز وجل المناجاة بما فيه إثمٌ أو عدوانٌ أو معصيةٌ لرسوله ﷺ ،... حيث ساقها مساقاً واحداً ، فمن فعل ذلك فله العذاب الشديد .

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾(٣)

فقد أخبر الله تعالى أن المعصية لرسوله ﷺ ضلالٌ مبين . وللعاصي الخلود في نار الجحيم مع التأبيد .

فلو لم تكن سنتُه ﷺ حجةً في دين الله تعالى ، وطاعتُه واجبةً ، لما كان العاصي ضالاً ، مخلَّداً في النار أبداً .

بل بلغ الأمر ذروتَه عندما جعل الله تعالى معصية رسوله ﷺ كفراً .

فقال تعالى : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا * فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ

---

(١) سورة المجادلة (٨ ـ ٩).

(٢) سورة الأحزاب (٣٦).

(٣) سورة الجن (٢٣).

شِيبًا ﴾[1].

وهل من نعمة أعظم على المسلم بعد الإيمان من نعمة الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ فمن كفر بهذه النعمة استحق العقاب الشديد .

وهكذا كان ﷺ يبايع النساء عند بدء إسلامهن على عدم معصيته .

قال جل شأنه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2] حيث قرن الله تعالى المعصية لرسول الله ﷺ بالشرك والزنا والسرقة وقتل الولد ،... وكلها من كبائر الذنوب ، وجعلها من جملة الشروط الواجب أخذها عند البيعة .

وقد ذكر الله تعالى لنا مقارنةً بين المؤمنين الصادقين المخلصين المطيعين ، وبين العاصين المخالفين الكافرين .

فقال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[3].

فلو لم تكن سنتُه ﷺ حجةً في دين الله تعالى وطاعتُه على المسلم واجبةً : لما نال المطيعُ الخلودَ في جنات النعيم أبداً ، ونال العاصي الخلودَ في نار الجحيم مع

---

(1) سورة المزمل (١٥ ـ ١٧).

(2) سورة الممتحنة (١٢).

(3) سورة النساء (١٣ ـ ١٤).

العذاب المهين أبداً .

علماً بأن طاعتَه ﷺ إنما هي في سنته ، لأن السنة هي ما صدر عنه ﷺ ؛ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ ،... والله تعالى أعلم .

ولهذا إذا ما حُشر العاصي يوم القيامة ؛ ورأى عقوبتَه وسببَها ، ورأى ثواب المؤمنين الطائعين ،... فإنه يندم على ما كان قد فرَّط ، ويتمنى لو فعل خلاف المعصية ، ولكن هيهات .

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾(1).

ويلاحظ كيف قرن الله تعالى بين الكفر وبين المعصية لرسول الله ﷺ ، دلالة على اقترانهما في الخطورة ، والله تعالى أعلم .

وقال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾(2).

لكن هل ينفع الندم يومئذ ؟ لا .

فلو لم تكن السنةُ النبويةُ حجةً في دين الله تعالى ، وطاعةُ المصطفى ﷺ واجبةً لما كان هذا الندم ـ على عدم الطاعة لرسول الله ﷺ ـ بعد الوقوع في العذاب المهين ، والله تعالى أعلم .

السادس والعشرون : وكما أوجب الله تعالى طاعة رسوله ﷺ ، وحرَّم معصيتَه ، كذلك حرَّم مخالفته ﷺ ومشاققته ، وجعلها تعالى محبِطةً للعمل ، وتوعَّد

---

(1) سورة النساء (42).

(2) سورة الفرقان (27 ـ 29).

المشاقَ بالعذاب الشديد ، لأن الذي يشاقق رسولَ الله ﷺ إنما هم الكفار لا غير ، لذا لا يصح ممن يدعي الإسلام والإيمان أن يشاقق أو يخالف ، حتى لا يحبط عملُه ، ويكون من الخاسرين .

فلو لم تكن طاعتُه ﷺ واجبةً في دين الله تعالى ؛ لما كانت معارضتُه ﷺ ومخالفتُه وتركُ أوامره ونواهيه محرمةً هذا التحريم الشديد .

قال الله عز وجل عن الكفار ، وما أصابهم في غزوة بدرٍ من قتلٍ وأسرٍ ونحو ذلك : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1] فسبب قتلهم ، وعقوبتهم هذا العقاب الشديد كونهم شاقّوا الله تعالى ورسوله ﷺ . لذا استحقوا عذاب جهنم وبئس المصير .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[2].

فالذي يترك سبيل المؤمنين المتَّبعين لرسول الله ﷺ ، ويترك الهدى الذي جاءه به رسول الله ﷺ ويسلك غيرَ طريق النبي ﷺ ، والشرعَ الذي جاء به ﷺ ، فصار في شق ، والشرع في شق آخر ، فمصيره عذاب جهنم ، وساءت مصيراً .

فلو لم تكن طاعتُه ﷺ واجبةً - وطاعتُه إنما هي في سنته ﷺ - لما نال هذا المشاقِق والمخالِف هذا العذابَ الشديد .

وهذا دال على أن سنته ﷺ حجة في دين الله ، والله تعالى أعلم .

وقد بيّن الله عز شأنه عقوبةَ المشاقِق - وهي إحباط العمل - وأن الذي يشاقق رسول الله ﷺ هم الكفار ، لذا عطف الله تعالى مشاقَّةَ رسوله ﷺ على الكفر به

---

(١) سورة الأنفال (١٣).

(٢) سورة النساء (١١٥).

تعالى والصد عن سبيله ، وأن هؤلاء إنما يضرّون أنفسَهم ، ويحبطون أعمالهم . لذا حذر عز وجل المسلمين من إحباط العمل إذا تخلوا عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ .

قال الله جل شأنه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَـٰلَهُمْ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴾(١) .

فكيف يجعل عقوبة المشاقق مقرونة بالكفر ـ مع إحباط العمل ـ لو لم يكن قوله ﷺ حجةً في الدين ، واجبة الاتّباع ! لذا حذّر الله تعالى المؤمنين من إحباط العمل بترك طاعة رسول الله ﷺ ، وجعلَها نظيرَ إحباط الكفار لأعمالهم ، والله تعالى أعلم .

السابع والعشرون : وكما أوجب الله سبحانه وتعالى طاعةَ رسوله ﷺ ، وحرَّم معصيتَه ،... فإنه سبحانه وتعالى حرَّم محاربةَ رسوله ﷺ ومعاندتَه وممانعته ومخالفته ومحاددتَه ﷺ ، وأخبر عز شأنه أن عقوبة هؤلاء هو الذل والهوان واللعن والخزي في الدنيا ، والخلود في نار جهنم يوم القيامة .

فلو لم تكن طاعتُه ﷺ واجبةً ، وسنتُه حجةً في دين الله عز وجل ؛ لما استحق المحادِدُ تلك العقوبة . ومفهوم ذلك كله وجوب الاستسلام له ، وطاعته وامتثال أمره ﷺ ، والله تعالى أعلم .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٢) .

---

(١) سورة محمد (٣٢ ـ ٣٣).

(٢) سورة المجادلة (٥).

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2]. ولا يخلَّد في النار إلا الكافر ، وهذا ما ختم الله تعالى به الآية الأولى ، مع الذل والخزي العظيم .

لذا حذر الله جل شأنه المؤمنين أن يوادّوا من حادَّ الله تعالى ورسولَه ﷺ ، ولو كانوا أقرب المقربين إليهم ، حتى لو كانوا آباءَهم أو أبناءَهم ،...

قال الله تعالى : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ﴾[3]، والله تعالى أعلم .

الثامن والعشرون : لقد شهد الله جلت قدرته لنبيه وصفيه ﷺ بأنه على الصراط المستقيم ، وأنه يهدي إلى الصراط المستقيم ، الذي هو صراط الله عز وجل . فلو لم يكن قوله ﷺ حجةً في الدين ، لما أوجب الله تعالى الركونَ إلى قوله وهدايته ، ولما كانت هدايته إلى الصراط المستقيم .

قال الله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿يسٓ * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٍ

(١) سورة المجادلة (٢٠).

(٢) سورة التوبة (٦٣).

(٣) سورة المجادلة (٢٢).

(٤) سورة الشورى (٥٢ ـ ٥٣).

﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

فقد جعله الله تعالى يهدي إليه ، وإلى صراطه المستقيم . وإذا علمنا بأن الله عز وجل جعل طاعة رسوله ﷺ هي طريق الهداية ، وحصرها فيها ، عرفنا الحكم بوجوب طاعته ، وجعل سنته حجة في دين الله عز وجل .

قال جل شأنه : ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[2].

فمن سلك سبيل رسول الله ﷺ وصل سالماً ؛ لأنه على الصراط المستقيم ، ومن لم يسلك سبيله فقد استهواه الشيطان ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3].

فمن رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن أغلق تعالى الأبواب كلها إلا باب رسوله ﷺ ، فجعله هو باب هدايته . فمن أراد الهداية أطاع رسول الله ﷺ ، ومن أعرض عنه ضل وغوى . وبهذا بانت حجية السنة النبوية الشريفة ، والله تعالى أعلم .

التاسع والعشرون : بل جعل الله تعالى من لوازم الإيمان : ألّا يذهب من كان مع رسول الله ﷺ حتى يستأذنه ، فإذا كان الاستئذان منه ﷺ مطلوباً لمن يذهب لبعض شأنه ؛ فأولى أن يكون ذلك من لوازم حجية قوله ﷺ ، وألّا يخالف قولَه ، وألّا ينتحل رأيَ غيره حتى يستأذنه ﷺ ، وهيهات ذلك ، إذ لا يوجد ـ ولن يوجد ـ رأيٌ ولا مذهبٌ ولا اعتقادٌ ،... أفضل من رأيه ﷺ ومذهبه ومعتقده ،...

(١) سورة يس (١ ـ ٤).

(٢) سورة النور (٥٤).

(٣) سورة الأنعام (١٥٣).

قال الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[1].

فقد جعل من صفات المؤمنين بالله تعالى ورسوله ﷺ : استئذانَهم إذا أرادوا الذهاب لبعض شؤونهم ، فأيهما أولى : سماعُ قوله ﷺ وطاعتُه والاقتداءُ به أم استئذانُه ﷺ للذهاب إلى بيوتهم لقضاء بعض شؤونهم ؟.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى[2]: فإذا جعل الله تعالى من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهباً إذا كانوا معه ﷺ إلا باستئذانه ، فأولى أن يكون من لوازمه : ألّا يذهبوا إلى قولٍ ، ولا مذهب علميٍّ إلا بعد استئذانه ، وإذنُه ﷺ يُعرف بدلالة ما جاء به ، على أنه إذن منه.اهـ.

بل حملت هذه الآية الكريمة في طياتها ما هو أبعد ، وهو أن الله تعالى طلب من نبيه الكريم ﷺ أن يستغفر لمن يأذن له ، لأن في ذهابهم - إن كان لعذرمسوّغ - فيه تفويت لبعض المنافع ، كما أن في ذهابه ترجيحاً لرغبة نفسه على حضور مجلس رسول الله ﷺ ، وإيثاراً للدنيا على الآخرة ، لذا طلب الاستغفار له ، فإذا كان هذا يحتاج إلى الاستغفار ؛ مع أن الله تعالى شهد أنهم مؤمنون بالله تعالى ورسوله ﷺ ؛ كما هو بَيِّنٌ في نص الآية الكريمة ، فكيف تجوز مخالفته ومعصيته ؟ خاصة بعد معاتبة الله تعالى للمسلمين بعدم تخليهم عن رسوله الكريم ﷺ ، وتقديم رغباتهم على رغبته ، ومحابِّهم على محابِّه ﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ

(١) سورة النور (٦٢).

(٢) أعلام الموقعين (١ : ٥٨).

﴿... حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ...﴾[1].

فإذا كان من لوازم الإيمان : الاستئذانُ بالذهاب لمن أراد منهم ، وإذا كان الله تعالى حذَّر من تقديم رغبات المؤمن ومحابّه على رغبة النبي المصطفى الكريم ﷺ ومحابه ، ولو كان فيها مصلحة له ، فكيف لا يكون من لوازمه الطاعةُ والامتثال والتسليمُ الكامل ؟ بل هو من باب أولى ، ولا شك أن هذا يدل على الحجية القطعية أيضاً ، والله تعالى أعلم

الثلاثون : لقد مر في الباب الثالث ذكرُ الآيات التي فيها أن من صفات المؤمن الكامل : طاعة النبي ﷺ ، وفيه بيانُ ثواب المطيع في الدنيا والآخرة . فلو كانت طاعته ﷺ غير واجبة ، وسنته غيرَحجة في دين الله عز وجل : لما نال المطيع هذا الأجر ، وهذا الثواب ، وتلك المكرمات ، وأهمها الإيمان .

كما يلاحظ ـ هنا ـ أن الله عز وجل عندما أمر بأمرين اثنين ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ فإنه لا يصح أن يكون أحد الأمرين واجباً ، والثاني غير واجب ولا مطلوب ـ لأنه يتعين الواجب آنذاك ـ بل مثلما يكون الأول يكون الثاني ، لأن الآمِرَ واحدٌ ، والنصَّ واحدٌ ، والصيغةَ واحدةٌ ،... فإن كانت طاعة الله تعالى واجبةً : كانت طاعةُ النبي ﷺ واجبةً ، وإذا كانت طاعة الله تعالى في كتابه حجةً في دين الله تعالى ، كانت طاعة النبي المصطفى الكريم ﷺ في سنته حجةً أيضاً ، لأنهما سيقا مساقاً واحداً ، وجعل الحكم فيهما واحداً ، وهذا مما يدل على حجية السنة النبوية ، والله تعالى أعلم .

الحادي والثلاثون : إن مما اتفقت عليه كلمة عامة المسلمين ـ من الصدر الأول إلى زماننا ـ من فقهاء وأصوليين ومحدثين ، ومفسرين ،... أن مصادرَ التشريع الأساسية في الشريعة الإسلامية : الكتاب ، والسنة ، ثم الإجماع ، والقياس على

(١) سورة التوبة (١٢٠).

واحد مما مر ، وأن السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر الشريعة بعد القرآن الكريم ، وأن ما ثبت بالسنة النبوية الشريفة يعتبر أصلاً معتبراً مقبولاً ؛ كما لو ثبت بالقرآن الكريم .

ولا نعلم في هذه المسألة خلافاً بين المسلمين ، إلا ما كان من الزنادقة القدامى والمحْدَثِين .

واتفاق الأمة على ذلك كاف في الاعتبار والتدليل ، فيما لو لم يكن في المسألة نص ، كيف والنصوصُ في القرآن الكريم بطاعة النبي ﷺ ، واتباعه ، ووجوب الأخذ بسنته ، وتحريمِ معصيته ومحاددته ومشاقته ومخالفته كثيرةٌ جداً ، مر كثير منها ، والله تعالى أعلم .

الثاني والثلاثون : إن الله تعالى أمر الناس بعبادته سبحانه وتعالى ، كما قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(1) .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(2) .

وقال الله تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾(3) .

وقال الله عز وجل : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(4) .

فكيف يعبد الإنسان ربه تعالى ؟ لا بد له من هيئة وصيغة وكيفية معينة ، يُلزَم بها عند عبادته لربه تعالى ، يرضاها الله تعالى ، وتكون وفق ما يريد ، وقد

---

(1) سورة البقرة (٢١).

(2) سورة الأنبياء (٢٥).

(3) سورة البينة (٥).

(4) سورة الذاريات (٥٦).

بيّن النبي المصطفى الكريم ﷺ هذه العبادات حسب ما أراه الله تعالى ، أو أوحاه إليه . والإنسان بين حالين :

ـ إما أن يلتزم بما جاء عن رسول الله ﷺ ؛ في بيان العبادات وكيفيتها وهيئتها ،... والنصوصُ الكثيرةُ من الله تعالى تأمره بأن يلتزم بذلك ، من جعلِه أسوة حسنة ، وإلى اتباعه واقتفاء أثره ، إلى اجتناب نهيه ، إلى التسليم لأمره ، وعدم وجود الحرج فيما شرع وحكم ،... الخ وهذا كله دال على حجية السنة النبوية الشريفة .

ـ وإما أن ينهج لنفسه منهجاً يخطه لنفسه ، ويخترع كيفيةً يختارها ؛ يُلزِم نفسَه بها ، وهي خلاف ما جاء به النبي الكريم ﷺ . وهذا إما أن يُلزم غيرَه بها أم لا ، فإن ألزم غيرَه بها ، فرسول الله ﷺ مُقَدَّمٌ لا شك ، لأنه أحق من يُقدَّم ، خاصة بعد أمر الله تعالى بذلك . إضافة إلى تأييده ﷺ بالوحي ، وأنه لا يشرّع من عند نفسه ؛ إنما بما أوحاه الله تعالى إليه ، وبيّنه له . وإن لم يُلزم غيرَه بما اخترعه كان لكل إنسان منهج وكيفية يختارها! وهذا ضلال وحماقة . لأنه مخالف لتبيان الله تعالى الذي أوحاه إلى رسوله الكريم ﷺ ، ثم لأمر الله عز وجل الذي أمر عبده المسلم باتباع نبيه ﷺ في تبيانه لعبادته ، ومنهج حياته . وألزمه بالاتباع ، وحذره من الابتداع .

لذا كان الإنسان بين أمرين ؛ أن يطيع الله تعالى فيما أمره بطاعة رسوله الكريم ﷺ فيما شرّعه وبيّنه من أمور الدين ـ وهذا منتهى العقل والإدراك ، والطاعة لله تعالى ـ وإما أن يتمرّد ، فيشرِّع لنفسه ما يشاء ، وهذا تقوّل على الله تعالى ، وتعدٍّ منه على حقِّ الله تعالى ، وتصرّف منه بما لم يأذن به الله تعالى ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[1]، ثم هو غير معصوم ولا مؤيّد بالوحي

(١) سورة الأعراف (٣٣).

بل قد يكون غير موفّق ولا مسدَّد ، فكيف يُلزم غيرَه بما هو غير صحيح ؟ وإذا اختار كلٌّ واحد لنفسه نمطاً من العبادة كثرت الصور ، وإذا حاول إقناع غيره بما اختاره فإنه سيصطدم بما اختاره الآخر ، فعادت الحياة إلى شريعة الغاب .

إن الله تعالى تعبَّد العباد بكيفية هو ارتضاها ـ فصّلها وبيّنها من جعل له حقَّ التشريع ، وهو رسول الله ﷺ ، ابتلاء منه تعالى وامتحاناً لنا ، ولم يجعل الأمر فوضى يخترع كلٌّ واحد ما يشاء . فمن لم يلتزم بما بيّنه رسول الله ﷺ كان متمرِّداً على أمر الله تعالى ، وخارجاً عن شرعه .

ثم إن العبادة ـ والدين كله عبادة ـ إنما يقوم بها عبدٌ لله تعالى ، ولا اختيار للعبد فيما يختاره سيدُه ، إنما عليه التنفيذ لا غير ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١) .

وقد ألزم الله تعالى عبيده جميعاً بطاعته جل شأنه وطاعة رسوله الكريم ﷺ ، وما على العبيد إلّا الامتثال . فمن خالف كان مستحقّاً للعقوبة .

يضاف إلى هذا أن الله تعالى نظم أمور الحياة كلها ، سواء نص عليه عز وجل في كتابه الكريم ، أو بيَّنه رسولُه ﷺ الأمين ، ولم يجعل الإنسانَ يتخبط حسب هواه فيضل ، أو رغباته فيتمرد . وامتحنه وابتلاه بالطاعة والامتثال ليثيب المطيع ، ويعاقب العاصي ، لذا جعل للإنسان حريةً مقيدة بحريات الآخرين ، حتى لا تصبح الحياة فوضى فيكونوا كالبهائم .

إن هذا الزمان هو زمان الأنظمة والقوانين ، ولم يبق في الكون شيءٌ إلا ويسعى الإنسان إلى سن قوانين تنظمه ، وتحدِّد الحقوقَ والواجبات فيه . والناس يلتزمون بها . فكيف بأسعد شيء ؟ وهي عبادة الله تعالى ؟ .

إن الإنسان مهما أوتي من العلم والمعرفة ؛ ناقص ، قليل العلم والمعرفة إذا

(١) سورة القصص (٦٨).

ما قيس بعلم رسول الله ﷺ ومعرفته ، فكيف بعلم الله سبحانه وتعالى ؟ ذلك لأنه غير مؤيَّد بالوحي ، وعلمه جمع ، بخلاف علم رسول الله ﷺ فإنه هبة من الله تعالى ، ثم هو يُوحى إليه ، لذا كان اختيار الإنسان ناقصاً .

يضاف إلى هذا أن نفس الإنسان مفطورة على التمرد ، والأمر بالسوء . فكيف تخضع إذا لم تُجبر ، فلو ترك لها حرية الاختيار لما خطت لنفسها إلا ما ترغب . لذا تحطم اختيارها ، وسادت الفوضى في النفس والمجتمعات . وكل هذا يدل على أن الإسلام نظم للإنسان كلَّ شيء ، وجعل له برنامجاً متناسقاً ، على الإنسان تطبيقه لينال السعادة في الدنيا والآخرة . مما يدل على أن سعادة المسلم إنما هي في طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله الكريم ﷺ ، المتمثلة في الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة ، والله تعالى أعلم .

الثالث والثلاثون : لقد أمر الله عز وجل جميع الناس باتباع نبيه وصفيه وخليله ﷺ . لذا أمره تعالى أن يعلن لجميع الناس أنه ﷺ رسولٌ لهم جميعاً ؛ أحمرهم وأسودهم وأبيضهم ، عربهم وعجمهم ،...

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(١) .

وقال عز وجل : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾(٢) .

فهو ﷺ بشيرٌ لمن يطيع ، ونذيرٌ لمن يعصي ، ورسولٌ لكافة الناس .

ثم أمر الله عز وجل المؤمنين بطاعته ﷺ ، واتباع أمره ، وسماع قوله .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾(٣) .

كما أمر تعالى كلَّ من يدّعي محبةَ الله تعالى باتّباع نبيِّه الكريم ﷺ .

---

(١) سورة الأعراف (١٥٨).

(٢) سورة سبأ (٢٨).

(٣) سورة النساء (٥٩).

فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١) فالذي يحب الله جل شأنه يتبع رسوله ﷺ ، والذي لا يحب الله تعالى لا يتبع رسوله الكريم ﷺ . ذلك أن المؤمن لا يُقدِّم على محبة الله تعالى ومحبة رسوله الكريم ﷺ أحداً مهما كان .

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾(٢).

ولو قدّم العبد محبةَ جميع المخلوقات على محبة الله تعالى ومحبة رسوله الكريم ﷺ لكان على خطر كبير .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(٣). فانظر هذا التهديد ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ فكيف لا تكون سنتُه ﷺ حجةً وهو يسمع هذا التهديد !

الرابع والثلاثون : إن الله تعالى أعلمَ الناسَ أنه تعالى أقام عليهم الحجة بكتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبسنة نبيه وصفيه ﷺ التي هي رسالته .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى(٤): إن الله جل ثناؤه أقام على خلقه

---

(١) سورة آل عمران (٣١).

(٢) سورة البقرة (١٦٥).

(٣) سورة التوبة (٢٤).

(٤) الرسالة (٢٢١).

الحجة من وجهين : أصلهما في الكتاب : كتابه ، ثم سنة نبيه ﷺ ، بفرضه في كتابه اتباعها.اهـ.

قال الله تعالى : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾(١) لذا حرَّم الله تعالى معصية نبيه ﷺ ، ومشاققته ، ومحاددته ، والتقدم بين يديه ،... وحذَّر من مخالفته ، والتولي عن طاعته ﷺ ، بل جعل عدم طاعته ﷺ عيباً وكفراً في الدين ،... كما سبق ذكره .

وقد اتفقت كلمة المسلمين المؤمنين على قيام الحجة بالاثنين ؛ بالكتاب الكريم وبالسنة النبوية ، ولا فرق فيما يثبت فيهما أو أحدهما .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى(٢): فيما وصفت من فرض الله على الناس اتباعَ أَمْرِ رسول الله ﷺ : دليلٌ على أن سنة رسول الله ﷺ إنما قبلت عن الله ، فمن اتبعها فبكتاب الله تَبِعَها ، ولا تجد خبراً ألزمه الله خلقه نصاً بيِّناً : إلا كتابه ، ثم سنة نبيه ﷺ . فإذا كانت السنة كما وصفتُ ، لا شِبْهَ لها من قَولِ خلقٍ من خلق الله ـ لم يجز أن ينسخها إلا مثلُها ـ ولا مِثْل لها غير سنة رسول الله ﷺ ، لأن الله لم يجعل لأحد بعده ما جعل له ، بل فرَضَ على خلقه اتباعَه ، فألزمهم أمرَه ، فالخلق كلهم له تبع ، ولا يكون للتابع أن يخالفَ ما فُرض عليه اتباعُه ، ومن وجب عليه اتباعُ سنة رسول الله ﷺ لم يكن له خلافها ،...اهـ.

وقال رحمه الله تعالى(٣): كل من قَبِل عن الله فرائضه في كتابه : قَبِل عن رسول الله ﷺ سننه ، بفرض الله طاعة رسوله ﷺ على خلقه ، وأن ينتهوا إلى حكمه ، ومن قَبِل عن رسول الله ﷺ ، فعن الله قَبِل . لما افترض الله من طاعته ،

---

(١) سورة النساء (١٦٥).

(٢) الرسالة (١٠٨ ـ ١٠٩).

(٣) الرسالة (٣٢ ـ ٣٣).

فيجمع القبولُ لما في كتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ : القبولَ لكل واحد منهما عن الله.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى[1] في تعليقه على قوله تعالى : ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ إلى قوله : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾[2]: أعلم اللهُ الناسَ في هذه الآية أن دعاءهم إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهم : دعاء إلى حكم الله ، لأن الحاكم بينهم رسول الله ﷺ ، وإذا سلَّموا لحكم رسول الله ﷺ فإنما سلَّموا لحكمه بفرض الله ، وأنه أعلمهم أن حكمَه حكمُه ، على معنى افتراضه حكمه ، وما سبق في علمه جل ثناؤه من إسعاده بعصمته ، وتوفيقه

وما شهد له به من هدايته واتباعه أمره ، فأحكم فرضَه بإلزام خلقه طاعةَ رسوله ﷺ ، وإعلامهم أنها طاعتُه ، فجمع لهم أن أعلمهم أن الفرض عليهم اتباعُ أمره وأمرِ رسوله ﷺ ، وأن طاعة رسوله ﷺ ؛ طاعتُه.اهـ.

وقال الإمام ابن حزم رحمه الله تعالى في كتابه (الإحكام)[3] كلاماً لطيفاً ، أنقله مع طوله لفائدته إن شاء الله تعالى . قال : ونسأل قائلَ هذا القول الفاسد : في أي القرآن وجد أن الظهرَ أربعُ ركعاتٍ ، وأن المغربَ ثلاثُ ركعات ، وأن الركوعَ على صفة كذا ، وأن السجودَ على صفة كذا ، وصفة القراءة فيها كذا ، والسلام ، وبيان ما يجتنب في الصوم ، وبيان كيف زكاة الذهب ، والفضة ، والغنم ، والإبل ، والبقر ، ومقدار الأعداد المأخوذ منها ، ومقدار الزكاة المأخوذة ، وبيان أعمال الحج ؛ من وقتِ الوقوف بعرفة ، وجَمع الصلاةِ بها ، وبمزدلفة ،

---

(١) الرسالة (٨٤ ـ ٨٥) وانظر الشافعي وأثره في الحديث وعلومه .

(٢) سورة النور (٤٨ ـ ٥٢).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٢ : ٧٩ ـ ٨٠).

ورمي الجمار ، وصفةِ الإحرام ، وما يجتنب فيه ، وقطع السارق ، وصفة الرضاع المحرِّم ، وما يحرم من المآكل ، وصفتا الذبائح والضحايا ، وأحكام الحدود ، وصفة وقوع الطلاق ، وأحكام البيوع ، وبيان الربا ، والأقضية ، والتداعي ، والأيمان ، والأحباس ، والعُمرى ، والصدقات ، وسائر أنواع الفقه .

وإنما في القرآن جمل ، لو تُركنا وإياها لم نَدْر كيف نعمل فيها ، وإنما المرجوع إليه في كل ذلك النقل عن النبي ﷺ ، وكذلك الإجماع ؛ إنما هو على مسائل يسيرةٍ ،... فلا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورة .

ولو أن امرءاً قال : لا نأخذ إلا ما وجدنا في القرآن ، لكان كافراً بإجماع الأمة ، ولكان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل ، وأخرى عند الفجر ، لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة ، ولا حدَّ للأكثر في ذلك . وقائل هذا كافر مشرك حلال الدم والمال . وإنما ذهب إلى هذا بعض غالية الرافضة ؛ ممن قد اجتمعت الأمةُ على كفرهم ، وبالله تعالى التوفيق ،...إلخ قوله رحمه الله تعالى فانظره .

وقال الحافظ محمد أيوب الدهلوي رحمه الله تعالى في معرض رده على منكري الحديث في الهند[1]: وهنا أسألكم ، خبِّروني بأن من تلا عليكم تلك الآية الكريمة [يشير إلى قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾] فهل قبلتموها أم لم تقبلوها ؟ فإن لم تقبلوها صرتم كفاراً ، وإن سلَّمتم بها فسلَّمتم بغير ما أنزل الله ، وبغير كتاب الله ، فصار النبي محمد ﷺ مطاعاً (ثم أميناً كاملاً) لأن القرآن الحكيم لم ينص على أن ما يتلو عليكم نبيُّنا محمد ﷺ فاقبلوه ، حتى تنزل آية بهذا الخصوص ، ولو أَتيتم بآية تأمرُ بأن تؤمنوا بهذه الآية ؛ يتلوها عليكم نبينا محمدٌ ﷺ فيحق لي أن أسألكم : بأنكم بأي آية قبلتم وآمنتم بتلك

(١) فتنة نقض الحديث (٢٨ ـ ٢٩).

الآية ؟ (وهكذا دواليك)

فالغرض من كل ما قلناه : أنكم تدَّعون بأن معنى طاعة النبي ﷺ هو طاعة الله ، لأن طاعةَ الرسول [ﷺ] هي طاعة الكتاب ، لا طاعة نفس الرسول وشخصه .

فردّاً عليه نقول : بأنه لما صارت طاعةُ الرسول [ﷺ] طاعةَ كتاب الله ، فأجيبوا لي بأن طاعة الكتاب هي طاعة لمن ؟ أهي طاعةُ الله ، أم طاعة رسول الله ؟

فإن قلتم : إن طاعةَ كتاب الله هي طاعةُ الله فقط - وأنتم أقررتم حالاً بأن طاعة الرسول [ﷺ] هي طاعة كتاب الله - فانقلبت القضية كلها .

ثم أنتم هؤلاء أنفسكم تقولون : بأن طاعةَ كتاب الله هي بواسطة الرسول ﷺ ، فصارت طاعةُ الرسول [ﷺ] مقدمةً على طاعة كتاب الله ، فليس هذا : إلا طاعة شخص الرسول [ﷺ] نفسه ، لا طاعة الكتاب .

وحاصل الكلام : أنكم تقولون : بأنه ليس هنا طاعة شخص الرسول [ﷺ] نفسه ، بل كل ما فيه هو طاعة كتاب الله .

ونقول نحن : إنكم عندما تسلِّمون بكتاب الله ، وتؤمنون به ، بأنه : كتابٌ منزلٌ من عند الله ، فمن تطيعون وتهتدون بقوله ؟ هل هي طاعة كتاب الله أم طاعة رسول الله ﷺ ؟ فإن قلتم : إنه طاعة الله . أي بقول الله تعالى ، تسلمنا كتاب الله بأنه كتاب الله تعالى فهذا محض جنون ، وإن قلتم : إننا تسلمنا كتاب الله بكتاب الله تعالى فليس هذا إلا حمق (أو مجون أو خزعبلات) أمّا إذا قلتم : إننا تسلمنا وآمنا بكتاب الله من قول رسول الله [ﷺ] وحديثه ؛ فهذا حق وحقيقة .

فصارت الآن طاعة رسول الله ﷺ مقدمةً على طاعة كتاب الله تعالى ، وهذا هو المعنى لطاعة شخص الرسول ﷺ نفسه ، ولذلك اطردت وتحققت ، بل تأصلت طاعة الرسول ﷺ ، بنفس الطاعة التي هي مسلمة لكتاب الله بها .

بل نقول : إن طاعة كتاب الله فرعٌ لطاعة رسول الله ﷺ ، وصارت طاعةُ

رسول الله ﷺ حجةً قاطعةً ، قائمةً على كتاب الله فقط ، إن قول رسول الله ﷺ حجةٌ قبل نزول الكتاب ، وبعد نزول الكتاب ، وفي كل آن ، لأنه إن لم يكن قولُ النبي [ﷺ] حجةً ـ بقطع النظر عن الكتاب المنزل ـ لبطلت نبوةُ كثيرٍ من الأنبياء عليهم السلام ، لأن الكتبَ لم تنزل على أكثرهم ، وإن كان الكتاب وحده الحجةَ وكانت الحجةُ تقتصر وتتوقف عليه ـ لم تكن أقوالُ كثير من الأنبياء السابقين عليهم السلام حجةً أيضاً ؛ لعدم وجود الكتب عندهم ، كما لم يكن الإنكار لذلك النبي كفراً موجِباً للعقاب والعذاب.اهـ.

ففرعونُ مصرَ استحقَ العذابَ والهلاكَ بعد تبليغ موسى عليه السلام ودعوتِه له ، وقامت عليه الحجة ولم تكن التوراةُ قد نزلت آنئذ ، فلو كان قوله غير حجةٍ ؛ لما استحق الهلاكَ والعذابَ ، ولما قامت عليه الحجةُ ، لأن الله تعالى قال : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[1].

ويقول جل شأنه : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[2]. وما كان كافراً بإنكاره على موسى عليه السلام ، فلما أنكر صار كافراً ، واستحق العذاب والهلاك .

إن لله تعالى فيما ينزله على رسوله الكريم ﷺ قولين :

أحدهما : تتعلق به معجزةٌ ؛ وهو القرآن الكريم .

وثانيهما : لا تتعلق به المعجزة ، وهو قول النبي ﷺ وأحاديثُه ، وكذا سائر أقوال الأنبياء السابقين عليهم السلام التي أوحاها الله تعالى إليهم .

فإذا كان القولُ المقرونُ بالمعجزة ـ القرآن الكريم ـ حجةً ؛ كذلك كان القولُ بلا معجزة حجةً أيضاً ؛ لأن كلاً منهما وحي ، ذلك لأن الله تعالى إذا خاطب أحداً بالوحي فهذا الخطاب هو النبوةُ ، وإذا أمره بالتبليغ ، فخاطب النبيُّ عامةَ

---

(١) سورة النساء (١٦٥).

(٢) سورة الإسراء (١٥).

الناس ؛ فهذا الخطاب هو الرسالة ، فإذا لم يكن خطابُ النبي للعامة حجةً ؛ لا تكون الرسالةُ حجةً على الناس . وإذا لم تبق الرسالةُ حجة من الله تعالى على الناس ، فبأي شيء يكون حجة ؟ لأن العامة لا يمكن أن يصلها خطابُ الله تعالى مباشرةً ، بل يصلها بواسطة النبي المرسَل ، لذا صار لزاماً أن يكون خطابُ النبي حجةً ، وهو المطلوب ، والله تعالى أعلم .

الخامس والثلاثون : لو كانت السنة النبوية ليست حجةً في دين الله عز وجل ، لما كان هذا الحث والأمر من الله جل شأنه باتباع نبيه وصفيه ﷺ ، وطاعته ،... والتنديد الشديد منه تعالى بمن تقع منهم معصية رسوله الكريم ﷺ ، ومحاددته ، ومشاققته ، ومخالفة أمره ، حتى جعل الله تعالى الجنةَ ونعيمَها ، مع الخلود فيها للمطيع ، والنارَ وعذابَها مع الخلود فيها للعاصي ، وقد سبق ذكر الآيات الشريفة الكثيرة في وجوب طاعة النبي ﷺ ، واتباعه وامتثال أمره ،... وتحريم معصيته ﷺ ،...إلخ.

ولو كانت السنة النبوية الشريفة ليست حجةً في دين الله تعالى ، وأن طاعته ﷺ ليست واجبة ،... لما جاءت النصوص الكثيرة من النبي ﷺ في وجوب الأخذ بها ، واتباعها والامتثال لها ، ووجوب طاعته ﷺ ، والتحذير من مخاصمته ومخالفته ، وترك سنته ﷺ ، وأن من أطاع رسول الله ﷺ فقد أطاع الله تعالى ، ومن عصاه ﷺ فقد عصى الله تعالى . والأحاديث في ذلك كثيرة ، أقتصر على ذكر عشرة منها للتنبيه ، لا الحصر .

ذكر بعض الأحاديث النبوية في وجوب طاعته ﷺ :

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ،...» الحديث . متفق عليه[1].

(١) صحيح البخاري : كتاب الأحكام : باب قول الله تعالى : ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي =

٢ ـ وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : «جاءت الملائكة إلى النبي ﷺ ـ وهو نائم ـ فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً ،... فقالوا : مَثَلُه كمثل رجل بنى داراً ، وجعل فيها مأدبةً ، وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعيَ دخلَ الدارَ ، وأكلَ من المأدبة ، ومن لم يجب الداعيَ لم يدخل الدار ، ولم يأكل من المأدبة . فقالوا : أوِّلوها له يفقهها ،... فقالوا : فالدار الجنة ، والداعي محمدٌ ﷺ ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين الناس» . رواه البخاري(١).

٣ ـ وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا : يا رسول الله ؛ ومن يأبى ؟ قال : «من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى». رواه البخاري(٢).

٤ ـ وعن أبي موسى رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «إن مثلي ومثلُ ما بعثني اللهُ به ؛ كمثل رجل أتى قومَه فقال : إني رأيت الجيشَ بعيني ، وإني أنا النذير العُريان ، فالنجاءَ النجاءَ ، فأطاعه طائفةٌ من قومه فأدلجوا ، فانطلقوا على مهلهم ، فنجَوْا ، وكذَّبت طائفةٌ منهم ، فأصبحوا مكانهم ، فصبَّحَهم الجيشُ فأهلكهم ، واجتاحهم . فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئتُ به ، ومثل من عصاني ، وكذَّب ما جئتُ به من الحق». متفق عليه(٣).

= ﴿ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، رقم (٣٢ ، ٣٣).

(١) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام : باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ .

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين .

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب شفقته ﷺ على أمته ، رقم (١٦).

٥ ـ وعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ، في العُسْر واليسر ، والمنشِط والمكره ، وعلى أَثَرَةٍ علينا ،... ، متفق عليه[١].

وقد جاءت نصوص كثيرة بهذا المعنى .

٦ ـ وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ خطب الناسَ في حجة الوداع ، فقال : «...أيها الناس ؛ إني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ؛ كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ،...». رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي[٢].

٧ ـ وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «...من رغب عن سنتي فليس مني». متفق عليه[٣].

٨ ـ وعن العرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ؛ وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، فتمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل محدثة بدعةٌ ، وكلَّ بدعة ضلالةٌ». رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والدارمي ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم من عدة طرق ، وأقره

(١) صحيح البخاري : كتاب الأحكام : باب كيف يبايع الإمام الناس . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، رقم (٤١ ، ٤٢) وانظر : باب البيعة على السمع والطاعة ، رقم (٩٠) لحديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما .

(٢) المستدرك (١ : ٩٣) وقد ورد بعض فقراته في الصحيح .

(٣) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب الترغيب في النكاح . وصحيح مسلم : كتاب النكاح : باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ، رقم (٥).

الذهبي[1]، في آخرين .

٩ ـ وعن أبي رافع ـ مولى رسول الله ﷺ ـ ورضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : «لا أُلْفِيَنَّ أَحدَكم متكئاً على أريكته ، يأتيه الأمرُ من أمري ، مما أمرتُ به ، أو نهيتُ عنه ، فيقول : لا أدري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه». رواه الشافعي وأحمد وأبو داود وابن ماجه ، وصححه الترمذي والحاكم وأقره الذهبي[2]. في آخرين .

١٠ ـ وعن المقدام بن معدي كَرِب الكندي رضي الله تعالى عنه قال : حرَّم رسول الله ﷺ أشياءَ يوم خيبر ، منها : الحمار الأهلي ، وغيره ، فقال رسولُ الله ﷺ : «يوشك أن يقعد الرجلُ منكم على أريكته ، يحدَّث بحديثي ، فيقول : بيني وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالاً استَحْلَلْناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرَّمناه ، وإن ما حرَّم رسولُ الله ﷺ كما حرَّم الله». رواه أحمد والترمذي ـ وحسنه ـ والدارمي وأبو داود والدارقطني في آخرين ، والحاكم وصححه وأقره

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١٢٦ ، ١٢٧) وسنن أبي داود : كتاب السنة ، رقم (٤٦٠٧) وسنن الترمذي : كتاب العلم : باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة ، رقم (٢٦٧٦) وسنن ابن ماجه : المقدمة : باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، رقم (٤٢ ـ ٤٤) وسنن الدارمي (١ : ٤٣ ـ ٤٤ رقم ٩٦) وشرح مشكل الآثار (٣ : ٢٢١ ـ ٢٢٣) وصحيح ابن حبان (١ : ١٠٤) والمستدرك (١ : ٩٥ ـ ٩٧) وشرح السنة (١ : ٢٠٥) والمدخل للبيهقي (١١٥ ـ ١١٦) ورواه كثيرون .

(٢) انظر : الرسالة (٨٩) والمسند (٢٣٣ ـ ٢٣٤) ومسند الحميدي (١ : ٢٥٢) ومسند أحمد (٦ : ٨ ، ١٠) وسنن أبي داود : كتاب السنة ، رقم (٤٦٠٥) وسنن الترمذي : كتاب العلم ، رقم (٢٦٦٣) وسنن ابن ماجه : في المقدمة ، رقم (١٢) وشرح معاني الآثار (٤ : ٢٠٩) وصحيح ابن حبان (١ : ١٩٠) والمستدرك (١ : ١٠٩) والمعجم الكبير (١ : ٢٩٥ ـ ٢٩٦ ، ٣٠٧) والمعجم الأوسط (٨ : ٣٥٠ ـ ٣٥١).

الذهبي[1].

ففي النصين الأخيرين معجزة ظاهرة للنبي ﷺ ، حيث أخبر أنه سيأتي أقوام ينتسبون لهذه الأمة لا يأخذون بالسنة ، ولا يأخذون إلا بالقرآن الكريم . كما بيّن أن ما سنَّه رسول الله ﷺ كما بيّنه الله تعالى ، والله تعالى أعلم

لذا حث النبي الكريم ﷺ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، ومن بعدهم على حفظ السنة النبوية وإتقانها ، وتبليغها لمن بعدهم ،...

استجابة الصحابة رضي الله تعالى عنهم على حفظ السنة وتطبيقها :

لقد استجاب الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ؛ لأمر الله تعالى في وجوب طاعة رسوله ﷺ ، واتباعه والاقتداء به ، وتحريمِ معصيته ومخالفة أمره ، فساروا بعد وفاته ﷺ على النهج الذي كانوا عليه معه ﷺ في حال حياته ، وازدادوا احتياطاً خشية التقول على رسول الله ﷺ .

أما في حال حياته ﷺ[2]: فقد كانوا رضي الله تعالى عنهم حريصين غاية الحرص على سماعها منه ﷺ ، وملازمته ﷺ لسماع سنته وحفظها ، وأنهم كانوا في غاية التثبت فيما لا يعرفون ؛ ومن كان يأخذه الحياء فلم يستطع سؤاله ﷺ

(١) مسند أحمد (٤ : ١٣٠ ـ ١٣١ ، ١٣٢) وسنن الدارمي (١ : ١١٧ رقم ٥٩٢) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في لزوم السنة ، رقم (٤٦٠٤) وسنن الترمذي : كتاب العلم : باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ ، رقم (٢٦٦٤) وسنن ابن ماجه : المقدمة ، رقم (١٣) وشرح معاني الآثار (٤ : ٢٠٩) وسنن الدارقطني (٤ : ٢٨٦ ـ ٢٨٧) والمستدرك (١ : ١٠٨) والمعجم الكبير (٢٠ : ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، ٢٨٣ ، ٢٨٣ ـ ٢٨٤) ومسند الشاميين (٢ : ١٣٧) (٢ : ١٠٣ ـ ١٠٤ ، ١٣٧ ـ ١٣٨) والسنن الكبرى (٧ : ٧٦) ودلائل النبوة (٦ : ٥٤٩) ورواه كثيرون .

(٢) انظر : نشأة علوم الحديث ، فقد أطلتُ النفس في بيان حرصهم رضي الله تعالى عنهم في حياته ﷺ عليها ومحافظتهم عليها ، ومظاهر ذلك الحرص .

فإنه يكلف غيره بالسؤال . وإذا عُرضت على أحدهم المسألة من العلم فلم يعرف جوابها فإنه يرحل إليه ﷺ ليعرف حكمها . وقد كانت الوفود تأتيه ﷺ ليعرفوا السنة والدِّين . كانوا يتذاكرونها بينهم إذا قام عنهم ﷺ ، ويُحضرون الصغار مجالسَه ﷺ . بل بلغ بهم الأمر في الحفاظ عليها : تدوينُ بعضهم لها ، وحفظُهم لها ، والتطبيقُ العملي لمفرداتها ، والنشاطُ الذي بذلوه في المحافظة عليها ونشرها . وقد شارك النساءُ الرجالَ في ذلك . بل إن بعض النسوة قد سبقن الرجالَ ، ولولا أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن لما عرفنا كثيراً من أحوال النبي الكريم ﷺ البيتية والأسرية ،...

وأما بعد وفاته ﷺ ؛ فقد ازداد تمسك الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، ودلّلوا على حجِّيتها ، وحافظوا عليها حفاظاً عجيباً ، واحتاطوا في أدائها وتلقيها ، ونقلوها ونشروها في كل مكان

هذه المحافظة على السنة النبوية منهم رضي الله تعالى عنهم قد ظهرت بمظاهر متعددة ، يأتي بيانها في الباب التاسع إن شاء الله تعالى ، ابتداء من بدء ظهور نقد الرواة ، والاحتياط الشديد في أدائها وروايتها ، والتثبت في الرواية والأداء ،... إلى بدء ظهور السند ، الذي لم تعرفه البشرية من قبل .

وقد سار **التابعون ومن بعدهم رحمهم الله تعالى** على المنهج الذي كان في زمن الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، إضافة إلى وضع ضوابط لمعرفة الصحيح من غيره . وجمعهم للحديث في كتب مستقلة . ومحاربة الوضع والوضاعين . وحصر الأحاديث الموضوعة التي وضعها الزنادقة والجهّال . وبيان أحوال الرواة ودرجاتهم ومكاناتهم ، والتأكيد على حجية السنة النبوية الشريفة[1]. لذا قل كتاب إلا وفيه كتاب أو باب في الحث على التمسك بالسنة

(١) لقد استوعبت بيان حال الصحابة والتابعين في حفاظهم على السنة النبوية الشريفة في =

النبوية الشريفة ، والعمل بها ، وتطبيقها . إضافة إلى ما سطَّره علماءُ الأصول ؛ من بحث حجية السنة ، وأنواعها ، ووجوب التمسك بها ، وما أفرده علماءُ الحديث رحمهم الله تعالى من كتب خاصة عن السنة العملية في حياته ﷺ ، لذا تنوعت طرائق التصنيف من القرن الثاني إلى زماننا عن النبي ﷺ وعن سنته الشريفة ، والله تعالى المعين .

كل هذا دال على حجية السنة النبوية عند سلف هذه الأمة من صحابة النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنهم ، والتابعين لهم بإحسان رحمهم الله تعالى ، إلى علماء المسلمين ؛ من مُحَدِّثين وأصوليِّين وفقهاء ووعاظ ،... ومَن الناس إلا هم ؟ ولم يشذ عنهم إلا هالك . ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[1]، وانظر الباب التاسع تجد فيه مختصراً شاملاً لمحافظتهم عليها أيضاً ، والله تعالى هو الحافظ والمعين .

☆☆☆☆☆

= كتابي (نشأة علوم الحديث) وقد كنت كتبته (١٣٩٣هـ) فانظره تجد البغية إن شاء الله تعالى . وانظر أيضاً : الرسالة للإمام الشافعي (٤٢٦ ـ ٤٥٨) والأم له أيضاً (٧ : ٢٥٠ وما بعد) واختلاف الحديث (٢٣ وما بعد) و (الشافعي وأثره في الحديث وعلومه) للمؤلف أيضاً في الباب الرابع ، وانظر (مفتاح الجنة) للحافظ السيوطي كله ، حيث خصه للرد على من طعن في السنة النبوية من زنادقة عصره . والمدخل للإمام البيهقي . وغيرها .

(١) سورة النساء (١١٥).

الباب الثامن

جعل سنته ﷺ مبيِّنة لكتاب الله تعالى

إن أغلب الآيات القرآنية الكريمة في أحكام العبادات ، والمعاملات ـ الخاصة والعامة ـ بل حتى في العقائد والأخلاق ،... جاءت مجملةً ، أو عامةً ، أو مطلقةً ،... وقد تكفَّل الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ بالبيان ، فقال تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ لذا بيّن الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ كلَّ ما يحتاجه العباد ، مما جاء في الآيات ؛ من إجمال ، وعامٍّ ، وإطلاقٍ ،... وزائد ، فبيّن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل ما أوحاه إليه ، مما بيَّنه له ، فبيّن الإجمال ، وخصّص العام ـ أو أبقاه ـ وقيّد المطلق ـ أو أبقاه ـ وزاد في التشريع ما كان قد أوحاه إليه .

لذا جاءت السنةُ النبويةُ الشريفة مبيِّنةً ، أو موضِّحةً ، أو مخصِّصةً ، أو مقيِّدةً ،... أو جاءت بأحكام زائدة . وكل ذلك يندرج تحت قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]. وهذا التبيان من رسول الله ﷺ إنما هو بأمر الله تعالى وإرادته الذي كان قد أوحاه إليه وبيّنه ، وهو من التشريع الذي يلزم تبليغه ، فبلّغه .

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[2]: وسننُ رسولِ الله ﷺ مع كتاب الله تعالى وجهان :

أحدهما : نص كتاب ، فاتبعه رسولُ الله ﷺ كما أَنزل الله .

والآخر : جملة ، بيّن رسولُ الله ﷺ فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة ، وأوضح

---

(١) سورة النحل (٤٤).

(٢) الرسالة (٩١ ـ ١٠٣).

كيف فرضَها : عامّاً أو خاصّاً ، وكيف أراد أن يأتي به العباد .

وكلاهما اتبع فيه كتاب الله تعالى .

قال : فلم أعلم من أهل العلم مخالفاً في أن سننَ النبي ﷺ من ثلاثة وجوه ، فاجتمعوا فيها على وجهين .

والوجهان : يجتمعان ويتفرعان . أحدهما : ما أنزل الله فيه نص كتاب ، فبيّن رسولُ الله ﷺ مثلَ ما نص الكتاب .

والآخر : مما أنزل الله فيه جملةَ كتابٍ ، فبيّنَ عن الله معنى ما أراد .

وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما .

والوجه الثالث : ما سن رسولُ الله ﷺ فيما ليس فيه نص كتاب.اهـ.

فالسنة النبوية مع القرآن الكريم وجوه :

١ ـ إما أن تكون كمنطوق القرآن الكريم .

٢ ـ أو تكون مفسّرةً لآيات القرآن الكريم .

٣ ـ أو تكون مبيّنةً للناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم .

٤ ـ أو تكون مفصِّلةً للقرآن الكريم ، أو مبيِّنةً لمجملِ القرآن الكريم ، أو مبيِّنةً المراد من كلام الله جل شأنه المسوق عاماً ، هل هو العام أم الخاص ؟

٥ ـ أن تكون مقيِّدةً لمطلق القرآن الكريم ، أو مخصِّصة لعامِّه .

٦ ـ أو تكون زائداً على ما في القرآن الكريم .

وهذه الأقسام كلها تعود إلى نوعين :

الأول : أن تكون متعلقةً بالقرآن الكريم ، سواء كانت مثلَ لفظه ، أو كانت مبيِّنةً لمجمله ، أو مخصِّصةً لعامِّه ، أو مقيِّدةً لمطلقه ،...

وما في هذا القسم ؛ يندرج تحت الآيات التي عطف الله تعالى فيها لفظ رسوله ﷺ على لفظ الجلالة ، مع تقدّم لفظ الطاعة ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فتكون

طاعةُ النبي المصطفى الكريم ﷺ مندرجةً تحت طاعة الله تعالى ، كما سبق بيانه في الباب الثالث .

الثاني : أن تكون زائدة على ما في القرآن الكريم .

وما في هذا القسم يندرج تحت الآيات التي عطف الله تعالى فيها طاعةَ رسوله الكريم ﷺ على طاعته تعالى ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ لأنه تعالى جعل لرسوله الكريم ﷺ طاعة استقلالية ، وعطفها على طاعته تعالى .

وإذا كان الله عز وجل قد أقام الحجةَ على عباده ـ في القسم الأول ـ لأن طاعةَ رسوله الكريم ﷺ مندرجةٌ تحت طاعة الله تعالى المأمور بها . فإنه عز شأنه قد أقام الحجةَ على العباد في القسم الثاني أيضاً ؛ لأمره تعالى بها ، وثنائه على من يقوم بها ، وأن من لم يفعل فقد خالف الله عز وجل في أمره طاعتَه وطاعةَ رسوله الكريم ﷺ ، وشاققه ، وعصاه .

وأذكر نماذج لكل قسم من هذه الأقسام ، والله تعالى الموفق والمعين .

الأول : أن يأتي نصٌّ في القرآن الكريم ، فيأتي في السنة نفس اللفظ :

مثال ذلك :

قال الله تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله ،...». متفق عليه[1] .

وعن جابر رضي الله تعالى عنه قال : «جاءت الملائكة إلى النبي ﷺ ـ وهو نائم ـ فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً ،... فقالوا : مَثَلُه كمثل رجل بنى داراً ، وجعل

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب يقاتل من وراء الإمام ويُتَّقى به ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، رقم (٣٢ـ٣٣).

فيها مأدبةً ، وبعث داعياً ، فمن أجاب الداعيَ دخلَ الدارَ ، وأكلَ من المأدبة ، ومن لم يجب الداعيَ لم يدخل الدار ، ولم يأكل من المأدبة . فقالوا : أوِّلوها له يفقهها ،... فقالوا : فالدار الجنة ، والداعي محمدٌ ﷺ ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين الناس». رواه البخاري ، وقد مر ذكره من قبل .

كما ورد من غير طريقهما أيضاً .

الثاني : أن تكون مفسِّرةً لآيات القرآن الكريم :

لقد تكفّل الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ ببيان ما أنزله عليه ، وأمر نبيَّه الكريم ﷺ أن يبيِّن ذلك للأمة ، والآيات القرآنية ليست كلها مبينة الدلالة ، فقد كانت آياته على ضربين ، أحدهما يفهمه العرب ، بمجرد معرفتهم لغتهم ، لأنه نزل بلغتهم ، والثاني : لا سبيل لمعرفتهم به ، سواء لما هو فوق بلاغتهم ، أو كان متشابهاً ، أو مغلقاً عليهم ،... وهذا ما بيّنه لهم رسول الله ﷺ ، وكان طبيعياً أن يفهم العرب القرآن جملة بالنسبة لظاهره وأحكامه . وكان النبي الكريم ﷺ يفهم القرآن جملة وتفصيلاً ، لأن الله تعالى تكفل له بحفظه وبيانه ، كما سبق ذكره .

لكن معرفة دقائق باطن القرآن وفهمه تفصيلاً ، فهذا يغيب على كثير من الصحابة ، وهو غير ميسور لهم بمجرد معرفتهم للغة القرآن ، لذا كانوا يرجعون إلى النبي الكريم ﷺ فيما يُشكل عليهم . فكان رسول الله ﷺ يبيِّن للناس ما يخفى عليهم من معاني الآيات الكريمة ، حسب ما أوحاه الله عز وجل إليه وبيّنه ، ولكن النبي المصطفى الكريم ﷺ لم يفسِّر كلَّ آيات القرآن الكريم ، لأن كثيراً منها واضحة الدلالة ، مما يفهمه الصحابة رضي الله تعالى عنهم بمقتضى اللغة ، والدلالات والعرف ، وسبب النزول ،... لكن الذي بيّنه رسول الله ﷺ هو كثيرٌ أيضاً ، حيث بيّن لهم ما خفي عليهم ، ولا سبيل للوصول إلى معرفته إلّا

عن طريق بيانه ﷺ .

وقد اعتنى علماء الحديث - بما يسمى بالتفسير بالمأثور - بما ورد عنه ﷺ من تفسير لبعض الآيات ، وقل إمام من أئمة الحديث إلا وله كتاب مستقل في التفسير ، كأحمد والبخاري وابن ماجه ،... ومن سبقهم من مشايخهم ، ومن تلاهم من تلاميذهم ، بل قل كتاب من كتب الحديث إلّا وفيه كتاب في التفسير ، فمن مطوِّل ومختصر ،... لذا أذكر هنا عشرة نماذج مما ورد في الصحيحين فقط ، زيادة في التوثيق ، والله تعالى الموفق والمعين .

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : «قيل لبني إسرائيل : ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾(1) فبدّلوا ، فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم ، وقالوا : حَبَّةٌ في شَعْرة». متفق عليه(2).

وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : «شغلونا عن الصلاة الوسطى ؛ صلاة العصر ، ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً» ثم صلاها بين العشاءين بين المغرب والعشاء . متفق عليه ، واللفظ لمسلم(3).

ورواه مسلم بنحوه من حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه .

وعن عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه قال : لما نزلت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾(4). عمدت إلى عقالٍ أسودَ وإلى عقالٍ أبيضَ ،

---

(١) سورة البقرة (٥٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الأعراف : باب ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب التفسير ، رقم (١).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : بعد باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر ، رقم (٢٠٤ ، ٢٠٥) وحديث ابن مسعود ، برقم (٢٠٦).

(٤) سورة البقرة (١٨٧).

فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلت أنظر من الليل ، فلا يستبين لي ، فغدوت على رسول الله ﷺ ، فذكرت له ذلك فقال : «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار». متفق عليه[1]. وله روايات متعددة .

ورويناه بنحوه من حديث سهل بن يعد رضي الله تعالى عنهما .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾[2] شق ذلك على المسلمين ، فقالوا : يا رسول الله ؛ أينا لا يظلم نفسه ؟ قال : «ليس ذلك ، إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه : ﴿يَـٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[3]». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[4].

وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول : «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[5] ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي». رواه مسلم[6].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب قول الله تعالى : ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصوم : باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ، رقم (٣٣).

(٢) سورة الأنعام (٨٢).

(٣) سورة لقمان (١٣).

(٤) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب صدق الإيمان وإخلاصه ، رقم (١٢٤).

(٥) سورة الأنفال (٦٠).

(٦) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب فضل الرمي والحث عليه ، رقم (١٦٧).

وعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما ، عن النبيِّ ﷺ قال : «المسلم إذا سُئل في القبر : يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ ﴾[1]». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ـ في قوله تعالى ـ : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[3] إن الناس يصيرون جُثاً ، كل أمة تتبع نبيَّها ، يقولون : يا فلان ؛ اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبيّ ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود». رواه البخاري[4].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن موسى كان رجلاً حييّاً سِتّيراً ، لا يُرى شيءٌ من جلده ؛ استحياء منه ، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل [وفي رواية لهما : كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراةً ينظر بعضهم إلى سوأة بعض ، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده] فقالوا : ما يستتر هذا السترَ إلّا من عيبٍ بجلده ؛ إما بَرَصٍ ، وإما أُدْرةٍ ، وإما آفة . وإن الله أراد أن يُبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يوماً وحده ، فوضع ثيابه على الحجر ، ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصاه ،

(١) سورة إبراهيم (٢٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة إبراهيم : باب ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صفة الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ، رقم (٧٣).

(٣) سورة الإسراء (٧٩).

(٤) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الإسراء : باب ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾. وانظر : كتاب الزكاة : باب من سأل الناس تكثُّراً .

وطلب الحجرَ ، وجعل يقول : ثوبي حجرُ ، ثوبي حجرُ ، حتى انتهى إلى ملأ بني إسرائيل ، فرأوه عرياناً أحسنَ ما خلق الله ، وأبرأه مما يقولون . وقام الحجر ، فأخذ بثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه ، فو الله إن بالحجر لندَباً من أثر ضربه ـ ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً ـ فذلك قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾[1]. متفق عليه[2].

وعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «ليس أحدٌ يحاسب ـ يوم القيامة ـ إلا هلك» فقلت : يا رسول الله ـ جَعلني الله فداك ـ أليس يقول الله عز وجل : ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾[3] قال : «ذاك العرض ؛ يُعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[4].

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال : بينا رسول الله ﷺ ذاتَ يوم بين أظهرنا في المسجد ، إذ أغفى إغفاءةً ، ثم رفع رأسه متبسِّماً ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : «أُنزلت عليّ آنفاً سورةٌ» فقرأ «﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾

---

(١) سورة الأحزاب (٦٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الغسل : باب من اغتسل عُرياناً وحده في الخلوة ،... وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحيض : باب جواز الإغتسال عرياناً في الخلوة ، رقم (٧٥) وكتاب الفضائل : باب من فضائل موسى عليه السلام ، رقم (١٥٥ ، ١٥٦).

(٣) سورة الإنشقاق (٧ ـ ٨).

(٤) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ : باب : ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجنة : باب إثبات الحساب ، رقم (٧٩ ـ ٨٠).

ثم قال : «أتدرون ما الكوثر ؟» فقلنا : الله ورسوله أعلم . قال : «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل ، عليه خير كثير ، هو حوضٌ ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم ،...» الحديث ، وهذا لفظ لمسلم[1].

الثالث : أن تكون مبيّنة للناسخ والمنسوخ من آيات الله تعالى :

أقتصر على ذكر مثالين :

١ ـ قال الله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[2].

لقد ذهب عامة أهل العلم ـ وهو قول ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ، ومجاهد وعكرمة وابن زيد وشريح والسدي والحسن وقتادة... وأكثر المفسرين ، وهو مذهب عامة المالكية والشافعية والحنابلة ، إلى أن الناسخ للوصية : آيات المواريث ، ودلت السنة النبوية على ذلك .

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كان المال للولد ، وكانت الوصية للوالدين ، فنسخ الله من ذلك ما أحب ، فجعل للذكر مثلَ حظ الأنثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث ، وجعل للمرأة الثمن والربع ، وللزوج الشطر والربع . رواه البخاري[3].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب حجة من قال : البسملة آية من أول كل سورة ، سوى براءة ، رقم (٥٣).

(٢) سورة البقرة (١٨٠).

(٣) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة النساء : باب قول الله تعالى : ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾.

قوله : وجعل للأ بوين لكل واحد منهما السدس والثلث . أي في حالٍ وجود الفرع الوارث ، وترث الأم الثلث إذا لم يكن فرع وارث ، ولا جمع من الأخوة والأخوات . وترث =

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى[1]: هو موقوف لفظاً ؛ إلا أنه في تفسيره إخبار بما كان من الحكم قبل نزول القرآن ، فيكون في حكم المرفوع بهذا التقرير .

ويدل على ذلك أيضاً قوله ﷺ: «لا وصية لوارث».

فقد جاء من حديث عمرو بن خارجة رضي الله تعالى عنه ، رواه أحمد والترمذي وصححه ، والنسائي وابن ماجه وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد الرزاق وأبو يعلى والبزار والدارمي والطبراني والبيهقي والبغوي ، ولفظه : «إن الله عز وجل أعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ، ولا وصية لوارث ،...».

ورواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه ، وابن ماجه وسعيد بن منصور وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والطيالسي وابن عبد البر والبيهقي من حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «إن الله قد أعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ، فلا وصية لوارث».

ورواه ابن ماجه ـ بسند صحيح ـ والدارقطني والبيهقي والطبراني عن أنس رضي الله تعالى عنه ، بلفظ : إني لَتَحْتَ ناقة رسول الله ﷺ ، يسيل عليَّ لعابُها ، فسمعته : يقول : «إن الله قد أعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ، ألا لا وصيةَ لوارثٍ».

ورواه الدارقطني من حديث : جابر ، وابن عباس ، وعَمْرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله تعالى عنهم .

ورواه ابن أبي شيبة والدارقطني وابن عدي عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه .

كما جاء من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ـ عند الحارث ـ وعن زيد بن

= الزوجة الثمن عند وجود الفرع الوارث للزوج ، وترث الربع عند عدمه ، ويرث الزوج النصف إذا لم يكن للزوجة فرع وارث ، فإن وجد فله الربع ، والله تعالى أعلم .

(١) فتح الباري (٥ : ٣٧٢).

أرقم والبراء بن عازب ومعقل بن يسار رضي الله عنهم ـ عند ابن عدي ـ وعن غيرهم ، عدا المراسيل والموقوفات . وإن كان أصح ما جاء هو من حديث عمرو بن خارجة وأبي أمامة وأنس رضي الله تعالى عنهم[1].

وفي المسألة أقوال أخرى دون هذا القول ، ذكرتها في بر الوالدين .

٢ ـ قال الله تعالى : ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ

(١) انظر : جامع المسانيد (٢ : ٥٨ ، ٣٣٧) ومسند أحمد (٤ : ١٨٦ ، ١٨٦ ـ ١٨٧ ، ١٨٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩) (٥ : ٢٦٧) وسنن أبي داود : كتاب الوصايا : باب ما جاء في الوصية للوارث ، رقم (٢٨٧٠) وكتاب البيوع : باب في تضمين العارية ، رقم (٣٥٦٥) وسنن الترمذي : كتاب الوصايا : باب ما جاء لا وصية لوارث ، رقم (٢١٢٠ ، ٢١٢١) وسنن النسائي : كتاب الوصايا : باب إبطال الوصية للوارث (٦ : ٢٤٧) والسنن الكبرى له (٤ : ١٠٧ رقم ٦٤٦٨ ـ ٦٤٧٠) وسنن ابن ماجه : كتاب الوصايا : باب لا وصية لوارث ، رقم (٢٧١٢ ـ ٢٧١٤) وسنن الدارمي : كتاب الوصايا ، رقم (٣٢٦٣) ومصباح الزجاجة (٣ : ١٤٤) وسنن سعيد بن منصور (١ : ٣ : ١٠٧ ـ ١٠٨ ، ١٠٨ رقم ٤٢٧ ، ٤٢٨) ومسند الطيالسي (١٥٤ رقم ١١٢٧) ومصنف عبد الرزاق (٤ : ١٤٨ ـ ١٤٩) (٩ : ٤٧ ـ ٤٨ ، ٤٨ ، ٧٠) وسنن الدارقطني (٤ : ٩٧ ، ٩٨ ، ١٥٢ ، ١٥٢ ـ ١٥٣) ومسند أبي يعلى (٣ : ٧٨ رقم ١٥٠٨) وشرح السنة (٥ : ٢٨٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٦ : ٢٦٣ ـ ٢٦٥) والأحكام الوسطى للإشبيلي (٣ : ٢٨٠ ـ ٢٨١) وتاريخ واسط لبحشل (١١٦) والمعجم الكبير (١٧ : ٣٢ ـ ٣٦ ، ٦٦ ـ ٦٩) والتمهيد لابن عبد البر (١٤ : ٢٩٨ ـ ٢٩٩) (٢٤ : ٤٣٨ ، ٤٣٩) والمغني لابن قدامة (٨ : ٣٩٠) ونصب الراية (٤ : ٤٠٣ ـ ٤٠٥) والكامل (١ : ٢٠٢ ، ٣٠٧) (٢ : ٨١٧) (٤ : ١٥٧٠ ، ١٥٧٥) (٥ : ١٨٥٣) (٦ : ٢٣٤٩) (٧ : ٢٥١١) وفوائد تمام (١ : ٣٦ رقم ٦٦) والمعجم الكبير (١٧ : ٣٢ ـ ٣٦ من طرق) ومسند الشاميين (١ : ٣٦٠ ـ ٣٦١ رقم ٦٢١) ونواسخ القرآن (١٦٥). وانظر : تلخيص الحبير (٣ : ٩٢).وبر الوالدين ، فقد أطلت النفس في بيان المذاهب والأدلة .

﴿ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾[1]. فنسخ الله تعالى الحبس والأذى في كتابه ـ كما قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[2] ـ فقال تعالى : ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾[3]. فدلت السنة على أن جلد المائة للزانيين البكرين .

فعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «خذوا عني ، خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً ؛ البكر بالبكر جلدُ مائة ونفي سنة ، والثيبُ بالثيب جلدُ مائة والرجم». رواه مسلم[4].

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : فدلَّت سنة رسول الله ﷺ أن جلْدَ المائة ثابتٌ على البكرَين الحرَّين ، ومنسوخ عن الثيبَين ، وأن الرجمَ ثابت على الثَّيِّبَين الحرَّين .

لأن قول رسول الله ﷺ : «خذوا عني ،...» أولُ ما نزل ، فنُسخ به الحبسُ والأذى عن الزانيين . فلما رجم النبيُّ ﷺ ماعزاً ولم يجلده ، وأمر أُنَيساً أن يغدوَ على امرأة الأسلمي ، فإن اعترفت رجمها : دلَّ على نسخ الجلْد عن الزانيين الحرَّين الثَّيِّبَين ، وثبت الرجمُ عليهما ، لأن كلَّ شيء ـ أبداً ـ بعد أولٍ فهو آخِر.اهـ وسيأتي بيان لذلك بعد .

ومثل ذلك كثير ، وما ذكرته كاف في الاستدلال ، والله تعالى أعلم .

الرابع : أن تكون مفصِّلةً ، أو مبيِّنةً ، أو مخصصة ، أو مقيِّدة ،... لآيات القرآن الكريم . وأذكر هنا رؤوس بعض المسائل ، ثم أبين في الفقرة التالية بعض النماذج مما يدخل فيها ، لكن من غير تكرار ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) سورة النساء (١٥).

(٢) انظر الرسالة (١٢٨ ـ ١٣٢).

(٣) سورة النور (٢).

(٤) صحيح مسلم : كتاب الحدود : باب حد الزنى ، رقم (١٢ ـ ١٤).

ففي **العبادات** مثلاً :

جاءت آية في المياه ، هي قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾[1] وهي آية مطلقة ، لم تبيّن مقدار الماء الذي يتطهّر به ـ في الوضوء ، والغُسل ، والغَسل ـ وما حكم الماء إذا كان قليلاً ووقعت فيه نجاسة ، وإن لم تغيِّر من أوصافه ، وما حد مقدار الماء الذي لا يُسلب وصفه ولا يحمل الخبث ، وما حكم ماء البحر وغيره من مياه الأرض ، وما حكم الماء إذا خالطه طاهر ، وما حكم الاغتسال في الماء الدائم الذي لا يجري ، والماء القليل إذا تطهر فيه ،... كل ذلك بيّنته السنة النبوية الشريفة .

وجاءت آية في **الوضوء** ، هي قوله عز وجل : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[2].

لكن لم يرد فيها ذكر الاستجمار ، والاستنجاء ، وغَسلُ النجاسة ، وكيفية الغسل ، ولم يوضِّح الماء ،... وما مقداره في الوضوء ،... كما لم يأت كثير من الأحكام في آية الوضوء ، ابتداء من النية ، وغسل اليدين في ابتداء الوضوء ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والمبالغة فيهما ، والاستنثار ، والسواك ، ومسح الأذنين ، والتثليث في ذلك ،...إلخ.

وجاءت آيةٌ في **التيمم** ، هي قوله تعالى : ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾[3]. فجاءت السنة النبوية لتبيِّن لنا كيفية

---

(١) سورة الفرقان (٤٨).

(٢) سورة المائدة (٦).

(٣) سورة النساء (٤٣) وسورة المائدة (٦).

التيمم .

وجاءت آية في **الطهارة من الجنابة** ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾[1]. لكن لم تذكر حكم الكسل ، ولم تذكر حكم الاحتلام ، كما لم تبين كيفية الغُسل ، وما يسن فيه وما يجب ، ابتداء من غَسل الأعضاء التناسلية ، فالوضوء قبله ، وتنقية البشرة ، ومقدار الماء ، وماء البحر وغيره ،... الخ .

وفي **الصلاة** : فقد جاءت الآية مجملة ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فجاءت السنة النبوية الشريفة لتبيِّن أوقاتها ، وعددَ ركعات كل صلاة ، في الفجر ركعتان ، وفي الظهر أربع ركعات ، وكذا العصر والعشاء ، وفي المغرب ثلاث ،... وكيفيتها ، بأن الركوع على صفة كذا ، وأن السجود على صفة كذا ، وماذا يقال في القيام ، وفي الركوع ، وفي السجود ، وصفة السلام ،... وما يجوز فيها ، وما لا يجوز ، وما يشترط لها ، وما يبطلها ، وصلاة النافلة المقيدة وغيرها ، وصلاة النافلة على الراحلة إلى غير القِبلة في السفر ، وصلاة القتال وأحوالها المتعددة ، والقصر في السفر من غير خوف ، والجمع بين الصلوات في السفر والحضر ، والأذان والإقامة وألفاظهما ،...إلخ.

وفي **الزكاة** : فقد جاءت الآية مجملة : ﴿وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ﴾ فجاءت السنة النبوية الشريفة لتحدِّد الأموال التي تُخرج فيها الزكاة ؛ سواء من النقدين ، والأنعام ، والخارج من الأرض ، وأحكامَ الركاز ، وما لا يُخرَج منه ، وبيان الحول ، والنصاب ،... إضافة إلى فتح باب الصدقات ،...إلخ.

ومقدار الزكاة ؛ في الإبل ، وفي الغنم ، وفي البقر ، وفي الفضة ، وفي الذهب ، مع اختلاف نصاب كل واحد من الأنواع عن غيره .

ثم ما زاد في ذلك كله عن المذكور فبمقداره الذي ذكرته السنة .

---

(١) سورة المائدة (٦).

وفي **المزروعات** : فقد جاءت الآية مجملةً ، وهي قوله تعالى : ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ لكن ما هي المزروعات التي تزكّى ، وما هو المقدار ، وما هو النصاب ، وما حكم ما كان يُسقى بغرب أو سانية ، وما كان يُسقى من السماء ،... كل ذلك جاء بيانه في السنة النبوية الشريفة .

ثم جاءت السنة النبوية الشريفة لتبيِّن ما لا تجب فيه الزكاة من هذه الأموال ، سواء من النقد أو الأنعام أو الأموال ،... وهكذا .

وفي **الصيام** : فقد جاءت الآيات فيه مبينةً وجوبَ الصوم ، ثم إباحة الرفث والطعام والشراب ليلة الصيام[1]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾[2].

لكن ما حكم من أكل أو شرب ، ناسياً ، وما هي المفطرات في الصيام ، والمباشرة والقُبلة للصائم ، وما يجتنبه ومالا يجتنبه من الكلام فيه ، ثم صيام الأيام التي يسن صيامها ؛ كأيام الإثنين والخميس ، ونصف الشهر ، وستٍّ من شوال ، وشعبان ،... وأيهما الأفضل في السفر ؛ الصوم أم الفطر ،...إلخ.

وفي **الحج** : حيث جاءت الآية عامة ومجملة ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾[3].

لكن من الذي رتبه بالصورة التي نعرفها ، كتعيين المواقيت الزمانية والمكانية ، ومواقيت الآفاقي ، ومن دونهم ، والمقيم في مكة ،... وبيان أعمال الحج ،

(١) انظر : مع رسول الله ﷺ في رمضان . فقد ذكرت مراحل الصوم ، وكيف مر .

(٢) سورة البقرة (١٨٣ ـ ١٨٥).

(٣) سورة آل عمران (٩٧).

وصفة الإحرام ، ومتى ينتهي ، والمبيت في منى ليلة التاسع ، وبدء وانتهاء الوقوف بعرفة ، ومكان الوقوف فيه ، والمبيت في مزدلفة ، وجمع الجِمار ، ورمي الجمرات ، والمبيت في منى ليالي أيام التشريق ، وجمع الصلاة في عرفة ومزدلفة ، وما هي مبطلات الحج ، وما يلزم فيه الدم ، وما لا ،... كل ذلك جاءت به السنة النبوية الشريفة .

وفي البيوع : فقد جاءت الآية مجملة : ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[1].

ومع هذا فقد جاءت السنة النبوية الشريفة لتبين أحكامَ كثير من البيوع ، والعقود المالية ، وتحريم كثير من ذلك ، مع إباحة كثير أيضاً ،...إلخ. فليس كل عقد بين اثنين جائز ، كما سيأتي بيانه في فقرة تالية إن شاء الله تعالى .

وفي الجهاد : فقد جاءت آية في حال الأسرى ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾[2].

لكن لم تتعرض الآية إلى نوعية الأسرى ، وحسن معاملتهم ، كما لم تتعرض إلى أحوال الأسرى من تعليم ، أو تبادل مع أسرى المسلمين ، أو قتل ، وغير ذلك .

ومثل ذلك في المعاملات وغيرها كثير . وسيأتي تفصيل بعض الأحكام بعد قليل ، إن شاء الله تعالى .

فهل عيَّن النبي الكريم ﷺ ذلك من عند نفسه ، أم هو الوحي الذي لم نطَّلع عليه ؟ وكيف يكون من عند نفسه ـ حاشاه بأبي هو وأمي ـ والله تعالى يقول : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ لكنه البيان الذي وَكَله الله جل شأنه إليه ، وأوحاه له فنطق ﷺ به ، حيث يقول الله جل شأنه : ﴿لِتُبَيِّنَ

(١) سورة البقرة (٢٧٥).

(٢) سورة محمد (٤).

﴿لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ بعد أن تكفَّل الله تعالى له بالبيان ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ وقد أخبرنا تعالى بأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى، إنما هو الوحي الذي يوحى إليه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ فهو ﷺ يَتَّبع ما يوحيه الله تعالى إليه في كل أموره، كما أخبرنا الله جل شأنه عنه ﷺ: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى﴾.

ثم ما كان رسول الله ﷺ ليفعل ذلك من عند نفسه، ولو فعل ﷺ لما أقرَّه الله تعالى، ولذَكَر الله تعالى ذلك لنا في كتابه الكريم، ولكان ﷺ متقوِّلاً على ربه ـ حاشاه بأبي هو وأمي ـ فلما أقره الله تعالى ـ بل وَكَلَ ذلك البيان إليه؛ دلَّ على أن ما فعله ﷺ من البيان إنما هو بأمر الله تعالى الذي أوحاه إليه، وأنه ﷺ إنما اتبع ما يوحى إليه، وإن كان قد خفي علينا كثيرٌ من ذلك، لأن بعضاً منه قد صرّح ﷺ بتعليم جبريل عليه السلام له، كما ذكرته في الأصل، والله تعالى أعلم.

الخامس: الحكم المقيِّد أو المخصِّص:

لقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتضمن أحكاماً عامة، أو مطلَقة، ثم جاءت أحاديث نبوية تخصِّص تلك النصوص العامة، أو تقيّد المطلَقة،... وأذكر بعض النماذج في ذلك، لأنها كثيرة جدّاً. والله تعالى هو الموفق والمعين.

أ ـ قطع يد السارق، وبأي شيء تقطع:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

فقوله تعالى: ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ لفظ اليد عام يشمل من أعلى الكتف حتى رؤوس الأصابع، فجاءت السنة النبوية لتبين النصابَ، والحِرْزَ، والموضعَ

(١) سورة المائدة (٣٨).

الذي تُقطع منه اليد ، وتحدد اليمين دون اليسار ،... وهكذا .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «تُقطع يد السارق في ربع دينار [فصاعداً]». متفق عليه(١).

وفي رواية لمسلم(٢): «لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً».

وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قطع النبيُّ ﷺ يدَ سارق في مِجَنٍّ ثمنُه ثلاثةُ دراهمَ . متفق عليه ، واللفظ للبخاري(٣).

وقد وقع الإجماع على أن المراد باليد هي اليمنى إن كانت موجودة(٤).

وذهب الجمهور ـ بل نقل بعضُهم الإجماع أيضاً ـ على أن اليد تُقطع من مفصل الكف(٥).

كما ذهب الجمهور ـ خلافاً للظاهرية ـ إلى اشتراط الحِرْز ، فمن سرق من غير حِرْز فلا تقطع يده(٦).

ويشهد لمذهب الجمهور حديثُ رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا قطع في ثَمَر ولا كَثَر». رواه مالك والشافعي وعبدالرزاق وأحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن الجارود وابن حبان والحاكم وغيرهم ، وبعضهم يذكر بين محمد بن يحيى بن حَبَّان ورافع ابن خديج : واسِعَ بن

(١) صحيح البخاري : كتاب الحدود : باب قول الله تعالى : ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾. وصحيح مسلم : كتاب الحدود : باب حد السرقة ونصابها ، رقم (١ ـ ٥).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢ ـ ٤).

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب الباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦).

(٤) انظر فتح الباري (١٢ : ٩٧).

(٥) انظر فتح الباري (١٢ : ٩٨).

(٦) انظر فتح الباري (١٢ : ١٠٧).

حبّان ، كما هو عند الشافعي والحميدي والدارمي والنسائي وابن الجارود في آخرين ، وبعضهم لم يذكره[1].

وعن عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله تعالى عنهما قال : سُئل رسولُ الله ﷺ عن الثمر المعلق فقال : «من أصاب بفيه من ذي حاجة غير متخذٍ خُبْنَةً فلا شيء عليه ،... ومن سرق منه شيئاً بعد أن يؤويه الجَرِينُ فبلغ ثمنَ المِجَنِّ فعليه القطع». رواه أبو داود ، والترمذي ـ مختصراً ـ وحسنه ، والنسائي وابن ماجه في آخرين[2].

قال ابن حبان رحمه الله تعالى معلقاً على حديث رافع بن خديج رضي الله

---

(١) الموطأ : كتاب الحدود : باب ما لا قطع فيه ، رقم (٣٢) ورواية محمد بن الحسن (٢٣٧ رقم ٦٨٤) والسنن للإمام الشافعي (٢ : ١٨١ ، ١٨٢ رقم ٥٥٠ ، ٥٥١) والأم (٦ : ١١٨) والمسند (٣٣٥) ومصنف عبد الرزاق (١٠ : ٢٢٣) ومسند أحمد (٣ : ٤٦٣ ، ٤٦٤) (٤ : ١٤٠ ، ١٤٢) والمنتقى لابن الجارود ، رقم (٨٢٦) ومسند الحميدي (١ : ١٩٩ رقم ٤٠٧) وسنن الدارمي (٢ : ٩٥ ، ٩٥ ـ ٩٦ رقم ٢٣٠٩ ـ ٢٣٤١) وسنن أبي داود : كتاب الحدود : باب ما يقطع فيه السارق ، رقم (٤٣٨٨) وسنن الترمذي : كتاب الحدود : باب ما جاء لا قطع في ثمر ولا كثر ، رقم (١٤٤٩) وسنن النسائي : كتاب قطع السارق : باب ما لا قطع فيه (٨ : ٨٧ ، ٨٧ ـ ٨٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الحدود : باب لا يقطع في ثمر ولا كثر ، رقم (٢٥٩٣) وصحيح ابن حبان (١٠ : ٣١٧) وشرح السنة (١٠ : ٣١٧ ـ ٣١٨) وشرح معاني الآثار (٣ : ١٧٢) والمعجم الكبير (٤ : ٢٩٣ ، ٣٠٨ ـ ٣١١) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٢٦٢ ، ٢٦٣).

(٢) سنن أبي داود : كتاب اللقطة : رقم (١٧١٠) وكتاب الحدود : الباب السابق ، رقم (٤٣٩٠) وسنن الترمذي : كتاب البيوع : باب ما جاء في الرخصة في أكل الثمرة للمارِّ بها ، رقم (١٢٨٩) مختصراً ، وسنن النسائي : كتاب قطع السارق : باب الثمر يسرق بعد أن يؤويه الجرين (٨ : ٨٥) وسنن ابن ماجه : كتاب الحدود : باب من سرق من الحرز ، رقم (٢٥٩٦) وشرح معاني الآثار (٣ : ١٧٣) وشرح السنة (١٠ : ٣١٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٢٦٣) وأحمد في المسند (٢ : ١٨٠ ، ١٨٦) بنحوه .

تعالى عنه : عموم الخطاب في قوله جل وعلا : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ فأمر بقطع السارق إذا سرق ، ثم فسرته السنة بأن لا قطع على سارق الثَّمَر ولا الكَثَر ، وأن لا قطع إلا في ربع دينار ، فكان المراد من الخطاب من الكتاب : فاقطعوا أيديهما إذا سرق ربعَ دينار ، وما يقوم مقامه ، سوى الثَّمَر والكَثَر .اهـ.

إضافة إلى عدم قطع يد العبد الآبق إذا سرق ، وسرقة العبد من بيت سيده ، وحكم تعليق اليد المقطوعة ،...إلخ، والله تعالى أعلم .

ب ـ موانع ميراث الورثة :

قال الله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَـٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾(١).

(١) سورة النساء (١١ ـ ١٢).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾[1].

في هذه الآيات الثلاث جاءت أحكام المواريث ، الأب والأم والبنات والأخوات والأزواج ،... وهكذا . وقد حددت الآيات الكريمة نصيبَ كل واحد ، من غير تقييد بدِين أو غيره ، إنما جاء التقييد بالورثة والعدد ، وبعد إعطاء الوصية .

وقد جاءت السنة النبوية لتقييد جميع الورثة حتى يرثوا بقيود ـ لا توجد في هذه الآيات ـ منها إتحاد الدِّين ، وعدم القتل ، وعدم الرق . والنصوص في ذلك كثيرة ، منها :

عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي ﷺ قال : «لا يرث المسلمُ الكافرَ ، ولا يرث الكافرُ المسلمَ». متفق عليه[2].

وفي رواية للبخاري[3]: «لا يرث المؤمنُ الكافرَ ، ولا الكافرُ المؤمنَ».

وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي ﷺ قال : «لا يتوارث أهل ملّتين شتى». رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبغوي والدارقطني وابن السكن والبهقي .

ورواه النسائي والدارقطني والحاكم بإسناد صحيح من حديث أسامة بن زيد

---

(١) سورة النساء (١٧٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الفرائض : باب لا يرث المسلمُ الكافرَ ، ولا الكافرُ المسلمَ . وصحيح مسلم : كتاب الفرائض ، رقم (١).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح .

رضي الله تعالى عنهما . وصحح بعضَ طرقه ابنُ عبد البر ، وابن الملقن ، والحافظ في الفتح . كما جاء عن عدد من الصحابة أيضاً .

وإسناد أغلب روايات حديث عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما صحيح[1].

وقال ﷺ : «ليس للقاتل ميراث» وفي رواية : «لا يرث القاتل شيئاً» وله ألفاظ أخرى . أخرجه مالك والشافعي وأحمد والبيهقي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه .

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارقطني والبيهقي ـ وحسنه السيوطي ـ من حديث عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما .

ورواه الدارقطني من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

ورواه الترمذي وابن ماجه والدارقطني والبيهقي ،... من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

ورواه الدارمي من حديث علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهم موقوفاً بإسناد حسن . وجاء عن غيرهم أيضاً[2].

---

(١) مسند أحمد (٢ : ١٧٨ ، ١٩٥) وسنن أبي داود : كتاب الفرائض : باب هل يرث المسلم الكافر ، رقم (٢٩١١) وسنن الترمذي : كتاب الفرائض : باب لا يتوارث أهل ملتين ، رقم (٢١٠٨) وسنن النسائي الكبرى : كتاب الفرائض : باب سقوط الموارثة بين الملتين (٤ : ٨٢) وسنن ابن ماجه : كتاب الفرائض : باب ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك ، رقم (٢٧٣١) وشرح السنة (٨ : ٣٦٤ ـ ٣٦٥) وسنن الدارقطني (٤ : ٧٥ ـ ٧٦) والسنن الكبرى (٦ : ٢١٨) وسنن الدارمي (٢ : ٢٦٦ ـ ٢٦٨) والمستدرك (٢ : ٢٤٠) وخلاصة البدر المنير (٢ : ١٣٥) وفتح الباري (١٢ : ٥١) والتلخيص الحبير (٣ : ٨٤) وكنز العمال (١١ : ١٦ ، ١٨).

(٢) الموطأ : كتاب العقول (٢ : ٨٦٧ رقم ١٠) والأم (٦ : ٢٩) والمسند (٢٠١ ـ ٢٠٢) والرسالة (١٧١) مختصراً ، ومعرفة السنن والآثار (١٢ : ٣٩٠ ط القلعجي) والسنن الصغرى =

ونقل ابنُ الملقن والمناوي عن ابن عبد البر في كتابه الإشراف على ما في الفرائض من الاختلاف قولَه على حديث ابن عَمْرٍو رضي الله تعالى عنهما : إسناده صحيح بالاتفاق ، شواهده كثيرة .

وقال الحافظ المناوي[1] رحمه الله تعالى ـ نقلاً عن أهل الأصول ـ : إنه من المتواتر المعنوي ، لاشتهاره بين الصحب ، حتى خصوا به عموم ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ .اهـ.

وقال ابن عبد البر في التمهيد[2]: هو حديث مشهور عند أهل العلم بالحجاز والعراق ، مستفيض عندهم ، يستغني بشهرته وقبوله والعمل به عن الإسناد فيه ، حتى يكاد أن يكون الإسناد في مثله لشهرته تكلفاً.اهـ.

= (٢ : ٣٦٧) والسنن الكبرى (٨ : ٣٨ ، ٧٢) ومسند أحمد (١ : ٤٩) (٢ : ١٧٨) وسنن أبي داود : كتاب الديات : باب ديات الأعضاء ، رقم (٤٥٦٤) وسنن الترمذي : كتاب الفرائض : باب ما جاء في إبطال ميراث القاتل ، رقم (٢١٠٩) وسنن النسائي الكبرى : كتاب الفرائض : باب توريث القاتل ، رقم (٦٣٦٧ ، ٦٣٦٨) (٤ : ٧٩) وسنن ابن ماجه : كتاب الديات : باب القاتل لا يرث ، رقم (٢٦٤٥ ، ٢٦٤٦) وكتاب الفرائض : باب ميراث القاتل ، رقم (٢٧٣٥) ومصنف عبد الرزاق (٩ : ٤٠٣ ـ ٤٠٤) وسنن الدارقطني (٤ : ٧٢ ، ٩٥ ـ ٩٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٦ : ٢١٩ ، ٢٢٠) (٨ : ٣٨ ، ٧٢) ومعرفة السنن والآثار (٩ : ١٠٣) (١٢ : ٣٩ ، ٤٠) وشرح السنة (٨ : ٣٦٦) والمنتقى لابن الجارود (٢٦٦ ـ ٢٦٧ ، ٣٢٣) والتمهيد لابن عبد البر (٢٣ : ٤٣٦ ـ ٤٤٥) وانظر التلخيص الحبير (٣ : ٨٤ ـ ٨٥) ومجمع الزوائد (٤ : ٢٣٠) وتحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج (٢ : ٣٢٦) والإلمام لابن دقيق العيد (٢٢٥ رقم ١٢٢٧) وبلوغ المرام (١٧٥ رقم ٨١٢) وسنن الدارمي (٢ : ٢٧٧ ، ٢٧٨) وكنز العمال (١١ : ١٥) وفيض القدير (٥ : ٣٧٧ـ٣٧٨).

(١) فيض القدير (٥ : ٣٧٧ـ٣٧٨).

(٢) التمهيد (٢٣ : ٤٣٧).

وقد لخص صاحبُ الرحبية رحمه الله تعالى موانعَ الإرث بقوله :

ويمنع الشخصَ من الميراث　　واحدةٌ من علل ثلاث
رقٌّ ، وقتلٌ ، واختلافُ دِين　　فافهم فليس الشَّكُّ كاليقين

كما يستثنى من عموم الآية الكريمة : ميراث الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، فلا يورثون ، مع أن منهم الآباء . والحديث في هذا متواتر[1].

فعن مالك بن أَوس بن الحَدثان قال : قال عمر رضي الله تعالى عنه لعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنهم : أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسولَ الله ﷺ قال : «لا نُورث ، ما تركنا صدقة» ؟ قالوا : قد قال ذلك .

فأقبل عمر رضي الله تعالى عنه على عليٍّ والعباس رضي الله تعالى عنهما فقال : أنشدكما اللهَ أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك ؟ قالا : قد قال ذلك . متفق عليه[2].

قاتل الله تعالى الذين يزعمون أن الصِّدِّيق والفاروق رضي الله تعالى عنهما منعا السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها نصيبَها من الميراث تشهّياً وحقداً ، وهذه شهادة عليٍّ والعباس رضي الله تعالى عنهما ، مع شهادة إخوانهم رضي الله تعالى عنهم .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا نُورَث ، ما تركنا صدقة». متفق عليه[3].

---

(١) انظر : الأزهار المتناثرة (٣٧ رقم ٩٨) وقطف الأزهار (٢٧٣ رقم ١٠٠) ولقط اللآلئ (٨٨ رقم ٢٦) ونظم المتناثر (١٣٨ ـ ١٣٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : باب فرض الخمس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب حكم الفيء ، رقم (٤٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : الباب السابق ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب قول النبي ﷺ : «لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة» ، رقم (٥٢ ـ ٥٤).

وقد جاء هذا الحديث عن أبي هريرة وعائشة رضي الله تعالى عنهما ، بل رواه ثمانية من العشرة المبشرين بالجنة رضي الله تعالى عنهم وعن سائر الصحابة أجمعين . إضافة إلى غيرهم .

ومثل ذلك ورثة المهاجريُّ الأنصاريَّ ثم نسخ ذلك ، كما في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عند البخاري[1].

فكل هذا دال على أن ما فعله ﷺ أو أمر به فإنما هو وحي ، لأن مثل هذا ليس من الاجتهاد ، ولا للعقل فيه مسرح ، وإنما هو من الوحي المخفي ، لأنه ﷺ لا ينطق عن هوى ، إنما يتبع ما يوحى إليه ، والله تعالى أعلم .

ج ـ تقييد الوصية في مقدارها وفيمن يأخذها ، وبيان الوقف :

جاء ذكر الوصية في كل الآيات القرآنية مطلقاً غير مقيد . قال الله تعالى : ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[2].

(١) صحيح البخاري : كتاب الكفالة : باب قول الله عز وجل : ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ﴾ ، وفي غيرهما .

(٢) سورة النساء (١١ ـ ١٢).

فقد جاء ذكر الوصية في المواطن الأربعة ـ من الآيتين ـ مطلقاً غيرَ مقيد، لكن جاءت السنة النبوية لتقيِّد هذا الإطلاق في مقدارها، وفي من يأخذها، حيث لا تكون أكثر من الثلث، ولا تكون لوارث[1].

أما النهي عن الوصية بأكثر من الثلث:

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال: عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت، فقلت: يا رسول الله؛ بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مالٍ، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا». متفق عليه[2].

وفي رواية لهما[3]: أفأوصي بمالي كلِّه؟ قال: «لا» قلت: فبالثلثين؟ قال: «لا» قلت: فالنصف؟ قال: «لا» قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث، والثلث كثير،...». الحديث بطوله فانظره ففيه زيادة فوائد كبيرة.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع، فإن رسول الله ﷺ قال: «الثلث، والثلث كثير». متفق عليه[4].

فلم يرض ﷺ أن يتصدق ـ أي يوصي ـ سعد رضي الله تعالى عنه بماله أو

---

(١) لقد أطلت النفس في بيان هذين القيدين، في (بر الوالدين) وبينتُ حكم كل ما زاد على هذين القيدين، أو خالفهما، فانظره تجد فيه الخير إن شاء الله تعالى.

(٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي: باب حجة الوداع، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: كتاب الوصية: باب الوصية بالثلث، رقم (٥).

(٣) صحيح البخاري: كتاب النفقات: باب فضل النفقة على الأهل، وفي غيرهما. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (٧ ـ ٨). وانظر التعليق على سنن الشافعي (٢ : ١٦٠ ـ ١٦١).

(٤) صحيح البخاري: كتاب الوصايا: باب الوصية بالثلث. وصحيح مسلم: في الكتاب والباب السابقين، رقم (١٠).

ثلثيه أو نصفَه ، ولكن وافق على الثلث ، وبين أن الثلثَ كثير ، يعني لو نقص الناس من الثلث إلى الربع لكان أفضل ، والله تعالى أعلم .

وأما النهي عن الوصية لوارث :

فعن عمرو بن خارجة رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ آخذاً بزمام ناقة رسول الله ﷺ ، وهي تقصع بجرتها ، ولعابُها يسيل بين كتفيَّ ، فقال : «إن الله عز وجل أعطى لكلِّ ذي حق حقَّه ، ولا وصية لوارث ،...» الحديث ، رواه أحمد والترمذي ـ وصححه ـ والنسائي وابن ماجه وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد الرزاق وأبو يعلى والبزار والدارمي في آخرين .

ورواه أحمد وأبو داود والترمذي ـ وصححه ـ وابن ماجه وعبد الرزاق وسعيد والطيالسي وابن أبي شيبة في آخرين من حديث أبي أمامة رضي الله تعالى عنه

ورواه ابن ماجه بسند صحيح وغيره عن أنس رضي الله تعالى عنه .

وقد رواه عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم(١)، وقد بينت طرقهم في

---

(١) مسند أحمد (٤ : ١٨٦ ـ ١٨٧ ، ١٨٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩) (٥ : ٢٦٧) وسنن أبي داود : كتاب الوصايا : باب ما جاء في الوصية للوارث ، رقم (٢٨٧٠) وكتاب البيوع : باب في تضمين العارية ، رقم (٣٥٦٥) وسنن الترمذي : كتاب الوصايا : باب ما جاء لا وصية لوارث ، رقم (٢١٢٠ ، ٢١٢١) وسنن النسائي : كتاب الوصايا : باب إبطال الوصية للوارث (٦ : ٢٤٧) والسنن الكبرى له (٤ : ١٠٧) وسنن ابن ماجه : كتاب الوصايا : باب لا وصية لوارث ، رقم (٢٧١٢ ـ ٢٧١٤) وسنن الدارمي ، رقم (٣٢٦٣) وسنن سعيد بن منصور (١ : ٣ : ١٠٧ ـ ١٠٨ ، ١٠٨ رقم ٤٢٧ ، ٤٢٨) ومسند الطيالسي (١٥٤ رقم ١١٢٧) ومصنف عبد الرزاق (٤ : ١٤٨ ـ ١٤٩) (٩ : ٤٧ ـ ٤٨ ، ٤٨ ، ٧٠) وسنن الدارقطني (٤ : ٩٧ ، ٩٨ ، ١٥٢ ـ ١٥٣) ومسند أبي يعلى (٣ : ٧٨ رقم ١٥٠٨) وشرح السنة (٥ : ٢٨٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٦ : ٢٦٣ ـ ٢٦٥) وتاريخ واسط لبحشل (١١٦) ومصباح الزجاجة (٣ : ١٤٤) والمعجم الكبير (١٧ : ٣٢ ـ ٣٦ ، ٦٦ ـ ٦٩) والتمهيد لابن =

(بر الوالدين) فانظره ، والله تعالى أعلم .

ومما يدخل في هذا الباب : **الوقف** ، وهو غير موجود في القرآن الكريم ، وهو التصدق بالمنفعة مع بقاء العين موقوفة ، على حسب شروط الواقف ، وأول وقف في الإسلام ما نصح به النبي المصطفى الكريم ﷺ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله تعالى عنه .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : أصاب عمرُ ـ رضي الله تعالى عنه ـ أرضاً [وفي رواية للبخاري : وكان نخلاً] بخيبر ، فأتى النبيَّ ﷺ يستأمره فيها ، فقال : يا رسول الله ؛ إني أصبت أرضاً بخيبر ، لم أُصب مالاً قط أنفسُ عندي منه ، فما تأمرني به ؟ قال : «إن شئت حَبَستَ أصلَها ، وتصدَّقتَ بها». قال : فتصدق بها عمر ؛ أنه لا يباعُ أصلُها ، ولا يبتاع ، ولا يورث ، ولا يوهب [وفي رواية للبخاري : فقال النبي ﷺ : «تصدَّق بأصله ، لا يباعُ ، ولا يوهب ، ولا يورث ، ولكن يُنفق ثمره»] فتصدق عمر في الفقراء ، وفي القربى ، وفي الرقاب ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، والضيف ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ، أو يُطعم صديقاً ، غير متموِّل فيه . متفق عليه[1].

د ـ من الذين لا يقتلون في القتل العمد :

قال الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ ... ﴾[2].

= عبد البر (١٤ : ٢٩٨ ـ ٢٩٩) (٢٤ : ٤٣٨ ، ٤٣٩) والمغني لابن قدامة (٨ : ٣٩٠) ونصب الراية (٤ : ٤٠٣ ـ ٤٠٥) والكامل (١ : ٢٠٢ ، ٣٠٧) (٢ : ٨١٧).

(١) صحيح البخاري : كتاب الشروط : باب الشروط في الوقف ، وكتاب الوصايا : باب ما للوصي أن يعمل في مال اليتيم ،... وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الوصية : باب الوقف ، رقم (١٥).

(٢) سورة البقرة (١٧٨).

فالآية الكريمة توجب القصاص على كل قاتل ، ولكن السنة الشريفة استثنت عدداً من الأشخاص لا يُقتلون بغيرهم ، فلا يقتل المسلم بالكافر ، ولا يُقتل الوالد بولده ، ولا يُقتل الحر بالعبد .

فعن أبي جُحَيْفَةَ رضي الله تعالى عنه قال : قلتُ لعليٍّ رضي الله تعالى عنه : هل عندكم شيءٌ من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : لا ، والذي فلق الحَبَّةَ وبَرَأَ النسمة ، ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة . قلت : وما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكاك الأسير ، وأن لا يُقتل مسلم بكافر . لفظ البخاري[1].

وقال ﷺ : «لا يقاد الأب بابنه». وقد توسعت في بر الوالدين في بيان روايات هذا الحديث ، وشواهده ، وطرقه ، ومن صححه ، حيث جاء من أحاديث عمر ابن الخطاب ، وعبد الله بن عَمْرو ، وعبد الله بن عباس ، وسراقة بن مالك بن جعشم رضي الله تعالى عنهم .

وقد نقل الإمام الشافعي رحمه الله تعالى الإجماعَ على ذلك كله . فقال[2]ـ بعد ذكره لقول النبي المصطفى الكريم ﷺ : «لا يقتل مؤمن بكافر» ـ : والإجماع على أن لا يُقتل المرء بابنه ، والإجماع على أن لا يُقتل الرجل بعبده ، ولا بمستأمن من أهل دار الحرب ، ولا بامرأة من أهل دار الحرب ، ولا صبي.اهـ.

ومثل ذلك لا يمكن أن يكون بمحض الاجتهاد البشري ، إنما هو الوحي ، وإن خفي علينا ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب فكاك الأسير ، وكتاب العلم : باب كتابة العلم ، وفي غيرها .

(٢) الأم (٦ : ٢١) وانظر : الإشراف على مذاهب أهل العلم (٢ : ١٠٠ ـ ١٠١) ت نجيب سراج الدين ، ومعالم السنن (٦ : ٣١٣) والهداية بشرح فتح القدير (٩ : ١٥٦) والمنتقى للباجي (٧ : ١٢١) والمغني لابن قدامة (١١ : ٤٧٤) واللباب (٢ : ٧٣٣).

السادس : الحكم الزائد :

لقد جاءت أحاديث نبوية كثيرة فيها أحكام زائدة على الأحكام التي تضمنتها الآيات القرآنية ، أقتصر على ذكر بعضها للتذكير :

أ ـ اشتراط دخول المحلل بعد العقد :

قال الله تعالى : ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ ﴾[1].

إذا طلق الرجل العاقل امرأته ـ بعد دخوله بها ـ التطليقة الثالثة ، فإن الآية الكريمة تنص على أنها لا تحل له حتى تتزوج زوجاً غيره ، والنكاح في أغلب الآيات الكريمة ، وكذا في الأحاديث الشريفة هو حقيقة في العقد ، مجاز في الوطء . ولكن السنة النبوية الشريفة بينت أن لا عبرة في مفهوم الغاية هنا ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ بل لابد من وطء الزوج الثاني لها بعد العقد عليها ، ثم طلاقه لها ، وانقضاء عدتها ، ويدل على هذا :

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها ، أن امرأة رفاعة القُرَظي جاءت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ؛ إن رِفاعةَ طلقني ، فبَتَّ طلاقي ، وإني نكحتُ بعده عبدَ الرحمن بنَ الزَّبِير القرظي ، وإن ما معه مثلُ الهُدبة . قال رسول الله ﷺ : «لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا ، حتى يذوق عُسَيْلَتَكِ ، وتذوقي عُسَيْلَتَه». متفق عليه[2].

وقد نقل ابنُ المنذر رحمه الله تعالى الإجماع على اشتراط الوطء من الزوج

---

(١) سورة البقرة (٢٣٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الطلاق : باب من أجاز طلاق الثلاث ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب النكاح : باب لا تحل المطلقة ثلاثاً حتى تنكح زوجاً غيره ويطؤها ثم يفارقها وتنقضي عدتها ، رقم (١١١ ـ ١١٥).

الثاني لتحل للزوج الأول ، ولم يخالف في ذلك إلا سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى[1]. وقد نقل رجوعه ، والله تعالى أعلم .

ومثل هذا لا يمكن أن يكون بالاجتهاد المتعارض مع الآية الكريمة ، إنما هو الوحي المخفي الذي خفي علينا ، ولا نعلمه ، والله تعالى أعلم .

أ ـ الزيادة على آية الطهارة :

قال الله عز وجل : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[2].

لقد جاء في السنة النبوية الزيادة على هذه الأركان الأربعة ، سواء كان قبل الوضوء عند قضاء الحاجة وغسل السبيلين ، أو عند الوضوء نفسه .

فجاء الاستجمار ، والاستنجاء ، والاستنزاه ، وعدم مس الذكر باليد اليمنى ، وعدم استقبال القبلة واستدبارها عند قضاء الحاجة ، خاصة في الفضاء ، والنهي عن الاغتسال في الماء الراكد ،...

وفي أثناء الوضوء : غسل اليدين قبل إدخالهما في الإناء ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والاستنثار ، والسواك ، والتثليث في غسل أعضاء الوضوء ، ومسح الأذنين ، وتخليل اللحية وبين الأصابع ، وتقديم اليمنى على اليسرى في الطهارة ، والمسح على الخفين في الحضر والسفر ، واختلاف المدة بينهما .

وجاء الأذان ، والإقامة ، عند دخول كل وقت في الصلاة .

---

(١) انظر : الإجماع (١٠٢ رقم ٤١٠) والإشراف على مذاهب العلماء (٤ : ١٩٩ ـ ٢٠٠ رقم ٢٥٩٣) ت صغير أحمد حنيف ، ونوادر الفقهاء (٩٤ ـ ٩٥) ومراتب الإجماع (٧٢) وفتح الباري (٩ : ٤٦٧).

(٢) سورة المائدة (٦).

وكل ذلك ثابت بالأحاديث الصحيحة ، وبعضها بلغ مبلغ التواتر عن النبي المصطفى الكريم ﷺ ، وكل ذلك دال على أن السنة النبوية وحي ، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ، والله تعالى أعلم .

ج ـ قتل شبه العمد :

قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ ...﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1].

فقد ذكر المولى جل شأنه في هاتين الآيتين الكريمتين نوعين من القتل : القتل العمد ، وذكر عقوبتَه الأخروية ، وأما عقوبته الدنيوية فهي القصاص ، كما قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ...﴾ كما مر في الفقرة (د من القسم الأول).

وأما النوع الثاني من القتل : فهو قتل الخطأ ، وذكر الله تعالى عقوبته ، وهي تحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله ، ولم تحدد الآية نوعية الدية وقيمتها ،...

فجاءت السنة النبوية الشريفة بزيادة نوعين آخرين من القتل : وهما شبه العمد ، وقتل اللوث [القسامة] كما جاءت لتبين الديةَ ومقدارَها ـ سواء المغلظة أو غيرها ـ كما جاءت لتبين مقدارَ دية الجنين ، كما تبيّن أن دية القتل الخطأ إنما هي على العاقلة .

أما قتل شبه العمد :

فقد قام رسول الله ﷺ على درجة الكعبة يوم الفتح فقال : «الحمد لله الذي

---

(١) سورة النساء (٩٢ ـ ٩٣).

صدق وعدَه ، ونصر عبدَه ، وهزم الأحزابَ وحده ، ألا إن قتيلَ العمد الخطأ بالسوط أو العصا ، ففيه : مائةٌ من الإبل مغلظةٌ ، منها أربعون خَلِفَةً في بطونها أولادُها ،...». رواه الشافعي وعبد الرزاق وابن أبي شيبة والحميدي وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والبخاري في التاريخ ، والدراقطني والبيهقي وأبو يعلى والبغوي وإسحٰق والطبراني كلهم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، وإسناد بعضهم صحيح .

ورواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن الجارود وابن حبان والدارمي والدارقطني والبيهقي والطحاوي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، وإسناد أغلبهم صحيح .

ورواه الشافعي وعبد الرزاق وأحمد والنسائي والطحاوي والدارقطني والبيهقي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ ، وإسناد أغلبهم صحيح أيضاً ، وصححه ابن حبان وابن القطان وغيرهما[1].

---

(١) الأم (٦ : ٦) ومختصر المزني (٥ : ١٢٥ ـ ١٢٦) والسنن (٢ : ٢٤٤ رقم ٦٢٣) والمسند (١٩٨ ـ ١٩٩ ، ١٩٩) ومسند أحمد (٢ : ١١ ، ٣٦ ، ١٠٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ـ ١٨٦) (٣ : ٤١٠) (٥ : ٤١١ ـ ٤١٢) ومصنف عبد الرزاق (٩ : ٢٨١) ومسند الحميدي (٢ : ٣٠٧ ـ ٣٠٨ رقم ٧٠٣) ومصنف ابن أبي شيبة (٩ : ١٢٩ ـ ١٣٠) والمنتقى لابن الجارود (٢٦١ رقم ٧٧٣) وسنن أبي داود : كتاب الديات : باب في الخطأ شبه العمد ، رقم (٤٥٤٧ ـ ٤٥٤٩) وسنن النسائي : كتاب القسامة : باب كم دية شبه العمد ، وباب ذكر الاختلاف على خالد الحذاء (٨ : ٤٠ ـ ٤٣) وسنن ابن ماجه : كتاب الديات : باب دية شبه العمد مغلظة ، رقم (٢٦٢٧ ، ٢٦٢٨) وسنن الدارمي (٢ : ١١٨ رقم ٢٣٨٨) وشرح معاني الآثار (٣ : ١٨٥ ـ ١٨٦) وسنن الدارقطني (٣ : ١٠٣ ـ ١٠٥) وصحيح بن حبان (١٣ : ٣٦٤) والتاريخ الكبير (٦ : ٤٣٤ ـ ٤٣٥) (٨ : ٣٩٢ ـ ٣٩٣) وشرح السنة (١٠ : ١٨٦) ومسند أبي يعلى (١٠ : ٤٢ ـ ٤٣ رقم ٥٦٧٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٤٤ ، ٤٥ ، ٦٨ ـ ٦٩) =

ففي الحديث بيان النوع الثالث من القتل ، وهو شبه العمد ، مع بيان صفته ومقدار ديته .

فقوله في الحديث : «قتيلَ العمد الخطأ» أي شبه العمد ، لأنه خطأٌ في القتل ، عمدٌ في الفعل .

وقوله : «خَلِفَة» هي الناقة الحامل إلى نصف أجلها .

كما حدَّد ﷺ الدية فيها ، وأنها مائة من الإبل مختلفة الأسنان .

كما بيَّن ﷺ أن دية الخطأ ، ودية شبه العمد فهي على العاقلة ، كما بيّن ﷺ أن دية الجنين إذا أُسقط ففيه غُرَّةٌ ؛ عبدٌ أو أَمةٌ .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : اقتتلت امرأتان من هذيل ، فرمت إحداهما الأخرى بحجر ، فقتلتها وما في بطنها ، فاختصموا إلى رسول الله ﷺ ، فقضى رسول الله ﷺ أن ديةَ جنينها غُرَّةٌ : عبدٌ أو وليدةٌ ، وقضى بدية المرأة على عاقلتها . متفق عليه(1).

وجاء هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أيضاً .

ففي هذا الحديث الشريف برواياته ثلاثة أمور :

ـ إثبات قتل شبه العمد ، ودية الجنين غُرَّةٌ عبدٌ أو أَمَةٌ ، وأن دية المرأة المقتولة على عصبة المرأة القاتلة .

= وانظر : نصب الراية (٤ : ٣٣١ ـ ٣٣٢) والتلخيص الحبير (٤ : ١٥) والدراية (٢ : ٢٦١) والتعليق المغني (٣ : ١٠٣ ـ ١٠٥).

(١) صحيح البخاري : كتاب الديات : باب جنين المرأة ، وأن العقل على الوالد وعقبة الوالد لا الولد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب القسامة : باب دية الجنين ، ووجوب الدية في قتل الخطأ وشبه العمد على عاقلة الجاني ، رقم (٣٤ ـ ٣٩) وفيه حديث المغيرة ومحمد بن مسلمة .

وأما قتل اللوث :

فقد بيّن ﷺ أن دية خطأ الإمام أو نائبه ، وكذا قتل اللوث الذي لا يُعلم قاتلُه ،... إنما يكون من بيت المال .

فعن سهل بن أبي حَثْمة رضي الله تعالى عنه ـ في قصة مقتل عبد الله بن سهل رضي الله تعالى عنه في خيبر ـ وفيه : فجاء أخوه عبدُ الرحمن وابنا عمه حُوَيِّصة ومُحَيِّصة إلى النبي ﷺ ، فتكلّم عبد الرحمن في أمر أخيه ـ وهو أصغر منهم ـ فقال رسول الله ﷺ : «كبِّر الكُبْرَ» أو قال : «ليبدأ الأكبر» فتكلما في أمر صاحبهما . فقال رسول الله ﷺ : يُقسِم خمسون منكم على رجل منهم فيُدفعُ برُمَّتِه ؟» قالوا : أمر لم نشهده كيف نحلفُ ؟ قال : «فتبرئُكم يهود بأيمان خمسين منهم ؟» قالوا : يا رسول الله ؛ قومٌ كفّارٌ .

زاد في رواية : فوداه رسول الله ﷺ من عنده ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ مائةَ ناقة ، حتى أُدخلت عليهم الدار . متفق عليه(١).

وهذا الحديث برواياته هو أصل القسامة في الحدود والديات .

إضافة إلى دية الأعضاء ، وهدر العجماء ، والأرش ،... وكل ذلك دالٌّ على أن السنة النبويةَ من الوحي ، لأن مثلَ هذه الأمور ليست من الاجتهاد ، ولا للعقل فيها مسرح ، إنما هو الوحي ، والله تعالى أعلم .

د ـ وجوب الرجم على الزاني المحصن ، والتغريب مع الجلد على غير المحصن :

قال الله تعالى : ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢).

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأحكام : باب كتاب الحاكم إلى عماله ،... وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب القسامة : باب القسامة ، رقم (١ ـ ٦).

(٢) سورة النور (٢).

في هذه الآية الكريمة بيان عقوبة الزاني : وهي مائة جلدة ، ولم تحدد الآيةُ الكريمةُ نوعيةَ الزاني ، فجاءت السنة النبوية لتبين أن المرادَ بالزاني في هذه الآية الكريمة هو الزاني غير المحصن .

كما جاء في السنة حكمان آخران .

الأول : منهما فهو **رجم الزاني المحصن حتى الموت** ، وهو من سبق له الزواج والدخول .

والثاني : هو تغريب عام للزاني غير المحصن ، إضافةً إلى جلده مائة جلدة ، كما هو منطوق الآية الكريمة .

فعن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله تعالى عنهما قالا : كنا عند النبي ﷺ ، فقام رجل فقال : أنشدُك الله إلا ما قضيتَ بيننا بكتاب الله ، فقام خصمُه ـ وكان أفقه منه ـ فقال : اقض بيننا بكتاب الله ، وائذن لي . قال : «قل» قال : إن ابني هذا كان عسيفاً على هذا ، فزنى بامرأته ، فافتديت منه بمائةِ شاةٍ وخادم [وعند مسلم : ووليدة] ثم سألتُ رجالاً من أهل العلم ؛ فأخبروني أن على ابني جَلْدَ مائةٍ وتَغْريبَ عامٍ ، وعلى امرأته الرجمَ

فقال النبي ﷺ : «والذي نفسي بيده ، لأقضين بينكما بكتاب الله جل ذكرُه ، المائةُ شاةٍ والخادمُ ردٌّ عليك ، وعلى ابنك جلدُ مائةٍ وتغريبُ عام ، واغدُ يا أُنَيْس على امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها» فغدا عليها ، فاعترفت ، فرجمها . متفق عليه[1].

ففي هذا الحديث أمور ليست موجودةً في الآية الكريمة .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحدود : باب الاعتراف بالزنى ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحدود : باب من اعترف على نفسه بالزنى ، رقم (٢٥). وانظر تعليقي على هذا الحديث في سنن الشافعي (٢ : ١٧١ ـ ١٧٣).

ـ التغريب على الزاني غير المحصن ، إضافة إلى الجلد مائة جلدة ، الذي نصّت عليه الآية الكريمة .

ـ الرجم على الزاني المحصن .

وقبل التعليق على ما ورد في السنة أحب أن أبيّن المراحل التي مر بها حدُّ الزاني ، فقد مر بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : السجن ، كما قال تعالى : ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾[1] .

المرحلة الثانية : كان حد الزاني غير المحصن جلدَ مائة وتغريبَ عام ، وأما حد الزاني المحصن فجلد مائة والرجم . ويدل على هذا حديث عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه .

فعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : كان نبي الله ﷺ إذا أُنزل عليه [يعني الوحي] كُرب لذلك ، وتَرَبَّد له وجهُه ، قال : فأُنزل عليه ذات يوم ، فلقي كذلك ، فلما سُرِّيَ عنه قال : «خذوا عني ، فقد جعل الله لهن سبيلاً ؛ الثيبُ بالثيب ، والبكرُ بالبكر ، الثيب جلدُ مائةٍ ثم رجمٌ بالحجارة ، والبكر جلدُ مائة ثم نفي سنة». رواه مسلم[2].

وهذا الحديث يفسر آخر الآية الكريمة : ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ .

المرحلة الثالثة : وهو ما استقر عليه الأمر بعد ذلك . وهو أن حد الزاني غير المحصن جلدُ مائة وتغريبُ عام ، وحد الزاني المحصن الرجمُ فقط .

وهذا واضح من ـ قصة العسيف ـ ففيه : «فإن اعترفت فارجمها» ولم يذكر

---

(١) سورة النساء (١٥).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحدود : باب حد الزنى ، رقم (١٢ ـ ١٤).

النفي ، وكذا ثبت من رجمه ﷺ لماعز بن مالك الأسلمي ، والغامديّة رضي الله تعالى عنهما ، واليهوديين ،... حيث رجمهم ولم يجلد واحداً منهم[1]. وأحاديثهم كلها في الصحيح .

وقد تواترت الأحاديث عن النبي الكريم ﷺ في رجم الزاني المحصن .

فمما جاء في الصحيحين أو أحدهما فقط : فعن عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وزيد بن خالد ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وعبادة بن الصامت ، وجابر بن سمرة ، وأبي سعيد الخدري ، وبريدة بن الحصيب ، وعمران بن حُصين ، والبراء ابن عازب رضي الله تعالى عنهم[2]. وقد كنت جمعت ذلك في رسالة ، رداً على من أنكر ذلك ، والله تعالى أعلم .

ـ يضاف إلى ذلك **أن الرجم لا يشمل العبد أو الأمة إذا أحصنا** ، لأن الله عز وجل جعل حدهما نصفَ حدِّ الحُرَّيْن ، ولا تنصيف في الرجم ، كما قال تعالى : ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾[3].

فقوله ﷺ ـ في حديث أبي هريرة وزيد رضي الله تعالى عنهما ـ : «والذي نفسي بيده ، لأقضين بينكما بكتاب الله ،...» ـ وما ذكره ﷺ من الرجم والتغريب ليس موجوداً في كتاب الله تعالى ـ يدل على أن ذلك كله من الوحي المنزل عليه ﷺ ، وإن كنا لا نعلمه ، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ، وإنما يتبع ما يوحى إليه ،

---

(١) انظر : اختلاف الحديث (٢١١ ـ ٢١٥).

(٢) انظر كتاب الحدود في الصحيحين ، ففيهما روايات من ذكرت من هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

(٣) سورة النساء (٢٥).

والله تعالى أعلم .

هـ. عقوبة المرتد في الدنيا :

لقد ثبت في كتاب الله تعالى بيان عقوبة المرتد في الآخرة ، ابتداء من إحباط العمل ، وانتهاء بالخلود في نار جهنم ، مع العذاب الشديد .

كما تواترت الأحاديث الشريفة عن النبي الكريم ﷺ في بيان عقوبة المرتد في الدنيا ، وهي القتل ، ذكرتها في كتاب (الردة) أقتصر على بعضها[1].

فعن عكرمة رحمه الله تعالى قال : أُتِي عليٌّ رضي الله تعالى عنه بزنادقة[2]؛ فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابنَ عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فقال : لو كنتُ أنا لم أُحرِّقهم ، لنهي رسول الله ﷺ : «لا تُعذِّبوا بعذاب الله» ولقتلتُهم ، لقول رسول الله ﷺ : «من بدّل دينه فاقتلوه». رواه البخاري[3].

زاد الترمذي[4]: فبلغ ذلك عليّاً فقال : صدق ابن عباس . وصحّحه .

وعن معاوية بن حَيدة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من بدّل دينه فاقتلوه ،...». رواه الطبراني برجال ثقات[5]

وقد ورد بنحوه عن عدد من الصحابة ، منهم أبو هريرة وعائشة وأنس رضي الله تعالى عنهم[6].

---

(١) لقد ذكرت حكم المرتد في (الردة ؛ قديمها وحديثها) وقد طبع مختصره ، وهو المحاضرة التي كنت ألقيتها في قاعة المحاضرات بكلية الشريعة بالرياض ، في (٢٠ من ذي القعدة ، عام ١٣٩٣ هـ).

(٢) الزنديق : هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام ، وقيل غير ذلك .

(٣) صحيح البخاري : كتاب استتابة المرتدين : باب حكم المرتد ، وفي غيرهما .

(٤) سنن الترمذي : كتاب الحدود : باب ما جاء في حكم المرتد ، رقم (١٤٥٨).

(٥) المعجم الكبير (١٩ : ٤١٩) ونصب الراية (٣ : ٤٥٦) ومجمع الزوائد (٦ : ٢٦١).

(٦) انظر مجمع الزوائد (٦ : ٢٦١ ـ ٢٦٣).

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى في تعليقه على هذا الحديث[1]: ومعنى قول النبيِّ ﷺ ـ فيما نرى والله أعلم ـ «من غيّر دينه فاضربوا عنقه» أنه من خرج من الإسلام إلى غيره ، مثلُ الزنادقة وأشباههم ، فإن أولئك إذا ظهر عليهم ؛ قُتلوا ولم يستتابوا . لأنه لا تُعرف توبتهم ، وأنهم كانوا يُسرّون الكفرَ ويعلنون الإسلام ، فلا أرى أن يستتاب هؤلاء ، ولا يُقبل منهم قولهم .

وأما من خرج من الإسلام إلى غيره ، وأظهر ذلك ؛ فإنه يستتاب ، فإن تاب ، وإلّا قُتل . وذلك لو أن قوماً كانوا على ذلك ، رأيت أن يُدعَوْا إلى الإسلام ويستتابوا ، فإن تابوا قُبِل ذلك منهم ، وإن لم يتوبوا قُتلوا . ولم يعن بذلك ـ فيما نرى والله أعلم ـ من خرج من اليهودية إلى النصرانية ، ولا من النصرانية إلى اليهودية ، ولا مَن يغيِّرُ دينَه من أهل الأديان كلها إلا الإسلام ، فمن خرج من الإسلام إلى غيره ، وأظهر ذلك فذلك الذي عُني به ، والله أعلم.اهـ.

وعن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ قال له ـ حين أرسله إلى اليمن ـ : «أيّما رجل ارتدّ عن الإسلام فادعه ، فإن تاب فاقبل منه ، وإن لم يتب فاضرب عنقه . وأيما امرأة ارتدت عن الإسلام فادعها ، فإن تابت فاقبل منها ، وإن أبت فاضرب عنقها». رواه الطبراني ، وحسنه الحافظ[2].

وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يحل دمُ امرئ مسلم ؛ يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث ؛ الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه ؛ المفارق للجماعة». متفق عليه[3].

---

(١) الموطأ (٢ : ٧٣٦) وانظر (الردة ، قديمها وحديثها).

(٢) المعجم الكبير (٢٠ : ٥٣ ـ ٥٤) ومعجم الشاميين (٤ : ٣٧٢) ومجمع الزوائد (٦ : ٢٦٣) ونصب الراية (٣ : ٤٥٧) وفتح الباري (١٢ : ٢٧٢) وفي المعجم «فاستتبها»

(٣) صحيح البخاري : كتاب الديات : باب قول الله تعالى : ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ،...﴾. =

ورواه مسلم عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، كما رواه غيره .

وعن عثمان رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا يحل دمُ امرئ مسلم إلّا بإحدى ثلاثٍ : رجل كفَر بعد إيمانه ، أو زنى بعد إحصانه ، أو قتل نفساً بغير نفس» الحديث ، رواه الشافعي والطيالسي وعبد الرزاق والدارمي وابن الجارود وأحمد وأبو داود والترمذي والنسائي والطحاوي في آخرين ، بإسناد صحيح وصحّحه الحاكم وأقره الذهبي(١).

وعن أبي موسى الأشعري لما أرسله النبي الكريم ﷺ هو ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن ، وعيّن لكل واحد منهما مكاناً ، فلما قدم معاذ إلى أبي موسى يزوره ،... ألقى له وسادة ، وقال : انزل . فإذا رجل عنده موثق ، قال : ما هذا ؟ قال : كان يهوديّاً فأسلم ، ثم تهوّد . قال : اجلس . قال : لا أجلس حتى يقتل ، قضاءُ الله ورسوله . فأمر به فقُتل . متفق عليه(٢). وللحديث روايات أخرى

= وصحيح مسلم : كتاب القسامة : باب ما يباح به دم المسلم ، رقم (٢٥ ، ٢٦).

(١) الأم (٦ : ٣) والمسند (١٩٧) ومصنف عبد الرزاق (١٠ : ١٦٧) ومسند الطيالسي (١٣ رقم ٧٢) وسنن الدارمي (٢ : ٩٣ رقم ٢٣٠٢) ومسند أحمد (١ : ٦١ ـ ٦٢ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧٠) وسنن أبي داود : كتاب الديات : باب الإمام يأمر بالعفو في الدم ، رقم (٤٥٠٢) وسنن الترمذي : كتاب الفتن : باب ما جاء «لا يحل دم امرئ إلّا بإحدى ثلاث» رقم (٢١٥٩) وسنن النسائي : كتاب تحريم الدم : باب ما يحل به دم المسلم (٧ : ٩١ ـ ٩٢ ، ١٠٣ ، ١٠٣ ـ ١٠٤) والسنن الكبرى له (٢ : ٢٩٢ ، ٣٠١) وسنن ابن ماجه : كتاب الحدود : باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث ، رقم (٢٥٣٣) والمنتقى لابن الجارود (٢٨٤ رقم ٨٣٦) وشرح مشكل الآثار (٥ : ٥٦ ـ ٥٨ من طريقين) وشرح معاني الآثار (٣ : ١٥٩ ـ ١٦١ من طرق) وكشف الأستار (٢ : ٩ ـ ١٠ ، ٣٥) والمستدرك (٤ : ٣٥٠) وشرح السنة (١٠ : ١٤٨) والسنن الكبرى (٨ : ١٨ ـ ١٩ ، ١٩٤) وآخرون .

(٢) صحيح البخاري : كتاب استتابة المرتدين : باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم ، وفي =

لم أذكرها .

وكان قد استتابه مدة طويلة ، لكنه أبى إلا الكفر .

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن ناساً من عُكل وعُرينة قدموا على النبيِّ ﷺ ، وتكلّموا بالإسلام ، ثم استوخموا المدينة ، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذودٍ وراعٍ ، وأمرهم أن يخرجوا فيه ، فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فلما صحوا ، كفروا بالله تعالى ، وقتلوا الراعي ، ومثَّلوا به ، واستاقوا الإبل ، فأرسل النبي ﷺ في طلبهم ، ثم أمر بهم فقُتلوا في ناحية الحرة . متفق عليه[1]. وله عدة روايات .

وقد روى هذا الحديث عدد كبير من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ ، فأزله الشيطان ، فلحق بالكفار ، فأمر رسول الله ﷺ أن يُقتل يومَ الفتح ، فاستجار له عثمان بنُ عفان ، فأجاره رسول الله ﷺ . رواه أبو داود والنسائي ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[2].

وعن حارثة بن مُضَرِّب رحمه الله تعالى ، أنه أتى عبد الله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ بالكوفة فقال : ما بيني وبين أَحَد من العرب حِنة ، وإني مررت بمسجدٍ لبني حنيفة ، فإذا هم يُؤْمنون بمُسيلمة ، فأرسل إليهم عبدُ الله ، فجيء

= غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها ، رقم (١٥).

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها ، وفي غيرهما . حيث رواه في أربعة عشر باباً . وصحيح مسلم : كتاب القسامة : باب حكم المحاربين والمرتدين ، رقم (٩ ـ ١٤) وللحديث ألفاظ متعددة .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الحدود : باب الحكم فيمن ارتد ، رقم (٤٣٥٨) وسنن النسائي : كتاب تحريم الدم : باب توبة المرتد (٧ : ١٠٧) والمستدرك (٣ : ٤٥).

بهم ، فاستتابهم ، غيرَ ابن النَّوّاحة . قال له : سمعت رسول الله ﷺ يقول لك : «لولا أنك رسولٌ لضربتُ عنقَك» فأنت اليوم لست برسول ، فأمر قرظةَ بنَ كعب ـ وكان أميراً على الكوفة ـ فضرب عنقه في السوق . ثم قال : من أراد أن ينظر إلى ابنِ النَّوّاحة ، فلينظر إليه قتيلاً بالسوق . رواه أبو داود والنسائي وابن أبي شيبة وابن حبان والطحاوي وأحمد والبيهقي[1]. وقد رواه كثيرون بألفاظ مختلفة ، مطولاً ومختصراً .

وأقتصر على نصين فيهما أمر الخليفتين الراشدين رضي الله تعالى عنهما بقتل المرتد بعد استتابته .

عن عبد الله بن عتبة بن مسعود رحمه الله تعالى قال : أخذ ابنُ مسعود رضي الله تعالى عنه قوماً ارتدّوا عن الأسلام من أهل العراق ، فكتب فيهم إلى عمر . فكتب إليه ؛ أن أعرض عليهم دينَ الحق ، وشهادة أن لا إله إلّا الله ، فإن قبلوها فخلِّ عنهم ، وإن لم يقبلوها فاقتلهم . فقبلها بعضُهم فتركه ، ولم يقبلها بعضُهم فقتله . رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح[2].

وعن أبي عَمْرو الشيباني رحمه الله تعالى قال : أُتي عليٌّ رضي الله تعالى عنه بشيخٍ ؛ كان نصرانيّاً فأسلم ، ثم ارتد عن الإسلام ، فقال له عليٌّ : لعلك إنما ارتددتَ لأن تصيب ميراثاً ثم ترجع إلى الإسلام ؟ قال : لا ،... قال : فارجع

(١) سنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في الرسل ، رقم (٢٧٦٢) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب السير : باب النهي عن قتل الرُّسل (٥ : ٢٠٥) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ٢٦٨ ـ ٢٦٩) ومسنده (١ : ٢٤٣ ، ١٣٣) وصحيح ابن حبان (١١ : ٢٣٦) ومسند أحمد (١ : ٣٨٤) ومشكل الآثار (٤ : ٦١ ـ ٦٢) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٢١١) والمعجم الكبير (٩ : ٢١٨ ـ ٢٢٠ من طرق) وقد رواه الطيالسي والدارمي وأحمد والبزار وأبو يعلى من وجه آخر .

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٠ : ١٦٨ ـ ١٦٩) ورواه ابن أبي شيبة (١٢ : ٢٧٣) من وجه آخر ، لكن جاء فيه (فكتب ابن مسعود إلى عثمان).

إلى الإسلام . قال : لا ، أما حتى ألقى المسيح فلا . قال : فأمر به فضُربت عنقه ، ودُفع ميراثُه إلى ولده . رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح[1] .

وهناك نصوص كثيرة اقتصرت على هذه عمداً للتنبيه .

فهذه الأحاديث تبيِّن عقوبةَ المرتد في الدنيا ، وهي قتله . لكن ذلك لا يكون إلا بعد استتابته ، وتبيين خطئه ، وبيان عقوبته له إذا أصر على الكفر . ولا يجوز قتله بمجرد تلفظه بالكفر ، أو الحكم عليه فيه ، وأن المرتد إذا تاب تُقبل توبته ، ما لم يكن متلاعباً أو زنديقاً[2] ، والله تعالى أعلم .

كما حصل لرجل من الأنصار ، قد أسلم ، ثم ارتد ، ثم ندم ، فأرسل إلى أهله بندمه ، فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك ، وأنه ندم وتاب ، فقبل رسول الله ﷺ توبته .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كان رجل من الأنصار ، أسلم ، ثم ارتد ولحق بالمشركين ، ثم تندم ، فأرسل إلى قومه : سلوا لي رسول الله ﷺ هل لي من توبة ؟ فجاء قومُه إلى رسول الله ﷺ فقالوا : إن فلاناً قد ندم ، وإنه أمرنا أن نسألك هل له من توبة ؟ فنزلت : ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ إلى قوله : ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3] . فأرسل إليه فأسلم . رواه النسائي وأحمد والبيهقي في آخرين ، وابن حبان والحاكم وصححاه[4] .

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠ : ١٦٩ ـ ١٧٠) .

(٢) انظر : الردة قديمها وحديثها ، حيث بيّنت متى يُحكم بالردة ، وما هي أنواعها ، وأحوالها ، ومن الذي يحكم بها .

(٣) سورة آل عمران (٨٦ ـ ٨٩) .

(٤) سنن النسائي : كتاب تحريم الدم : باب توبة المرتد (٧ : ١٠٧) والسنن الكبرى له (٢ : ٣٠٣) وكتاب التفسير (١ : ٣٠٨) ومسند أحمد (١ : ٢٤٧) وتفسير الطبري (٦ : ٥٧٢) =

و ـ ما يباح وما يحرم من المطعومات زيادة على النص القرآني :

لقد أباح الله تعالى الطيبات من المطعومات والمشروبات ،... وحرّم ما هو ضار على الإنسان منهما ومن غيرهما ، وقد جاءت النصوص القرآنية عامةً في الحالتين : الإباحة والتحريم .

قال الله تعالى : ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فقد حرَّم تعالى في هذه الآية الكريمة ـ وآيتي البقرة والنحل ـ : الميتة ، والدم المسفوح ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله تعالى به .

كما جاءت الآيات القرآنية بالأكل من الطيبات .

قال الله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ * ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾[2].

ومع هذا فقد أباح النبي المصطفى الكريم ﷺ نوعين من الدماء ـ الكبد والطحال ـ وثلاثةً من الأموات : السمك والجراد والجنين الذي ذُكيت أمه فخرج ميتاً .

كما حرَّم ﷺ أكل لحوم الحمر الأهلية ، والبغال ، والجلّالة ، وكلَّ ذي مخلب

= وتفسير ابن أبي حاتم (٢ : ٣٩٩) وصحيح ابن حبان (١٠ : ٣٢٩) والمستدرك (٢ : ١٤٢) (٤ : ٣٦٦) وأسباب النزول للواحدي (١٠٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٩٧).

(١) سورة الأنعام (١٤٥). وانظر سورة البقرة (١٧٣) وسورة النحل (١١٥).

(٢) سورة المائدة (٤ ـ ٥). وانظر سورة البقرة (١٧٢).

وكلَّ ذي ناب ، ورخّص في لحوم الخيل ، وغيرها ،...إلخ.

والله سبحانه وتعالى ذكر الخيل والبغال والحمير في آية ، وذكر وظائفها ، فقال تعالى : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾(1). ومع هذا فقد جاء تحريم الحمير والبغال ، وإباحة لحوم الخيل .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : لما فتح رسول الله ﷺ خيبرَ ، أصبنا حُمُراً خارجاً من القرية ، فطبخنا منها ، فنادى منادي رسول الله ﷺ : «ألا إن الله ورسولَه ينهيانكم عنها ، فإنها رجسٌ من عمل الشيطان». فأُكْفِئت القدور بما فيها ، وإنها لتفور بما فيها . متفق عليه(2).

ويلاحظ قوله ﷺ : «إن الله ورسوله ينهيانكم» حيث نسب التحريم إلى الله تعالى أيضاً ، مع أنه لم يرد في ذلك نصٌّ في القرآن الكريم ، وما كان رسول الله ﷺ ينسب شيئاً إلى الله تعالى لم يقله ، لأنه تقوُّلٌ على الله تعالى ، وحاشا أن يقول رسول الله ﷺ على الله تعالى شيئاً لم يقله ، وكيف وقد نزل عليه قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾(3). وفي هذا دلالة على أنه ﷺ تلقّى ذلك عن الله تعالى عن طريق الوحي الخفي ، وإلّا لما أقره الله تعالى على ذلك ، والله تعالى أعلم .

وقد تواتر تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية ، ففي الصحيحين أو أحدهما جاء من أحاديث علي ، وجابر ، وابن عمر ، وابن عباس ، والبراء بن عازب ، وسلمة ابن الأكوع ، وأبي ثعلبة ، وابن أبي أوفى ، وزاهر الأسلمي ، إضافة لحديث أنس

---

(1) سورة النحل (8).

(2) صحيح البخاري : كتاب الذبائح والصيد : باب لحوم الحمر الإنسية . وصحيح مسلم : كتاب الصيد : باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية ، رقم (34 ـ 35).

(3) سورة الحاقة (44 ـ 47).

رضي الله تعالى عنهم[1].

فعن أبي ثعلبة رضي الله تعالى عنه قال : حرَّم رسول الله ﷺ لحومَ الحمر الأهلية . متفق عليه[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية ، وأذن في لحوم الخيل . متفق عليه[3].

وفي رواية لمسلم[4] عنه رضي الله تعالى عنه قال : أكلنا زمن خيبر الخيلَ وحُمُرَ الوحش ، ونهانا النبي ﷺ عن الحمار الأهلي .

وفي رواية الإمام الشافعي والحميدي والترمذي وصححه ، والنسائي والطحاوي وابن حبان[5] جاء بلفظ : أطعمنا رسول الله ﷺ لحوم الخيل ، ونهانا عن لحوم الحمر . والنصوص في ذلك كثيرة .

---

(١) انظر : التلخيص الحبير (٤ : ١٥٠) ونظم المتناثر (٩٩ رقم ١٦٣) وشرح معاني الآثار (٤ : ٢٠٤ ـ ٢٠٦).

(٢) في الكتابين والبابين السابقين ، ورقمه في صحيح مسلم (٢٣).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الذبائح والصيد : الباب السابق ، وباب لحوم الخيل . وصحيح مسلم : كتاب الصيد : باب في أكل لحوم الخيل ، رقم (٣٦).

(٤) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٧).

(٥) السنن (٢ : ٢٠٥ رقم ٥٨٢) والأم (٢ : ٢٢٣) والمسند (٣٨٠) ومسند الحميدي (٢ : ٥٢٨ ـ ٥٢٩ رقم ١٢٥٤) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٢٥٦) ومصنف عبد الرزاق (٤ : ٥٢٧) وسنن الترمذي : كتاب الأطعمة : باب ما جاء في أكل لحوم الخيل ، رقم (١٧٩٣) وسنن النسائي : كتاب الصيد : باب الإذن في أكل لحوم الخيل (٧ : ٢٠١) وفي السنن الكبرى (٣ : ١٥٩ رقم ٢٨٤٠ ، ٢٨٤١) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٧٥) وشرح معاني الآثار (٤ : ٢٠٤) وسنن الدارقطني (٤ : ٢٨٩) والتلخيص الحبير (٤ : ١٥٠) وقال : رجاله رجال الصحيح ، وأصله متفق عليه .

ولفظ الحديث الأول (وأذن في لحوم الخيل) أو (رخص ،...) دال على تقدم المنع ، وأن الإذن متأخر عنه ، والله تعالى أعلم .

وأما تحريم لحوم البغال :

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال : ذبحنا يوم خيبر الخيلَ والبغال والحمير ، فنهانا رسول الله ﷺ عن البغال والحمير ، ولم ينهنا عن الخيل . رواه أحمد وأبو داود وابن الجارود والدارقطني ، والحاكم وابن حبان وصححاه ، وأقره الذهبي ، في آخرين ، والترمذي وحسنه ـ بنحوه ، ورواه النسائي وابن ماجه وعبدالرزاق والطحاوي والدارقطني مختصراً[1].

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى الخيل والبغال والحمير في سياق واحد ، في آية واحدة ـ كما مر ـ ولا فرق بين الخيل والحمر والبغال ، فلما جاءت الأحاديث الصحيحة ـ بل المتواترة كما قال الإمام الطحاوي رحمه الله تعالى[2]ـ دل على اختلاف الحكم بينها ، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بوحي ، والله تعالى أعلم .

بل نهى عن أكل لحم الجلّالة ـ وهي التي تأكل العذرة بكثرة ـ ونهى عن شرب ألبانها والركوب عليها ،... وقد جاءت الأحاديث في ذلك من حديث ابن عمر ، وابن عباس ، وابن عمرو ، وأبي هريرة ، وجابر رضي الله تعالى عنهم جميعاً .

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٢٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢) وسنن أبي داود : كتاب الأطعمة : باب في أكل لحوم الخيل ، رقم (٣٧٨٩) وسنن الترمذي : كتاب الصيد : باب ما جاء في كراهية كل ذي ناب من السباع ، وذي مخلب من الطير ، رقم (١٤٧٨) وسنن النسائي : كتاب الصيد والذبائح : باب الإذن بأكل لحوم الخيل (٧ : ٢٠١) والمنتقى (٢٩٧ رقم ٨٨٤) وسنن ابن ماجه : كتاب الذبائح : باب لحوم البغال ، رقم (٣١٩٧) ومصنف عبد الرزاق (٤ : ٥٢٦ ـ ٥٢٧) والمستدرك (٤ : ٢٣٥) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٧٧ ـ ٧٨) وسنن الدارقطني (٤ : ٢٨٨ ، ٢٨٩) وشرح معاني الآثار (٤ : ٢١١) وشرح السنة (١١ : ٢٥٦) والسنن الكبرى (٩ : ٣٢٧).

(٢) شرح معاني الآثار (٤ : ٢١١).

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ عن لبن الجلّالة ، وعن المُجَثَّمةِ ، وعن الشرب من في السقاء . رواه أحمد وأبو داود ، والترمذي وابن حبان والحاكم وصححوه ، والنسائي وغيرهم[1].

وعن ابن عُمر رضي الله تعالى عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلّالة وألبانها . رواه أبو داود والترمذي وحسنه وابن ماجه والبغوي وحسنه وغيرهم[2].

وعن عبد الله بن عَمْرٍو رضي الله تعالى عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية ، وعن الجلّالة ؛ عن ركوبها ، وأكل لحمها . رواه أبو داود والنسائي وعبد الرزاق وأحمد بإسناد حسن[3].

كما حرَّم كلَّ ذي ناب من السباع ، وكلَّ ذي مخلب من الطير :

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : نهى رسولُ الله ﷺ عن كلِّ ذي

(١) انظر التخريج بعد الحديث التالي .

(٢) انظر التخريج بعد الحديث التالي .

(٣) مسند أحمد (١ : ٢٢٦ ، ٢٤١ ، ٢٩٣ ، ٣٢١ ، ٣٣٩) وسنن الدارمي (٢ : ١٦ رقم ٢٠٠٧) ومصنف عبد الرزاق (٤ : ٥٤١ رقم ٨٧١٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٣٣٤ ـ ٣٣٥) والمنتقى (٢٩٨ رقم ٨٨٧) وسنن أبي داود : كتاب الجهاد : باب في ركوب الجلالة ، رقم (٢٥٥٧ ـ ٢٥٥٨) وكتاب الشرب : باب الشراب من في السقاء ، رقم (٣٧١٩) وكتاب الأطعمة : باب النهي عن أكل الجلالة وألبانها ، رقم (٣٧٨٥ ـ ٣٧٨٧) وباب في لحوم الحمر الأهلية ، رقم (٣٨١١) وسنن الترمذي : كتاب الأطعمة : باب ما جاء في أكل لحوم الجلالة وألبانها ، رقم (١٨٢٤ ـ ١٨٢٥) وسنن النسائي : كتاب الضحايا : باب النهي عن أكل لحوم الجلالة ، وباب النهي عن لبن الجلالة (٧ : ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ، ٢٤٠) وسنن ابن ماجه : كتاب الذبائح : باب النهي عن أكل لحوم الجلالة ، رقم (٣١٨٩) وسنن الدارقطني (٤ : ٢٨٣) وشرح السنة (١١ : ٢٥٢) والمستدرك (٢ : ٣٤) وصحيح ابن حبان (١٢ : ٢٢٠ ـ ٢٢١) والسنن الكبرى (٥ : ٢٥٤) (٩ : ٣٣٣ ـ ٣٣٤) والمعجم الكبير ، رقم (١١٨١٩ ـ ١١٨٢١) وبلوغ المرام (٢٤٦) والتلخيص الحبير (٤ : ١٥٦) والإلمام (١٤٧).

نابٍ من السباع ، وعن كلِّ ذي مِخْلَبٍ من الطير . رواه مسلم[1] .

وللحديث طرق أخرى .

كما أباح أكل لحم الضبع :

فعن عبد الرحمن بن أبي عمار قال : سألت جابرَ بنَ عبد الله رضي الله تعالى عنهما عن الضَّبع أصيدٌ هي ؟ فقال : نعم ، قلت : أتؤكل ؟ قال : نعم ، قلت : أسمعتَه من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . رواه الشافعي وعبد الرزاق وأحمد وابن أبي شيبة وأصحاب السنن الأربعة وابن الجارود والدارمي والطحاوي والدارقطني ، وصححه البخاري والترمذي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبيهقي[2] .

كما **أباح أكل الجراد** ، والجراد لا يُذكى ، بل يؤكل ميتاً .

فعن ابن أبي أوفى رضي الله تعالى عنهما قال : غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزواتٍ ـ أو ستاً ـ كنا نأكل معه الجراد . متفق عليه[3] .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الصيد والذبائح : باب تحريم أكل كلِّ ذي ناب من السباع وكلِّ ذي مخلب من الطير ، رقم (١٦) .

(٢) الأم (٢ : ٢٠٨) والمسند (٣٤١) ومصنف عبد الرزاق (٤ : ٥١٣ رقم ٨٦٨٢) ومصنف ابن أبي شيبة (٤ : ٧٧) وسنن الدارمي (١ : ٤٠٠) ومسند أحمد (٣ : ٢٩٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٢) والمنتقى (١٥٥ رقم ٤٣٨) وسنن أبي داود : كتاب الأطعمة : باب في أكل الضبع ، رقم (٣٨٠١) وسنن الترمذي : كتاب الحج : باب ما جاء في الضبع يصيبها المحرم ، رقم (٨٥١) وكتاب الأطعمة : باب ما جاء في أكل الضبع ، رقم (١٧٩١) وعلل الترمذي الكبير (٢ : ٧٥٦ ـ ٧٥٧) ونقل فيه تصحيح البخاري ، وسنن النسائي : كتاب المناسك : باب ما لا يقتله المحرم (٥ : ١٩١) وكتاب الصيد : باب الضبع ، رقم (٣٢٣٦) وسنن الدارقطني (٢ : ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ، ٢٤٦) وشرح معاني الآثار (٢ : ١٦٤) والمستدرك (١ : ٤٥٢) وصحيح ابن حبان (٩ : ٢٧٧ ، ٢٧٨) وسنن البيهقي الكبرى (٩ : ٣١٨) وشرح السنة (٧ : ٢٧٠ رقم ١٩٩٢) وانظر : بلوغ المرام (٢٤٥ رقم ١١٣٩) والتلخيص الحبير (٤ : ١٥٢) .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الذبائح والصيد : باب أكل الجراد . وصحيح مسلم : كتاب =

بل جعل ﷺ **ذكاةَ الجنين ذكاة أمه** ، فلا يحتاج إلى تذكيته إذا خرج ميتاً ، ويُكتفى بذكاة أمه ، خاصة إذا كان مكتمل الخلق ، لأن قطع أوداج الأم ـ عادة ـ كاف لإخراج دم الجنين ، لارتباطه بالحبل السري بأمه ، وقد جاء هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه ، عن النبي ﷺ قال : «ذكاةُ الجنين ذكاةُ أمه». رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وعبد الرزاق والدارقطني وأبو يعلى وابن حبان والطبراني في الصغير وغيرهم ، وحسنه البغوي والمنذري ، وصححه الترمذي وابن حبان وابن دقيق العيد[1].

كذلك أباح ميتتين ودمين أيضاً :

فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «أحلت لنا ميتتان ودمان . الميتتان : الحوت والجراد ، والدمان : الكبد والطحال». رواه الشافعي وأحمد وابن ماجه وعبد بن حميد والدارقطني والبغوي والبيهقي ـ وعزاه السيوطي

= الصيد والذبائح : باب إباحة الجراد ، رقم (٥٢).

(١) مسند أحمد (٣ : ٣١ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٥٣) وسنن أبي داود : كتاب الأضاحي : باب ما جاء في ذكاة الجنين ، رقم (٢٧٢٧) وسنن الترمذي : كتاب الأطعمة : باب ما جاء في ذكاة الجنين ، رقم (١٤٧٦) وسنن ابن ماجه : كتاب الذبائح : باب ذكاة الجنين ذكاة أمه ، رقم (٣١٩٩) والمنتقى لابن الجارود ، رقم (٩٠٠) ومصنف عبد الرزاق (٤ : ٥٠٢) وسنن الدارقطني (٤ : ٢٧٢ ـ ٢٧٤) والسنن الكبرى (٩ : ٣٣٥) ومسند أبي يعلى (٢ : ٢٧٨ ، ٤١٥ ـ ٤١٦ رقم ٩٩٢ ، ١٢٠٦) وشرح السنة (١١ : ٢٢٨ رقم ٢٧٨٩) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٢٠٦ ـ ٢٠٧) وتاريخ بغداد (٨ : ٤١٢) والمعجم الصغير (١ : ١٥٦ ـ ١٥٧ ، ٢٨٣ ـ ٢٨٤ رقم ٢٤٢ ، ٤٦٧) وانظر مختصر سنن أبي داود (٤ : ١٢٠) ونصب الراية (٤ : ١٨٩ ـ ١٩١) حيث ذكره من طريق أحد عشر صحابياً ، والتلخيص الحبير (٤ : ١٥٦ ـ ١٥٨) حيث ذكره من طريق اثني عشر صحابياً .

للحاكم وصححه ـ وكلهم رووه من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو ضعيف ، لكن رواه الدارقطني وابنُ عدي والبيهقيُّ من طريق عبد الله بن زيد بن أسلم ، وهو صدوق فيه لين ، ورواه البيهقي من طريق أسامة بن زيد عن أبيه مرفوعاً أيضاً ، ورواه الدارقطني والبيهقي من طريق سليمان بن بلال عن زيد بن أسلم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما موقوفاً ، وصححه ـ أي الموقوف ـ أبو حاتم وأبو زرعة والدارقطني والبيهقي ، لكن رواه البيهقي من طريق يحيى بن حسان عن سليمان بن بلال عن زيد عن ابن عمر مرفوعاً ، ويحيى ثقة .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : الرواية الموقوفة ، التي صححها أبو حاتم وغيره هي في حكم المرفوع ، لأن قول الصحابي : أُحل لنا ، حرِّم علينا كذا ، مثل قوله : أُمرنا بكذا ، ونُهينا عن كذا ، فيحصل الاستدلال بهذه الرواية لأنها في حكم المرفوع ، والله تعالى أعلم.اهـ. وسبقه البيهقي رحمه الله تعالى إلى ذلك[1]، والله تعالى أعلم .

فالحديث ـ مرفوعاً وموقوفاً ـ صحيح ، وقد توسعت في التعليق على هذا الحديث في ثلاثيات الإمام الشافعي ، فانظره إن شئت .

والتحليل والتحريم ـ وإن كان الله تعالى قد جعل ذلك من مهام نبيه الكريم ﷺ ـ فإنما يدل على أن السنة وحي ، لأنه ﷺ لا يُحلِّل ولا يُحرِّم من عند نفسه ،

---

(١) الأم (٢ : ٢٣٣) والمسند (٣٤٠) ومسند أحمد (٢ : ٩٧) وسنن ابن ماجه : كتاب الصيد : باب الحيتان والجراد ، وكتاب الأطعمة : باب الكبد والطحال ، رقم (٣٢١٨ ، ٣٣١٤) ومسند عبد بن حميد (٢٨٠ رقم ٨٢٠) وسنن الدارقطني (٤ : ٢٧١ ـ ٢٧٢) وسنن البيهقي (١ : ٢٥٤) (٩ : ٢٥٧) وشرح السنة (١١ : ٢٤٤) والكامل لابن عدي (١٥٠٣ ، ١٥٨٢) وانظر العلل لابن أبي حاتم (٢ : ١٧) ومصباح الزجاجة (٤ : ٢٠ ـ ٢١) ونصب الراية (٤ : ٢٠٢) والدراية (٢ : ٢١٢) والتلخيص الحبير (١ : ٢٥ ـ ٢٦) والجامع الصغير (١ : ٤٦ رقم ٢٧٣) وكشف الخفاء (١ : ٥٩) وثلاثيات الإمام الشافعي (٢٧٥ ـ ٢٧٧).

لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ، إنما يتبع ما يوحيه الله تعالى إليه ، والله تعالى أعلم .

ز ـ انتشار المحرمية من الرضاع :

لقد ذكر الله تعالى المحرمات من النساء ، فقال الله جل شأنه : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ إلى قوله عز وجل : ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾(١). فذكر الأم والأخت من الرضاعة ، لكن في أي سن تعتبر الرضاعة ، وما عدد الرضعات ، وهل تنتشر المحرمية ؟ كل ذلك لم تبينه الآية الكريمة ، إنما بينته السنة الشريفة زائدة على ما في الآية ، ومقيدة لها .

فعن أم الفضل رضي الله تعالى عنها قالت : دخل أعرابي على نبي الله ﷺ ـ وهو في بيتي ـ فقال : يا نبي الله ، إني كانت لي امرأة ، فتزوجتُ عليها أخرى ، فزعمت امرأتي الأولى أنها أرضعت امرأتي الحدْثَى رضعةً أو رضعتين ، فقال نبي الله ﷺ : «لا تُحَرِّمُ الإملاجةُ والإملاجتان».

وفي رواية : «لا تحرِّم الرضعةُ أو الرضعتان ، أو المصة أو المصّتان».

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها نحو ذلك . رواها مسلم(٢).

وقد حدد في حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها بخمس رضعات ، كما عند مسلم أيضاً(٣).

ويشترط في الرضاع المحرِّم ما كان خلال سنتين :

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسولُ الله ﷺ : «انظرن ،... فإنما الرضاعة من المجاعة». متفق عليه(٤)،

---

(١) سورة النساء (٢٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الرضاع : باب في المصة والمصتان ، رقم (١٧ ، ١٨ ، ٢٠).

(٣) صحيح مسلم : كتاب الرضاع : باب التحريم بخمس رضعات ، رقم (٢٤ ـ ٢٥).

(٤) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب من قال : لا رضاع بعد حولين ، وفي غيرهما . =

بينت الأحاديث الأخرى أن ذلك أثناء مرحلة الرضاع قبل الفطام .

فعن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي ، وكان قبل الفطام». رواه الترمذي وابن حبان وصححاه[(١)]، وله شواهد كثيرة بنحوه .

قال الإمام الترمذي رحمه الله تعالى : والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم ؛ أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين ، وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم شيئاً.اهـ.

واستُثني من ذلك رضاعُ سالمٍ مولى أبي حذيفة من سهلة بنت سهيل زوجة أبي حذيفة رضي الله تعالى عنهم ، وهو كبير ، لأنه كان قد تبنّاه وهو صغير ، وتربى في بيتهم ، وكانت تراه ولداً لها كسائر أولادها ، ونزلت الآية القرآنية ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ،...﴾ وهو رجل ، لذا قال ﷺ لها : «أرضعيه تحرمي عليه ، ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة». رواه مسلم[(٢)].

لذا نشر رسول الله ﷺ محرمية الرضاع حتى جعلها كالنسب ، والرحم ، والولادة .

فقال ﷺ : «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب» وَ «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة». متفق عليهما[(٣)].

= وصحيح مسلم : كتاب الرضاع : باب إنما الرضاعة من المجاعة ، رقم (٣٢).

(١) سنن الترمذي : كتاب الرضاع : باب ما جاء ما ذكر أن الرضاعة لا تحرم إلا في الصغر ، رقم (١١٥٢) وصحيح ابن حبان (١٠ : ٣٨) وفتح الباري (٩ : ١٤٨).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الرضاع : باب رضاعة الكبير ، رقم (٢٦ ـ ٣٠) ولي رسالة في قصة رضاع سالم رضي الله تعالى عنه ، ووأنه خاص به ، وأن علته قاصرة ، فلا تتعداه .

(٣) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ ، وكتاب =

بل جعل الرضاع محرِّماً ولو كان من جهة الفحل ، وقد توسعت في بيانه في آخر بر الوالدين ، في قصة أفلح عم عائشة رضي الله تعالى عنها ، المتفق عليه[1]. فانظره .

وكل هذا زائد عما في الآية الكريمة ، ومقيِّدٌ لها ، وموضِّحٌ لمجملها ، ولا يمكن أن يكون إلا بوحي ، والله تعالى أعلم .

ح ـ الطلاق البدعي ، وما يستثنى منه ، وطلاق الآيسة ونحوها :

لقد قال الله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[2]. وحدّد المولى جل شأنه وجوب إيقاع الطلاق في ابتداء العدة ـ أي في وقت يصلح أن تبتدئ المرأة فيه بالعدة ـ فقال جل شأنه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾[3].

فجاءت السنة النبوية لتبين لنا حال طلاق الحائض ، والنفساء ، وكذا لو طلقها في طُهر مسَّها فيه ، وما يستثنى من طلاق الحائض ، وكذا طلاق الصغيرة والآيسة إذا أصابهما في طهر ، وبينت القروء الثلاثة ، وأنها الأطهار ، وهذا رأي

= الشهادات : باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض والموت القديم ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الرضاع : باب يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة ، وباب تحريم الرضاعة من لبن الفحل ، وباب تحريم ابنة الأخ من الرضاعة ، رقم (١ ، ٢ ، ٥ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣) وكلاهما من حديث عائشة وابن عباس رضي الله تعالى عنهم .

(١) صحيح البخاري : كتاب الشهادات : الباب السابق ، وكتاب التفسير : سورة الأحزاب ، وكتاب النكاح : باب ما يحل من الدخول والنظر إلى النساء في الرضاع . وصحيح مسلم : كتاب الرضاع : باب تحريم الرضاعة من لبن الفحل ، رقم (٣ ـ ١٠).

(٢) سورة البقرة (٢٢٨).

(٣) سورة الطلاق (١).

الجمهور بما فيهم الفقهاء السبعة وعامة أهل الحجاز وعلى رأسهم مالك والشافعي رحمهم الله تعالى .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ ، فسأل عُمر بنُ الخطاب رضي الله تعالى عنه رسولَ الله ﷺ عن ذلك ، فقال رسولُ الله ﷺ : «مُرْه فليراجعْها ، ثم ليُمسِكْها ، حتى تطهر ، ثم تحيض ، ثم تطهر ، ثم إن شاء أمسك بعد ، وإن شاء طلّق قبل أن يمس ، فتلك العدةُ التي أمر الله أن يُطلَّق لها النساء». متفق عليه[1]، وله طرق كثيرة وألفاظ زائدة .

زاد في رواية عندهما : فتغيظ رسول الله ﷺ ، ثم قال : «مُرْه فليراجعْها حتى ،...».

وزاد في رواية أخرى عند مسلم : فقال : «مُرْه فليراجعْها ، ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً».

ففي هذا الحديث برواياته أمور ، يهمني منها ما يلي :

١ ـ تحريم طلاق الحائض ، وأنه بدعة مخالف لما عليه الهدي النبوي ، وهذا مجمع عليه .

٢ ـ وقوع الطلاق على من طلق امرأته وهي حائض ، وهذا مذهب عامة أهل العلم ، من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومن بعدهم ، ولم يخالف في ذلك من المتقدمين إلا أهل البدع والضلال ، كما قال الحافظ ابن عبد البر رحمه الله تعالى .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الطلاق : باب قول الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطلاق : باب تحريم طلاق الحائض بغير إذنها ،... رقم (١ ـ ١٤).

٣ ـ طلب المراجعة لمن طلق امرأته وهي حائض ، وإن اختلف الفقهاء في ذلك على قولين : الوجوب ، وهو مذهب مالك وآخرين ، والندب والاستحباب ، وهو مذهب الجمهور رحمهم الله تعالى ، ولكل فريق دليله ، سواء من الآية أو غيرها من الآيات .

٤ ـ تحديد متى تبدأ العدة ، حيث جاء في الآية الثانية (آية الطلاق) ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ وقد بين النبي الكريم ﷺ ذلك بقوله : «فطلقوهن في قِبل عدتهن».

٥ ـ كما أن في تحريم الطلاق في حال الحيض ، وكذا في حال طهر مسَّها فيه : دلالة على أن الطلاق لا يكون إلّا في طهر لم يمسها فيه ، وهذا لم تذكره الآية الثانية ، ويلتحق بالحكم الثاني عدد من الحالات لا يجوز إيقاع الطلاق فيها .

٦ ـ جواز الطلاق في حال الحمل ، كما هو واضح في رواية مسلم : «ثم ليطلقها طاهراً أو حاملاً» وهذا يدل على أن طلاق الحامل سنيٌّ ، وإن كان في غير ابتداء العدة .

٧ ـ سبق النهي من النبي الكريم ﷺ عن الطلاق في حال الحيض ، بدلالة تغيظه ﷺ ـ ولا يمكن أن يتغيظ ﷺ على أمر لم يسبق النهي عنه ـ دل على وجود النهي المسبق ، وإن لم ينقل إلينا .

٨ ـ يستثنى من تحريم الطلاق في حال الحيض عدة أمور ؛ كالخلع في حال الحيض ، والحامل التي ترى ما يشبه الدم في موعد عادتها في الشهرين الأولين ، وفي حال الإيلاء ، وغير المدخول بها إذا طُلقت وهي حائض ، وفي حال الشقاق إذا قرّر الحكمان إيقاع الطلاق .

إلى غير ذلك من الأحكام التي تؤخذ من هذا الحديث برواياته ، وكل ذلك لم تتطرق إليه الآية الكريمة ، إنما هو وحي آخر نطق به رسول الله ﷺ ، مما يدل

على أن السنة النبوية وحي ، لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ، والله تعالى أعلم .

إلى غير ذلك من النصوص التي جاء فيها تحريمٌ ، أو تحليلٌ ،... زيادةٌ على ما في الآيات الكريمات ، أو تقييد ، أو تخصيص ،...إلخ. وكل ذلك لا يمكن أن يكون بالرأي المحض ، إنما هو الوحي الذي يتبعه رسول الله ﷺ ، وإن لم يصرِّح به ﷺ ، لأنه لا ينطق عن الهوى ، والله تعالى أعلم .

ط ـ تحليل البيع ، وتحريم الربا :

قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ﴾(١).

ـ في هذه الآية الكريمة أمور ، يهمني منها ما يلي :

أ ـ لم تحدد هذه الآيةُ الأموالَ الربوية ، وأنواعَ الربا ، وجاء بيان ذلك في السنة النبوية الشريفة .

فعن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبُرُّ بالبُرِّ ، والشعيرُ بالشعير ، والتَّمْرُ بالتمرِ ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ، سواءً بسواء ، يداً بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم ، إذا كان يداً بيد». رواه مسلم(٢).

وقد جاء هذا الحديث بلفظه ، أو بأجزاء منه في الصحيحين أو أحدهما من حديث أبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة ، وعمر بن الخطاب ، وفضالة بن عُبيد ، وأبي بكرة ، وعثمان بن عفان ، ومعمر بن عبد الله بن نافع ، رضي الله تعالى عنهم .

فإذا اختلفت الأصناف ، وكانا من علة واحدة ـ كالنقد مثلاً ـ فيشترط

---

(١) سورة البقرة (٢٧٥).

(٢) صحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب الربا ، رقم (٨٠ ـ ٨١).

التقابض في مجلس العقد لأنه الصرف ـ ولا يضر الزيادة أو النقصان ـ وإذا كان دَيْناً ولو أحدهما فهو حرام ، لأنه ربا ، وإذا اختلفت العلة جاز الدَّين والحالُّ ، والله تعالى أعلم .

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لا ربا إلّا في النسيئة». متفق عليه[1].

ب ـ يستثنى من بيع الجنس بجنسه : بيع العرايا ، وهو أن يبيع التمر على رأس النخلة بعد بدو صلاحه بخرصه من التمر ، يأكله المشتري رَطباً وقت التفكه .

فعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ رخَّص في العَرِيَّة يأخذها أهلُ البيت بخرصها تمراً ، يكلونها رُطَباً . متفق عليه[2].

وعن سهل بن أبي حثمة رضي الله تعالى عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن بيع الثَّمَر بالتمر ، وقال : «ذلك الربا ، تلك المزابنة» إلّا أنه رخَّص في بيع العرية ـ النخلة والنخلتين ـ يأخذها أهلُ البيت بخرصها تمراً ؛ يأكلونها رُطَباً . متفق عليه[3].

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

وذلك أن رسول الله ﷺ بعد أن نهى عن المزابنة ـ وهي بيع الثمر في رؤوس النخل بالتمر ـ رخّص في العرايا ، بأن يشتري من لا نخل عنده ، ولا مال ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب بيع الدينار بالدينار نَساء . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب بيع الطعام مثلاً بمثل ، رقم (١٠١ ـ ١٠٤) وانظر تعليقي على هذا الحديث في سنن الشافعي (١ : ٣١٣ ـ ٣١٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب تفسير العرايا ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب البيوع : باب تحريم بيع الرطب بالتمر إلا في العرايا ، رقم (٥٩ ـ ٦٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب بيع الثمر على رؤوس النخل بالذهب والفضة ، وفي غيرهما . وصحسحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٧).

وعنده تمرٌ زائد ، ثمَرَ نخلة أو نخلتين بخرصها تمراً ، ليأكله رَطْباً ، ليتفكَّه به وعياله ، على أن يكون دون خمسة أوسق .

قوله تعالى : ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ فقد جاء في السنة النبوية نصوصٌ كثيرةٌ في تحريم أنواع من البيوع .

فمما ورد في صحيح البخاري ـ سواء وافقه مسلم أم لا ـ ما يلي : النهي عن ثمن الكلب ، وثمنِ الدم ، وحلوانِ الكاهن ، ومهرِ البغي ، وكسبِ المصوِّر ، وتحريمُ الاحتكار ، وتحريمُ بيع الطعام إذا اشتراه حتى يستوفيه ، ويؤديه إلى رحاله ، والنهيُ عن بيع الطعام حتى يقبضه ، والنهيُ عن بيع ما لا يملك ، ونهيُ البيع على البيع ، والسومُ على السوم ، وتحريمُ بيع الحاضر للبادي ، وتحريمُ بيع النجش ، وبيعِ حَبَلَ الحَبَلَة ، وبيعِ الغرر ، وبيعِ الملامسةِ ، والمنابذةِ ، والمصراةِ ، وتحريمُ تلقي الركبان ، والنهيُ عن بيع الولاء ، وعن هبته ، وتحريمُ المزابنة ، وبيعِ الذهب بالوَرِق ديناً ، وبيعِ الثمر حتى يبدو صلاحُه ، وبيعِ الثمر بالتمر ، وبيعِ التمر بالتمر صاعاً بصاعين ، والنهيُ عن بيع المحاقلةِ ، والمخاضرةِ ، والنهيُ عن بيع الميتة ، والخمر ، والخنزير ، وعسب الفحل ، والأصنام ، وكسب الإماء ، وتحديد السلم ، والشفعة ،...إلخ.

وعند مسلم أيضاً : تحريمُ بيع الحصاة ، وبيعِ الصبرة ، وبيعِ المعاومة ، وبيعِ الثُّنْيَا ، والنهيُ عن كراء الأرض ببعض الناتج ، والمزارعة ،...إلخ[1].

ي ـ ما يحرم في النكاح :

قال الله تعالى : ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ...﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾[2].

(١) انظر : صحيح البخاري : كتاب البيوع : في أغلب أبوابه . وصحيح مسلم : كتاب البيوع : في أغلب أبوابه أيضاً ، من رقم (١ ـ ١٢٣).

(٢) سورة النساء (٢٣).

ومع هذا فقد جاء عنه ﷺ تحريم عدد من أنواع الأنكحة ، ولم تتعرض لها الآية الكريمة ، إنما هوزيادة على ما فيها ، ومن ذلك :

ـ تحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، وبينها وبين خالتها :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : نهى رسول الله ﷺ أن تُنكح المرأة على عمتها ، والمرأة على خالتها . متفق عليه[1].

وقد ورد بلفظه عن عدد من الصحابة منهم عبد الله بن عباس وجابر رضي الله تعالى عنهم .

وفي رواية لمسلم[2]، أن رسول الله ﷺ قال : «لا تُنكح العمة على بنت الأخ ، ولا ابنة الأخت على الخالة».

ـ تحريم نكاح المتعة ، والحديث في هذا متواتر ، وقد جمعتُ طرقه فبلغت أكثر من (١٨) ثمانية عشر صحابيّاً ، انظر (تحريم نكاح المتعة).

ـ تحريم نكاح الشغار ، والحديث ثابت في الصحيحين وغيرهما عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

ـ تحريم خطبة ونكاح المُحْرم بالحج ،... :

فعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يَنْكح المحْرِم ولا يُنكح ، ولا يخطب». متفق عليه[3].

ـ تحريم الخطبة على الخطبة :

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ أن

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب لا تنكح المرأة على عمتها . وصحيح مسلم : كتاب النكاح : باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ، رقم (٣٣ـ ٤٠).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٥).

(٣) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب . وصحيح مسلم : كتاب النكاح : باب تحريم نكاح المحرم ،... رقم (٤١ ـ ٤٥).

يخطب الرجل على خطبة أخيه ،... الحديث ، متفق عليه[1].

وروياه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

وهناك أمور كثيرة لم تذكرها الآية ؛ كالإذن والولي والشهود والاستئمار والاستئذان والكفاءة ، ونكاح البنت إذا لم يدخل بأمها ، وحكم المحلِّل والمحلَّل له ، والعزل ، والغيلة ،... وهناك عدة أنواع من الأنكحة ذكرتُها في مقدمة تحريم نكاح المتعة .

وهناك أمور كثيرة لا يسعها مثل هذا المختصر ، سواء في العبادات أو المعاملات ،... أو غيرهما ، جاءت فيها أحاديث كثيرة فيها زيادات على ما في كتاب الله تعالى .

فمثل هذه الأمور لا يمكن أن يكون رسول الله ﷺ قالها باجتهاد منه من واقع البشرية ، كيف وقد قيّدت مطلق آيات ، وخصصت عامَّ آيات ، وبيّنت مجمل آيات ، وقد أقرّه الله تعالى على ذلك ، لأنه رسوله ، ولا ينطق إلا بما أرسله تعالى به ،... فتكون قد ثبتت بالوحي الخفي ، الدّالة على أن السنة النبويةَ وحيٌ . لأنه ﷺ لا ينطق عن الهوى ، وإنما يتبع ما يوحى إليه ، والله تعالى أعلم .

☆☆☆☆☆

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع . وصحيح مسلم : كتاب النكاح : باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك ، رقم (٤٩ ـ ٥٠).

الباب التاسع

حرص السلف و محافظتهم عليها ، والعمل بها

لقد أكرم الله تعالى رسوله المجتبى ونبيَّه المصطفى ﷺ بصحابة كرام ، اختارهم الله تعالى ؛ ليكونوا له أنصاراً وأصهاراً وأرحاماً ، وحملةَ لواء معه ، وبعده ﷺ ، ورضي الله تعالى عنهم .

لقد وله الصحابة رضي الله عنهم برسول الله ﷺ ، وأحبوه ، وفدوه ، وأكرموه وبجّلوه ،... لِما رأوا فيه من صفات الجمال والكمال ، ولما حوى من كمال الذات وجميل الصفات ، لذا نظروا إليه أنه رسول الله ﷺ ، واجب المحبة والطاعة والامتثال والتوقير والتكريم والتعزير ،... حتى قدَّموه على كلِّ غال بما في ذلك النفوس ، ثم جاء الأمر الرباني بذلك كله .

لقد أمر الله عز وجل هؤلاء الصحابة رضي الله تعالى عنهم بالاقتداء برسول الله ﷺ ، واتباعه ، وطاعته ، وتحكيمه ، وامتثال أمره ، وتقديمه ومحبته ، وتوقيره وتكريمه ،... والمحافظة على شرعه ، وتطبيق سنته .

لقد حثَّ رسول الله ﷺ الصحابةَ الكرام رضي الله تعالى عنهم على سماع حديثه وفهمه وحفظه ونقله ،... كما أذن لبعضهم بتدوبن ما يسمعون منه ﷺ .

فقاموا رضي الله عنهم بذلك خيرَ قيام ، لذا لا يُعرف في تاريخ البشرية من حُفظت سيرته وحياته وأيامه ولياليه وشمائله ومغازيه وسلمه وحربه وعلاقاته الخاصة والعامة بمثل ما فعله الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

ذلك أنهم يرون أن ما يصدر عنه ﷺ وما يتعلق به وما يمسه كله دِين ، يجب

حفظه وتبليغه ، مع محبتهم له ﷺ ، الحبَّ الذي لم تعرفه البشرية ، ولم ينله زعيم أو عظيم ،... ولم يقع من تابع من قبل ولا من بعد ، ومع هذا لم يخرجوه ﷺ عن واقع البشرية ، فلم يُقطِّعوا أيديهم ، كما فُعل مع يوسف عليه السلام ، مع أنه ﷺ أجمل منه ، بل حاز الجمال كله كما حاز الكمال ، ولم يعبدوه أو يتخذوه إلهاً ، كما فُعل مع عيسى عليه السلام ، مع أنه ﷺ أُعطي أكبر من معجزات عيسى عليه السلام ، ولم ، ولم .

لذا كانوا خيرَ جيل عرفته البشرية من قبل ومن بعد ، لذا جعلهم الله تعالى قدوة لمن بعدهم بعد رسول الله ﷺ ، وأمر باقتفاء آثارهم الاقتداء بهم ، وحذّر من الخروج عن منهجهم وسبيلهم ، فقال عز وجل : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾(١).

لقد سمع الصحابةُ الكرامُ رضي الله تعالى عنهم أمرَ الله تعالى بطاعةِ نبيه الكريم ﷺ ، كما سمعوا أمرَ النبي الكريم ﷺ بذلك ، وعرفوا أن النبيَّ الكريمَ ﷺ هو المبيِّنُ ، لأحكام القرآن الكريم ، وآيِهِ ، وأوامرِ الله عز وجل وتوجيهاتِه ، لذا كانت نظرتُهم إلى السنةِ النبويةِ الشريفةِ الصادرةِ عنه ﷺ نظرتَهم إلى القرآن الكريم ، فأكبوا على اتباعه ﷺ ، والتقيدِ بأوامره ونواهيه ، والتزموا بطاعته ﷺ أمراً ونهياً ، وتوجيهاً ، في جميع الشؤون ؛ من عبادةٍ إلى جهادٍ ، ومن أخلاقٍ إلى معاملاتٍ ، ومن أحكامٍ إلى حدودٍ ،... وهكذا .

ولهذا حرصوا رضي الله تعالى عنهم على تلقي السنة النبوية من النبي الكريم ﷺ مشافهة ـ وهذا هو الغالبُ والأكثرُ ـ أو سماعاً من صحابي عنه ﷺ ، وهذا نادر ، لكنه وارد كثيراً ، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، لذا حرصوا رضي الله

(١) سورة النساء (١١٥).

تعالى عنهم على تطبيقها ، حرصهم على حفظها ونشرها .

حفظوا عنه ﷺ أقوالَه وأفعالَه ، ونومَه ويقظتَه ، وحركاته وسكونَه ، وقيامَه وقعودَه ، واجتهادَه ، وعبادتَه ، وسيرتَه ، وسراياه ، ومغازيه ، ومزاحَه ، وزجرَه ، وخطبتَه ، وأكلَه وشربَه ، ومشيَه ، وسكوتَه ، وملاعبتَه أهله ، وتأديبَه فرسَه ، وكتبتَه إلى المسلمين والمشركين ، وعهودَه ، ومواثيقَه ، وألحاظَه ، وأنفاسَه ، وصفاته ، هذا سوى ما حفظوه عنه من أحكام الشريعة ، وما سألوا عن العبادات والحلال والحرام ، وتحاكموا فيه إليه .[1]

فلم يتركوا رضي الله تعالى عنهم لنا شيئاً مما يصدر عنه أو يتصل به ﷺ إلا ذكروه ، حتى ولو كان شيئاً عرضياً ، أو أمراً لا يُؤْبه به ، وما ذاك إلا الحب الذي جعلهم ينظرون إلى كل ما يصدر عنه ﷺ على أنه من الدِّين ؛ الذي أُلزموا باتباعه وأخذه ، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل .

لقد عرف الصحابةُ الكرامُ رضي الله تعالى عنهم أهميةَ السنة النبوية ، بما سمعوه من كتاب الله تعالى ، وحثِّ القرآن الكريم على طاعةِ رسولِ الله ﷺ ، وأَمْرِ الله تعالى لهم بذلك ، ونهيِهِم عن مخالفته ومعصيته ﷺ ، وعدمِ الخروج عن سنته ﷺ ، وكذا بما سمعوا من حديث النبي الكريم ﷺ ، من حثِّهم على طاعته واتباع سنته ﷺ[2]،... وما شاهدوه ، وما رأوه من حالِه ، وعلاماتِ نبوته ﷺ ،... يضاف إلى ذلك محبتهم المتناهية له ﷺ وحرصهم على كل ما يصدر عنه ﷺ : كلُّ ذلك وغيره كثير حملهم على التمسك بسنته ، والأخذ بها ، والحرص عليها ،

---

(١) انظر : المدخل إلى أصول الحديث (٨٧ ـ ٨٨) من مجموع الرسائل الكمالية .

(٢) انظر : شبهات حول السنة ودحضها ، ومحبة النبيِّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجهاد ، فقد ذكرت الأدلة الكثيرة على وجوب طاعة النبي المصطفى الكريم ﷺ ، كما ذكرت مختصراً لذلك في (نشأة علوم الحديث) فانظرها .

ومعرفة ما يصدر عنه ﷺ ، وحفظه ونقله ، والتثبت فيه قبل ذلك ، وصاروا ينظرون إلى كل ما يصدر عنه ﷺ على أنه دينٌ لا يجوز الخروج عنه ، ولا التهاون فيه ، والبعد عنه .

ولما جعلهم الله تعالى لنا قدورة ، وحذّرنا من انتهاج غير سبيلهم ،... صاروا خيرَ من يمثِّل الاقتفاء والاقتداء ، لذا سيكون الحديث في هذا الباب عن منهجهم واتّباعهم وحرصهم على سنة النبي الكريم ﷺ ومحافظتهم عليها ، وتثبتهم فيها ، ودفاعهم عنها ، وتطبيقهم لها ، ونشرها وتبليغها ،...

وقد ظهر هذا الحرص والتثبت والمحافظة والتطبيق والحفظ والتبليغ منهم ،... بعدة أمور . وقد بينتُ أحوالهم رضي الله تعالى عنهم بالنسبة للسنة النبوية الشريفة في (نشأة علوم الحديث)[1] وما أكتبه هنا في هذا الباب فهو ملخّصٌ منه ، لذا فإني سأقتصر على ذكر مثال أو مثالين ، وكذا في العزو ، ومن أراد الزيادة فلينظر فيه .

*** فمن شدة حرص بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم على سماع الحديث من رسول الله ﷺ : ملازمتُهم له ﷺ من أجل سماعهم وحفظهم :**

ويمثل هذا الأمرَ راويةُ الإسلام الأول : أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ، حيث يقول : إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله ﷺ غرسُ الودي ، ولا صفقٌ بالأسواق ، إني كنت أطلب من رسول الله ﷺ كلمةً يُعَلِّمُنيها ، وأكلةً يُطْعِمُنيها .

فقال له عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما : أنت يا أبا هريرة كنتَ ألزمَنا لرسول الله ﷺ وأعلَمنا بحديثه . رواه أحمد وعبد الرزاق والحاكم وصححه ، والترمذي والطيالسي مختصراً[2]. وأصل الحديث متفق عليه ، وسيأتي ذكره في

---

(١) كما ذكرت ذلك في (واجب الأمة نحو نبي الرحمة ﷺ) الباب الثاني فانظره أيضاً .

(٢) مصنف عبد الرزاق (٣ : ٤٥٠) ومسند الطيالسي (رقم ٢٥٨١) ومسند أحمد (٢ : ٣ ، ٣٨٧) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، رقم =

آخر الباب إن شاء الله تعالى .

وقد ذكرت في الأصل عدة روايات أيضاً فانظرها[1] .

*** ومن ذلك : حرص بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم على سماع الحديث من رسول الله ﷺ مباشرة :**

ويمثل هذا عددٌ كبيرٌ من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، حيث إنهم كانوا حريصين على معرفة أحواله ﷺ ؛ ليقتدوا به ، ويعرفوا سنتَه ﷺ ؛ ليطبقوها ، سواء كان سماعُهم منه ﷺ مباشرةً ، أو بواسطة .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : يا رسول الله ؛ مَن أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : «لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك ، لما رأيتُ من حرصك على الحديث ، أسعدُ الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : لا إله إلا الله ؛ خالصاً من قلبه ، أو نفسه». رواه البخاري[2] .

*** ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة : تناوبُهم في النزولَ على رسول الله ﷺ** ، مع انشغال الآخرين بأعمالهم ، فيرجع من نزل إلى من بقي فيخبره بما سمع من النبي المصطفى الكريم ﷺ .

فعن عبد الله بن عباس ، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم قال : كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار ، في بني أمية بن زيد ـ وهي من عوالي المدينة ـ وكنا نتناوب النزولَ على رسول الله ﷺ ، ينزل يوماً ، وأنزل يوماً ، فإذا نزلتُ جئتُه

= (٣٨٣٦) والمستدرك (٣ : ٥١٠ ـ ٥١١) وأصل الحديث في الصحيحين .

(١) كما ذكرت في مقدمة (صحيفة أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) مدى حرصه ، وقوة حفظه ، وسبب إكثاره ،... فانظرها .

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب الحرص على الحديث .

بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك ،... الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

*** ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم أنهم : كانوا يرسلون أولادهم أو أزواجهم إلى بيوت أزواج النبي الكريم ﷺ** ـ سواء ليروا ما فعل ﷺ ـ إن كان المرسَل محْرَماً ، أو ليسألوا أزواجَه ﷺ ورضي الله تعالى عنهن ؛ عن أفعاله وأحواله وأقواله ﷺ ، وقد ذكرتُ عدداً من الأحاديث الشريفة في (ذكر أثر النساء في الرواية) فانظرها في الأصل ، وسيأتي ذكر بعضها ، إن شاء الله تعالى .

ـ أما الدخول على أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن ، ومعرفة الداخل عن أحواله ﷺ عن كثب فذلك كثير ، كما في قصة إرسال العباس بن عبد المطلب ولدَه عبدَ الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما إلى بيت خالته أم المؤمنين ميمونة رضي الله تعالى عنها ، وذَكَرَ كيف كانت صلاةُ رسول الله ﷺ في الليل ، وكيف فعل في تلك الليلة ، والحديث متفق عليه ، وقد رواها الإمامُ البخاري رحمه الله تعالى في تسعة عشر موضعاً من صحيحه[2].

*** ومن شدة حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة : تثبتهم مما لا يعرفون حتى يرجعوا إلى النبي الكريم ﷺ** . ولهذا صورٌ متعددة ، منها :

*** أنهم رضي الله تعالى عنهم كانوا يراجعونه ﷺ فيما لا يعرفون ، أو لم تستوعبه عقولُهم** ،... حتى يعرفوا الحكمَ في ذلك . كما هو الحال في السيدة عائشة

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب التناوب في العلم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطلاق : باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ، رقم (٣٠ ـ ٣٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب السمر في العلم ، وكتاب الوضوء : باب قراءة القرآن بعد الحدث وغيره ، وفي غيرها . وانظر بشرح فتح الباري (١ : ٢١٢) لبيان أرقام العزو . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، رقم (١٨١ ـ ١٩٤).

رضي الله تعالى عنها ؛ أنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه .

فعنها رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «ليس أحد يحاسَب إلا هلك» قالت : قلت : يا رسول الله ؛ جعلني الله فداءك ، أليس يقول الله عز وجل : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ فقال رسول الله ﷺ : «إنما ذلك العرض ، ولكن من نوقش الحساب هلك». متفق عليه[1].

*** وإذا حصلت لهم مشكلة ، أو أفتاه بعضُهم بحكم معين ؛ ثم شك ؛ رجعوا إلى رسول الله** ﷺ ليعرفوا الحكمَ الصحيحَ ، ويسمعوا منه ﷺ .

فعن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه قال : انطلق نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ في سَفْرةٍ سافروها ، حتى نزلوا على حيٍّ من أحياء العرب ، فاستضافوهم ، فأَبَوا أن يُضَيِّفوهم ، فلُدغ سيدُ ذلك الحيِّ ، فسعَوا له بكل شيء ، لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا ، لعله أن يكون عند بعضهم شيء ، فأَتَوهم ، فقالوا : يا أيها الرهطُ ؛ إن سيدَنا لُدغ ، وسعينا له بكل شيء ، لا ينفعه ، فهل عند أحد منكم من شيء ؟ فقال بعضهم : نعم والله ، إني لأرقي ، ولكن والله لقد استضفناكم فلم تُضيفونا ، فما أنا براقٍ لكم حتى تجعلوا لنا جُعلاً . فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتفل عليه ويقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فكأنما نشط من عقال ، فانطلق يمشي وما به قَلَبَةٌ ، قال : فأوفوهم جُعلَهم الذي صالحوهم عليه . فقال بعضهم : اقْسِموا ، فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتيَ النبيَّ ﷺ ، فنذكرَ له الذي كان ، فننظرَ ما يأمرنا . فقدموا على

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ، وكتاب التفسير : سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ : باب : ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾. وصحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها : باب إثبات الحساب ، رقم (٧٩ ـ ٨٠).

رسول الله ﷺ ، فذكروا له ، فقال : «وما يدريك أنها رقية ؟» ثم قال : «قد أصبتم ، اقسِموا ، واضربوا لي معكم سهماً» فضحك النبيُّ ﷺ . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

*** وكانوا رضي الله تعالى عنهم إذا سمعوا من رسول الله ﷺ شيئاً ، ثم سمعوا من غيره خلافَه ، أنكروا على من سمعوه منه** ، ثم أخذوه معهم إلى رسول الله ﷺ ليسمعوا الصواب في ذلك .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : سمعت هشامَ بن حكيم يقرأ سورةَ الفرقان ؛ في حياة رسول الله ﷺ ، فاستمعت لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة ؛ لم يُقرئنيها رسولُ الله ﷺ ، فكدتُ أساوره في الصلاة ، فتصبَّرتُ حتى سلَّم ، فلببته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتُك تقرأ ؟ قال : أقرئنيها رسولُ الله ﷺ . فقلتُ : كذبتَ ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأتَ ، فانطلقتُ به أقوده إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : إني سمعتُ هذا يقرأ بسورة الفرقان على حرف لم تقرئنيها ، فقال ﷺ : «أرسله ، اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءةَ التي سمعتُه يقرأ ، فقال رسول الله ﷺ : «كذلك أنزلت» ثم قال : «اقرأ يا عمر» فقرأتُ القراءةَ التي أقرأنيها ، فقال رسول الله ﷺ : «كذلك أنزلت ، إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف ، فاقرؤوا ما تيسر منه». متفق عليه[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإجارة : باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار ، رقم (٦٥ ـ ٦٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، =

وقد ورد نحو ذلك عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه ، رواه مسلم .

إلى غير ذلك من الأنواع ، ولولا خشية الإطالة لذكرت نماذج أخرى متعددة ، لكن حسبي ما ذكرت ، والله تعالى هو الموفق والمعين .

*** ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة ، ومعرفةِ الحكم من رسول الله ﷺ : أنهم كانوا إذا منعهم من مواجهة النبي المصطفى الكريم ﷺ مانع ؛ من حياءٍ ، أو خجلٍ ،... أو غير ذلك : يكلِّفون غيرَهم أن يسأل رسول الله ﷺ :**

فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : كنت رجلاً مذّاء ، فاستحييتُ أن أسألَ رسولَ الله ﷺ لمكان ابنته مني ، فأمرت المقدادَ ابن الأسود فسأله ، فقال : «يغسل ذَكَرَه ، ويتوضأ». متفق عليه[1].

والأحاديث فيه كثيرة ، والله تعالى أعلم .

*** ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة : أنهم كانوا إذا فاتهم حديثٌ لم يسمعوه من رسول الله ﷺ ، سمعوه من صحابي آخر سمعه من رسول الله ﷺ** . وهذا كثير جدّاً .

ـ لكنهم قد لا يذكرون أنهم سمعوه من صحابي آخر ، لثقتهم بهم ، وعدالتهم وأمانتهم ،... رضي الله تعالى عنهم ، كما مر من حديث عمر بن الخطاب في تناوبه مع الأنصاري رضي الله تعالى عنهما ، المتفق عليه .

ـ وقد يصرحون باسم ذلك الصحابي ؛ الذي سمعوا الحديثَ منه ، وقد لا يصرحون .

= رقم (٢٧٠ ـ ٢٧١).

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الحيض : باب المذي ، رقم (١٧ ـ ١٩).

فعن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : ما كلُّ الحديث سمعنا من رسول الله ﷺ . كان يحدثنا أصحابُنا ، وكنا مشتغلين في رعاية الإبل . رواه أحمد برجال الصحيح ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ، في آخرين[1]. في أحاديث كثيرة .

ـ وأما التصريح بمن سمع منه الحديثَ ، فهو على نوعين :

أ ـ أن يصرح به مباشرة من غير تنقير من أحد عليه ، وهذا كثير جداً ، ومن نظر في تحفة الأشراف ، رأى الكثير من ذلك .

مثل : رواية عبد الله بن عمر عن حفصة ، وروايته عن عمر ، ورواية البراء بن عازب عن أبي أيوب ، وجابر بن سمرة عنه ، ورواية جندب بن عبد الله عن حذيفة بن اليمان ، ورواية أنس بن مالك عن زيد بن ثابت ،... وغيرهم كثير جداً . رضي الله تعالى عنهم .

ب ـ التصريح بمن سمع منه بعد التنقير عليه . فهو أقل من سابقه .

مثال ذلك : حديث «لا ربا إلا في النسيئة» فقد رجع ابن عباس في الرواية به إلى أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما ، وأخبر أنه لم يسمعه من النبي الكريم ﷺ ، وهو متفق عليه[2].

ومثال آخر «من أدركه الفجر جنباً فلا يصم» فقد قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : لم أسمعه من النبي ﷺ ، إنما سمعتُ ذلك من الفضل . فرجع أبو هريرة

---

(١) انظر : مسند أحمد (٤ : ٢٨٣) والمستدرك (١ : ٩٥) والمعرفة والتاريخ (٢ : ٦٣٤) بنحوه ، ومعرفة الصحابة (١ : ٣٨٥) والجامع لأخلاق الراوي (١ : ١١٧) والمحدث الفاصل (٢٣٥) ومجمع الزوائد (١ : ١٥٤) وكنز العمال (١٠ : ٢٨٨ ، ٢٩٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب بيع الدينار بالدينار نسيئة . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب بيع الطعام مثلاً بمثل ، رقم (١٠١ ـ ١٠٤).

رضي الله تعالى عنه عما كان يقول في ذلك . كما عند الشيخين[1].

*** ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم : أنهم إذا كانوا بعيدين عنه ﷺ ، فإنهم لا يكتفون ـ أحياناً ـ بمعرفة الحكم من الصحابة ، بل يرحل أحدُهم إليه ﷺ ، ليسمع منه مباشرة ، ويتثبت من صحة النقل ، ويتأكد من صحة الحكم ،** ولو كانت المسافةُ بعيدةً ، كمكة المكرمة مثلاً .

فعن عقبة بن الحارث رضي الله تعالى عنه ، أنه تزوَّج ابنةً لأبي إهاب بن عَزيز ، فأتته امرأة فقالت : إني قد أرضعتُ عقبةَ والتي تزوَّج بها ، فقال لها عقبة : ما أعلم أنك أرضعتيني ولا أخبرتيني . فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة ، فسأله ، فقال رسول الله ﷺ : «كيف وقد قيل ؟». ففارقها عقبةُ ، ونكحتْ زوجاً غيرَه . رواه البخاري[2]، وقد عنون له [باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله] .

* كانت القبائل العربية ـ وخاصة النائية عن المدينة المنورة ـ تنتظر ما يكون بين النبي المصطفى الكريم ﷺ وبين أهل مكة ، **فلما فتح رسولُ الله ﷺ مكةَ ، وأرسل الرسلَ إلى تلك القبائل وزعمائها ،... جاءته ﷺ وفودُ تلك القبائل ، كما جاءه ﷺ الشباب منهم لا ليُمَثِّلوا أقوامَهم وقبائلَهم ، ولكن لحب المعرفة ، ولقاء النبي المصطفى الكريم ﷺ ، والتبرك به .**

وما قصة ضمام إلا واحدة من تلك الوفود ، لكن جاء فيها التصريح ـ كما في صحيح مسلم ـ جاءنا رسولُك ، وإن رسولَك ،... فهو يمثِّل قومَه ، مَثَلُه كمثل وفدِ عبد القيس .

فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : إن وفدَ عبد القيس لما أتوا النبيَّ

(١) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب الصائم يصبح جنباً . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ، رقم (٣٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله ، وفي غيرهما .

ﷺ قال : «مَن القوم ـ أو مَن الوفد ؟» قالوا : ربيعة ، قال : «مرحباً بالقوم ـ أو بالوفد ـ غير خزايا ولا ندامى» فقالوا : يا رسول الله ؛ إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام ، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر . فمُرْنا بأمر فصل نُخبر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ،... الحديث بطوله ، وفي آخره : قال ﷺ : «احفظوهن ، وأخبروا بهن مَن وراءَكم». متفق عليه[1].

*** ومن حرص الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على الفائدة منه ﷺ والاستفادة : أنهم كانوا يُحضرون أبناءَهم إلى مجالس رسول الله ﷺ ؛ ولو كانوا أبناءَ أربع سنين أو أكثر أو أقل :**

ـ وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ عن صحابةٍ تحمَّلوا تلك الأحاديثَ وهم صغار ، كأنس وابن عباس ، وابن الزبير ، والبراء ابن عازب ، وابن عمر ،... رضي الله تعالى عنهم ؛ حيث لقوا رسولَ الله ﷺ وهم دون البلوغ .

ـ بل منهم من تُوفي النبي المصطفى الكريم ﷺ ولَـمّا يبلغوا بعد ؛ كابن الزبير ، والحسن ، والحسين ، وعمر بن أبي سلمة ، وابن عباس ، والنعمان بن بشير ، ومحمود بن الربيع ، وعبد الله بن جعفر ، والمسور بن مخرمة ، وسهل ابن أبي حثمة ، والسائب بن يزيد ، وعبد الله بن حنظلة ، وأبي الطفيل الكناني ، ومسلمة بن مخلد ، وقرة بن إياس ، وقثم بن العباس ، وغيرهم رضي الله تعالى عنهم ، وكلهم من الصحابة الذين رووا عن رسول الله ﷺ[2].

ـ وقد كان الصبيانُ يحضرون الصلاةَ مع رسول الله ﷺ ، حتى قال عمر بن

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب أداء الخمس من الإيمان ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين ،... رقم (٢٣ ـ ٢٥).

(٢) انظر المحدث الفاصل (١٨٩ ـ ١٩٢) والكفاية (١٠٥ ـ ١١١).

الخطاب رضي الله تعالى عنه ـ عندما أعتم النبيُّ ﷺ ليلةً بالعِشاء ولم يخرج ـ : نام النساء والصبيان ،... الحديث بطوله ، متفق عليه ، من حديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها[1].

ـ كما كانوا يخرجون إلى المصلى مع النبي المصطفى الكريم ﷺ ، لصلاة العيد ونحوها ، وعليه عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[2]. على حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

ـ كما كانوا يصلّون على الجنائز معه ﷺ ، وعليه عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[3] على حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

ـ وكان ﷺ يُؤتَى بالصبيان فيُبَرِّكُ عليهم ، كما في الحديث المتفق عليه[4].

ـ وكانوا يعلِّمون صبيانَهم القرآنَ الكريمَ في عهده ﷺ ، وعليه عقد الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه[5].

فالصبيان يُؤتى بهم بعد ولاداتهم إلى النبي المصطفى الكريم ﷺ ، فإذا كَبروا حضروا الصلاةَ معه ﷺ ، مع أهليهم ، ثم يستقلون بذلك .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المواقيت : باب فضل العِشاء ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب وقت العشاء وتأخيرها ، رقم (٢١٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العيدين : باب خروج الصبيان إلى المصلى .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب صلاة الصبيان مع الناس على الجنائز .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الدعوات : باب الدعاء للصبيان بالبركة ومسح رؤسهم (فقد ذكر أحاديثَ السائب بن يزيد ، وعبد الله بن هشام ، ومحمود بن الربيع ، وعبد الله بن ثعلبة ابن صُعير ، وعائشة) وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب حكم بول الطفل الرضيع ، رقم (١٠١ ـ ١٠٢) لحديث السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أيضاً ، مع أن أحاديث الباقين متفق عليها أيضاً .

(٥) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب تعليم الصبيان القرآن .

وهذا كله من حرص الصحابة الكبار رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم على أولادهم لينشؤوا نشأةً إيمانية سليمةً صالحةً ، وكانوا لهم ما أرادوا ، ولهذا روى لنا كثير من الصحابة الصغار ـ وليس فيهم صغير ـ رضي الله تعالى عنهم أحاديثَ كثيرةً جدّاً أيضاً ، والله تعالى أعلم .

*** ومن حرصهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة ، وسرعة تطبيقهم لأمر ربهم تعالى : أنهم إذا قاموا من مجلس رسول الله ﷺ ، ثم التقوا فيما بينهم ، فإنهم يتذاكرون حديثَ رسول الله ﷺ ، حتى يحفظوه** ، ويتعلَّموا ما فيه ؛ ليطبقوه .

وقد سبق ذكرُ حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما ،... كان يحدثنا أصحابنا ،...إلخ. وقد تنوعت كيفية مذاكرتهم :

ـ إما أن تكون على الانفراد .

كما قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه : إني لأجزيء الليل ثلاثةَ أجزاء ، فثلثٌ أنام ، وثلثٌ أقوم ، وثلثٌ أتذكر أحاديثَ رسول الله ﷺ(١).

ـ وإما أن تكون فيما بينهم رضي الله تعالى عنهم ، ويكون العددُ كثيراً .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : كنا نكون عند النبي ﷺ ـ وربما نكون نحواً من ستين إنساناً ـ فيحدثنا رسولُ الله ﷺ ، ثم يقوم ، فنتراجعه بيننا ؛ هذا وهذا وهذا ، فنقوم وكأنما قد زرع في قلوبنا . رواه البزار وأبو يعلى والخطيب والبيهقي ، وكلهم من طريق الرقاشي عنه(٢).

---

(١) سنن الدارمي (١ : ١٧).

(٢) مسند أبي يعلى (٧ : ١٣١) ومجمع الزوائد (١ : ١٣٢ ، ١٦١) وإتحاف الخيرة المهرة (١ : ٢٧٦ ـ ٢٧٧) والمدخل إلى السنن الكبرى (٢٩٠) والجامع لأخلاق الراوي (١ : ٢٣٦) والفقيه والمتفقه (٢ : ١٢٧).

وللحديث شواهد ذكرتها في الأصل ، فانظرها .

ـ أو تكون المذاكرة بين اثنين مثلاً أو أكثر .

كما في حديث أبي عبيدة رضي الله تعالى عنه ومذاكرة حديث «بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة ، ثم كائن خلافة ورحمة ،...» الحديث ، حيث كان يتذاكره هو ومعاذ ابن جبل رضي الله تعالى عنه ، وهو وبشير بن سعد والد النعمان ابن بشير رضي الله تعالى عنهم ، وقد رواه الطيالسي وأبو يعلى والطبراني في الكبير وأبو نعيم ، في آخرين[1].

* **وكما كان الرجال حريصين على الحديث الشريف ، فقد كان النساء حريصات كذلك على معرفة الأحكام ، مع حفظ الحديث وروايته ، كما كن حريصات أيضاً على سماع الحديث من النبي المصطفى الكريم ﷺ** ، سواء كن من أمهات المؤمنين ، أم من غيرهن رضي الله تعالى عنهن ، وقد ظهر عدد من الصحابيات المكثرات من الحديث ، كما هو الحال في الرجال .

لقد روى من النساء رضي الله تعالى عنهن في الكتب الستة الأصول ـ كما في تحفة الأشراف ـ (١١٧) سبع عشرة ومائة امرأة بما فيهن المبهمات ، ومجموع الأحاديث التي روينها (٢٦٧٧) سبعة وسبعون وستمائة وألفان ، فهو أكثر من سُبع مجموع ما في الكتاب تقريباً ، وهذا يدل على مدى عنايةِ النساء بالسنة النبوية ، وحرصِهن رضي الله تعالى عنهن على الرواية .

وقد ذكرت في الأصل : أسماء المكثرات منهن وعدد روايتهن ، فانظره .

---

(١) انظر : مسند الطيالسي (٣١) ومعرفة الصحابة (٢ : ٢٩ ـ ٣١) من طرق ، ومسند أبي يعلى (٢ : ١٧٧ ـ ١٧٨) والبحر الزخار (٤ : ١٠٨ ـ ١٠٩) وكشف الأستار (٢ : ٢٣١ ـ ٢٣٢) والمعجم الكبير (١ : ١١٩ ـ ١٢٠) (٢٠ : ٥٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٥٩) ومجمع الزوائد (٥ : ١٨٩).

وروايات هؤلاء الصحابيات رضي الله تعالى عنهن إما أنهن قد سمعن ذلك من النبي الكريم ﷺ مباشرة ؛ في مجالسه وخطبه ،... أو سألنه ﷺ ،... أو سمعن من غيرهن ـ من الرجال أو النساء ـ ممن سمع منه ﷺ ، أو أنهن طلبن منه أن يعقد لهن مجلساً يعلمهن فيه مما علمه الله تعالى ، وأقتصر على حديث واحد في ذلك .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : قالت النساءُ للنبي ﷺ : غلَبَنا عليك الرجالُ ، فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً لقيَهنَّ فيه ، فوعظهن ، وأمرهن ،... الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1]

وروياه[2] بنحوه أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه .

*** ومن حرص الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية في زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ : حفظها ونقلها للناس :**

لم يتركوا رضي الله تعالى عنهم لنا شيئاً مما يصدر عنه أو يتصل به ﷺ إلا ذكروه ، حتى ولو كان شيئاً عرضياً ، أو أمراً لا يُؤْبه به ، وما ذاك إلا الحب الذي جعلهم ينظرون إلى كل ما يصدر عنه ﷺ على أنه من الدِّين ؛ الذي أُلزموا باتباعه وأخذه ، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل .

ومن هذا الحرص الشديد ، والامتثال الدقيق الذي نتج عما سمعوه من أوامر الله تعالى في كتابه الكريم وأوامر النبي الكريم ﷺ بوجوب طاعةِ نبيِّه الأمين ﷺ ، والأخذ بسنته ، واتباعِ أمره ، وجعله القدوةَ المثلى ، والمثَلَ الأعلى ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب هل يُجعل للنساء يوم على حدة في العلم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، رقم (١٥٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب فضل من مات له ولد فاحتسبه . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٥٠ ـ ١٥٢) وانظر فتح الباري (١ : ١٩٦).

والأسوة الحسنة ،... **هذا الحرص جعلهم يحفظون سنة نبيهم ﷺ ، حفظاً ندر له مثيل في الوجود ، بل لا مثيل له .**

وهذا الحفظ تمثل بثلاثة أمور :

أ : **التطبيق العملي** : وهذا واضح لا يحتاج إلى برهان أو دليل ، لكثرته ووضوحه ، إذ العبادات والمعاملات والأحوال والأخلاق ،... كل ذلك جاء تفصيلُها عن رسول الله ﷺ ، وقد طبَّق الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ذلك على أنفسهم .

ـ كيف لا ، وقد سمعوه ﷺ يقول : «صلُّوا كما رأيتموني أُصلي»[(١)].

ويقول ﷺ : «خذوا عني مناسككم». رواه مسلم[(٢)].

وأقتصر على ذكر مثال واحد يوضح كيف كان تطبيقُ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم لسنة نبيهم ﷺ ، ومدى حرصهم على امتثال أمره ﷺ ، وطاعتهم له ، ولو لم يعرفوا علَّةَ ذلك وحِكمتَه .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه ، إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره ، فلما رأى ذلك القومُ ألقَوا نعالَهم ، فلما قضى رسولُ الله ﷺ صلاتَه قال : «ما حملكم على إلقائكم نعالكم ؟» قالوا : رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا ، فقال رسول الله ﷺ : «إن جبريل ﷺ أتاني فأخبرني أن فيها قذراً ،...» الحديث بطوله ، رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : باب من أحق بالإمامة ، رقم (٢٩٢) من حديث مالك ابن الحويرث رضي الله تعالى عنه .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحج : باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً ، رقم (٣١٠). من حديث جابر رضي الله تعالى عنه .

والدارمي وابن سعد وعبد بن حُميد وأبو داود ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم[1].

وهناك أمثلة كثيرة ذكرتها في الأصل .

ب : **الحفظ** : لأن الأُمِّيَّة هي الغالبة عليهم في ذلك الوقت ، كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2] لذا كانوا يعتمدون على الحفظ ، وهو أمر يتوارثونه منذ الجاهلية ، فكانوا يحفظون أشعارَهم وآدابَهم وأيامَهم ،... حفظاً ، ولم يكن من ذلك شيء مكتوب إلا نادراً . وقد بينتُ ذلك بشكل موسّع ، وذكرت الأدلة من القرآن والسنة ، في غير هذا الكتاب[3].

فعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي ﷺ قال : «إنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ ، لا نكتب ولا نحسب ، الشهرُ هكذا وهكذا وهكذا ـ وعقد الإبهام في الثالثة ـ والشهرُ هكذا وهكذا وهكذا . يعني : تمامَ الثلاثين». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[4].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٢٠ ، ٩٢) ومسند الطيالسي (رقم ٢١٥٤) وسنن الدارمي (١ : ٢٦٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٤١٧) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب الصلاة في النعل ، رقم (٦٥٠ ـ ٦٥١) والطبقات الكبرى (١ : ٤٨٠) ومسند عبد بن حُميد (رقم ٨٨٠) ومسند أبي يعلى (٢ : ٤٠٩) وصحيح ابن خزيمة (١ : ٣٨٤) وصحيح ابن حبان (٣ : ٣٠٥ ـ ٣٠٦) والمستدرك (١ : ٢٦٠) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ٤٠٢ ، ٤٣١) وشرح السنة (٢ : ٩٢).

(٢) سورة الجمعة (٢).

(٣) انظر (أمِّيَّة النبي الكريم ﷺ) فقد ذكرت كثيراً من الأدلة على ذلك .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الصوم : باب قول النبي ﷺ : «لا نكتب ولا نحسب». =

وليس معنى ذلك : أنه لا يوجد فيهم مَن يعرف القراءةَ والكتابة ، بل فيهم من يعرف ذلك ، لكنهم قلة بالنسبة لغيرهم ، وإنما العبرةُ بالغالب .

وقد أمرهم النبي الكريم ﷺ بتدوين القرآن الكريم ، مع حفظهم له غيباً ـ والأمرُ كان واجباً ـ لعدم جواز روايته بالمعنى ، أما بالنسبة للسنة النبوية الشريفة ، فقد كان بعضُهم يكتب دون الأغلبية ، لجواز روايتها بالمعنى .

لذا حرص الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على حفظِها غيباً ـ إمتثالاً لأمره ﷺ ـ ونقلِها نقلاً صحيحاً عنه ﷺ ، إضافة إلى تطبيقها عملياً .

وقد حثَّ ﷺ على حفظ السنة ، فقال ﷺ : «نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه ثم بلغه ،...». إلى غيره من الأحاديث التي ذكرتها في الأصل .

ولهذا اشتهر عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم بكثرة الحفظ عنه ﷺ ، كما بينته في الأصل .

لذا كانت السنة النبوية موجودة عندهم جميعاً ، فهي وإن لم يحوها واحد منهم لكنها لم تغرب عن جميعهم ، كما نبّه على ذلك الشافعي رحمه الله تعالى .

ج : **الكتابة** : إن عامة العرب في زمن النبوة كانوا أُمِّيِّين ؛ لا يقرؤون ولا يكتبون ـ كما ذكرتُ ذلك قبل قليل ـ لكن وُجد فيهم من يكتب ، ولهذا كثر كُتّاب الوحي بين يدي النبي الكريم ﷺ ، وأكثر من عدّهم ابنُ حديدة الأنصاري رحمه الله تعالى ، فقد ذكر منهم (٤٤) أربعة وأربعين رجلاً ، في كتابه (المصباح المضيء في كُتّاب النبي ﷺ الأُمِّي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي)(١) وهذا عدا من كتب له ﷺ غير القرآن ، من رسائل وكتب ، وقد ذكرت في الأصل عددهم ، وأسماءهم رضي الله تعالى عنهم .

= وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ، رقم (١٥).

(١) وذلك من (١ : ٢٩ ـ ٢٤٢).

ـ وقد اشتهر عن بعض الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم الكتابة للحديث في زمن النبي الكريم ﷺ ، كما عُرف من كان يكتب السنةَ بين يديه ﷺ . كما بينته في الأصل .

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : كنتُ أكتبُ كلَّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريشٌ ، وقالوا : رسولُ الله ﷺ بشر ؛ يقول في السخط والرضا . قال : فأمسكت عن الكتابة ، ثم ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : «أكتب ـ وأشار إلى فيه ـ والذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق». رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود والدارمي بإسناد صحيح ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثرَ حديثاً عن النبي ﷺ مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ؛ فإنه كان يكتب ولا أكتب . رواه البخاري[2] .

*** لقد ظهر حِرص الصحابة رضي الله تعالى عنهم على التمسُّك بالسنة النبوية ، والعمل بها ، وتطبيقها ، والقيام بحقها : بمحافظتهم عليها :**

ـ لقد حفظ الصحابة رضي الله تعالى عنهم سنة النبي المصطفى الكريم ﷺ بشكل لم يُعهد له مثيل في الكون ، فقد نقلوا لنا كل أمرٍ صدر عن النبي المصطفى الكريم ﷺ ، حتى الأمور العَرَضيَّة ، فلم يتركوا لنا شيئاً من أفعاله وأقواله وأحواله وأوصافه ،... ﷺ إلا نقلوه ، حتى إن القارىء لسيرته وسنَّته ﷺ لَيتصوَّر

---

(١) مسند أحمد (٢ : ١٦٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٨) وسنن أبي داود : كتاب العلم : باب كتابة العلم ، رقم (٣٦٤٦) وسنن الدارمي : المقدمة : باب ما جاء في كتابة العلم (١ : ١٠٣) والمستدرك (١ : ١٠٤ ـ ١٠٦ من طرق) وجامع بيان العلم (١ : ٧١) وتقييد العلم (٨٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب كتابة العلم .

ذلك أمامه ، وكأنه أمام مشهدٍ حيٍّ ، لما كان في ذلك الزمن من دقَّةِ نقلِهم واستيعابِهم وشمولِهم ، وعدم غفلتهم عن كل ما صدر عنه ﷺ ، وما له صلةٌ به ﷺ ، وماله علاقةٌ به ﷺ ، ولو لم يكن ذلك جوهريّاً في نظر كثير من الناس .

وخير مثال على ذلك نقلهم لحجة الوداع ، التي نقلوا فيها أموراً لا يمكن أن تخطر على بالِ شخصيَّةٍ مرافقةٍ لزعيمٍ من الزعماء ، أو قائدٍ من القواد ، ولكنه الحب الذي فعل فيهم ذلك ، وجعلهم ينظرون إلى كل ما يصدر عنه ﷺ على أنه دينٌ يجب أخذه ونقله والعمل به[١].

ولهذا لا نعرف في تاريخ البشرية سيرة عظيمٍ أو زعيمٍ أو حتى نبي نُقلتْ سيرتُه وسنَّتُه ؛ ما نقلت سيرةُ النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وصحبه وسلم وسنَّتُه ، حتى كأن القارىء لها رأي عين منها .

*** وقد ظهرت محافظتهم على السنة النبوية الشريفة بصور متعددة ، منها :**

*** الاقتداء برسول الله ﷺ والاتباع الشديد له :**

هذا الاقتداء والاتباع نابعٌ من إيمانهم برسول الله ﷺ أنه رسول الله ، ووجوب طاعته واتباعه ﷺ ، ومحبتهم له ، التي أخذت منهم كل مأخذ .

بل إن كثيراً منهم رضي الله تعالى عنهم طبّقوا ذلك عمليّاً ، حتى في الأمور الجِبِلِّيَّة ، التي ليست من أمور التشريع ، سواء في المأكل ، أو المشرب ، أو النوم ، أو الجلوس ، أو حتى في قضاء الحاجة ، أو المشي ،... وهكذا[٢].

وخير مثال على ذلك : سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما ، الذي كان يتتبع أحوال النبي المصطفى الكريم ﷺ ، صغيرها وكبيرها ،

---

(١) انظر ما كتبه شيخنا الشيخ السيد أبو الحسن الندوي في مقدمة (حجة الوداع) لشيخنا الشيخ زكريا الكاندهلوي رحمهما الله تعالى .

(٢) انظر : الفقيه والمتفقه (١ : ١٣٠ ـ ١٣١).

أين نام ، وأين صلَّى ، وأين جلس ، وكيف فعل ،... وهكذا ، حتى خِيف على عقله ، من شدة اهتمامه بذلك رضي الله تعالى عنه[١].

ـ فلم يدخل من باب النساء ، لأن النبي المصطفى الكريم ﷺ قال : «لو تركنا هذا الباب للنساء»[٢].

ـ كان يتعهد شجرةً ، فيصب في أصلها الماء لكيلا تيبس ، لأن النبي المصطفى الكريم ﷺ نزل تحتَها[٣].

ـ ويأخذ برأس راحلته ، لعل خُفّاً منها يقع على مكانٍ وقع عليه خُفُّ راحلةِ النبي المصطفى الكريم ﷺ[٤].

ـ ولهذا لما سُئل رضي الله تعالى عنه عن استلام الحَجَر الأسود وتقبيله قال : رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله ، قال : قلت : أرأيتَ إن زُحِمْتُ ، أرأيتَ إن غُلِبْتُ ؟ قال : اجعل أرأيتَ باليمن ، رأيت رسول الله ﷺ يستلمُه ويُقبِّلُه . رواه البخاري[٥].

ـ ولهذا كان رضي الله تعالى عنهما يستلمه ، ثم يضع شفتيه عليه طويلاً ، كما رواه الشافعي ، وما تركه منذ رأى رسول الله ﷺ يفعله ، حتى في وقت الزحام ، وإن أدَّى ذلك إلى خروج الدم من أنفه رضي الله تعالى عنه ، وكأنه كان لا يرى الزِّحام عُذراً في تركه ، رضي الله تعالى عنهما[٦].

---

(١) انظر : الحلية (١ : ٣١٠) وسير أعلام النبلاء (٣ : ٢١٣).

(٢) انظر : مسند الطيالسي (٢٥١ رقم ١٨٢٩) والحلية (١ : ٣١٣).

(٣) انظر : الطبقات لابن سعد (٤ : ١٠٢) وأسد الغابة (٣ : ٣٤١) وسير أعلام النبلاء (٣ : ٢١٣).

(٤) انظر : الحلية (١ : ٣١٠) وتاريخ بغداد (١ : ١٧٢) وسير أعلام النبلاء (٣ : ٢٣٧).

(٥) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب تقبيل الحجر ، ورواه الترمذي والنسائي... أيضاً .

(٦) انظر : فتح الباري (٣ : ٤٧٥ ـ ٤٧٦).

والنصوص في ذلك كثيرة .

بل قد يفعلون شيئاً ـ وإن لم تظهر حكمته ـ إنما هو الاتباع والاقتداء ، وقول عمر رضي الله تعالى عنه يمثِّل هذا خير تمثيل ، عندما قال للركن ـ الحجر الأسود ـ أما والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيتُ النبي ﷺ استلمك ما استلمتُك ، فاستلمه ، ثم قال : ما لنا وللرَّمَلِ ؟ إنما كنا راءينا به المشركين ، وقد أهلكهم الله ، ثم قال : شيءٌ صنعه النبيُّ ﷺ ، فلا نحب أن نتركه . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[1].

وفي رواية لهما[2] ـ ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يُقبِّلُك ما قَبَّلتُك .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جداً ، ولهذا كثر عنهم رضي الله تعالى عنهم قولهم : رأيت رسول الله ﷺ فعل كذا ،... هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل ، والله تعالى أعلم .

*** ومن حفاظهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية ، ومحافظتهم عليها ؛ إنكارُهم على مَنْ خالفها** ، ولو كانت المخالفة يسيرة ، وهذا بابٌ واسعٌ جداً ، والنصوص فيه كثيرة جداً ، كيف لا وهي سنة نبيهم ﷺ ، وقد اختارهم الله تعالى ليحفظ بهم دينَه ، فنقلوه كما أنزل ، من غير زيادة فيه ، ولا نقصان ، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل . وقد ذكرت في الأصل أمثلةً كثيرة على ذلك ، أقتصر على بعضها للتنبيه .

فعن أبي الأشعث [شراحيل بن آدة الصنعاني] قال : غزونا غزاة ، وعلى

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب الرمل في الحج والعمرة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف ، رقم (٢٤٨ ـ ٢٥٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب تقبيل الحجر . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٤٨).

الناس معاوية ، فغنِمْنا غنائمَ كثيرةً ، فكان فيما غنِمْنا ؛ آنيةً من فضةٍ ، فأمر معاوية رجلاً أن يبيعها في أعطيات الناس ، فتسارع الناس في ذلك ، فبلغ عبادةَ بن الصامت ، فقام فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن بيع الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبُرِّ بالبُرِّ ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ؛ إلا سواء بسواء ، عيْناً بعيْنٍ ، فمن زاد أو ازداد فقد أربى ، فردَّ الناسُ ما أخذوا ، فبلغ ذلك معاوية ، فقام خطيباً ، فقال : ألا ما بالُ رجالٍ يتحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث ، قد كنا نشهده ونصحبه ، فلم نسمعها منه ، فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصة ، ثم قال : لنحدثن بما سمعنا من رسول الله ﷺ وإن كره معاوية ـ أو قال : وإن رغم ـ ما أبالي أن لا أصحبه في جنده ليلة سوداء . رواه مسلم(١).

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا تمنعوا نساءَكم المساجد إذا استأذنّكم إليها».

فقال بلال بن عبد الله : والله لنمنعهن ، قال : فأقبل عليه عبد الله فسبَّه سبّاً سيِّئاً ، ما سمعته سبَّه مثلَه قط ، وقال : أخبرك عن رسول الله ﷺ ، وتقول : والله لنمنعهن !. متفق عليه ، واللفظ لمسلم(٢).

فلم يسكت رضي الله تعالى عنه على ابنه عندما أعلن مخالفة السنة ، مع أن الذي حمله على ذلك الغيرة ، لتغير بعض النساء ، وقد جاء هذا واضحاً في بعض الروايات(٣).

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب الصرف وبيع الذهب بالورِق نقداً ، رقم (٨٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة ، رقم (١٣٤ ـ ١٤٠).

(٣) انظر : فتح الباري (٢ : ٣٤٨ ـ ٣٤٩).

وعن عبد الله بن عُكَيْم قال : كنا مع حذيفة بالمدائن ، فاستسقى حذيفة ، فجاءه دِهْقَانٌ بشراب في إناء من فضة ، فرماه به ، وقال : إني أخبركم أني قد أمرته أن لا يسقيني فيه ، فإن رسول الله ﷺ قال : «لا تشربوا في إناء الذهب والفضة ، ولا تلبسوا الديباج والحرير ، فإنه لهم في الدنيا ، وهو لكم في الآخرة يوم القيامة». متفق عليه(١).

لم يسكت رضي الله تعالى عنه على زعيم فلاحي العَجَم ، أو زعيم القرية ورئيسها ، لأنه كان قد نهاه عن ذلك مرات ، مما اضطره إلى حذفه بالإناء ، ثم قال معتذراً عن سبب ذلك ، والله تعالى أعلم .

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، والحمد لله تعالى .

*** ومن محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية : أنهم ما كانوا يسكتون عن إظهارِ السنةِ ، ولو أدَّى ذلك إلى الأذى ، ويُظهرون السنةَ أمام الحاكم الذي يخالفُ السنةَ** ، ولا يأبهون بما يكون بعد ذلك ، وقد ذكرت في الأصل كثيراً من النصوص ، أذكر بعضها إن شاء الله تعالى .

ـ لقد جذب أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه مروان بن الحكم ، حين أراد الصعود على المنبر يوم العيد ، وتقديم الخطبة على الصلاة ، فأخبره أبو سعيد رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان أول شيء يبدأ به ـ في العيدين ـ الصلاة ، ثم يخطب الناس ، وقال لمروان : غيَّرتُم والله ، فقال : أبا سعيد ؛ قد ذهب ما تعلم ، فقلت : ما أعلم ـ والله ـ خير مما لا أعلم ، فقال : إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة ، فجعلتُها قبل الصلاة . متفق عليه ، واللفظ للبخاري(٢).

(١) صحيح البخاري : كتاب الأطعمة : باب الأكل في إناء مفضض ، وكتاب الأشربة : باب آنية الفضة ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب اللباس والزينة : باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء ، رقم (٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب صلاة العيدين : باب الخروج إلى المصلى بغير منبر ، وفي =

ـ وكما أخبر أبو شُريح الخزاعي رضي الله تعالى عنه ، عمرو بن سعيد [الأشدق] ـ وهو يبعث البعوث إلى مكة ـ قولَ النبيّ ﷺ : «إن مكة حرَّمها الله ، ولم يُحرِّمها الناس ، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحدٌ ترخَّص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا : إن الله قد أذن لرسوله ـ ﷺ ـ ولم يأذنْ لكم ، وإنما أذِنَ لي فيها ساعة من نهارٍ ، ثم عادت حرمتُها اليوم كحرمتِها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب ، الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

ـ وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : صلّى معاوية بالمدينة صلاةً فجهر فيها بالقراءةِ ، فقرأ فيها : بسم الله الرحمن الرحيم لأمِّ القرآن ، ولم يقرأ بها للسورة التي بعدها ، حتى قضى تلك الصلاةَ ، فلما سلَّم ، ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار من كل مكان : يا معاوية ؛ أسرقتَ الصلاةَ أم نسيتَ ؟ فلما صلّى بعد ذلك ؛ قرأ بسم الله الرحمن الرحيم للسورة التي بعد أمِّ القرآن ، وكبّر حين يهوي ساجداً . رواه الشافعي والبيهقي والحاكم والدارقطني وعبد الرزاق والبغوي وابن عبد البر ، وهو صحيح على شرط مسلم[2].

فمعاوية رضي الله تعالى عنه إذ ذاك صاحب الأمر ، وذو الحكم ، وكان الناس من سطوته خائفين ، ومن بأسه جد حذرين ، فلم يسامحوا أنفسهم ، ولا

= غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة العيدين : في مقدمته ، رقم (٩).

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب ليبلغ العلمَ الشاهدُ الغائبَ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها ،... رقم (٤٤٦).

(٢) الأم (١ : ٩٣ ، ٩٣ ـ ٩٤) والمسند (٣٦ ـ ٣٧ ، ٣٧) والسنن للشافعي ، رقم (٤٤) والسنن الكبرى (٢ : ٤٩ ، ٤٩ ـ ٥٠) والمستدرك (١ : ٢٣٣) وصححه على شرط مسلم ، وأقره الذهبي ، وسنن الدارقطني (١ : ٣١١) وقال : رجاله ثقات ، ومصنف عبد الرزاق (٢ : ٩٣) من طريق آخر ، وشرح السنة (٣ : ٥٥ ـ ٥٦) والإنصاف (١٧٨).

رأوا في أديانهم أن يُقرّوه على أمر خالف فيه السنة ، حتى إنهم أنكروا عليه أشنع إنكار ، بقولهم : أسرقتَ الصلاةَ أم نسيتَ(١)؟

وانظر بقية النصوص في الأصل ـ والحمد لله ـ وكلها تُنبىء عن مدى عنايةِ الصحابة الكرام ، وتمسكِهم ومحافظتِهم على سنة نبيهم ﷺ ، رضي الله تعالى عنهم ، وحشرنا معهم .

*** ومن محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية : احتجاجهم بكتاب الله تعالى على حُجِّيّتها ، ووجوب تطبيقها ، على الذين يخالفونها ، أو على الذين لم يظهر لهم ذلك :**

ـ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : لعن الله الواشمات ، والمستوشمات ، والنَّامصات ، والمتنمِّصات ، والمتفلجات للحُسْن المغيراتِ خلْقَ الله . قال : فبلغ ذلك امرأة من بني أسدٍ ، يقال لها : أم يعقوب ، وكانت تقرأ القرآن ، فأتته فقالت : ما حديثٌ بلغني عنك ؟ أنك لعنت الواشمات ، والمستوشمات ، والنّامصات ، والمتنمِّصات ، والمتفلجات للحُسْن ، المغيراتِ خلْقَ الله .

فقال عبد الله : وما لي لا ألعنُ من لعن رسولُ الله ﷺ؟ وهو في كتاب الله .

فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته ، فقال : لئن كنتِ قرأتيه لقد وجدتيه ، قال الله عز وجل : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ .

فقالت المرأة : فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن . قال : اذهبي فانظري ، قال : فدخلت على امرأة عبد الله ، فلم تر شيئاً ، فجاءت إليه فقالت :

---

(١) انظر : الشافي شرح مسند الشافعي (١ : ١٧٠ آ) وتعليقي على هذا الحديث في السنن للشافعي .

ما رأيتُ شيئاً . فقال : لو كان ذلك ؛ لم نجامعها . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1] .

ـ وعن طاووس بن كَيْسان رحمه الله تعالى قال : رآني ابن عباس ، وأنا أُصلي بعد العصر ، فنهاني ، فقلت : إنما كُرِهت أن تُتَّخَذَ سُلَّماً . فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : نهى رسولُ الله ﷺ عن الصلاة بعد العصر ، وقال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[2] وما أدري تُعذَّبُ عليها أم تؤجر . رواه الشافعي وعبد الرزاق والدارمي والبيهقي والخطيب البغدادي[3] . والنصوص في ذلك كثيرة ، فانظرها في الأصل .

*** ومن محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية : أنهم كانوا رضي الله تعالى عنهم يقولون إذا سُئلوا عن أمرٍ موجودٍ في السنة النبوية ، ولم يوجد في القرآن : كنّا ضُلّالاً فهدانا الله تعالى به ، فبه نقتدي ﷺ[4] :**

فهم لا يعرفون إلا ما سنَّه ﷺ لهم ، ولا يفعلون إلا ما قاله لهم ، وهو ﷺ أعلم بمرادِ الله تعالى وحُكمِه منهم

فعن حبيب بن أبي فُضالة المالكي قال : لما بُني هذا المسجد ـ مسجد الجامع ـ قال : وعمران بن حُصين جالس ، فذكروا عنده الشفاعة ، فقال رجلٌ من القوم :

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الحشر : باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ . وصحيح مسلم : كتاب اللباس والزينة : باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة ، رقم (١٢٠) .

(٢) سورة الأحزاب (٣٦) .

(٣) الرسالة (٤٤٣ ف ١٢٢٠) والمصنف لعبد الرزاق (٢ : ٤٣٣) وسنن الدارمي (١ : ٩٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ٤٥٣) والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١ : ١٤٦ ـ ١٤٧) وانظر الدر المنثور (٥ : ٢٠١) .

(٤) انظر : مسند أحمد ، من نسخة الشيخ أحمد شاكر ، بأرقام (٥٦٩٨ ، ٥٧٥٧) .

يا أبا نُجَيْد ؛ لتحدثونا بأحاديث ما نجدُ لها أصلاً في القرآن ، فغضب عمران بن حُصين ، وقال للرجل : قرأتَ القرآنَ ؟ قال : نعم . قال : وجدتَ فيه صلاةَ المغرب ثلاثاً ، وصلاةَ العشاء أربعاً ، وصلاةَ الغداةِ ركعتين ، والأولى أربعاً ، والعصر أربعاً ؟ قال : لا . قال : فعمّن أخذتم هذا الشأن ؟ ألستم أخذتموه عنا ، وأخذناه عن رسول الله ﷺ ؟

أوجدتم في كل أربعين درهماً درهمٌ ، وفي كل كذا وكذا شاة ، شاة ، وفي كل كذا وكذا بعير كذا ؟ أوجدتم في القرآن ؟ قال : لا ، قال : فعمن أخذتم هذا ؟ أخذناه عن رسول الله ﷺ ؟ وأخذتموه عنا .

قال : وجدتم في القرآن ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ فهل وجدتم هذا طوفوا سبعاً ، واركعوا ركعتين خلف المقام ؟ أوجدتم هذا في القرآن ؟ عمن أخذتموه ؟ ألستم أخذتموه عنا ، وأخذناه عن نبي الله ﷺ ؟

أوجدتم في القرآن لا جلبَ ولا جنبَ ، ولا شِغارَ في الإسلام ؟ قال : لا ، قال : إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «لا جلبَ ، ولا جنبَ ، ولا شِغارَ في الإسلام ،...». الحديث .

زاد الحاكم والطبراني في روايتهما من وجه آخر : فقال الرجل : يا أبا نُجَيْد ؛ أحييتني أحياك الله .

قال الحسن : فما مات ذلك الرجل حتى كان من فقهاء المسلمين . رواه أبو داود والحاكم مختصراً وصححه ، والطبراني والبيهقي واللفظ لهما ، في آخرين[1]. والنصوص في ذلك كثيرة ، وانظر الأصل .

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الزكاة : باب ما تجب فيه الزكاة ، رقم (١٥٦١) والمستدرك (١ : ١٠٩) والمعجم الكبير (١٨ : ١٦٥ ـ ١٦٦) مختصراً ، ورواه فيه (١٨ : ٢١٩ رقم ٥٤٧) مطولاً ، ودلائل النبوة (١ : ٢٥ ـ ٢٦) والسنة (١ : ٥٥٦ ـ ٥٥٧) والشريعة (١ : ٤١٦ ـ ٤١٧).

*** ومن محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية : أنهم كانوا إذا جلسوا فيما بينهم فإنهم يتذاكرون أحاديث رسول الله ﷺ لكي يستذكروها ، ثمَّ** لكي يحفظوها ، وقد تكون مذاكرتهم لها في التطبيق العملي ، وقد تكون استعراضاً قولياً .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : أصحابُ النبي ﷺ إذا جلسوا كان حديثُهم ـ يعني الفقه ـ إلا أن يقرأ رجلٌ سورة ، أو يأمر رجلاً بقراءة سورة . رواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي ، والبيهقي في المدخل ، ورواه الخطيب في الجامع والفقيه والمتفقه ـ من غير ذكر أبي سعيد[1] .

ولهذا كانوا رضي الله تعالى عنهم يحثون على مذاكرةِ الحديث الشريف ومُدارستِه ، لإن مذاكرة الحديث إحياء له في صدورهم ، وهي حياة له .

وكل ذلك يدل على مدى حرصِهم رضوان الله تعالى عليهم على حفظ سُنَّة نبيِّهم ﷺ على الوجه الذي يليق بها ، والله تعالى أعلم .

*** ومن محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية : أنهم إذا احتاج أحدهم إلى حديث لم يعرفه أو لم يسمعه من النبي المصطفى الكريم ﷺ ، ذكَّر الصحابةَ الكرام رضي الله تعالى عنهم به ، وسألهم عنه إن كان عند أحدِهم** حتى يذهب إليه ، ويعمل به .

ـ فعن قبيصة بن ذؤيب قال : جاءت الجدَّة إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لتسأله ميراثَها ، فقال لها أبو بكر : ما لكِ في كتاب الله شيء ، وما أعلمَّ لكِ في سنة نبي الله ﷺ شيئاً ، فارجعي حتى أسأل الناس ، فسألَ الناسَ ، فقال له المغيرة بن شعبة : حضرتُ رسول الله ﷺ أعطاها السدس . فقال أبو بكر :

---

(١) المستدرك (١ : ٩٤) والمدخل للبيهقي (٢٨٨) والجامع لأخلاق الراوي (٢ : ٦٨) من نسخة الطحان ، وَ (٢ : ١٢٧) من نسخة محمد رأفت سعيد ، وفي الفقيه والمتفقه (٢ : ١٢٦).

هل معك غيرُك ؟ فقام محمد بن مَسْلَمَة الأنصاريُّ فقال مثل ما قال المغيرة ، فأنفذه لها أبو بكر . رواه مالك وأصحاب السنن وأحمد وابن الجارود ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم ، في آخرين[1].

ـ وعن ابن عباس ، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهم أنه نشد الناسَ قضاءَ النبي ﷺ في ذلك ـ يعني في الجنين ـ فقام حمل بن مالك بن النابغة الهذلي فقال : كنت بين امرأتين لي ـ يعني ضرَّتين ـ فضربَتْ إحداهُما الأخرى بمسطح فقتلَتْها ، وقتلتْ جنينَها ، فقضى رسول الله ﷺ في الجنين بغُرَّةٍ ؛ عبدٍ أو أَمَةٍ . فقال عمر : الله أكبر ، لو لم نسمع بهذا لقضينا بغيره . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم ، ورواه الشافعي وأبو داود والنسائي من طريق طاووس عن عمر رضي الله تعالى عنه[2]، والحديث ثابت في الصحيحين من طريق أبي

---

(١) الموطأ : كتاب الفرائض : باب ميراث الجدة ، رقم (٤) ومصنف عبد الرزاق (١٠ : ٢٧٤ ـ ٢٧٥) وسنن سعيد بن منصور (١ : ٣ : ٣١ رقم ٨٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١١ : ٣٢٠ ـ ٣٢١) وسنن أبي داود : كتاب الفرائض : باب في الجدة ، رقم (٢٨٩٤) وسنن الترمذي : كتاب الفرائض : باب ما جاء في ميراث الجدة ، رقم (٢١٠٠ ، ٢١٠١) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب الفرائض : باب ذكر الجدات والأجداد ،... وباب ذكر اسم هذا الرجل الذي أدخل بين الزهري وبين قبيصة (٤ : ٧٣ ـ ٧٥ من طرق) وتحفة الأشراف (٨ : ٣٦١) وسنن ابن ماجه : كتاب الفرائض : باب ميراث الجدة ، رقم (٢٧٢٤) ومسند أحمد (٤ : ٢٢٥ ، ٢٢٥ ـ ٢٢٦) والمنتقى لابن الجارود (٣٢٠ ـ ٣٢١) وسنن الدارمي (٢ : ٢٥٩ ـ ٢٦٠) والمعجم الكبير (١٩ : ٢٢٨ ـ ٢٣٠ من طرق) (٢٠ : ٤٣٧ ـ ٤٣٩) ومسند الشاميين (٣ : ٢٢٠ ـ ٢٢٢) ومسند أبي يعلى (١ : ١١١ ـ ١١٢) والمستدرك (٤ : ٣٣٨) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٣٩٠ ـ ٣٩١) وموارد الظمآن (٣٠٠) وشرح السنة (٨ : ٣٤٥ ـ ٣٤٦) والسنن الكبرى للبيهقي (٦ : ٢٣٤) وانظر التلخيص الحبير (٣ : ٨٢).

(٢) الأم (٦ : ٩٣) والرسالة (٤٢٦) والسنن (رقم ٦٠٠) والمسند (٢٤١ ، ٣٤٨) ومصنف =

هريرة والمغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنهما .

*** ومن محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية الشريفة : احترامها وتعظيمها وتوقيرها والانقياد لها :**

إن احترام السنة النبوية الشريفة وتوقيرها من احترام الصادرة عنه ﷺ وتوقيره ، وتعظيمه والتسليم له ، والانقياد لأمره ، وقد بلغ الصحابة رضي الله تعالى عنهم المثل الأعلى في ذلك ، إذ لم يكن احترامهم وتعظيمهم للسنة النبوية الشريفة في حياة النبي الكريم ﷺ فحسب ؛ بل كان هذا دأبهم رضي الله تعالى عنهم ، حتى بعد انتقاله ﷺ من عالم الدنيا إلى الرفيق الأعلى .

وقد وردت نصوص كثيرة عنهم رضي الله تعالى عنهم ـ تقدم بعضها ـ كلها تدل على مدى تمسكهم رضي الله تعالى عنهم بالسنة النبوية الشريفة ، والمحافظة عليها ، والتسليم لها ، واحترامها ، وتعظيمها ، وتوقيرها .

وقد عقد الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه (الفقيه والمتفقه) باباً بهذا العنوان ، ذكر فيه كثيراً من النصوص عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين رحمهم الله تعالى ، كلها تدل على هذا المعنى ، أذكر واحداً منها ، مع عزوه إلى مصادره الأصلي ، إن شاء الله تعالى .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : من سرَّه أن يلقى الله غداً مسلماً ؛ فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس ، حيث ينادى بهن ، فإن الله

= عبد الرزاق (١١ : ٥٧ ، ٥٨) وسنن الدارمي (٢ : ١١٧) ومسند أحمد (٤ : ٧٩ ـ ٨٠) وسنن أبي داود : كتاب الديات : باب دية الجنين ، رقم (٤٥٧٢) وسنن النسائي : كتاب القسامة : باب قتل المرأة بالمرأة ، وباب دية جنين المرأة (٨ : ٢١ ـ ٢٢ ، ٤٧) وسنن ابن ماجه : كتاب الديات : باب دية الجنين ، رقم (٢٦٤١) والمعجم الكبير (٤ : ٩) وسنن الدارقطني (٣ : ١١٥ ـ ١١٧) والمستدرك (٣ : ٥٧٥) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٣٧٨) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ ، ١١٤ ، ١١٥).

شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر فيحسن الطُّهور ، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد ؛ إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ، ويرفعه بها درجة ، ويحط عنه بها سيئة ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف . رواه مسلم(١).

*** لذا كانوا رضي الله تعالى عنهم ينكرون أشد الإنكار على من لم تطب نفسه بالسنة ، أو كان يستهزىء بها :**

ـ فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «بينما رجلٌ يتبختر في بردين ؛ خسف الله به الأرضَ ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» فقال له فتى ـ قد سماه ـ وهو في حلةٍ : يا أبا هريرة ؛ أهكذا كان يمشي ذلك الفتى الذي خسف به ؟ ثم ضرب بيده ، فعثر عثرة كاد ينكسر منها ، فقال أبو هريرة : للمنخرين والفم ، ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ وهذا لفظ الدارمي ، والحديث متفق عليه(٢).

قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : يا أيها الناس ؛ لا عذر لأحدٍ بعد السنة ، في ضلالةٍ ركبها حسبها هدى ، ولا في هدىً تركه حسبه ضلالةً ، قد بينت الأمور ، وثبتت الحجة(٣).

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب صلاة الجماعة من سنن الهدى ، رقم (٢٥٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب اللباس : باب من جر ثوبه من الخيلاء . وصحيح مسلم : كتاب اللباس : باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه ، رقم (٤٩ ـ ٥٠) وسنن الدارمي (١ : ٩٦ رقم ٤٤٣).

(٣) الفقيه والمتفقه (١ : ١٤٨).

وعن أبي الشعثاء رحمه الله تعالى قال : كنا قعوداً في المسجد مع أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، فأذَّن المؤذن ، فقام رجل من المسجد يمشي ، فأتبعه أبو هريرة بصرَه حتى خرج من المسجد ، فقال أبو هريرة : أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ . رواه مسلم(١).

وقد بلغ الأمر ذروته في الإنكار على من خالف السنة فلم يعمل بها ، في حديث حذيفة رضي الله تعالى عنه حيث إنه رأى رجلاً لا يتم الركوع والسجود ، فلما قضى صلاته ، قال له حذيفة رضي الله تعالى عنه : ما صليت ، قال أبو وائل (الراوي عن حذيفة) : وأحسبه قال : لو متَّ متَّ على غير سنة محمد ﷺ . رواه البخاري(٢).

لأن من تعظيم السنة واحترامها العملَ بها وتطبيقها ، فلما كان هذا المصلي غير مطبِّقٍ لها ، كان مضيِّعاً ومخالفاً لهدي رسول الله ﷺ ، نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ، ويرزقنا حسن الاتباع الكامل لنبيه وحبيبه ﷺ .

*** ومن محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية : مراجعة بعضهم بعضاً عند التشكك** ، لعل المحدّث وَهِم أو أخطأ ، أو دخل عنده حديث في حديث ،... فيراجعونه في ذلك ليتثبَّتوا من صحة نقله ، وإضافته إلى النبي المصطفى الكريم ﷺ . وهذا الأمر مهمٌّ جدّاً ، وهذه المراجعة قد اتخذت أشكالاً متعددة ، فمن ذلك :

أ ـ مراجعة المُحدِّث ليتدبَّر الحديث الذي حدَّث به :

فعن عمرو بن عَبَسَة رضي الله تعالى عنه ـ في قصة إسلامه ، وهو حديث

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن ، رقم (٢٥٨ ، ٢٥٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب إذا لم يتم السجود ، وفي كتاب الأذان : باب إذا لم يتم السجود . أيضاً .

طويل ، رواه مسلم في صحيحه[1]، وقد أسلم في مكة ، ثم رجع إلى قومه ، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، ولما بلغ عَمْراً هجرةُ النبي الكريم ﷺ وتسارع الناس إلى الإسلام قدم إلى المدينة . قال عمرو : فقدمت المدينة ، فدخلت عليه ، فقلت : يا رسول الله ؛ أتعرفني ؟ قال : «نعم ، أنت الذي لقيتني بمكة ؟» قال : فقلتُ : بلى ، فقلت : يا نبي الله ؛ أخبرني عما علَّمك الله وأجهله ،... فذكر الصلاة ،... والوضوء وما فيه .

فحدَّث عَمْرو بن عبَسَة بهذا الحديث أبا أمامة صاحبَ رسول الله ﷺ ، فقال له أبو أمامة : يا عمرو بنَ عَبَسَة ؛ انظر ما تقول ، في مقام واحدٍ يُعطى هذا الرجلُ ؟

فقال عمْرو : يا أبا أمامة ؛ لقد كبرت سني ، ورقَّ عظمي ، واقترب أجلي ، وما بي حاجة أن أكذب على الله ، ولا على رسوله ﷺ ، لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً (حتى عدَّ سبع مرات) ما حدَّثت به أبداً ، ولكني سمعته أكثر من ذلك.اهـ لفظ مسلم .

فقول أبي أمامة رضي الله تعالى عنه : (يا عَمْرو بن عَبَسَة ؛ انظر ما تقول) استنكار منه بأن يُعطى الرجل كل هذا في مقام واحد .

وأما قول عمرو بن عبسةَ رضي الله تعالى عنه : (لو لم أسمعه ،... حتى قوله : ولكني سمعته أكثر من ذلك). يريد أنه لو لم يتحقق منه ، ويجزم به لما حدَّث به ، وجاء ذكر المرات بياناً لصورة حاله ، لا أنه يريد رضي الله تعالى عنه أن كثرة عدد السماع شرط في الرواية ، لأن من سمعه مرة واحدة جاز له الرواية به ، بل يتعين عليه إذا انفرد ، والله تعالى أعلم[2].

(١) صحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب إسلام عمرو بن عَبَسَة ، رقم (٢٩٤).

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم (٦ : ١١٨) والأبي والسنوسي (٢ : ٤٣٩).

ب ـ ومن صور التنقير والتثبت إعادة السؤال بعد فترة من الزمن ، حتى يتثبَّت السائل من حفظ المسؤول :

ومن ذلك ما رواه الشيخان[1] ـ واللفظ لمسلم ـ بسنديهما إلى عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال : قالت لي عائشة رضي الله تعالى عنها : يا ابن أختي ؛ بلغني أن عبد الله بن عَمرٍو مارٌّ بنا إلى الحج ، فالْقَه فسائله ، فإنه قد حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً . قال : فلقيته ، فساءلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله ﷺ .

قال عروة : فكان فيما ذكر ؛ أن النبي ﷺ قال : «إن الله لا ينتزعُ العلمَ من الناس انتزاعاً ، ولكن يقبضُ العلماءَ فيرفعُ العلمَ معهم ، ويُبقي في الناس رؤوساً جهّالاً ، يُفتونهم بغير علم ، فيَضلون ويُضلون».

قال عروة : فلما حدَّثتُ عائشة بذلك ، أعظمت ذلك وأنكرته ، قالت : أَحَدَّثك أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول هذا ؟

قال عروة : حتى إذا كان قابِلٌ ؛ قالت له : إن ابنَ عَمْرو قد قدِم ، فالْقَه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العِلم ، قال : فلقيتُه ، فساءلته ، فذكره لي نحو ما حدَّثني به في المرة الأولى .

قال عروة : فلما أخبرتها بذلك قالت : ما أحسبه إلا قد صدق ، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم يَنْقُص .

فقد صدَّقتْه حيث إنه لم يغيِّر من روايته شيئاً بعد مرور عام كامل .

ج ـ ومن ذلك أن يُرسل السائل ـ أو السامع ـ إلى صحابي آخر ليتأكد من ضبط الأول وإتقانه ، وهذا كثير أيضاً ، فمن ذلك :

عن عامر بن سعد بن أبي وقاص رحمه الله تعالى أنه كان قاعداً عند عبد الله بن

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب كيف يقبض العلم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب العلم : باب رفع العلم وقبضه ، رقم (١٣ ـ ١٤).

عُمر ، إذ طلع خَبَّابٌ صاحب المقصورة ، فقال : يا عبد الله بن عُمر ، ألا تسمعُ ما يقول أبو هريرة ؟ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «من خرج مع جنازة من بيتها ، وصلّى عليها ، ثم تبعها حتى تُدفن ؛ كان له قيراطان من أجر ؛ كلُّ قيراط مثلُ أُحدٍ ، ومن صلّى عليها ثم رجع ؛ كان له من الأجر مثل أُحد».

فأرسل ابن عمر خبّاباً إلى عائشة يسألُها عن قول أبي هريرة ، ثم يرجعُ إليه فيخبرُه ما قالت ، وأخذ ابنُ عمر قبضةً من حصباءِ المسجد يُقلِّبها في يده ، حتى رجع إليه الرسول ، فقال : قالت عائشة : صدق أبو هريرة . فضرب ابن عمر بالحصى الذي كان في يده الأرضَ ، ثم قال : لقد فرَّطنا في قراريط كثيرة . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

فلما صدَّقت السيدة عائشة أبا هريرة ، قال ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهم ـ : لقد فرَّطنا في قراريط كثيرة ، متندِّماً على ما كان يفعله ، حيث كان يصلي ولا يتْبَع ـ وهو الحريص على الخير .

كل ذلك حرصاً منهم رضي الله تعالى عنهم على سنة رسول الله ﷺ .

د ـ ومن ذلك : أن يكتب السامع إلى صحابي آخر غير موجود في مصره ـ أو البلد الذي سمع فيه ـ ليتأكد من صحة نسبة الخبر الذي سمعه ، وهذا كثير أيضاً .

ـ فعن سمرة بن جُنْدُب رضي الله تعالى عنه قال : سكتتان حفظتُهما عن رسول الله ﷺ . فأنكر ذلك عمران بن حصين ، وقال : حفظنا سكتة ، فكتبا في ذلك إلى أبي بن كعب بالمدينة . فكتب أُبيٌّ : أن حفظ سمرة . رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وصححه ابن حبان والحاكم وأقره الذهبي ، والدارقطني[2].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب فضل اتباع الجنائز . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها ، رقم (٥٢ ـ ٥٧).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٧ ، ١١ ـ ١٢ ، ١٥ ، ٢٠ ، ٢١) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب =

هـ ـ ومن ذلك : أن يأخذ من حدَّثه إلى من كان قد سمعه منه ، ليتأكد من صحة نسبة الحديث الذي حدَّثه به عنه ، حتى يأخذ به السامع .

عن نافع رحمه الله تعالى ، أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال له رجلٌ من بني ليث : إن أبا سعيد الخدري يأثرُ هذا عن رسول الله ﷺ ـ قال نافع : فذهب عبد الله وأنا معه والليثي ، حتى دخل على أبي سعيد الخدري ، فقال : إن هذا أخبرني أنك تخبر أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الوَرِق بالوَرِق إلا مثلاً بمثل ، وعن بيع الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل . فأشار أبو سعيد بإصبعيه إلى عينيه وأذنيه ، فقال : أبصرتْ عيناي وسمعتْ أذناي رسولَ الله ﷺ يقول : «لا تبيعوا الذهب بالذهب ، ولا تبيعوا الوَرِق بالوَرِق ، إلا مثلاً بمثل ، ولا تُشِفُّوا بعضه على بعض ، ولا تبيعوا شيئاً غائباً منه بناجزٍ ، إلا يداً بيد». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

فلما حدَّث أبو سعيد عبدَ الله بنَ عمر رضي الله تعالى عنهم ، صار ينهى عنه ، بعد أن كان أفتى به[2]. رضي الله تعالى عنهم .

و ـ ومن ذلك : أن يعرض على من حضره منهم ليخبروه بصدق قوله ،

= السكتة عند الافتتاح ، رقم (٧٧٧ ـ ٧٨٠) وسنن الترمذي : باب ما جاء في السكتة في الصلاة ، رقم (٢٥١) وسنن ابن ماجه : باب في سكتتي الإمام ، رقم (٨٤٤ ، ٨٤٥) كلاهما في الصلاة ، وصحيح ابن حبان (٣ : ١٤٧) والمستدرك (٥ : ٢١٥) وسنن الدارقطني (١ : ٣٣٦). وتحسين الترمذي رحمه الله تعالى للخلاف في سماع الحسن من سمرة ، وقد صحح عدداً من رواياته .

(١) صحيح البخاري : كتاب المساقاة : باب بيع الفضة بالفضة . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب الربا ، رقم (٧٦).

(٢) انظر : صحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب بيع الطعام مثلاً بمثل ، رقم (١٠٠). وانظر فتح الباري (٤ : ٣٨٠).

وصحة نسبة الحديث إلى رسول الله ﷺ ، وقد يستحلف بعضهم على ذلك .

فعن أبي المنهال رحمه الله تعالى قال : سألتُ البراءَ بن عازب رضي الله تعالى عنهما عن الصَّرف ؟ فقال : سل زيد بن أرقم فهو أعلم ، فسألت زيداً ، فقال : سل البراء فإنه أعلم ، ثم قالا : نهى رسول الله ﷺ عن بيع الوَرِق بالذهب ديناً . متفق عليه ، واللفظ لمسلم(١).

وعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ـ حين حوصر ، أشرف عليهم وقال : أنشدكم بالله ؛ ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : «من حفر رومة»

وعند النسائي والترمذي ـ أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وليس بها ماء يُستعذب غير بئر رومة ، فقال : «من يشتري بئر رومة فيجعلُ فيها دلوَه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة» فاشتريتها من صلب مالي ، فجعلتُ دلوي فيها مع دلاء المسلمين ،... الحديث بطوله ، رواه البخاري ـ تعليقاً ـ والترمذي والنسائي(٢).

ز ـ ومن ذلك أيضاً : أن يَحلِفَ المُحَدِّثُ نفسُه إذا شعر بتشكك السامع ، وهذا كثير أيضاً .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، لما توفي سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قالت : ادخلوا به المسجد حتى أصلي عليه ، فأُنكر ذلك عليها ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب بيع الوَرِق بالذهب نسيئة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب النهي عن بيع الوَرِق بالذهب ديناً ، رقم (٨٦ ، ٨٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الوصايا : باب إذا وقف أرضاً أو بئراً ،... وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب عثمان ، رقم (٣٦٩٩) وسنن النسائي : كتاب الأحباس : باب وقف المساجد (٦ : ٢٣٣ ـ ٢٣٧) من طرق ، وانظر : فتح الباري (٥ : ٤٠٧).

فقالت : والله لقد صلّى رسولُ الله ﷺ على ابنَيْ بيضاء في المسجد ؛ سهيل وأخيه . رواه مسلم(١).

فقد حلفت لما أنكروا طلبَها وطلبَ أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن إدخال جنازة سعد رضي الله تعالى عنه إلى المسجد ، وذلك لنسيانهم ، فحلفت مذكرةً لهم ، فسلَّموا لها ذلك .

ح ـ ومن ذلك أيضاً : أن يذْكرَ المُحَدِّثُ منهم ما يؤكد حفظه وضبطه وإتقانه ، وهذا كثير أيضاً .

فعن أبي اليَسر رضي الله تعالى عنه ـ في قصة حديثه الطويل ـ وقد رواه مسلم(٢) ـ وفي آخره قصة محوه للصحيفة التي فيها الدَّيْن ، ثم قال : فأشهد بَصَرُ عينيَّ هاتين (ووضع أصبعيه على عينيه) وسَمْعُ أذنيَّ هاتين ، ووعاه قلبي هذا (وأشار إلى مناط قلبه) رسولَ الله ﷺ وهو يقول : «من أنظر معسراً ، أو وضع عنه ؛ أظله الله في ظله».

وقد كرر هذا أيضاً في حديث : «أطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون».

وهناك نصوص كثيرة في هذا الباب ، كحديث النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنهما ـ وهو متفق عليه ـ وغيره أيضاً .

ط ـ ومن ذلك أيضاً : أن يستحلف السامعُ من حدَّثه عن رسول الله ﷺ حتى يتأكد من صحة سماعه ، حفاظاً على حديث رسول الله ﷺ .

وقد ضرب علي بنُ أبي طالب رضي الله تعالى عنه المثلَ في هذا الباب .

فعنه رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ شيئاً

(١) صحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب الصلاة على الجنازة في المسجد ، رقم (٩٩ ـ ١٠١).
(٢) صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق : باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليَسَر ، رقم (٧٤).

نفعني الله منه ما شاء ، وإذا حدَّثني غيره استحلفتُه ، وحدَّثني أبو بكر رضي الله تعالى عنه ، وصَدق أبو بكر ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «ما مِن رجل يُذنبُ ذنباً ، فيتوضّأُ ، فيُحسنُ الوضوءَ ، ويصلّي ركعتين ، فيستغفر الله عز وجل ؛ إلّا غُفر له» ثم قرأ هذه الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ،... ﴾ إلى آخر الآية[1]. رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة والحُميدي والأربعة والبزار وأبو يعلى وغيرهم ، وحسنه الترمذي وابن عدي والبغوي والحافظ ابن حجر ، وصححه ابن حبان ، وقال ابن عدي : أرجو أن يكون صحيحاً[2].

ي ـ ومن ذلك أيضاً : أن يذكر من كان حاضراً معه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم عند سماعهم الحديثَ من رسول الله ﷺ ، وطلبه من سامعيه أن يسأل الذي يشير إليه ، زيادة في اطمئنان السامع :

فعن أبي حُميد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال : استعمل النبيُّ ﷺ رجلاً

---

(١) سورة آل عمران (١٣٥).

(٢) مسند الطيالسي (٢ ، ٢ ـ ٣) ومسند الحميدي (١ : ٢ ، ٤ ـ ٥) ومسند أحمد (١ : ٢ ، ٨ ـ ١٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٢ : ٣٨٧ ـ ٣٨٨) ومسند أبي بكر للمروزي (٤٢ ـ ٤٤ من طرق) وسنن أبي داود : كتاب الصلاة : باب في الاستغفار ، رقم (١٥٢١) وسنن الترمذي : كتاب الصلاة : باب ما جاء في الصلاة عند التوبة ، وكتاب التفسير : ومن سورة آل عمران ، رقم (٤٠٦ ، ٣٠٠٦) والسنن الكبرى للنسائي (٦ : ١٠٩ ، ١١٠ من طرق ، ٣١٥) وعمل اليوم والليلة له (٣١٥ ـ ٣١٧ من طرق) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب ما جاء أن الصلاة كفارة ، رقم (١٣٩٥) وعمل اليوم والليلة لابن السنّي (٢١٨ ـ ٢١٩) والبحر الزخّار (١ : ٦١ ـ ٦٢ من طرق) ومسند أبي يعلى (١ : ٩ ـ ١١ ، ٢٣ ـ ٢٦ من طرق) وشرح السنة (٤ : ١٥١ ـ ١٥٢) والكامل لابن عدي (١ : ٤٢٠ ـ ٤٢١) وقال : هذا حديث طريقه حسن ، وأرجو أن يكون صحيحاً ، وتهذيب التهذيب (١ : ٢٦٨) وجوَّد إسنادَه هنا ، وفتح الباري (١١ : ٩٨) وحسّنه هنا .

من بني أسد يقال له : ابنُ اللتبية ، على صدقة ،... الحديث وفيه قوله ﷺ : «...والذي نفسي بيده لا يأتي بشيءٍ إلا جاء به يومَ القيامة ، يحمله على رقبته ، إن كان بعيراً له رغاء ، أو بقرةً لها خوار ، أو شاةً تيعر ـ ثم رفع يديه ، حتى رأينا عُفرتي إبطيه ـ ألا هل بلَّغتُ ؟ ثلاثاً».

زاد في رواية : قال أبو حُميد : سمع أذناي ، وأبصرتْه عيني ، وسلوا زيد ابن ثابت ، فإنه سمعه معي [وفي رواية : فإنه كان حاضراً معي]. متفق عليه(١).

زاد في أخرى ، قال عروة [بن الزبير]: فقلت لأبي حُميد الساعدي : أسمعتَه من رسول الله ﷺ ؟ فقال : مِن فيه إلى أذني .

ك ـ ومن ذلك أيضاً : تنقير الصحابة ـ أو التابعين ـ على الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، بأن لا يحدِّثوهم إلا بما سمعوا من النبي الكريم ﷺ مباشرة ؛ كأن يقول أحدهم : حدِّثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ . أو ليس بينك وبينه أحد ، أو لم تسمعه من غيره ، ونحو ذلك . والأمثلة في ذلك كثيرة .

فعن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنهما ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ لعليٍّ : «أنت مني بمنزلة هرون من موسى ، إلا أنه لا نبيَّ بعدي».

قال سعيد : فأحببتُ أن أشافه به سعداً ، فلقيتُ سعداً ، فحدَّثتُه بما حدَّثني عامر . فقال : أنا سمعتُه ، فقلتُ : آنت سمعته ؟ فوضع إصبعيه على أذنيه ، فقال : نعم ، وإلّا فاستكّتا . رواه مسلم(٢).

وعن عبد الله بن شقيق رحمه الله تعالى ، عن ابن أبي الجدعاء رضي الله تعالى

(١) صحيح البخاري : كتاب الأحكام : باب هدايا العمال ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب تحريم هدايا العمال ، رقم (٢٦ ـ ٢٩).

(٢) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل علي بن أبي طالب ، رقم (٣٠).

عنه ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : «ليدخلن الجنةَ بشفاعة رجل من أمتي : أكثرُ من بني تميم».

فقالوا : يا رسول الله ؛ سواك ؟ قال : «سواي ، سواي».

قلت [القائل عبد الله بن شقيق]: أنت سمعتَه من رسول الله ﷺ ؟ قال : أنا سمعته . رواه أحمد وابن ماجه وابن خزيمة ، وصححه ابن حبان والحاكم[(١)].

وعن عَبيدة السَّلْماني رحمه الله تعالى ، عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال : فيهم - أي في الخوارجَ - رجلٌ مُخْدَجُ اليد - أو مَثْدونُ اليد - لولا أن تَبْطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ .

قال : قلت : آنت سمعتَه من محمد ﷺ ؟ قال : إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة ، إي ورب الكعبة . رواه مسلم[(٢)].

وهناك غير ما ذكرت من مظاهر التنقير والتثبت ، وقد فعل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ذلك كلّه من باب المحافظة على السنة النبوية الشريفة ، والحرص عليها ، حتى لا يدخل دخيلٌ ، أو يتصدّى فيها من ليس أهلاً لذلك ، والله تعالى أعلم .

* **ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم ﷺ : تصديق بعضهم لبعض** ، وذلك بأن يحدِّث أحدُهم أمام الآخرين ، ثم يسألهم عن ذلك ، أو ينقل فعلاً من أفعال النبي المصطفى الكريم ﷺ ، ثم يطلب تأكيدَهم عليه ،...

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٦٩ - ٤٧٠ ، ٤٧٠) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب ذكر الشفاعة ، رقم (٤٣١٦) وصحيح ابن حبان (١٦ : ٣٧٦) والمستدرك (١ : ٧٠ - ٧١) وكتاب التوحيد (٢ : ٧٤٠) ورواه غيرهم ؛ كأحمد والدارمي والترمذي في آخرين ، لكن من غير الجملة الأخيرة .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب التحريض على قتل الخوارج ، رقم (١٥٥).

وهكذا ، وهذا كثير جدّاً أيضاً .

فعن مالك بن أوس رضي الله تعالى عنه قال : بينما أنا جالس في أهلي حين مَتَع النهار ، إذا رسولُ عمر بن الخطاب يأتيني ، فقال : أجب أمير المؤمنين ، فانطلقت معه حتى أدخل على عمر ، فإذا هو جالس على رِمال سرير ، ليس بينه وبينه فِراش ، متكىءٌ على وسادةٍ من أَدَم ، فسلمتُ عليه ، ثم جلست ،... فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبُه يَرْفَأُ ، فقال : هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص يستأذنون ؟ قال : نعم ، فأذن لهم ، فدخلوا ، فسلّموا ، وجلسوا ، ثم جلس يرفأ يسيراً ، ثم قال : هل لك في علي وعباس ؟ قال : نعم ، فأذن لهم ، فدخلا ، فسلّما ، فجلسا .

فقال عباس : يا أمير المؤمنين ؛ اقض بيني وبين هذا ـ وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله ﷺ من مال بني النضير ـ فقال الرهط ؛ عثمان وأصحابه : يا أمير المؤمنين ؛ اقضِ بينهما ، وأرح أحدَهما من الآخر .

فقال عمر : تَيِدَكم[1]، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : «لا نُورث ، ما تركنا صدقة» ؟ يريد رسولُ الله ﷺ نفسَه . قال الرهط : قد قال ذلك ـ وفي رواية : قالوا : نعم .

فأقبل عمرُ على عليٍّ وعباس ، فقال : أنشدكما بالله ، أتعلمان أن رسول الله ﷺ قد قال ذلك ؟ قالا : قد قال ذلك ـ وعند مسلم : قالا : نعم ـ... الحديث بطوله ، متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

---

(١) بفتح أوله وفتح الدال ، وكسر التحتانية ، مهموز ، وهو من الرفق ، أي اصبروا وأمهلوا وعلى رسلكم .

(٢) صحيح البخاري : كتاب فرض الخمس : باب فرض الخمس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد : باب حكم الفيء ، رقم (٤٩).

ففي هذا الحديث تصديقُ الصحابة الكرام عثمان وعلي والعباس والزبير وعبد الرحمن وسعد رضي الله تعالى عنهم لعمر رضي الله تعالى عنه فيما سألهم من سماعهم لهذا الحديث ، كما فيه استحلافهم على سماعهم ومناشدته لهم .

تنبيه : قاتل الله تعالى من زعم أن أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما منعا أهلَ البيت حقَّهم من رسول الله ﷺ ، وهذه شهادة سيدَيْ أهل البيت عليٍّ والعباس ـ مع بقية إخوانهم رضي الله تعالى عنهم جميعاً ـ أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول ذلك ، وقد سمع هذا الحديث من رسول الله ﷺ كثيرٌ من الصحابة غير هؤلاء ، لأنه متواتر ، والله تعالى أعلم .

*** ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم ﷺ : إنكارهم على من قال بخلاف ما عندهم ، وتخطئة من قال بخلاف ما سمعوه** من النبي المصطفى الكريم ﷺ ، أو بخلاف ما يعلمونه من السنة ، كقولهم : كذب فلان ، أو كذبتَ ، أو من قال بغير ذلك فقد كذب ، أو من قال كذا فقد كذب ، ونحو ذلك ، وكذب بلغة أهل الحجاز بمعنى أخطأ .

فعن جابر بن سمُرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله ﷺ كان يخطب قائماً ، ثم يجلس . ثم يقوم فيخطب قائماً . فمن نبَّأك أنه كان يخطب جالساً فقد كذب ، فقد والله ، صليتُ معه أكثر من ألفَي صلاة . رواه مسلم[1]

وعن سعيد بن جُبير رحمه الله تعالى قال : قلت لابن عباس : إن نَوْفاً البِكَالِيَّ يزعم أن موسى عليه السلام صاحبَ بني إسرائيل ليس هو موسى صاحبَ الخضر عليه السلام ، فقال : كذب عدوُّ الله ، سمعتُ أُبيَّ بنَ كعب يقول : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل ،

(١) صحيح مسلم : كتاب الجمعة : باب ذكر الخطبتين قبل الصلاة وما فيهما من الجلسة ، رقم (٣٥).

فسُئل : أيُّ الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرُدَّ العلمَ إليه ، فأوحى الله إليه : إن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منكَ . قال موسى : أي ربِّ ، كيف لي به ؟ فقيل له : احمل حوتاً في مكتل ، فحيث تفقد الحوتَ فهو ثمَّ ،...» الحديث بطوله ، في قصة موسى والخضر عليهما السلام ، بنحو ما حكاه القرآن الكريم . متفق عليه[1].

قوله : كذب عدوُّ الله : قال ابنُ التين رحمه الله تعالى : لم يرد ابن عباس إخراجَ نَوفٍ من ولاية الله ، ولكن قلوب العلماء تنفر إذا سمعت غيرَ الحق ، فيطلقون أمثال هذا الكلام لقصد الزجر والتحذير منه ، وحقيقتُه غيرُ مرادة .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : أما تكذيبُه ؛ فيُستفاد منه : أن العالِمَ إذا كان عنده علمٌ بشيءٍ ، فسمع غيرَه يذكر فيه شيئاً بغير علم أن يكذِّبه[2]،...اهـ.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال : سمعت هشامَ بن حكيم يقرأ سورةَ الفرقان ؛ في حياة رسول الله ﷺ ، فاستمعتُ لقراءته ، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة ؛ لم يُقرئنيها رسولُ الله ﷺ ، فكدتُ أساوره في الصلاة ، فتصبَّرتُ حتى سلَّم ، فلببته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتُك تقرأ ؟ قال : أقرئنيها رسول الله ﷺ . فقلتُ : كذبتَ ، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأتَ ،... الحديث بطوله ، في نزول القرآن على سبعة أحرف ، وليقرأ المسلم بما تيسر له . متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب ما يستحب للعالم إذا سُئل أيُّ الناس أعلم فيكل العلمَ إلى الله ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب من فضائل الخضر عليه السلام ، رقم (١٧٠ ـ ١٧٢).

(٢) فتح الباري (١ : ٢١٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، رقم =

والنصوص في هذا الباب كثيرة ولله الحمد والمنة .

*** ـ ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم ﷺ : طلب من يشهد لما حدَّث به ، وذلك عند التشكك من صحة الرواية ، أو عند خوف الخطأ فيها ، أو لرغبة التثبت ، ونحو ذلك :**

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : كنا في مجلسٍ عند أُبي بن كعبٍ ، فأتى أبو موسى الأشعريُّ مغضَباً حتى وقف ، فقال : أنشدكم الله ؛ هل سمع أحدٌ منكم رسول الله ﷺ يقول : «الاستئذان ثلاثٌ ، فإن أُذن لك ، وإلّا فارجع» .

قال أُبيٌّ : وما ذاك ؟ قال : استأذنتُ على عُمر بنِ الخطاب أمسِ ثلاثَ مرّات ، فلم يُؤذن لي ، فرجعتُ ، ثم جئتُه اليومَ ، فدخلتُ عليه ، فأخبرتُه أني جئتُ أمسِ فسلَّمتُ ثلاثاً ، ثم انصرفتُ . قال : قد سمعناك ونحن على شغل ، فلو ما استأذنتَ حتى يُؤذنَ لك ؟ قال : استأذنتُ كما سمعتُ رسول الله ﷺ . قال : فوالله لأُوجعنَّ ظهرَك وبطنَك ، أو لتأتينَّ بمن يشهد لك على هذا .

قال أُبيُّ بنُ كعبٍ : فوالله لا يقوم معك إلّا أحْدَثُنا سِنّاً . قم يا أبا سعيد ، فقمتُ حتى أتيتُ عمر ، فقلت : قد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول هذا . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1] . وله ألفاظ عدة عند غيرهما .

وفي بعضها قال : أما إنّي لم أتهمك ، ولكني خشيتُ أن يتقوَّلَ الناسُ على رسول الله ﷺ .

= (٢٧٠ ـ ٢٧١) .

(١) صحيح البخاري : كتاب الاستئذان : باب التسليم والاستئذان ثلاثاً ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الآداب : باب الاستئذان ، رقم (٣٣ ـ ٣٧) وفي بعضها : شهد أُبيُّ ابن كعبٍ رضي الله تعالى عنه أيضاً .

وفي أخرى : أما إني لم أتهمك ، ولكني أردتُ ألّا يتجرّأ الناسُ على الحديث على رسول الله ﷺ .

وفي رواية لهما ، قال : سبحان الله ، إنما أتثبّت .

وبهذه الزيادات يتّضح : أن المراد هو التثبت ، وليس اتهام أبي موسى رضي الله تعالى عنه ، الذي له مكانة مرموقة عند عمر رضي الله تعالى عنه ، والله تعالى أعلم . وهناك عدد من القصص في ذلك .

* **ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم ﷺ : محافظتهم على ما فارقهم عليه رسول الله ﷺ** ، بحيث إن أحدهم يبقى على العهد الذي تركهم عليه رسول الله ﷺ ، وإن كان أحدهم يلاقي بعض الشدة والمشقة في محافظته على ذلك ، لكنهم لا يريدون أن يغيروا شيئاً تركهم عليه رسول الله ﷺ ، وهذا كثير جدّاً ، لكني أقتصر على ذكر مثالين

ـ فعن أبي مسلم الخولاني رحمه الله تعالى قال : حدثني الحبيب الأمين ، أما هو فحبيب إلي ، وأما هو عندي فأمين ؛ عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : كنا عند رسول الله ﷺ ؛ تسعةً ـ أو ثمانيةً ، أو سبعةً ـ فقال : «ألا تبايعون رسول الله ﷺ ؟». وكنا حديثَ عهدٍ ببيعةٍ ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ! ثم قال : «ألا تبايعون رسول الله ؟»فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ! ثم قال : «ألا تبايعون رسول الله ؟» قال : فبسطنا أيدينا وقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعُك ؟ قال : «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات الخمس ، وتطيعوا (وأسرَّ كلمةً خفيةً) ولا تسألوا الناس شيئاً».

فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطُ أحدهم ، فما يسأَلُ أحداً يناوله إياه . رواه مسلم(١).

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب كراهة المسألة للناس ، رقم (١٠٨).

وعن عبد الله بن عَمرو رضي الله تعالى عنهما قال : أنكحني أبي امرأةً ذات حَسَب ، فكان يتعاهد كَنَّتَه ، فيسألها عن بعلها ، فتقول : نِعم الرجلُ من رجل ، لم يطأ لنا فراشاً ، ولم يفتِّش لنا كَنَفَاً منذ أتيناه ، فلما طال ذلك عليه ؛ ذكر للنبي ﷺ ، فقال : «القني به» فلقيته بعدُ ، فقال : «كيف تصوم ؟» قلت : أصوم كلَّ يوم ، قال : «وكيف تختم ؟» قلت : كلَّ ليلة ، قال : «صُم في كل شهر ثلاثةً ، واقرأ القرآن في كل شهر» قال : قلت : أُطيق أكثر من ذلك ، قال : «صُم ثلاثةَ أيام في الجمعة» قال : قلت : أُطيق أكثر من ذلك ، قال : «أفطر يومين وصُم يوماً» قال : قلت : أُطيق أكثر من ذلك ، قال : «صُم أفضل الصوم ؛ صوم داود ؛ صيام يومٍ وإفطار يومٍ ، واقرأ في كل سبع ليالٍ مرةً» فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ ، وذاك أني كبرت وضعفت

فكان عبد الله يقرأ على بعض أهله السُّبعَ من القرآن بالنهار ، والذي يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل ، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى ، وصام مثلهن ، كراهية أن يترك شيئاً فارق النبي ﷺ عليه . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[(١)].

وفي لفظ لأحمد[(٢)]: ثم كان يقول بعد ذلك : لأن أكون قبلتُ رخصةَ رسول الله ﷺ أحب إلي مما عُدل به أو عَدَل ، لكني فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره.اهـ. ورواه بنحوه ابن خزيمة أيضاً.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى[(٣)]: معناه أنه كبر وعجز عن المحافظة على

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن : باب في كم يقرأ القرآن ، وكتاب الصوم : باب حق الجسم في الصوم . وصحيح مسلم : كتاب الصيام : باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به ،... رقم (١٨١ ـ ١٨٢).

(٢) مسند أحمد (٢ : ١٥٨) وصحيح ابن خزيمة (٣ : ٢٩٣ ـ ٢٩٤).

(٣) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (٨ : ٤٣).

ما التزمه ووظّفه على نفسه عند رسول الله ﷺ ، فشق عليه فعله [لعجزه] ولا يمكنه تركه ، لأن النبي ﷺ قال له : «يا عبد الله ؛ لا تكن مثل فلان ، كان يقوم الليل فترك قيام الليل».اهـ.

فلم يعجبه رضي الله تعالى عنهما أن يتركه لالتزامه له ، فتمنى أن لو قَبِل الرخصة ، فأخذ بالأخف .

وهذا كثير في التزام الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم الحالَ التي تركهم عليها رسول الله ﷺ ، سواء التزموا بها أمامه ﷺ ، أو حثَّهم وأمرهم بها ، أو عاهدوه عليها ، أو كانوا يفعلونها في حياته ﷺ ،...إلخ.

* **ومن حفاظهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم ﷺ : ما قام به بعضهم من الرحلات إلى أقطار نائية من أجل سماع حديث** لم يعرفه ، أو لم يسمعه من النبي المصطفى الكريم ﷺ ، أو كان قد سمعه لكنه تشكّك فيه ، فأحب أن يتثبت من روايته ، ويكونون رضوان الله تعالى عليهم بهذا العمل قد فتحوا باب الرحلات في طلب العلم لمن جاء بعدهم من هذه الأمة .

وقد ألف الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى كتاباً خاصاً بذلك حافلاً سماه : (الرحلة في طلب الحديث)[1]. ذكرت في الأصل بعضَ نصوصه .

ـ فمن ذلك : رحلةُ جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما إلى عبد الله ابن أُنَيس رضي الله تعالى عنه ، إلى الشام ، ليسمع منه حديثاً ، في القصاص ، سمعه من رسول الله ﷺ ، فخشي أن يموتَ أحدهما قبل أن يسمعه .

وهو قوله ﷺ : «يُحشر الناس يوم القيامة ـ أو قال : العبادُ ـ عُراةً غُرْلاً بُهْماً ـ» قال : قلنا : وما بُهْماً ؟ قال : «ليس معهم شيء ، ثم يناديهم بصوت يسمعه من

(١) وهو مطبوع ، وخير طبعاته ما فعله أخونا العلامة الفاضل الأستاذ الدكتور الشيخ نور الدين عتر ، سلمه الله تعالى ، فقد حققه تحقيقاً علميّاً ، وأضاف في آخره نصوصاً كثيرة أيضاً .

قَرُب : أنا الملك ، أنا الدَّيّان ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخلَ النارَ وله عند أحد من أهل الجنة حقٌّ حتى أقصه منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخلَ الجنة ولأحد من أهل النار عنده حقٌّ حتى أقصه منه ، حتى اللطمة» قال : قلنا : كيف ، وإنما نأتي الله عز وجل عُراةً غُرْلاً بُهْماً ؟ قال : «بالحسنات والسيئات». رواه أحمد ـ واللفظ له ـ والبخاري في الأدب المفرد ، والخطيب البغدادي ورجاله وثقوا ، وحسنه الهيثمي ، وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي[1].

ـ ومنها خروج أبي أيوب رضي الله تعالى عنه إلى عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه ـ وهو بمصر ـ يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ ، في ستر المؤمن . لم يبق أحد سمعه من رسول الله ﷺ غيره وغير عقبة .

قال عقبة : نعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من ستر مؤمناً في الدنيا على خزية ؛ ستره الله يوم القيامة».

فقال له أبو أيوب : صدقت ، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته ، فركبها راجعاً إلى المدينة ، فما أدركته جائزة مسلمة بن مُخَلَّد إلا بعريش مصر . رواه الحميدي وأحمد والحاكم والطبراني والخطيب ، وأصل الحديث رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود والنسائي والطبراني[2].

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٤٩٥) والأدب المفرد (٣٢٦ رقم ٩٧٣) والجامع لأخلاق الراوي (٢ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦) وشرف أصحاب الحديث (١٠٩ ـ ١١٥) والمستدرك (٢ : ٤٣٧ ـ ٤٣٨) (٤ : ٥٧٤ ـ ٥٧٥) ومجمع الزوائد (١ : ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ، ٣٥١). وانظر : فتح الباري (١ : ١٧٤ ـ ١٧٥). وروى البخاري الرحلة تعليقاً في صحيحه أيضاً ، ورواه الطبراني في الأوسط ، والخطيب في الرحلة (١١٥ ـ ١١٨) لكن قال : في مصر .

(٢) مسند الحميدي (١ : ١٨٩ ـ ١٩٠) ومسند أحمد (٤ : ١٥٣ ، ١٥٩) ومعرفة علوم الحديث (٧ ـ ٨) والرحلة (١١٨ ـ ١٢٣) وجامع بيان العلم (٩٣ ـ ٩٤) ومفتاح الجنة (٣٩) وعزاه للبيهقي . وانظر : سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الستر على المسلم ، رقم (٤٨٩١) =

فهذا أبو أيوب رضي الله تعالى عنه على تقدم صحبته وكثرة سماعه من رسول الله ﷺ ؛ رحل إلى صحابي آخر من أقرانه مسافات بعيدة من أجل حديث واحد ، ولو اقتصر على سماعه لأمكنه ، بل لو اقتصر على سماعه من بعض أصحابه لأمكنه ذلك ، ولكن حفاظهم على سنة نبيهم ﷺ ، وتثبتهم في صحة الألفاظ وضبطها جعلهم يستهينون الصعاب ، ويرحلون ألوفَ الأميال ، ويفارقون الأهلَ والأوطان والأحباب ، ويستسهلون في ذلك المشاق ، رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل .

هكذا ضربوا رضي الله تعالى عنهم أروع الأمثال في الحفاظ على سنة نبيهم الكريم ﷺ .

قال ابن الأثير رحمه الله تعالى[1]: ...حتى لقد كان أحدهم يرحل المراحل ذوات العدد ، ويقطع الفيافي والمفاوز الخطيرة ، ويجوب البلاد شرقاً وغرباً في طلب حديث واحد ، ليسمعه من راويه.اهـ.

رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ، وجزاهم عنا خير ما جزى صحبَ نبيٍّ عن أمة نبيها ، وحشرنا معهم تحت لواء النبي الكريم ﷺ .

*** ومن حفاظهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم ﷺ : ما قام به بعضهم من تدوين الأحاديث التي سمعها من رسول الله ﷺ ، أو حفظها في دواوين مستقلة :**

= والأدب المفرد (٢٥٧ ـ ٢٥٨) ومسند أحمد (٤ : ١٤٧ ، ١٥٨) والسنن الكبرى للنسائي (٤ : ٣٠٧ ، ٣٠٨) وتحفة الأشراف (٧ : ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ، ٣١٥) حيث عزاه للنسائي في الكبرى أيضاً ، والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٣٣١) والأسماء المبهمة (٦٣) والجامع الصغير (٢ : ٦٠٩) والمعجم الكبير (١٧ : رقم ٧٩٥ ، ٨٦٤ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٩٦٢) ومجمع الزوائد (١ : ١٣٤) وقال عن أحد أسانيد أحمد : رجاله ثقات ، فالحديث حسن ، والله تعالى أعلم .

(١) جامع الأصول (١ : ٣٩ ـ ٤٠).

لقد ذكرت في الأصل أن السنة النبوية الشريفة بُدئ بتدوينها في عهد رسول الله ﷺ ، وأن النبي المصطفى الكريم ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى ؛ إلا والسنة النبوية قد كُتب بعضُها ، وأُذن في كتابة الآخر[1].

وقد ازداد الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم بكتابة السنة النبوية بعد وفاة النبي المصطفى الكريم ﷺ ، وكذا فعل كبار التابعين بين يدي الصحابة الكرام ، من غير إنكار منهم ، إلا ما كان في بدء الخلافة الراشدة .

فمن الصحابة الكرام من دوَّن بنفسه لأنه كاتب ، ومنهم من أملى على غيره من الصحابة والتابعين ، لأنه لا يعرف الكتابة ، ومنهم أذن في ذلك ، بل منهم من أَمر بتدوين العلم ، ومنهم من دُوِّن بين يديه ولم ينكر ، ومنهم من كان يكتب لغيره لأنه بعيد عنه ،... وهكذا .

خاصة بعد سماعهم له ﷺ يوم الفتح يأمر بكتابة خطبته لأبي شاهٍ ، وقوله ﷺ لهم في مرض وفاته ـ بأبي هو وأمي ـ : «ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي» وكلاهما في الصحيحين ، مع كتاباته ﷺ لكثير من الأحكام التي أرسلها إلى اليمن والبحرين ، وإلى أمرائه وقادته ،... والله تعالى أعلم .

وأول من دوَّن السنة بعد وفاة النبي المصطفى الكريم ﷺ هو أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، خليفة رسول الله ﷺ .

وقد سبق ذكر حديثي عبد الله بن عَمْرو بن العاص وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم ، في الكتابة . في بحث الكتابة فانظرهما .

* **ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم ﷺ : نشرهم لها ، وبثها بين الناس** ، سواء في المسجد أو غيره ، في الدروس العامة ، أو حلقات

(١) انظر : تدوين السنة النبوية من العهد النبوي إلى زمن التابعين . فقد ذكرت كثيراً من النصوص في ذلك ، سواء في زمن رسول الله ﷺ أو زمن الصحابة أو كبار التابعين .

التحديث ، أو في الخطب ، أو عند نزول النوازل ،... كل ذلك خشية كتم العلم .

فعن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال : والله لأُحدِّثنَّكم حديثاً ، لو لا آيةٌ في كتاب الله ما حدَّثتُكم . إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «لا يتوضأ رجلٌ مسلمٌ فيحسن الوضوءَ ، فيصلّي صلاةً ؛ إلا غَفر الله له ما بينه وبين الصلاة التي تليها». رواه مسلم(١).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثتُ حديثاً ، ثم يتلو ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ ﴾ إلى قوله : ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفقُ بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العملُ في أموالهم ، وإن أبا هريرة كان يلزم رسولَ الله ﷺ بشبع بطنه ، ويحضر مالا يحضرون ، ويحفظ ما لا يحفظون .

وفي رواية : ...وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني ، فأشهد إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا ، ولقد قال رسول الله ﷺ يوماً : «أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا ، ثم يجمعه إلى صدره ، فإنه لم ينس شيئاً سمعه» فبسطت بردةً عَليَّ ، حتى فرغ من حديثه ، ثم جمعتُها إلى صدري ، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئاً حدثني به . متفق عليه(٢).

*** ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم ﷺ : احتياطهم الشديد في أدائها وروايتها :**

(١) صحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب فضل الوضوء والصلاة عقبه ، رقم (٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب حفظ العلم ، وكتاب البيوع : باب ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه ، رقم (١٥٩ ـ ١٦٠).

لقد كانوا رضوان الله تعالى عليهم يحتاطون عند روايتهم للحديث ، ويتحرجون عند ذكرهم له ، خشية التقول على رسول الله ﷺ ، أو عدم أدائهم لفظ رسول الله ﷺ الذي نطق به ، لذا تنوعت حالاتهم ، كما تنوعت أقوالهم في ذلك ، لذا أشير إلى احتياطهم في ذلك :

١ ـ أن يسعى جاهداً أن يروي الحديث بلفظه ، فإن لم يتيقن منه فليأت بعبارة قريبة منه ، ولذا كثر قولهم : نحو هذا ، أو كما قال ، أو شبيهاً بذلك .

٢ ـ النظر في كتاب الله تعالى ، ثم في السنة ، ثم يسأل الناس . وأول من فعل ذلك : أبو بكر ثم عمر رضي الله تعالى عنهما .

فعن قبيصة بن ذؤيب قال : جاءت الجَدَّةُ إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه تسأله ميراثَها ، فقال لها أبو بكر : ما لكِ في كتاب الله شيء ، وما علمت لكِ في سنة رسولِ الله ﷺ شيئاً ، فارجعي حتى أسأل الناس ، فسألَ الناسَ ، فقال المغيرة بن شعبة : حضرتُ رسول الله ﷺ أعطاها السدس . فقال أبو بكر : هل معك غيرُك ؟ فقام محمد بن مَسْلَمَة الأنصاريُّ فقال مثل ما قال المغيرة ، فأنفذه لها أبو بكر الصِّدّيق .

ثم جاءت الجدة الأخرى إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه تسأله ميراثها ، فقال لها : مالكِ في كتاب الله شيءٌ ،.... رواه مالك وأحمد وأصحاب السنن وابن الجارود ، وصححه الترمذي وابن حِبّان والحاكم ، في آخرين ، وحسنه البغوي ، وقد سبق ذكره قبل قليل .

٣ ـ الإقلال من الرواية خشية التقوُّل . وفعله كبار الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

فعن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال : قلت للزبير ـ رضي الله تعالى عنه ـ : إني لا أسمعك تحدِّث عن رسول الله ﷺ كما يحدِّث فلانٌ وفلانٌ .

قال : أما إني لم أفارقه ، ولكن سمعته يقول : «من كذب عليَّ فليتبوَّأ مقعدَه من النار». رواه البخاري[1].

٤ ـ يقلل من الرواية خشية أنه لا يَعمل بما يروي .

كما في امتناع خبّاب بن الأَرَت رضي الله تعالى عنه خشية أن أقولَ لهم ما لا يفعل . رواه الدارمي من طريق الأعمش عن رجاء الأنصاري عنه به ، ورواه أبو خيثمة من طريق آخر عن خباب[2].

٥ ـ التثبت من حفظ الحديث ، فإن تشكك في حفظه لا يحدث به ؟

فعن يزيد بن حيّان قال : انطلقتُ أنا وحُصَين بنُ سبْرة وعُمَر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله تعالى عنه . فلما جلسنا إليه قال له حُصَين : لقد لقيتَ يا زيدُ خيراً كثيراً ؛ رأيتَ رسول الله ﷺ ، وسمعتَ حديثَه ، وغزوت معه ، وصلّيتَ خلفه ، لقد لقيت يا زيدُ خيراً كثيراً . حدِّثْنا يا زيد ما سمعتَ من رسول الله ﷺ . قال : يا ابن أخي ؛ والله ، لقد كبِرَت سني ، وقدُم عهدي ، ونسيتُ بعضَ الذي كنتُ أعي من رسول الله ﷺ ،... الحديث بطوله ، رواه مسلم[3].

٥ ـ الاكتفاء برواية غيرهم ، فإن كان جمع اكتفي برواية أحدهم ، ولا يحدّث الباقي .

فعن ابن أبي ليلى رحمه الله تعالى قال : أدركتُ [في هذا المسجد] عشرين ومائة من الأنصار ، من أصحاب محمد ﷺ ؛ ما منهم من أحدٍ يحدِّث بحديثٍ إلّا ودَّ أن أخاه كفاه إياه ، ولا يُستفتى عن شيء إلّا ودَّ أن أخاه كفاه الفتوى .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب إثم من كذب على النبيِّ ﷺ .

(٢) سنن الدارمي (١ : ١١٠) وكتاب العلم (١١٣).

(٣) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، رقم (٣٦ ، ٣٧).

رواه ابن المبارك وابن سعد والفسوي وأبو خيثمة وابن عبد البر والخطيب والبيهقي[1].

٦ ـ عدم الرواية عما لا تبلغه عقول الناس . إنما يكون التحديث بما يفهمه الناس ، ولا يكون فوق مستوى عقولهم ، أو مما يُستغل .

فعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال : حدِّثوا الناسَ بما يعرفون ، أتحبون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله ؟ رواه البخاري[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «كفى بالمرء إثماً أن يحدِّث بكل ما سمع». رواه مسلم[3].

* وعنه رضي الله تعالى عنه قال : حفظت من رسول الله ﷺ وعاءَين ، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم . رواه البخاري[4].

٧ ـ أن يتخولهم بالتحديث ، وذلك بأن يجعل الدرس مرة أو مرتين أو ثلاث مرار في الأسبوع خشية السآمة على الطلاب .

فعن أبي وائل ـ شقيق بن سلمة ـ رحمه الله تعالى قال : كان عبدُ الله [بن مسعود] رضي الله تعالى عنه يذكِّرُنا كلَّ يومِ خميس ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ، إنّا نحبُّ حديثَك ونشتهيه . ولَوَدِدْنا أنك حدَّثتَنا كلَّ يوم . فقال : ما يمنعني أن أحدِّثَكم إلّا كراهيَةُ أن أُمِلَّكم .

---

(١) الزهد والرقائق (١٩ رقم ٥٨) والطبقات الكبرى (٦ : ١١٠) والمعرفة والتاريخ (٢ : ٨١٧) والعلم (٢١) وأخلاق العلماء (١٠٢) وجامع بيان العلم وفضله (٢ : ١٦٣) والفقيه والمتفقه (٢ : ١٢ ـ ١٣) والمدخل إلى السنن الكبرى (٢ : ٢٦٦ رقم ٨٠٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب من خص بالعلم قوماً دون قوم ،... وانظر فتح الباري (١ : ٢٢٥) لبيان معنى الحديث .

(٣) صحيح مسلم : المقدمة ، رقم (٥).

(٤) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب حفظ العلم .

إن رسول الله ﷺ كان يتخوَّلُنا بالموعظة في الأيام ؛ كراهيةَ السآمة علينا . متفق عليه[1].

٨ ـ أن يذكر عقوبةَ الكاذب على رسول الله ﷺ ثم يحدِّث . خاصة عند وجود من يخشى منه الشك .

عن علي بن ربيعة ، عن المغيرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : «إنَّ كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد . من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعدَه من النار»

وسمعتُ النبيَّ ﷺ يقول : «من نِيح عليه ؛ يُعذَّبْ بما نيح عليه». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

* **ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم ﷺ** : نقدهم للرواة ، فما كان من أهل السنة أخذوا بقوله ، ومن كان من أهل البدعة رفضوا قولَه وروايتَه .

قال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى : لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة ، قالوا : سمّوا لنا رجالَكم ، فيُنظر إلى أهل السنة ؛ فيؤخذ حديثُهم ، ويُنظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم . رواه مسلم في مقدمة صحيحه[3].

وعن مجاهد رحمه الله تعالى قال : جاء بُشير العدويُّ إلى ابن عباس ، فجعل يحدِّث ويقول : قال رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ، ولا ينظر إليه .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب الاقتصاد في الموعظة ، رقم (٨٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجنائز : باب ما يكره من النياحة على الميت . وصحيح مسلم : كتاب الجنائز : باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، رقم (٢٨).

(٣) صحيح مسلم (١ : ١٥) وهو موجود عند غيره بكثرة .

فقال : يا ابن عباس ؛ ما لي لا أراك تسمع لحديثي ؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع ؟

فقال ابنُ عباس : إنّا كنا مرةً إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله ﷺ ، ابتدرتْه أبصارُنا ، وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناسُ الصعبَ والذَّلولَ ؛ لم نأخذ من الناس إلّا ما نعرف . رواه الإمام مسلم في مقدمة صحيحه[1]. وله روايتان أخريان .

* **ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيهم ﷺ : ابتكارهم أهم شيء حصل في تاريخ البشرية : وهو ظهورُ السند** الذي لم يكن معروفاً من قبل .

ـ لقد أشار رسول الله ﷺ إلى تسلسل الرواة في الأخذ عن بعضهم ، مع التنبيه إلى الأمر بالأخذ بالسماع ، وشيوع العلم في القرون الثلاثة الأول .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «تَسمَعون ، ويُسمَعُ منكم ، ويُسمَع ممن يُسمَع منكم». رواه أحمد وأبو داود ، وصححه ابن حِبّان والحاكم[2].

* وقد ورد بلفظه من حديث غيره من الصحابة أيضاً .

ونتيجة لمحافظتهم رضي الله تعالى عنهم على السنة النبوية ، وتمسُّكِهم بها ، واحتياطهم فيها : ظهر السند ، الذي لم يكن معروفاً من قبل .

لقد كان الناس ينقلون أخبارَهم وأخبارَ أجدادهم وأقاربهم إرسالاً ، حتى

---

(١) صحيح مسلم (١ : ١٤). وانظر : حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي (٩٠ ـ ٩١) للروايتين الأخريين .

(٢) مسند أحمد (١ : ٣٢١) وسنن أبي داود : كتاب العلم : باب فضل نشر العلم ، رقم (٣٦٥٩) وصحيح ابن حِبّان (١ : ٢٦٣) والمستدرك (١ : ٩٥) والمحدّث الفاصل (٩٢) وشرف أصحاب الحديث (٧٠) والسنن الكبرى (١٠ : ٢٥٠) ودلائل النبوة (٦ : ٥٣٩).

عند أهل الكتاب ، لا يوجد عندهم نص واحد يَصِلون به إلى أنبيائهم عليهم السلام[1]. إنما ينقلون أخبار من سبقهم إرسالاً ولا يعرفون السند .

واستمر هذا الأمر في زمن النبي المصطفى الكريم ﷺ ـ اللهم إلّا إذا شك أحدُهم أو خالف ما كان عنده من علمٍ سمعه من رسول الله ﷺ .

لكن الصحابة رضي الله تعالى عنهم ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ ـ بدؤوا ينقِّرون في الرواية ، واحتاطوا حيطة شديدة ، وصاروا يتثبَّتون في السماع والأخذ ؛ خشية التقوّل على رسول الله ﷺ ، أو الخطأ عليه ،...إلخ.

وأول من فعل ذلك : أبو بكر الصِّدِّيق ثم عُمر بن الخطاب ، ثم تلاهم غيرهم رضي الله تعالى عنهم[2]، كما بينت ذلك في (نشأة علوم الحديث).

وسبق ذكر مجيء الجدَّة إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه تسأله ميراثها ، فلما أخبره المغيرةُ بن شعبة ، أن رسول الله ﷺ أعطاها السدس ، لم يقبل منه أبو بكر ، حتى شهد محمد بن مَسْلَمَة الأنصاريُّ رضي الله تعالى عنهم .

كما سبق ذكر استئذان أبي موسى على عمر رضي الله تعالى عنهما ، ووافقه مشغولاً ، فانصرف فلما أخبره أبو موسى رضي الله تعالى عنه بحديث رسول الله ﷺ في الاستئذان ثلاثاً ، لم يقبل منه ـ بل هدّده ـ حتى شهد له أبو سعيد الخُدْري رضي الله عنه . وقد سبق ذكرهما بألفاظهما .

ـ كما وُجد التنقيرُ من التابعين رحمهم الله تعالى على الصحابة رضي الله تعالى عنهم ؛ بألّا يحدِّثوهم إلّا بما سمعوا من رسول الله ﷺ ، كأن يقولوا : حدِّثنا بما

(١) خلا نص واحد في الطلاق ، وهو مسلسل بالكذابين ، كما قال ابن حزم رحمه الله تعالى ، وانظر : مقدمة ثلاثيات الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ، والإسناد وأهميته ، فقد أطلت النفس في ذلك .

(٢) انظر تراجمهم في تذكرة الحفاظ ، للحافظ الذهبي .

سمعت من رسول الله ﷺ ، ولا تحدِّثنا عن أحدٍ غيره . أو قولهم : حدِّثنا عن رسول الله ﷺ ، ولا تُدخل بينك وبينه أحداً ،... وهكذا .

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، ذكرت جملة صالحة منها في الكتاب المذكور ، وفي (خبر الواحد ، إفادته وحجيته).

*** ومن مظاهر محافظتهم رضي الله تعالى عنهم على سنة نبيِّهم ﷺ : التثبت والاحتياط** ، والتي نتج عنهما جميع العلوم من جرح وتعديل ، وبيان نسب ونسبة وبلدان ومواليد ورحلات ووفيات وروايات ،... لخدمة السنة النبوية ، فظهر :

ـ الإسناد ، والذي نتج عنه علم الإسناد .

ـ والتفتيش عن عدالة الرواة ونقدهم ، ونتج عنه علم الجرح والتعديل

ـ والتفتيش عن تاريخ الرواة ووفياتهم ولقائهم ، ونتج عنه علم تاريخ الرواة .

ـ والتفتيش عن صحة الحديث ونقده ،... ونتج عنه علم العلل .

ـ ووضع قواعد وضوابط لمعرفة الصحيح من الحديث من غيره ، فنتج علم مصطلح الحديث .

ـ والبحث في تعارض النصوص ، فنتج علما مختلف الحديث ، والناسخ والمنسوخ .

ـ وحصر الأحاديث وجمعها في كتب ، فنتج عنه علم الحديث رواية .

ـ وحصر الموضوع والمكذوب في مؤلفات خاصة ، وإن تأخر ظهوره .

ـ ثم البحث في طرق تحمُّل الرواية وصيغ الأداء ، فنتج طرق التحمّل وصيغ الأداء .

وبهذا يتبين ظهور العلوم المختلفة المتعلقة بالرواية والرواة ، كلها لخدمة السنة النبوية الشريفة .

☆☆☆☆☆

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث ألخِّص ما يدل على حجِّيَّة السنَّة النبوية ، وليكن ذلك تحت فقرات محدّدة لتستوعب .

* قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[1]: وضع اللهُ رسولَه ﷺ من دينهِ وفرضِهِ وكتابِهِ ، الموضعَ الذي أبان جل ثناؤه ، أنه جعله عَلَماً لدينه ، بما افترض من طاعته ، وحرَّم من معصيته ، وأبان من فضيلته ، بما قرن من الإيمان برسوله ﷺ ، مع الإيمان به .اهـ.

فهو ﷺ المبلِّغُ عن ربه عز وجل ، والمبيِّنُ لشرعه ، ولولا سنَّتُه ﷺ لما عَرف المسلمُ عبادةَ ربه عز وجل ، إذ ذَكرَ اللهُ جل شأنه فروضَه مجملةً ، فبيَّنت السنةُ النبويةُ الشريفة تفصيلاتِها ؛ كالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ،... وغيرها ، وكذا في سائر المعاملات والأحكام ،...

والأخذُ بالسنة النبوية فرعٌ عن الإيمان بصاحبها ، وطاعتِهِ ﷺ ، لأن الله جل شأنه ما أرسل رسولاً إلا ليطاع بإذنه تعالى ، وطاعةُ رسول الله ﷺ إنما تكون بامتثال أمره ، واجتنابِ نهيه ، والتخلقِ بأخلاقه ، واتباعِ أحوالِهِ ، والتأسي بأفعاله ، والسير على منواله ،... ﷺ .

* لقد أقامَ الله عز وجل الحجةَ على الناس ببَعْثِه الرسلَ عليهم السلام ، حتى لا يَحتج أحدٌ بعد ذلك ، بما يظن مخالفاً لما أُمر به ، وإذا كانت الحجةُ قائمةً بالرسل عليهم السلام ، فبالنبي المصطفى الكريم ﷺ من باب أولى ، لأنه سيدُهم وخاتمهم وأفضلُهم ،... فلا نبي بعده .

قال الله تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ

(١) الرسالة (٧٣).

بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1].

وإن كانت الحجةُ لله تعالى مِن قَبلُ ومِن بَعدُ على عباده قائمةً ، كما قال تعالى : ﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[2].

لكن اقتضت حكمتُه جلت قدرته أن يرسل الرسل ـ على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ـ لتكون الحجةُ قائمةً على عباده ، ومتكررةً بتكرار إرسال الرسل ، حتى ختمهم تعالى بنبيه الكريم سيدنا محمدٍ ﷺ[3].

وقد استوعبتُ أدلةَ حجيَّةِ السنة النبوية الشريفة ، وبيان أهميتِها من الدين ؛ في عدد من كتبي[4]، وقد أفردت حلقةً كاملة من هذه السلسلة ؛ وهي الحلقة الرابعة ؛ وهي بعنوان (حديث الآحاد إفادته وحجيته) وهي خاصة بالحديث الآحاد ، فإذا كان حجةً ، فالسنة النبوية بكاملها من باب أولى ، والله تعالى أعلم .

*** إن الأدلة على حجية السنة النبوية الشريفة كثيرة جداً ؛ سواء من القرآن الكريم ، أو من السنة نفسها ، أو من فعل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، أو من إجماع المسلمين ، كما بيَّنته في الكتاب ، وأذكر مختصراً للتدليل ، والله تعالى المستعان :**

أولاً : وجوبُ الإيمان بالنبي الكريم ﷺ على أنه رسول الله :

لقد وضع الله تعالى رسولَه المصطفى الكريم ﷺ من دينه وفرضه وكتابه ، الموضعَ الذي أبان جل شأنه أنه جعله عَلَماً لدينه ، بما افترض من طاعته ، وحرَّم

(١) سورة النساء (١٦٥).

(٢) سورة الأنعام (١٤٩).

(٣) انظر ما كتبته في هذا الموضوع : الردة ، قديمها وحديثها .

(٤) انظر ما كتبته مفصّلاً : شبهات حول السنة ودحضها ، والأمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه ، والسنة النبوية وحي .

من معصيته ، وأبان من فضيلته ، بما قرن من الإيمان برسوله الكريم ﷺ ، مع الإيمان به تعالى ، وأن من لم يؤمن به ﷺ فهو كافر ، خالد في النار ، والعياذ بالله تعالى .

فلو آمن عبدٌ بالله تعالى ، ولم يؤمن برسوله الكريم سيدنا محمد ﷺ : لم يكن مؤمناً ، حتى يؤمن برسوله الكريم ﷺ .

ويلاحظ أن الأمر الإلهي ـ الوارد في القرآن الكريم ـ بالإيمان به ﷺ جاء في جميع الآيات مقروناً بالإيمان به تعالى ، كيف لا ، وقد جعل الله تعالى كمالَ ابتداء الإيمان ـ كما يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[1] ـ الذي ما سواه تبعاً له : الإيمانَ بالله ثم برسوله الكريم ﷺ ، وهذا الذي يدل عليه لفظ الشهادتين «لا إله إلا الله ، محمد رسول الله» فكما لا يصح إيمانُ من يؤمن بالرسول الكريم ﷺ ، دون الإيمان بالله عز وجل ، كذلك لا يصح إيمان من يؤمن بالله جل شأنه ، دون الإيمان بالرسول المصطفى الكريم ﷺ . والآيات في هذا الباب كثيرة ، كما مر في الباب الأول ولا داعي لإعادتها .

فمن آمن بالله تعالى ولم يؤمن برسوله المصطفى الكريم سيدنا محمدٍ ﷺ ، فليس بمؤمن ، لأن مقتضى الإيمان بالله تعالى : طاعتُه ، والثناءُ على الدالِّ عليه ، وامتثالُ أمره . ومن طاعتِه تعالى وامتثالِ أمره أيضاً : الإيمانُ برسوله الكريم ﷺ ، وطاعتُه ، لأمره سبحانه وتعالى بذلك ، فمن لم يمتثل ذلك لم يطع الله تعالى ، ولم يمتثل أمره ، وكان عاقّاً للذي دلَّه على ربه تعالى ، وجاحداً نعمة الله تعالى عليه .

وليس العبرة من الإيمان به ﷺ مجرد اعتقاد وجوده فحسب ، إنما العبرة بلازم ذلك وهو الطاعة والاتباع والاقتفاء ،...

لأن من لازم الإيمان به ﷺ أنه رسول الله : الطاعةَ والامتثالَ له ، وإلا لما

(١) انظر الرسالة (٧٥).

صح الإيمانُ به ، لأنه مبلِّغٌ عن ربه عز وجل ما يريد ، فكيف يؤمن به على أنه رسولٌ ، إذا لم يُطع ! فالإذعان لرسول الله ﷺ ؛ لأنه هو المبلِّغ عنه تعالى ، ولا يكون ذلك إلا بعد الإيمان به تعالى وبرسوله الكريم ﷺ .

ومن هذا يتضح : أن طاعتَه ﷺ واجبةٌ ، ولازمةٌ على من آمن به ، والله تعالى أعلم .

ثانياً : أمرُ القرآن الكريم بطاعة النبي المصطفى الكريم ﷺ :

لقد وردت آياتٌ كثيرةٌ بالحث على طاعة النبي المصطفى الكريم ﷺ ، والائتمار بأمره ، والانتهاءِ بنهيه ،... كما حثَّتْ على عدمِ معصيته ، كما جعل الله تعالى فيها طاعةَ نبيه الكريم ﷺ فرضاً ، ومعصيتَه مُحَرَّمةً .

وقد تنوعت هذه الآيات في سياقها .

١ ـ الأمر بطاعته ﷺ :

أ ـ عطف لفظ الرسول ﷺ على لفظ الجلالة ، ومجيء لفظ الطاعة بصيغة الأمر .

ب ـ عطف لفظ الرسول ﷺ على لفظ الجلالة ، ومجيء لفظ الطاعة بصيغة المضارع ، وهو يحمل معنى الأمر .

ج ـ عطف لفظ الرسول ﷺ على لفظ الجلالة ، وورود الفعل بصيغة الطلب .

د ـ عطف طاعة الرسول ﷺ على طاعة الله تعالى ، فهذا كثير أيضاً ؛

* إذا دخل العصاة والكفار جهنم ، يتمنون لو أنهم أطاعوا رسولَ الله ﷺ ، حتى لايروا هذا العذاب الأليم ، فقال الله تعالى عنهم : ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾[1].

ويتضح ذلك : فيما لم يرد في القرآن الكريم نصٌّ خاصٌّ ، إنما ورد في السنة النبوية الشريفة ؛ زائداً على ما في القرآن الكريم ، والله تعالى أعلم .

(١) سورة الأحزاب (٦٦).

٢ ـ لقد جعل الله عز وجل طاعةَ نبيه المصطفى الكريم ﷺ طاعتَه تعالى ، ومبايعةَ رسوله ﷺ مبايعتَه جل شأنه ، فلو لم تكن سنّتُه حجةً لما جعل ذلك .

فإذا كانت طاعةُ الله تعالى واجبةً ؛ كانت طاعةُ رسول الله ﷺ كذلك ، ولما كانت طاعةُ الله تعالى واجبةً بالاتفاق كانت طاعةُ رسوله الكريم ﷺ كذلك ، لأنها طاعةُ الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

وقال الله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١).

فالذي يباشر البيعةَ : هو رسول الله ﷺ ، والله تعالى يقول : ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ... وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ﴾ فلو لم يكن قولُه ﷺ حجةً ؛ لما استحق الناكثُ العذابَ ، والموفّي الأجرَ العظيم .

٣ ـ وجوب اتباع أمره ﷺ ، حيث أمر الله تعالى جميعَ المسلمين باتباع أمر نبيه الكريم ﷺ ، واجتناب نهيه ، ومن خالف فله العذاب الشديد .

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾(٢).

كما أمر الله تعالى جميعَ الناس باتباع هذا النبي الكريم ﷺ .

فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ

(١) سورة الفتح (١٠).

(٢) سورة الحشر (٧).

تَهۡتَدُونَ ﴾[1].

فلو لم يكن اتباعه ﷺ واجباً ، وسنَّته حجة ، لما أمر الله تعالى باتباعه ، وقرن ذلك بالإيمان به ، والله تعالى أعلم

٤ ـ وجوب النزول لحكم رسول الله ﷺ في كل خلاف يقع :

فقال عز وجل : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[2].

فلو لم يكن قولُه ﷺ حجةً في دين الله ؛ لما نفى صفةَ الإيمان عمن لم يحكِّمْه ، وإذا حكَّمَه فلا يعترض ، بل لا يجدُ في نفسه حرجاً مما قضى ﷺ ، ويسلِّم له التسليمَ الكاملَ المطلقَ ، فيكون التسليم ظاهراً وباطناً .

٥ ـ جعل الله تعالى الإتيان إلى نبيه الكريم ﷺ كالإتيان إلى كتاب الله تعالى :

كما قال الله تعالى عنهم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾[3].

فلو لم يكن قولُه ﷺ حجةً يجب الأخذ بها ، كحجة القرآن الكريم ؛ لكانت الدعوةُ إليه ، والإقبالُ عليه عبثاً ، وغيرَ مُجدٍ ،... والله جل شأنه ورسولُه الكريمُ ﷺ وكتابُه منزهٌ عن العبث .

٦ ـ جعل الله تعالى الاستجابة لرسوله الكريم ﷺ حياةً للمستجيب ، حياة أبدية ، لذا أمر الله تعالى المؤمنين بالاستجابة لرسوله الكريم ﷺ .

فقال جل شأنه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ

---

(١) سورة الأعراف (١٥٨).

(٢) سورة النساء (٦٥).

(٣) سورة النساء (٦١).

لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾[1].

فإذا كانت دعوتهُ ﷺ حياةً ؛ فكيف لا تكون إجابتُه واجبةً ، وسنتُه الشريفةُ حجةً ملزِمةً ، والله تعالى يأمر بذلك ويقول : ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ ﴾؟!.

ثم يلاحظ إفرادُ الضمير في الحديث عن الدعوة ﴿إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ مع جعل الاستجابة لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ . وهذه نكتة مهمة جداً ، تحدَّثْتُ عنها في عدد من كتبي .

٧ ـ جعل الله تعالى من لوازم الإيمان : ألّا يذهب من كان معه ﷺ حتى يستأذنه :

فإذا كان الاستئذان منه ﷺ مطلوباً لمن يذهبُ لبعض شأنه ، فأولى أن يكون من لوازمه حجِّيَّةُ قوله ، وألّا يُخالَف مذهبه ، وألا يُنتحَل رأيُ غيرِه ؛ حتى يستأذنَه ﷺ ،... وهيهات .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[2].

ويلاحظ أن الله تعالى بعد أن أذن لرسوله الكريم ﷺ أن يأذن لمن شاء منهم ، طلب منه أن يستغفر لهم ، لما يفوتهم من الخير ، ولتقديمهم محابّ أنفسهم على محابِّ رسوله الكريم ﷺ . فلو لم يكن قوله ﷺ حجةً لما كان ذلك .

٨ ـ جعله الله تعالى قدوة حسنةً ، وأسوة واجبةَ الاتباع :

لقد جعل الله عز وجل رسولَه الكريمَ ﷺ قدوةً حسنةً لأمته ، وأمرَ الناس

---

(١) سورة الأنفال (٢٤).

(٢) سورة النور (٦٢).

باتباعه ، وعدمِ الخروج عن منهجه .

فلو لم يكن اتباعُه ﷺ واجباً ، وسنتُه حجةً ؛ لما جعله الله تعالى قدوةً حسنةً ، وأسوةً كاملة ، وأمر باتباعه .

وكيف لا يكون واجباً وقد جعله تعالى سبباً في محبة الله تعالى لمتَّبِعه ﷺ ، وغفران ذنوبه كلها ، مع رحمة الله عز وجل له ؟ كما جعل اتِّباعه ﷺ ميزاناً وبرهاناً لكل من يدّعي محبة الله تعالى .

٩ ـ ثم إن الله تعالى يهيّج كلَّ من يدّعي الإيمان بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ بوجوب طاعة نبيّه الأمين ﷺ ، فمن لم يفعل فما صَدَق في دعوى الإيمان .

فمن شرط الإيمان : الطاعة التامة لرسول الله ﷺ .

كما نجد كثيراً من الآيات قد ربط الله تعالى فيها بين بعض أصول وفروع الشريعة بهذا التهييج ، دلالة على الربط التام بين الإيمان بالله تعالى وبرسوله الكريم ﷺ وبين الطاعة والامتثال له .

ثالثاً : نهي القرآن الكريم عن معصية النبي المصطفى الكريم ﷺ :

وقد تعددت الآيات الكريمة في ذلك ، والمواضيع التي وردت فيها ، أقتصر على ذكر عناوين بعضها .

١ ـ تحذير الله تعالى من مخالفة أمر رسوله الكريم ﷺ :

فلو لم يكن قولُه ﷺ حجةً ، لما هدَّد الله تعالى المخالفَ بالعذاب والبلاءِ العظيم ، كالقتل ونحوه .

٢ ـ تحريم معصيته ﷺ ، وتوعُّد من يرتكبها ويتعدَّ حدودَها بالخلود في النيران ، مع العذاب المهين ، كما جعل الخلود في الجنان : لمن يطبِّقُ ويطيع رسولَه الكريم ﷺ . وقد سبق ذكر الآيات في ذلك .

فلما جعله الله تعالى المبلِّغَ عنه : ألزم جميعَ الناس طاعتَه ، فمن أجاب وامتثل :

فله الثوابُ الجزيل ، والخلودُ في الجنان مع النعيم المقيم . ومن عصى وتعد الحدودَ : فله الخلودُ في النيران مع العذاب المهين . فلو لم يكن قولُه ﷺ حجةً ، والامتثالُ إليه واجباً لما استحق الفريقان ما ذُكر

* لذا حرّم الله عز وجل مشاقة رسوله الكريم ﷺ ، وهدّد من يفعل ذلك بإحباط عمله ، والعذابِ الأليمِ في نار الجحيم .

فلو لم تكن سنتُه ﷺ حجةً واجبةً ؛ لما استحق المشاققُ والمتَّبِعُ غيرَ سبيل المؤمنين : الخلودَ في النار ، مع بئس المصير ، والله تعالى أعلم .

٣ ـ نفيُ الله سبحانه وتعالى صفةَ الإيمان عمن لم يسلِّم لنبيه الكريم ﷺ ، ويُذعن لحكمه وقضائه ، بل لا يوجد مؤمنٌ يخالفُ أمرَه ، ويختارُ غيرَ ما اختاره وقضاه ﷺ .

فلو لم تكن سنَّتُه حجةً ؛ لما لزم المؤمنَ الإذعانُ ، وعدمُ اختيارِ أيِّ أمرٍ يخالفُ أمرَه الذي قرَّره وأَمَرَ به واختارَه ﷺ ، وحكم على العاصي بالضلال المبين .

٤ ـ جعل الله تعالى من علامات النفاق الإعراضَ عن تحكيمه ﷺ ، بينما جعل عز وجل من صفات المؤمنين : السمعَ والطاعةَ والامتثالَ .

فلو لم تكن سنتُه ﷺ حجةً واجبة ؛ لما كان المطيعُ من الفائزين ، والمعاندُ المخالفُ من المنافقين الظالمين ، ذلك لأنهم لو علموا أن أمرَه ﷺ غيرُ ملزِم لما بدا منهم ما بدا ، والله تعالى أعلم .

٥ ـ جعل المتولي عنه ﷺ من الكافرين ، فلو لم تكن طاعتُه ﷺ واجبةً ، وأمرُه وقولُه حجةً لما جعل كذلك :

لذا حذّر الله عز وجل الذي يتولّى عن رسوله الكريم ﷺ ـ خاصة فيما يتعلّق بالإيمان ـ أن يكفر وهو لا يدري .

فلو لم تكن سنتُه واجبةً ؛ لما كان هذا الوعيد الشديد ، خاصة وحكم الكافر

معلوم العاقبة ، والعياذ بالله تعالى .

رابعاً : جعل السنة النبوية الشريفة مبيِّنَةً ، ومفصِّلةً ، وموضِّحةً ، ومقيِّدةً لمجمل آيات القرآن الكريم وعمومها ومطلقها ،...إلخ:

لأن كثيراً من الآيات الكريمة الحاوية على الأحكام الشرعية جاءت مطلقة ، أو عامة ، أو مجملة ، فكانت السنة النبوية هي : المبيِّنة ، والمفصِّلة ، والمقيِّدة ، والموضِّحة ، والمخصّصة ،... لآيات القرآن الكريم . لهذا كانت هي التشريع المفصّل للقرآن الكريم .

كما قال تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١).

فلو لم تكن واجبةَ الطاعة والاتباع ؛ لما عرفنا عباداتِنا ومعاملاتِنا ،... والله تعالى أعلم .

خامساً : ما ورد في السنة النبوية من وجوب الأخذ بالسنة :

لقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ عن النبي المصطفى الكريم ﷺ ؛ فيها الحث على الأخذ بالسنة النبوية الشريفة ، ووجوب العمل بها ، وأنها كالقرآن الكريم من حيث الحكم ،... وقد مر ذكر بعضها فيما سبق .

سادساً : ما ثبت عنه ﷺ من مبايعته الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم على السمع والطاعة :

والأحاديث في هذا الباب كثيرة ، سبق ذكر بعضها .

سابعاً : فعل الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، واتفاق الأمة بعدهم :

أما أفعالُ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأقوالُهم في حجية السنة النبوية الشريفة ، واتفاقهم على وجوب الأخذ بها ، فكثير ، مر ذكره مفصَّلاً في هذا

---

(١) سورة النحل (٤٤).

الكتاب ، فانظره .

وأما إجماعُ أهل العلم على حجية السنة النبوية ، فلم يُختلف في هذا بين المسلمين ، اللهم إلا ما ظهر من الزنادقة في نهاية القرن الثاني الهجري ، لهذا لا يوجد كتابٌ من كتب أصول الفقه ؛ إلا ويذكر الأصولَ المعتمدةَ في التشريع : الكتاب والسنة ، ثم الإجماع والقياس ،...

وقد تَقبَّل المسلمون السنةَ النبوية ونقلوها فيما بينهم ، ونقلوها لمن بعدهم ،... كما نقلوا القرآنَ الكريمَ ، وتمسَّكوا بها ، لأنها المصدرُ الثاني للتشريع ، وهم مُلزَمون بالعمل بها بعد الأخذ بها ، والاعتماد عليها ، ولأنَّ الأخذَ بها والاعتمادَ عليها من الإيمان ، بل هي شطر الإيمان «لا إله إلا الله ، محمد رسول الله» ولهذا عض المسلمون عليها بالنواجذِ ، وتوالى عملُهم ونقلُهم لها ، وعُقدت لها حلقاتُ التحديث ، ورُحلَ من أجلها ومن أجل روايتها ، بل من أجل حديثٍ واحد ، بل للتثبت من صحةِ حديثٍ واحدٍ : آلافُ الأميال شرقاً وغرباً ، وأُلفت فيها الكتب ، وتنوعت تلك المؤلفات ، حتى بلغت حداً لا يمكن حصرُه ، وليس هذا في جيل الصحابة أو التابعين ، بل استمر هذا جيلاً بعد جيل ، وخلفاً عن سلف ، حتى يومنا هذا .

كذلك عمل الفقهاءُ ، واستنبطوا الأحكامَ الفرعيةَ من السنة النبوية الشريفة ، بل لا يوجد عِلْمٌ إلّا واعتمد أهلُه على السنة النبوية الشريفة ، وأَلَّفوا فيها ؛ إن كان ذلك العلمُ ليس في أصله مشتقاً من السنة النبوية ، لأن جميعَ العلومِ الشرعية وعلوم الآلة ـ كما يسميها علماء اللغة ـ إما مُستمدَّةٌ من الكتاب والسنة ، أو وُجدت لخدمة الكتاب والسنة .

ولهذا كانت النظرةُ إلى السنة النبوية الشريفة عند عامة علماء الأمة ؛ على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ، رحمهم الله تعالى ؛ على أنها المصدرُ الثاني للتشريع ،

بعد القرآن الكريم ، وأن ما ثَبَتَ بها ، كما ثبت بالقرآن الكريم ، لا فرق في ذلك عند أحد ممن يُعتَدُّ بقوله ، والحمد لله تعالى .

ويقال : هي المصدر الثاني باعتبار الثبوت ، ولأنها تدور معه حيث دار .

ثامناً : إن السنة النبوية الشريفة هي وحيٌ غيرُ مَتْلُوٍّ ، ولهذا قُدّم عليها القرآن الكريم ، باعتباره وحياً متلُوّاً ، كما سبق بيانه ، وكما بينته في (السنة النبوية وحي)

وهكذا كانت نظرةُ علماء الأمة بالنسبة للسنة النبوية الشريفة ، والأخذ بها والاعتمادِ عليها ، ولم يخالف في هذا إلّا الزنادقة في أواخر القرن الثاني ، وزنادقة هذا العصر ممن طالبوا بإلغائها أيضاً .

لذا حاول علماءُ الأمة تَبْيين ما هو ملزِمٌ من سنته ﷺ للأمة ، وما هو غير ملزِم لها ، فما كان من خصائصه ﷺ فهو على خصوصيته ، وما كان من أفعال الجِبلَّةِ ، فهو بين الإباحة والندب ، وأما ما عُرف بياناً لنا : فهو دليلٌ ملزِم ، والبيانُ تابعٌ في الوجوب والندب والإباحة ، وأما ما لم يظهر أَنه للبيان ، فقد اختلف العلماء في اعتباره دليلاً ملزِماً[1]، والله تعالى أعلم .

ذلك لأن الأخذَ بالسنة النبوية هو استجابةٌ لأمر الله تعالى بطاعةِ نبيه الكريم ﷺ ، فمن استجاب للرسول الكريم ﷺ وقَبِلَ حديثَه وسنَّتَه ، فَعَنِ الله قَبِل ، ولأمر الله تعالى استجاب ، ومَنْ أعرض عن سنة النبي الكريم ﷺ ، ولم يَستجب لأمره ونهيه ، فقد عصى الله تعالى ، لأنه تعالى هو المرسِلُ له ﷺ ، وهو الآمرُ بطاعته ، والناهي عن معصيته .

قال تبارك تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[2] حيث عبَّر تعالى عن طاعة رسوله الكريم ﷺ بصيغة المضارع ، التي تدل على المستقبل ، بينما عبَّر

---

(١) راجع : الأحكام للآمدي (١ : ١٧٣ ـ ١٧٤ ، ١٨٦).

(٢) سورة النساء (٨٠).

عن طاعة الله تعالى بصيغة الماضي ، التي تدل على التحقق والوقوع ، فالمطيعُ لرسول الله ﷺ هو مطيعٌ من قَبْل ذلك لله تعالى ، والله تعالى أعلم .

تاسعاً : الناحية العقلية :

لقد جعل الله تعالى رسولَه المصطفى الكريم ﷺ حادياً يحدو بقلوب الأمة في بيداء الحياة ، ودروبها الوعرة ، وطرقها الملتوية ، وشعابها المتعرجة ، والمهالك الخطرة ، وهو الخبير الرحيم ، والوارد الأمين ، والحريص الصادق ، يسير في الدروب ليدل الخلق على الله تعالى ، ويوصلهم إلى الجنان ، وهو يهتف بها : ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ لتنالوا محبة الله تعالى ومغفرته ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ وتصلوا بالسلامة إلى شاطئ الأمان ـ وكلها أمور مطلوبة ـ فمن أطاعه ومشى خلفه ، والتزم منهجه ، واتبع طريقه : سلم وسعد ، ونال المراد . ومن عصاه ، واتبع غير سبيله ، وأعرض عنه ، وتنكب غير طريقه ؛ ضل ، وهلك ، ولم ينل مناه . فبقدر حرص المكلف على النجاة ومحبة الله تعالى له ومغفرة ذنوبه وحرصه على رحمة الله تعالى له ، يحرص على التمسك بالمتبوع ، ولا يخرج عنه حتى لا يضل ، ويخطفه الشيطان .

لذا فالعقل يقضي وجوب طاعته واتباعه والتمسك به ، وعدم الخروج عن منهجه ، والعنود عنه ، حتى لا يضل الإنسان ويهلك ، لأن الإنسان مهما كان لا يعرف تلك الطرق والمسالك والشعاب .

يضاف إلى ذلك ؛ أن الله تعالى جعل رسولَه الكريم ﷺ دليلاً عليه ، ومنقذاً للبشرية من الكفر والضلال والفساد ، فأقل مكافأة ؛ هي طاعته واتباعه ؛ بما يأمر وينهى ، خاصة وقد شهد تعالى له بأنه يهدي إلى الصراط المستقيم ، وأنه على الهدى المبين ،... والله تعالى أعلم .

كما يضاف إلى ذلك أيضاً : أن الله تعالى جعل نبيّه الكريم ﷺ أسوة حسنة ،

وقدوة كاملة لهذه الأمة ، فكيف يكون قدوة وأسوة إذا لم يقتف أثره ، ويُتّبع منهاجه ، وتؤخذ بسنته ؟؟؟

وكتب

أبو إبراهيم

خليل بن إبراهيم مُلّا خاطر العزّامي

نزيل المدينة المنورة

☆☆☆☆☆

مصادر ومراجع الكتاب

ـ القرآن الكريم .

ـ أ ـ

ـ إتحاف الخيرة المهرة ، للإمام البوصيري ، ت عادل سعد ، والسيد محمود ، مكتبة الرشد ، بالرياض .

ـ إتحاف المهرة ، للحافظ ابن حجر ، نشر وزارة الأوقاف ، بالمدينة المنورة .

ـ الإتقان ، للحافظ السيوطي ، المكتبة الثقافية ، بيروت .

ـ إثبات عذاب القبر ، للبيهقي ، ت . د شرف محمود القضاة ، دار الفرقان ، عمّان .

ـ الإجماع ، للإمام ابن المنذر ، ت صغير أحمد حنيف ، نشر دار طيبة ، الرياض .

ـ الآحاد والمثاني ، لابن أبي عاصم ، ت الدكتور باسم فيصل الجوابرة ، نشر دار الراية ، الرياض .

ـ الأحاديث الطوال ، للإمام الطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي ، مطبوع في آخر المعجم الكبير .

ـ الأحكام الوسطى ، للإمام الإشبيلي ، ت حمدي السلفي ، والسيد صبحي السامرائي ، نشر مكتبة الرشد ؛ بالرياض .

ـ الإحكام في أصول الأحكام ، للإمام ابن حزم الظاهري ، ت د. إحسان عباس ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

ـ الإحكام في أصول الأحكام ، للآمدي ، ط مؤسسة الحلبي وشركاه ، القاهرة .

ـ أخبار أصبهان ، للحافظ أبي نعيم ، نشر الدار العلمية ، الهند .

ـ أخلاق العلماء ، للآجري ، دار الكاتب العربي

ـ أخلاق النبيِّ ﷺ ، لأبي الشيخ ، ت . د . السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي .

ـ الآداب ، للإمام البيهقي ، ت محمد عبد القادر عطا ، مكتبة عباس الباز ، مكة المكرمة .

ـ الأدب المفرد ، للإمام البخاري ، تقديم وترتيب كمال يوسف الحوت ، ط عالم الكتب ، بيروت .

ـ الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ، للإمام السيوطي ، نشر مطبعة دار التأليف ، القاهرة .

ـ أسباب النزول ، للإمام الواحدي ، ت السيد أحمد صقر ، دار القبلة .

ـ الاستيعاب ، للحافظ ابن عبد البر ، بحاشية الإصابة ، الطبعة القديمة .

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير الجزري ، ط دار الفكر ، بيروت .
ـ الأسماء المبهمة ، للخطيب البغدادي ، ت . د . عزالدين السيد ، مكتبة الخانجي .
ـ أشراط الساعة ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ الإشراف على مذاهب العلماء ، ت د. صغير أحمد الأنصاري ، نشر مكتبة مكة ، ودار المدينة ، رأس الخيمة ، وغيرهما .
ـ الإشراف على مذاهب أهل العلم ، للإمام ابن المنذر ، ت محمد نجيب سراج الدين ، دار إحياء التراث الإسلامي ، قطر .
ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ ابن حجر ، ت البجاوي ، ط دار نهضة مصر ، القاهرة .
ـ أعلام الموقعين ، لابن القيم ، تصوير دار الجيل للنشر ، بيروت .
ـ الإلماع ، للقاضي عياض ، ت الشيخ السيد أحمد صقر ، نشر دار التراث ، بالقاهرة ، والمكتبة العتيقة بتونس .
ـ الإلمام ، لابن دقيق العيد ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ الأم ، للإمام الشافعي ، ط دار الشعب ، القاهرة .
ـ الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه ، خليل إبراهيم ملا خاطر .
ـ الأمانة العظمى ونبيها ﷺ ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ أمية النبيِّ الكريم ﷺ ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ الآيات البينات بما في الإسراء والمعراج من الخوارق والمكرمات ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ الإيمان ، للإمام ابن منده ، ت الدكتور علي ناصر الفقيهي ، نشر المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة .

ـ ب ـ

ـ البحر الزخار = مسند البزار ، للإمام البزار ، ت الدكتور محفوظ الرحمن زين الله ، نشر مؤسسة علوم القرآن ومكتبة العلوم والحكم .
ـ بر الوالدين ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .

ـ بلوغ المرام ، للحافظ ابن حجر ، ت رضوان محمد رضوان ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

ـ ت ـ

ـ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، ط الخانجي ، مصر .
ـ تاريخ الطبري = تاريخ الأمم والملوك ، تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ التاريخ الكبير ، للإمام البخاري ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
ـ تاريخ واسط ، للعلامة أسلم بن سهل الرزاز المعروف ببحشل ، ت كوركيس عواد ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .
ـ تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ، للمباركفوري ، نشر المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .
ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، للحافظ المزي ، ت عبد الصمد شرف الدين ، ط الدار القيمة .
ـ تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج ، للإمام ابن الملقن ، ت عبد الله اللحياني ، نشر دار حراء ، مكة المكرمة .
ـ تدوين السنة من العهد النبوي إلى زمن التابعين ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، للإمام القرطبي ، ت د. أحمد حجازي السقا ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ تذكرة الحفاظ ، للحافظ الذهبي ،تصوير بيروت ، عن طبعة القاهرة .
ـ تذكرة الموضوعات ، للعلامة الفتني ، تصوير دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
ـ الترغيب والترهيب ، للإمام الأصبهاني ، ت أيمن صالح شعبان ، نشر دار الحديث ، القاهرة .
ـ الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذري ، دار الفكر ، بيروت .
ـ التعليق المغني على الدارقطني ، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، بحاشية سنن الدارقطني .
ـ تفسير الألوسي = روح المعاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
ـ تفسير البغوي = معالم التنزيل ، ت خالد العك ، ومروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت .
ـ تفسير ابن أبي حاتم ، ت أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار الباز ، مكة المكرمة .
ـ تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم ، ت عبد القادر عطا ، الرياض .
ـ تفسير ابن كثير . دار الفكر ، بيروت .

ـ تفسير النسائي ، ت سيد الجليمي ، وصبري الشافعي ، مكتبة السنة ، القاهرة .
ـ التقصي = تجريد التمهيد ، للحافظ ابن عبد البر ، مكتبة القدسي ، القاهرة .
ـ تقييد العلم ، للخطيب البغدادي ، ت د. يوسف العش ، دار إحياء السنة النبوية .
ـ التلخيص الحبير ، للحافظ ابن حجر ، نشر السيد عبد الله هاشم يماني ، المدينة المنورة .
ـ تلخيص المستدرك ، للحافظ الذهبي ، بحاشية المستدرك .
ـ التمهيد ، للحافظ ابن عبد البر ، نشر وزارة الأوقاف ، المغرب .
ـ تنبيه الذات بهادم اللذات ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ تهذيب الآثار ، للإمام الطبري ، ت الشيخ محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي .
ـ تهذيب التهذيب ، للحافظ ابن حجر ، دائرة المعارف النظامية ، الهند .
ـ تهذيب سنن أبي داود ، لابن القيم ، بحاشية مختصر سنن أبي داود ، ومعالم السنن .
ـ تهذيب الكمال ، للحافظ المزي ، ت د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة .

ـ ث ـ

ـ ثلاثيات الإمام الشافعي ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .

-ج-

ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ، لابن الأثير الجزري ، ت الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، نشر الملاح .
ـ جامع بيان العلم وفضله ، للحافظ ابن عبد البر ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة .
ـ الجامع الصغير ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .
ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للخطيب البغدادي ، نسختان ،
ـ جامع المسانيد ، للخوارزمي ، تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ جماع العلم ، للإمام الشافعي ، بحاشية الأم .
ـ الجمع بين الصحيحين ، للحميدي ، ت . د . علي حسين البواب ، بيروت .

-ح-

ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، لابن القيم الجوزية ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .
ـ حسن الظن بالله ، لابن أبي الدنيا ، ت مجدي سيد إبراهيم ، مكتبة القرآن ، القاهرة .
ـ حلية الأولياء ، للحافظ أبي نعيم ، نشر مكتبة الخانجي ، ومطبعة السعادة ، مصر

- خ -

- خبر الواحد إفادته وحجيته ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).

- خصائص الإمام علي رضي الله عنه ، للإمام النسائي ، طبعتان .

- خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة ، جدة .

- خلاصة الأحكام ، للإمام النووي ، ت حسين إسماعيل الجمل ، مؤسسة الرسالة

- خلاصة البدر المنير ، للحافظ سراج الدين ابن الملقن ، ت حمدي السلفي ، مكتبة الرشد ، الرياض .

- د -

- الدر الملتقط في تبيين الغلط ، للصغاني ، ت عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر .

- الدراية في تخريج أحاديث الهداية ، للحافظ ابن حجر ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .

- دلائل النبوة ، للإمام البيهقي ، ت الدكتور عبد المعطي القلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- دلائل النبوة ، للإمام التيمي ، ت محمود الحداد ، دار طيبة ، الرياض .

- دلائل النبوة ، للحافظ أبي نعيم ، ت الدكتور محمد رواس قلعجي ، المطبعة العربية ، حلب .

- دلائل النبوة في غزوة الخندق ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).

- ذ -

- ذم الكلام وأهله ، للهروي ، ت عبد الله الأنصاري ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة المنورة .

- ر -

- الرحلة في طلب الحديث ، للخطيب البغدادي ، ت . د . نور الدين عتر .

- رحمة النبيِّ الكريم ﷺ بالكفار ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .

- الردة قديمها وحديثها ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، مخطوط وطبع مختصره .

- الرسالة ، للإمام الشافعي ، ت الشيخ أحمد شاكر ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة .

- الروح ، للإمام ابن القيم الجوزية ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .

- روح البيان ، لإسماعيل حقي ، تصوير بيروت .

- الروض الأنف ، للإمام السهيلي ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة .

- ز -

ـ الزهد ، للإمام أحمد بن حنبل ، تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت .

ـ الزهد ، لهناد بن السري ، ت عبد الرحمن الفريوائي ، دار الخلفاء ، الكويت .

ـ الزهد والرقائق ، للإمام عبد الله بن المبارك ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي

ـ زوائد الزهد لابن المبارك ،بنهاية الزهد والرقائق ، لابن المبارك

- س -

ـ ساكن المدينة المنورة ، منزلته ومسؤوليته ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .

ـ سبل الهدى والرشاد ، للإمام الصالحي ، ت الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ـ السنة ، لابن أبي عاصم ، ت د. باسم الجوابرة ، دار الصميعي ، ونسخة الشيخ ناصر الألباني .

ـ السنة ، لعبد الله بن أحمد بن حنبل ، ت د. محمد سعيد القحطاني ، دار عالم الكتب ، الرياض .

ـ السنة النبوية وحي ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .

ـ السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، د. مصطفى السباعي . المكتب الإسلامي .

ـ السنن ، للإمام الشافعي ، ت خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .

ـ سنن الترمذي ، ت الشيخ أحمد شاكر وآخرين ، تصوير المكتبة الإسلامية ، بيروت ، مع نسخة حمص ونسخة عارضة الأحوذي ونسخة تحفة الأحوذي .

ـ سنن الدارقطني ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .

ـ سنن الدارمي ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .

ـ سنن أبي داود ، ت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، نشر دار إحياء السنة النبوية .

ـ سنن سعيد بن منصور ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، والطبعة الجديدة

ـ السنن الصغرى ، للإمام البيهقي ، ت الدكتور عبد المعطي القلعجي ، ط القاهرة .

ـ السنن الكبرى ، للإمام البيهقي ، ط دائرة المعارف العثمانية ، الهند .

ـ السنن الكبرى ، للإمام النسائي ، ت الدكتور عبد الغفار البنداري وسيد كسروي ، دار الكتب العلمية .

ـ سنن ابن ماجه ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية .

ـ سنن النسائي ، بحاشيتي السيوطي والسندي .

ـ سير أعلام النبلاء ، للحافظ الذهبي ، مؤسسة الرسالة .
ـ السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الروض الأنف ، وكذا بشرح الخشني .
ـ ش ـ
ـ الشافي شرح مسند الشافعي (مخطوط) وقد تم تحقيق بعضه .
ـ شبهات حول السنة ودحضها ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ شرح الأبي على صحيح مسلم ، مع شرح السنوسي .
ـ شرح الباجي للموطأ = المنتقى ،ط الأولى ، مطبعة السعادة ، بالقاهرة .
ـ شرح السنة ، للإمام البغوي ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت .
ـ شرح السنوسي على صحيح مسلم ، مع شرح الأبي .
ـ شرح الشفاء ، لملا علي القاري ، بحاشية الخفاجي .
ـ شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، ط مطبعة حجازي ، القاهرة .
ـ شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ، ت المفتي عبد الغفار ونعيم أشرف ، نشر دار القرآن والعلوم الإسلامية ، باكستان .
ـ شرح مشكل الآثار ، للإمام الطحاوي ، ت الشيخ شعيب ، مؤسسة الرسالة .
ـ شرح معاني الآثار ، للإمام الطحاوي ، ت محمد زهدي النجار ، تصوير بيروت .
ـ شرف أصحاب الحديث ، للخطيب البغدادي ، ت د. محمد سعيد أوغلو ، تركيا .
ـ الشريعة ، للإمام الآجري ، ت د. عبد الله الدميجي ، دار الوطن ، الرياض .
ـ شعب الإيمان ، للإمام البيهقي ، ت بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت
ـ الشفاء ، للقاضي عياض ، ت علي محمد البجاوي ، عيسى البابي الحلبي ،
ـ الشفاعة ، والرد على منكريها ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ الشمائل ، للإمام البغوي = الأنوار في شمائل النبيِّ المختار .
ـ الشمائل المحمدية ، لابن كثير ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ الشمائل المحمدية ، للإمام الترمذي ، ت الشيخ محمد عوامة ، بيروت .
ـ الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ ص ـ
ـ الصحاح ، للجوهري ، ت أحمد عبد الغفور عهطار ، دار العلم للملايين .

ـ صحيح البخاري ، بشرح فتح الباري ، ط السلفية ، ونسخة اسطنبول .
ـ صحيح ابن حبان ، ت . الشيخ شعيب أرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
ـ صحيح مسلم ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .
ـ صحيح ابن خزيمة ، ت د. محمد مصطفى الأعظمي ، نشر المكتب الإسلامي
ـ صحيفة أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ صحيفة همام ، ت د. رفعت فوزي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

ـ ط ـ

ـ الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ت د. إحسان عباس ، ط دار صادر ، بيروت .

ـ ع ـ

ـ العاقبة ، للإمام الإشبيلي ، ت الشيخ خضر محمد خضر ، مكتبة دار الأقصى ، الكويت .
ـ العداوة بين الإنسان والشيطان ؛ وأثر ذلك على الجريمة ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ عشرة النساء ، للإمام النسائي ، ت عمرو علي عمر ، مكتبة السنة ، القاهرة .
ـ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ علامات النبوة ، للإمام البوصيري ، وهو جزء من إتحاف الخيرة . مكتبة السوادي .
ـ علل الترمذي الكبير ، ت حمزة ديب مصطفى ، نشر مكتبة الأقصى ، عمان .
ـ علل الحديث ، لابن أبي حاتم ، تصوير مكتبة المثنى ، بغداد .
ـ عمل اليوم والليلة ، لابن السني ، ت الدكتور عبد الرحمن كوثر عاشق إلهي
ـ عمل اليوم والليلة ، للإمام النسائي ، ت الدكتور فاروق حمادة ، الرباط .
ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود ، لشمس الحق العظيم آبادي ، نشر المكتبة السلفية ، المدينة المنورة .

ـ غ ـ

ـ غريب الحديث ، لأبي عبيد ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .

ـ ف ـ

ـ فتاوى الإمام السبكي ، دار المعرفة ، بيروت .

ـ فتح الباري ، للحافظ ابن حجر ، المكتبة السلفية ، القاهرة .
ـ فتنة نقض الحديث ، للشيخ محمد أيوب الدهلوي .
ـ فضائل الصحابة ، للإمام النسائي ، ت الدكتور فاروق حمادة ، نشر دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب .
ـ فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ فضائل المدينة المنورة ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ فضائل النبيِّ الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ الفقيه والمتفقه ، للخطيب البغدادي ، ت الشيخ إسماعيل الأنصاري ، الرياض
ـ فوائد تمام ، ت حمدي السلفي ، نشر مكتبة الرشد ، الرياض .
ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للحافظ المناوي ، ط القاهرة .

ـ ق ـ

ـ قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة ، للحافظ السيوطي ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت .

ـ ك ـ

ـ الكامل ، لابن عدي ، دار الفكر ، بيروت .
ـ كتاب التوحيد ، لابن خزيمة ، ت د. عبد العزيز الشهوان ، مكتبة الرشد ، الرياض
ـ كتاب الدعاء ، للإمام الطبراني ، ت . د . محمد سعيد البخاري ، دار البشائر .
ـ كتاب العلم ، لأبي خيثمة ، ت الشيخ محمد ناصر الألباني ، نشر دار الأرقم ، الكويت
ـ كتاب الغريبين ، لأبي عُبيد الهروي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة .
ـ كشف الأستار بزوائد البزار ، للحافظ الهيثمي ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، ط مؤسسة الرسالة .
ـ كشف الخفاء ، للعجلوني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
ـ كشف الظنون ، لحاجي خليفة ، تصوير مكتبة المثنى ، ببغداد .
ـ الكفاية ، للخطيب البغدادي ، نشر دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
ـ كنز العمال ، للعلامة علي المتقي الهندي ، نشر مكتبة التراث الإسلامي ، حلب .

- ل -

- اللباب في الجمع بين السنة والكتاب ، للإمام المنبجي ، ت الدكتور محمد فضل المراد ، نشر دار الشروق ، جدة .

- لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ، بيروت .

- لقط الآلىء المتناثرة في الأحاديث المتواترة ، للزبيدي ، ط دار الكتب العلمية .

- م -

- مجلس البطاقة ، للحافظ حمزة الكتاني ، ت عبد الرزاق البدر ، مكتبة دار السلام ، الرياض .

- مجمع البحرين في زوائد المعجمين ، للحافظ الهيثمي ، ت عبد القدوس محمد نذير ، مكتبة الرشد ، الرياض .

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ الهيثمي ، نشر دار الكتاب ، بيروت .

- مجمل اللغة ، لابن فارس ، مؤسسة الرسالة .

- مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، جمع الشيخ بن قاسم ، ط الرياض .

- محبة النبيِّ ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .

- المحدث الفاصل ، للإمام الرامهرمزي ، ت د. محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر .

- المختارة ، للحافظ الضياء المقدسي ، ت د. عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة ، مكة المكرمة .

- مختصر المزني ، بحاشية الأم .

- مختصر تاريخ دمشق ، لابن منظور ، دار الفكر ، دمشق .

- مختصر زوائد البزار ، للحافظ ابن حجر ، ت صبري عبد الخالق ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

- مختصر سنن أبي داود ، للحافظ المنذري ، مطبوع مع معالم السنن .

- مختصر علوم الحديث ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).

- المدخل إلى السنن الكبرى ، للإمام البيهقي ، ط الكويت .

- المدخل إلى أصول الحديث ، للحاكم ، ضمن الرسائل الكمالية .

- مراتب الإجماع ، لابن حزم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- المستدرك ، للإمام الحاكم النيسابوري ، تصوير أيمن دمج ، بيروت .
- مسند أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، للمروزي ، ت الشيخ شعيب .
- مسند الإمام أحمد ، تصوير المكتب الإسلامي ، ودار صادر ، ونسخة أحمد شاكر .
- مسند الحميدي ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، ط باكستان .
- مسند الروياني ، ت أيمن علي أبو يماني ، مؤسسة قرطبة ، ومكتبة دار الراية .
- مسند الشاشي ، للإمام أبي سعيد الهيثم بن كليب الشاشي ، ت الدكتور محفوظ الرحمن زين الله ، نشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .
- مسند الشافعي ، ط بيروت .
- مسند ابن أبي شيبة ، ت عادل العزازي وأحمد المزيدي ، دار الوطن ، الرياض .
- مسند الطيالسي ، تصوير دار الكتاب اللبناني ، ودار التوفيق ، بيروت .
- مسند عبد بن حميد = المنتخب ، ت السيد صبحي السامرائي ، مكتبة السنة
- مسند علي بن الجعد ، ت د. عبد المهدي عبد الهادي ، مكتبة الفلاح ، الكويت .
- مسند أبي عوانة ، طبعتان ، الهندية ، وَت أيمن الدمشقي ، دار المعرفة ، بيروت .
- مسند أبي يعلى ، ت الأستاذ حسين أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق .
- مصباح الزجاجة إلى زوائد ابن ماجه ، للإمام البوصيري ، ت محمد المنتقى الكشناوي ، دار العربية ، بيروت .
- المصباح المضيء في كتاب النبيِّ ﷺ ، لابن حديدة الأنصاري ، ت شرف الدين أحمد ، ط وزارة المعارف ، الهند
- مصنف ابن أبي شيبة ، نشر الدار السلفية ، الهند .
- مصنف عبد الرزاق ، ت الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ، ط بيروت .
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، للحافظ ابن حجر العسقلاني ، النسخة المسندة ، ورجعت إلى تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي .
- مع رسول الله ﷺ في رمضان ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
- معالم السنن ، للإمام الخطابي ، ت الشيخ أحمد شاكر وحامد الفقي .
- المعجم الأوسط ، للإمام الطبراني ، ت طارق عوض الله وآخر ، دار الحرمين .
- معجم الصحابة ، لابن قانع ، ت صلاح المصراتي ، المدينة المنورة .
- المعجم الصغير = الروض الداني ، للإمام الطبراني ، ت محمد شكور إمرير .

ـ المعجم الكبير ، للإمام الطبراني ، ت الشيخ حمدي السلفي ، ط بغداد .
ـ معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، ت الأستاذ عبد السلام هرون ، إيران .
ـ معرفة السنن والآثار ، للإمام البيهقي ، ت د. عبد المعطي القلعجي ، دار الوعي .
ـ معرفة الصحابة ، للحافظ أبي نعيم ، ت الدكتور محمود راضي عثمان ، نشر مكتبة الدار ومكتبة الحرمين .
ـ معرفة علوم الحديث ، للإمام الحاكم ، نشر المكتب التجاري ، بيروت .
ـ المعرفة والتاريخ ، للإمام الفسوي ، ت د. أكرم العمري ، مؤسسة الرسالة .
ـ المغني ، لابن قدامة المقدسي ، طبعتان ، الرياض الحديثة ، وَ ت الدكتورين التركي والحلو .
ـ مفتاح الجنة ، للحافظ السيوطي ، مطابع الرشيد ، المدينة المنورة .
ـ المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، للإمام القرطبي ، ت محيي الدين مستو وآخرين ، نشر دار ابن كثير ، ودار الكلم الطيب ، دمشق ، بيروت .
ـ مقدمة حجة الوداع ، للسيد أبي الحسن الندوي ، مطابع دار القلم ، بيروت .
ـ مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .
ـ مناقب الأصحاب كما وردت في آي الكتاب ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).
ـ مناهل العرفان ، للزرقاني ، ط عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة .
ـ المناهل السلسلة في الأحاديث المسلسلة ، محمد عبد الباقي الأيوبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ المنتقى ، لابن الجارود ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة .
ـ موارد الظمآن بزوائد ابن حبان ، للحافظ الهيثمي ، ت الشيخ عبد الرزاق حمزة ، المطبعة السلفية ، القاهرة .
ـ المواهب اللدنية مع الشمائل المحمدية ، للإمام القسطلاني ، ت الشيخ محمد عوامة .
ـ موضوعات الصغاني ، ت عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ـ الموطأ ، للإمام مالك ، رواية الإمام محمد بن الحسن الشيباني ، ت الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف ، المكتبة العلمية .
ـ الموطأ ، للإمام مالك ، رواية الإمام يحيى بن يحيى الليثي ، ت محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

- ن -

- نزهة الخواطر ، الشريف عبد الحي الحسني ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .

- نشأة علوم الحديث ، خليل إبراهيم ملا خاطر (تحت الطبع).

- نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية ، للحافظ الزيلعي ، ط القاهرة .

- النظم المتناثر في الحديث المتواتر ، السيد محمد بن جعفر الكتاني ، تصوير دار الكتب العلمية ، بيروت .

- النهاية = الفتن والملاحم ، للإمام ابن كثير الدمشقي ، ت الشيخ إسماعيل الأنصاري ، مؤسسة النور ، الرياض .

- نوادر الفقهاء ، للجوهري ، ت . د . محمد فضل المراد ، دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية ، بيروت .

- نواسخ القرآن ، لابن الجوزي ، ت محمد أشرف المليباري ، نشر الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة .

- هـ -

- الهداية ، للإمام المرغيناني ، بشرح فتح القدير .

- و -

- واجب الأمة نحو نبي الرحمة ﷺ ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، جدة .

☆☆☆☆☆

فهرس الكتاب

☆☆☆☆☆

قائمة بأسماء كتب المؤلف

أ ـ المدرسة المدنية :

١ ـ الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام .

٢ ـ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، الطبعة الحادية عشرة ، وترجم لعدد كبير من اللغات .

٣ ـ شمائل الرسول الأمين ﷺ (تحت الطبع).

٤ ـ سيرة الرسول ﷺ ـ العهد المكي ـ كما وردت في كتب السنة .

٥ ـ الإشارة ، للحافظ مغلطاي (تحقيق).

٦ ـ فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم (تحت الطبع).

٧ ـ الأمانة العظمى ونبيها ﷺ ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . الطبعة الثانية ، وقد ترجم لبعض اللغات .

٨ ـ الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان .

٩ ـ مع رسول الله ﷺ في رمضان (تحت الطبع).

١٠ ـ الصلاة على النبي ﷺ . مكانتها ، أحاديثها ، مواطنها ، حكمها ، فوائدها ، وثمراتها .

١١ ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما ؛ الخليفة الراشد الخامس .

١٢ ـ فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، نشر دار القبلة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٣ ـ فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الخامسة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٤ ـ مختصر فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الرابعة . نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .

١٥ ـ فضائل مكة المكرمة .

١٦ ـ مكانة الحرمين الشريفين ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٧ ـ أمية النبي المصطفى ﷺ ، نشر دار القبلة .

١٨ ـ مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام . الطبعة الثانية .
١٩ ـ الشفاعة ، والرد على منكريها (تحت الطبع).
٢٠ ـ ساكن المدينة المنورة ، منزلته ومسؤوليته . طبعة ثالثة . نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٢١ ـ مختصر فضائل مكة المكرمة (تحت الطبع).
٢٢ ـ ساكن مكة المكرمة ، منزلته ومسؤوليته ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . طبعة ثانية .
٢٣ ـ الآيات المنيفة في الأعضاء الشريفة (تحت الطبع).
٢٤ ـ الرحمة المهداة ﷺ ، نشر دار القبلة .
٢٥ ـ الآيات الربانية في السيرة النبوية (حلقات ، وبعضها تحت الطبع).
٢٦ ـ الحب المتبادل (بين رسول الله ﷺ والمدينة المنورة)، نشر دار القبلة . طبعة ثالثة .
٢٧ ـ فضائل بلاد الشام (تحت الطبع).
٢٨ ـ رحمة النبي الكريم ﷺ بالكفار ، نشر دار القبلة .
٢٩ ـ واجب الأمة نحو نبيّ الرحمة ﷺ ، نشر دار القبلة .
٣٠ ـ مناقب الأصحاب كما وردت في آي الكتاب (تحت الطبع).
٣١ ـ دلائل النبوة في غزوة الخندق (تحت الطبع).
٣٢ ـ مكانة الصحابة ، وأثرهم في حفظ السنة ، وواجب الأمة نحوهم (تحت الطبع).
٣٣ ـ بنات رسول الله ﷺ أربع ، لا كما زعم الشانئ الحقود (تحت الطبع).

ب ـ مدرسة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

٣٤ ـ الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه (تحت الطبع).
٣٥ ـ مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه ، والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه ، للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (تحقيق) طبعة ثانية .
٣٦ ـ بيان خطأ من أخطأ على الشافعي ، للإمام البيهقي (تحقيق) نشرتها رئاسة الإفتاء بالرياض .

٣٧ ـ حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي . طبعة ثانية ، دار القبلة .
٣٨ ـ مناقب الإمام الشافعي ، لابن الأثير ، وهو من كتابه الشافي ، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .
٣٩ ـ الشافي في شرح مسند الشافعي ، لابن الأثير (تحقيق ، تحت الطبع).
٤٠ ـ ثلاثيات الإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٤١ ـ السنن للإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٤٢ ، ٤٣ ـ المسند للإمام الشافعي ، ومعه شافي العي ، للحافظ السيوطي (تحقيق).
٤٤ ـ الإمام الشافعي وعلم مختلف الحديث ، ستعاد طباعته إن شاء الله تعالى .
٤٥ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للحافظ ابن كثير ، نشر مكتبة الإمام الشافعي بالرياض .
٤٦ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للآبري (تحقيق).
٤٧ ـ تخريج أحاديث الأم ، للإمام البيهقي (تحقيق).

ج ـ علوم الحديث رواية :

٤٨ ـ مجموع الحديث ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (تحقيق) بالاشتراك مع الأخ الأستاذ الدكتور محمود طحان ، نشر جامعة الإمام ، بالرياض .
٤٩ ـ سبل السلام ، تعليق وتصحيح ـ بالاشتراك ، طبعة رابعة ، نشر جامعة الإمام .
٥٠ ـ شرح أربعين حديثاً مما في الصحيحين (تحت الطبع).
٥١ ـ سلسلة الذهب (الشافعي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما) جمع ، وتخريج ، وتعليق . نشر دار القبلة ، بجدة .
٥٢ ـ صحيفة (أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه) جمع ، وتخريج ، وتعليق ، نشر دار القبلة .
٥٣ ـ شرح أربعين باباً من سنن الترمذي ـ قسم العبادات ـ (تحت الطبع).

د ـ علوم الحديث دراية :

٥٤ ـ بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة (بين يديك).

٥٥ ـ مكانة الصحيحين ، طبعة ثانية ، نشر دار القبلة .
٥٦ ـ السنة النبوية وحي (تحت الطبع).
٥٧ ـ مختصر السنة النبوية وحي ، نشر دار القبلة . طبعة ثانية .
٥٨ ـ شبهات حول السنة ودحضها ، نشر دار القبلة .
٥٩ ـ نشأة علوم الحديث (تحت الطبع).

*** المبسوط في علوم الحديث ، وطبع منه :**

٦٠ ـ الحديث المتواتر .
٦١ ـ الحديث الآحاد . الحلقة الأولى .
٦٢ ـ الحديث المعلل ، طبعة ثانية ، نشرتها كلها دار الوفاء ، بجدة .
٦٣ ـ مقدمة شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، شرح وتعليق ، نشر دار المدينة المنورة . بالمدينة المنورة .
٦٤ ـ الإسناد من الدين ، والرد على الطاعنين فيه (تحت الطبع).
٦٥ ـ الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما (تحت الطبع).
٦٦ ـ مختصر علوم الحديث (تحت الطبع).
٦٧ ـ خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع ، نشر دار القبلة ، جدة .
٦٨ ـ تدوين السنة من العهد النبوي إلى زمن التابعين (تحت الطبع).
٦٩ ـ الإمام البخاري والرواية عن أئمة آل البيت (تحت الطبع)

هـ ـ الأجزاء الحديثية :

٧٠ ـ الإصابة في صحة حديث الذبابة ، دار القبلة . والثانية تحت الطبع .
٧١ ـ مشروعية صيام ست من شوال ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .
٧٢ ـ تحريم نكاح المتعة (تحت الطبع).

و ـ الحديث الموضوعي :

٧٣ ـ من صفات المؤمنين في ضوء السنة النبوية .

٧٤ـ الجهاد في ضوء السنة النبوية .

٧٥ـ تحريم الخمر والمسكرات في ضوء السنة النبوية .

٧٦ـ تنبيه الذات بهادم اللذات (الموت والقبر في ضوء السنة النبوية).

٧٧ـ علاج الإسلام لمشكلة البطالة في ضوء السنة النبوية .

٧٨ـ صلة الأرحام في ضوء السنة النبوية .

٧٩ـ الرفق بالحيوان في ضوء السنة النبوية .

ز ـ بين الإنسان والجماد :

٨٠ـ الإدراك عند الجمادات .

٨١ـ معرفة الله عز وجل بين الإنسان والجماد .

٨٢ـ شوق الجمادات واستجابتها له ﷺ .

٨٣ـ محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، ط ثالثة ، دار القبلة .

ح ـ بحوث مهمة في الكتاب والسنة :

٨٤ـ حقوق الوالدين (القسم الأول : وهو بر الوالدين) نشر دار القبلة .

٨٥ـ حقوق الزوجين .

٨٦ـ المرأة في القرآن .

٨٧ـ الإحسان في القرآن .

٨٨ ـ زواج السيدة عائشة رضي الله عنها ومشروعية الزواج المبكر ، نشر دار القبلة . وستعاد طباعته قريباً إن شاء الله تعالى .

٨٩ـ النظافة بين العلم والإيمان .

٩٠ ـ العلوم والإيمان ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٩١ ـ خمس محاضرات في مناهج المفسرين (تحت الطبع).

٩٢ ـ عناية الإسلام بالبيئة .

٩٣ ـ بناء الأسرة الكريمة .

ط ـ الفتن وأشراط الساعة :

٩٤ ـ العداوة بين الإنسان والشيطان وأثر ذلك على الجريمة (تحت الطبع).

٩٥ ـ كيف أرسى الإسلام قواعد الأمن في الأرض .

٩٦ ـ أشراط الساعة . (تحت الطبع).

٩٧ ـ مختصر أشراط الساعة ، نشر دار القبلة .

٩٨ ـ أخبار الدجال .

٩٩ ـ الردة قديمها وحديثها .

١٠٠ ـ الردة قديمها وحديثها (المحاضرة).

١٠١ ـ المسيح عليه السلام ، قطعية رفعه ، وتواتر نزوله .

١٠٢ ـ الترابي والمفاهيم الخاطئة (تحت الطبع).

☆☆☆☆☆